نموذج ترخيص

أنا الطالبة: شيرين فتحي أحمد العبد أمنح الجامعة الأردنية و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو استغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونية أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الإفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليمية والجامعات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: شيرين فتحي أحمد العبد

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٦/٧/٢٦

الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية
دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة

إعداد

شيرين فتحي أحمد العبد

المشرف

الدكتور جهاد محمد النصيرات

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في

التفسير وعلوم القرآن

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٤/١/٢٠١٧

تموز، ٢٠١٦م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة بعنوان (**الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة**) . **وأجيزت بتاريخ: ٢٠١٦/٧/٢٦م.**

أعضاء لجنة المناقشة **التوقيع**

- الدكتور جهاد محمد النصيرات، **(مشرفاً)**

أستاذ مشارك - التفسير وعلوم القرآن. .....

- الدكتور أحمد خالد شكري، **(عضواً)**

أستاذ - التفسير وعلوم القرآن .....

- الدكتور يحيى ضاحي شطناوي، **(عضواً)**

أستاذ مشارك- التفسير وعلوم القرآن. .....

- الدكتورأحمد سليمان البشايرة، **(عضواً)**

أستاذ- التفسير وعلوم القرآن (جامعة العلوم الإسلامية) .....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٤/٩/٢٠١٦

الإهداء

هذه الأوراق وليدة جهد ووقت قضيته باحثة متدبرة في كتاب الله،

حتى باتت قطعة من نفسي، وعليه أهدي هذه القطعة:

إلى روحين طاهرتين فارقا الدنيا ولم يفارقا ذاكرتي(أبي- أخي) رحمهما الله.

إلى نفس طاهرة أفنت شبابها في تربيتي (أمي) حفظها الله.

إلى نفس زكية دفعتني نحو القمة بشغف وواستني بكل ما أعطاها الله من

حسن الخلق وسعة مال، إلى زوجي (جهاد كركار)- أكرمه الله.

إلى بعضي وفلذات أكبادي، إلى أعز ما أملك في دنياي (رغد، ريم، محمد،

هارون، نور الإيمان، يحيى) كركار.-حماهم الله

إلى كل مجاهد في سبيل الله، وإلى كل مرابط لنصرة دينه،

وإلى كل أسير في سبيل" لا إله إلا الله"

وإلى كل أحرار أمتي أهدي جهدي المتواضع هذا. - نصركم الله.

الشكر والتقدير

أعظم الشكر وأجزله وأكمله لله تعالى على عظيم فضله وجزيل منِّه أن أتم نعمته عليَّ ووفقني إلى إنجاز هذا العمل خدمة لكتاب الله وطمعا في مرضاته.

ثم أتقدم بالشكر العرفان ووافر التقدير إلى أستاذي ومشرفي فضيلة الدكتور جهاد محمد النّصيرات، الذي تكرم بالإشراف على هذه الرسالة، فتجشم العناء في القراءة والمناقشة والإرشاد، وكان نعم المشرف الكريم في أخلاقه ومعاملته ودقيق ملاحظاته، وكان له الأثر الكبير في إخراج الأطروحة بهذه الصورة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور أحمد البشايرة والأستاذ الدكتور أحمد شكري والدكتور يحيى شطناوي أكرمهم الله جميعا على قبولهم مناقشه هذه الرسالة، وعلى ما سيقدمونه لي من ملاحظات قيمة وتوجيهات نافعة.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان إلى أساتذتي في شعبة التفسير ممن تتلمذت على أيديهم فجزاهم الله خيرا كثيرا.

وأخيرا أتقدم بالشكر والثناء لكل أخواتي وصديقاتي من طالبات العلم، سائلة الله عزّ وجلّ أن يثبتهُنّ على الحق ويرزقهُنّ الإخلاص والعلم النافع، وينفعهُنّ بما علّمهُنّ.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
قائمة المحتويات	هـ
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	١
الفصل الأول: دراسة تطبيقية من أول سورة الأنبياء إلى نهاية سورة النور.	٥
المبحث الأول: الانفرادات اللفظية في سورة الأنبياء، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	٦
المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الحج وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	٤١
المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورة" المؤمنون" وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	٩١
المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة النور. وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	١١٣
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية من أول سورة الفرقان إلى نهاية سورة القصص.	١٣٤
المبحث الأول: الانفرادات اللفظية في سورة الفرقان وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	١٣٥
المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الشعراء وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	١٥٢
المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورةالنمل،وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة	١٧٥

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة القصص وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	١٩٥
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية من أول سورة العنكبوت إلى نهاية سورة السجدة.	٢٢٠
المبحث الأول: الانفرادات اللفظية في سورة العنكبوت وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	٢٢١
المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الروم وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	**٢٣٢**
المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورة لقمان، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة	٢٤٥
المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة السجدة وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.	٢٦٠
الخاتمة	٢٦٧
قائمة المصادر والمراجع	٢٧١
الملخص باللغة الانجليزية	٢٨٤

الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية

دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة

إعداد

شيرين فتحي أحمد العبد

المشرف

الدكتور جهاد محمد النصيرات

الملخص

قصدت هذه الدراسة البحث في دلالة الانفرادات اللفظية في القرآن الكريم، وعلاقتها بوحدة السور الموضوعية، ضمن مشروع قدم في الجامعة الأردنية لدراسة كافة الانفرادات اللفظية في القرآن الكريم، وقامت هذه الدراسة ببحث "الانفرادات اللفظية، دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، دراسة تطبيقية من سورة الأنبياء إلى سورة السجدة" حيث قامت هذه الدراسة على منهجية الاستقراء والتحليل والاستنباط، لبيان بلاغة البيان القرآني في اختيار المفردة، وعلاقتها بوحدة السورة التي وردت فيها، ودورها في التشكيل البنائي للسورة.

وقد أبانت الدراسة كيف تتشكل الوحدة الموضوعية للسورة في قطعة واحدة منسجمة وغاية واحدة مترابطة في حلقات متداخلة مترابطة من الموضوعات، وأنّ هذه الانفرادات ترتبط بوحدة السورة وتساعد في إظهارها وتشخيصها، وكيف أنّ تميز هذه الالفاظ عن غيرها من مفردات القرآن بخاصية الانفراد جذرا واشتقاقا ساهم في بيان الوحدة الموضوعية للسورة، وبيان بلاغة المفردة القرآنية ودقة القرآن في اختيارها دون غيرها، وأكدت هذه الدراسة ما توصل له السابقون من نفي الترادف عن مفردات القرآن ألبتّة، كما بينت ترابط دلالات الألفاظ وبعضها البعض.

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة فصول تفرع تحت كل فصلٍ أربعة مباحث تضمن كل مبحث مطلبين، المطلب الأول دُرست فيه وحدة السورة الموضوعية، والمطلب الثاني دُرست فيه دلالة الانفرادات وعلاقتها بوحدة السورة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله منزل الكتاب الكريم هداية ونورا للمؤمنين، الحمد لله مرسل محمد الصادق الأمين رحمة للعالمين، وصلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين...أما بعد؛؛؛

فقد قال تعالى في كتابه الكريم ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان(٢٧)، في هذه الآية خبر من الله عزّ وجلّ أنّ قدرته سبحانه تمتد حتى لا تنتهي، وأنّ كلماته –عزّ وجلّ– تنبعث منها هدايات وحكمة لا تنقطع، ومن باب يقين الباحث في علم التفسير القرآني أنه يحيا في عالم المعجزة القرآنية التي لا تنتهي، يكمن عمله في البحث عن دلالات جديدة للكلمات والآيات القرآنية، فيسعى لتنقيب عنها والظفر بها، ومع تدبره لهذه المعجزة الخالدة يقف حيرانا متعجبا من روعة ما تحمله هذه الدلالات من معانٍ وتصورات متنوعة منسجمة بدقة متناهية في النسيج القرآني الواحد في السورة الواحدة.

علم الدلالة أصل من أصول التفسير، والجمع بين دلالات المفردة المتنوعة هو جوهر التفسير، ذلك أنّ علم الدلالة هو الطريق الأمثل إلى بيان إعجاز القرآن وهداياته وتفسيره على أحسن وجه، وتظهر هذه الدراسة إعجاز المفردة القرآنية والدلالات المختلفة للكلمات القرآنية التي انفردت بها السور القرآنية من بداية سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة، في محاولة إبراز أهم خصائص هذه الألفاظ البيانية واللغوية وما تحمله من صور وتناسق يؤثر في النفس البشرية ويحقق الهداية القرآنية، ويبين لحمة وتناسق هذا اللفظ مع النسيج القرآني للسورة الواحدة، وتحقيقه التكامل البنائي في السورة القرآنية.

وعمل الباحثة في هذه الدراسة هو بيان مقدار ما توفره دلالات الانفرادات اللفظية من معان، وتناسق هذه الدلالات مع بعضها، مبرزة جمالية تلك الألفاظ ودقة التعبير القرآني فيها، وربط تلك الدلالات بمقاصد القرآن العظمى وهي الهداية لله عزّ وجلّ.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيسي والأهم وهو: ما العلاقة بين الانفرادات اللفظية ووحدة سور القرآن الكريم الموضوعية؟ وانبثق من هذا السؤال عدة أسئلة فرعية، منها:

١- ما الألفاظ التي انفردت بها السور من" سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة، وما دلالاتها؟

٢- ما دور الألفاظ التي انفردت بها سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة في وحدتها الموضوعية؟

أهمية الدراسة:

١- حاجة الدراسات الدّلالية إلى البحث عن دلالة الانفرادات اللفظية مع ربطها بالسورة التي وردت فيها..

٢- حاجة الدراسات التحليلية في التفسير إلى تحليل الانفرادات اللفظية ضمن سورها وبيان ارتباطها بها.

٣- حاجة البحث في التفسير إلى المشاريع البحثية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:

١- استقراء الألفاظ التي انفردت بها سور القرآن الكريم بدءًا من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة.

٢- بيان معاني هذه الألفاظ ودلالاتها.

٣- بيان الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم بدءًا من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة-.

٤- تحليل الدور الذي تؤديه هذه الألفاظ التي انفردت بها سور القرآن الكريم- بدءًا من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة- في إظهار وحدة السور الموضوعية.

٥- استنتاج العلاقة بين الانفرادات اللفظية في سور القرآن- بدءًا من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة- بوحدتها الموضوعية،

الدراسات السابقة:

قلت الدراسات السابقة التي بحثت في دلالات الانفردات اللفظية في القرآن الكريم، فمنها من اعتنى بالجانب المعجمي فقط، دون الإشارة إلى غيرها من الدلالات، مثل ذلك دراسة: بعنوان الانفرادات التي لم تتكرر إلا مرة واحدة في القرآن الكريم (دراسة في التأصيل والمعنى)، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، للطالب حسين حنش الزهراني، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا. لغة ونحو وصرف" ولم تفد منها الباحثة كثيرا لاطلاعها عليها متأخرة في أحد المواقع الإلكترونية، وتختلف الرسالة عن أطروحة الباحثة أنها في الدلالة المعجمية فقط، ولم تتطرق لدلالة الصيغة أو العلاقة مع الوحدة الموضوعية للسورة.

كما أطلعت الباحثة – متأخرة– على معجم بعنوان" الألفاظ التي وردت مرة واحدة في القرآن الكريم، معجم دراسة بلاغية بيانية، أ.بلال السامرائي، دار دجلة، ط١،(٢٠١٦)، درس المؤلف الألفاظ دراسة بلاغية مختصرة غير وافية، وليس فيها علاقة الانفرادات بالسور التي جاءت فيها.

وكذلك اطلعت الباحثة على كتاب بعنوان "الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية" أ.د. عبد الله الغني سرحان، مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، الرياض، الممكلة العربية السعودية، ط١، ٢٠١٢م"، درس فيها المؤلف الانفرادات التي تعلقت بالقصص القرآني فقط، وأفادت الباحثة عموما من ربط المؤلف بين المتشابهات المتعلقة بانفرادات القصص القرآني في استنتاج العلاقة بين الانفرادة ووحدة السورة الموضوعية.

ومن الدراسات السابقة أيضا البحث المحكم "الألفاظ التي انفردت بها سورة الأحزاب دراسة دلالية موضوعية، ٢٠١٥م.د.جهاد النصيرات، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، سلسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثلاثون، العدد الرابع." حيث أفادت منه الباحثة في المنهجية وفي بيان العلاقة بين سورة الأحزاب وسورة السجدة.

وكذلك البحث المحكم " الانفرادات اللفظية في سورة يوسف وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة"،(٢٠١٥م) تأليف د. جهاد النصيرات و أحمد حسين. مجلة المنارة، جامعة آل البيت، مخطوط، مقبول للنشر." وأفادت منه الباحثة في المنهجية، ذلك أنّ سورة يوسف ليست من السور المدروسة في الأطروحة المقدمة.

وقد نوقشت ثلاث اطروحات تتعلق بمشروع دراسة الانفرادات دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، أولها للطالب عبد المولى الزيوت بإشراف الأستاذ الدكتور محمد

خازر المجالي "دراسة تطبيقية من سورة الرحمن حتى المرسلات" ثم نوقشت أطروحة الطالب مثقال عربيات بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد شكري، دراسة تطبيقية من أول سورة الأحزاب إلى نهاية سورة القمر"، والطالب مصطفى حمدو عليان بإشراف الدكتور سليمان الدقور " دراسة تطبيقية في سور جزء عمّ"، ولم تطلع الباحثة على تفاصيل الأطروحات لكنها تسير على منهجية واحدة في دراسة الدلالة المعجمية والبنائية للانفرداة، وتميزت هذه الدراسة عنهم في البحث في خصائص السورة المدروسة مضمونا وأسلوبا.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على منهجين:

الأول: المنهج الاستقرائي؛ حيث ستقوم الباحثة باستقراء تلك الألفاظ التي انفردت بها كل سورة في السور آنفة الذكر، واستقراء ما قيل عنها من دلالات ومعانٍ، واستقراء ما قاله أهل التفسير عن السورة وموضوعها.

الثاني: المنهج التحليلي الاستنتاجي؛؛ حيث سيقوم الباحث بمعالجة تلك المعلومات التي استقرأها، ليعقبها نقدا علميًّا، وتدقيقا وتحليلا لمعطياتها للوصول إلى أهداف هذه الدراسة، ومنها استنتاج علاقة المفردات التي انفردت بها السور بالوحدة الموضوعية للسورة.

وتعد هذه الدراسة في الجانب التطبيقي للسور القرآنية المقررة، علما أنّ الجانب النظري في دراسة المفردة القرآنية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية سيتم دراسته في العمل الأول من المشروع.

خطة الدراسة:

تنقسم هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول الفصل الأول: الانفرادات اللفظية في السور"الأنبياء– الحج– المؤمنون– النور"، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، والفصل الثاني: الانفرادات اللفظية في السور " الفرقان– الشعراء النمل– القصص" وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، والفصل الثالث: الانفرادات اللفظية في السور "العنكبوت– الروم– لقمان – السجدة" وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، يتضمن كل فصل أربعة مباحث، يتفرع من كل مبحث مطلبان:

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في السورة "المدروسة" وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في السورة وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات

الفصل الأول

الانفرادات اللفظية دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، دراسة تطبيقية من أول سورة الأنبياء إلى نهاية سورة النور

يتضمن الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: الانفرادات اللفظية في السورة الأنبياء وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الحج وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورة المؤمنون وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة النور. وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الأول

الانفرادات اللفظية في سورة الأنبياء، وعلاقتها الوحدة الموضوعية للسورة

توطئة: تقديم السورة

سورة الأنبياء من السور المكية بلا خلاف [١]، لم يعرف لها اسم آخر، وعلل المفسرون دلالة الاسم بمضمون السورة؛ حيث ورد في السورة ذكر خمسة عشر نبيا من أنبياء الله – إبراهيم، واسحاق، ويعقوب، ولوط، ونوح، وسليمان، وداود، وأيوب، موسى، هارون، ذو الكفل، ويونس، وزكريا، ويحيى، وعيسى، ومحمد–عليهم السلام جميعا– بالإضافة إلى ذكر السيدة مريم، ولم يرد ذكر هذا العدد من الأنبياء إلا في سورة الأنعام؛ ففيها ثمانية عشر نبيا [٢].

عدد آيات سورة الأنبياء مئة واثنتا عشرة عند الكوفيِّين، وإحدى عشرة عند الباقين.."[٣] ترتيبها الحادية والعشرون في المصحف، في الجزء السابع عشر، في الحزب الثالث والثلاثين.

فضائلها:

جاء في صحيح البخاري "عَنْ عَبْدِ اللَّهِ: قَالَ(بَنو إِسْرَائِيلَ وَالْكَهْفُ وَمَرْيَمُ وطه وَالْأَنْبِيَاءُ) هُنَّ مِنْ الْعِتَاقِ الْأُوَلِ وَهُنَّ مِنْ تِلَادِي "[٤] "(الْعِتَاق) جَمْع عَتِيق وَهُوَ الْقَدِيم، أَوْ هُوَ كُلّ مَا بَلَغَ الْغَايَة فِي الْجَوْدَة،... وَقَوْله: " هُنَّ مِنْ تِلَادِي "... أَيْ مِمَّا حُفِظَ قَدِيمًا، وَالتِّلَاد قَدِيم الْمِلْك... وَمُرَاد اِبْن مَسْعُود أَنَّهُنَّ مِنْ أَوَّل مَا تُعُلِّمَ مِنْ الْقُرْآن، وَأَنَّ لَهُنَّ فَضْلًا لِمَا فِيهِنَّ مِنْ الْقَصَص وَأَخْبَار الْأَنْبِيَاء وَالْأُمَم.."[٥]، وفي هذا دليل أنّ هذه السور مما نزل في مكة.

---

١ ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي،أبو محمد، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ط ١، لبنان، دار الكتب العلمية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ٤ج/ص ١٨٠.

٢ ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التونسي، (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، تفسير التحرير والتنوير، ط١، تونس،دار سحنون للنشر والتوزيع، (٥ج/١٧ص).

٣ الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب،(المتوفى: ٨١٧هـ)، تح محمد علي النجار، القاهرة الناشر :المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، ص٢٢٢.

٤ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفري أبو عبد الله،(ت٢٥٦ه)، ١٤٢٢هـ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، جدة، دار طوق النجاة، كتاب التفسير /سورة الأنبياء رقم الحديث (٤٧٣٩)

٥ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، (المتوفي ٨٥٢ ه) ١٩٩٧م – ١٤١٨ه، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ط١، الرياض، دار السلام، (ج١٣/ص١٧٩).

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الأنبياء، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

لكل سورة قرآنية بناء متكامل، يقوم على محاور رئيسة داعمة له، وهي الأصل الذي ترتبط به السورة مع مقاطعها لإبراز الوحدة الموضوعية المتكاملة فيها، ولسور القرآن مقدمة توجز فيها هذه المحاور وتبرزها، ولبنات تدعم هذه المحاور وتخدمها، وخاتمة تؤكد وتبين حقائق وسنناً متعلقة بالمحور وتؤكد ما سبق.

تشابهت أقوال الباحثين في مقاصد السورة بعض الشيء، وذلك لأن السور المكية ارتبطت فيما بينها بمعالجة قضايا العقيدة وأصولها، ولا تكاد تجد سورة مكية تخلو من تأصيل التوحيد، ودحض الشرك، وإثبات البعث والحساب..الخ، وقد عالجت السورة موضوع التوحيد بالتأكيد على وحدة عقيدة الرسل، ومن حيث الاستدلال بالأدلة الكونية المحفزة للوجدان على النظر في آثار وحدانية الله في الخلق كله، ومطالبة المنكرين بالدليل على مزاعمهم بوجود شريك لله.

واهتمت السورة في مطلعها وثناياها وخاتمتها في بيان عقيدة الناس وإيمانهم باليوم الآخر، فوصفتهم بالغفلة عنه مع الإعراض، ووصفت استقبالهم للقرآن – المنبه عن الغفلة – باللعب واللهو.

وبينت سنة الله في إهلاك المكذبين، ونزول العذاب القاصم لهم، فلا رجعة لهم للحياة الدنيا فيعتذرون، وتصور في أكثر من مشهد حسرتهم وندمهم على لعبهم ولهوهم.

وعالجت السورة ركن الإيمان بالرسل من حيث وحدة العقيدة، وعدم التفريق بينهم بالإيمان برسول دون الآخر، وحثت على اتخاذهم قدوة من دون الناس لفضلهم عليهم؛ بما أتاهم الله من نعم نصت عليها آيات السورة.

وقد اجتهد المفسرون والباحثون في سورة الأنبياء في بيان وتوضيح هذه المحاور، فقال البقاعي–(ت٨٨٥ه)– عن محور السورة: مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة وقربها ولو بالموت.."[١] وهذا من أغراضها وليس هو المقصود الأصل لها، بينما يرى سيد قطب–(ت١٣٨٥ه)– أن موضوعات السورة المختلفة تتجمع على هدف واحد وهو " استجاشة القلب البشري لإدراك الحق الأصيل في العقيدة التي جاء بها خاتم الرسل –صلى الله عليه وسلم– فلا يتلقاها الناس غافلين معرضين لاهين كما يصفهم في مطلع السورة....."[٢]، وجعل سيد قطب

---

١ البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمرو، (ت ٨٨٥ ه)، ٢٠٠٦م ١٤٢٧ه، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، خرج أحاديثه ووضع الحاشية "عبد الرازق غالب المهدي "، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، (ج٥/ ص٦٣).

٢ قطب، سيد،(١٩٧١م) في ظلال القرآن، ط٧، بيروت، درا إحياء التراث، (ج٥/ ص٥١٤)

السورة في أربعة أشواط[١]. ورغم جمال ما ذهب إليه قطب –رحمه الله – ولكن الوصف ينطبق على أكثر آيات القرآن، وتأصيل عقيدة التوحيد كان مقصدا مشتركا في أكثر السور المكية وبعض السور المدنية.

وفي موسوعة التفسير الموضوعي، حصروا محاور السورة في" معالم التوحيد وإثبات الميعاد في دعوة الأنبياء، وموقف الناس من ذلك " [٢]، وجعلوا السورة في سبعة مقاطع.[٣]

بدأت السورة بإنذار الناس من غفلتهم ثم بينت حال الناس مع المنذرين بالبعث والحساب، والداعين لعبادة الله وحده، فكان حال أكثرهم– رغم وضوح براهينهم وتصديق الله لهم بالآيات– التكذيب والتشكيك والإعراض، فكانت **الوحدة الموضوعية للسورة في الإنذار؛ إنذار المشركين والمنكرين للبعث والحساب، والناس كافة عن تغافلهم عن حقيقة الدنيا وزوالها، وتنبيهم من عاقبة الإعراض عن الذكر– وظهر ذلك في حكاية الناس مع المُنذِرين**"[٤].

وتتجلى الوحدة الموضوعية للسورة الآنف ذكرها وتتأكد من خلال، أولا: تتبع تشكلها في نسيج متكامل مترابط داخلي وخارجي، فالنسيج الداخلي يربط بين السورة ومقاطعها،أما الخارجي يربط بينها والسور المجاورة، و ثانيا: إبراز خصائص السورة مضمونا وأسلوبا.

---

١ ينظر قطب، سيد، (ج٥،ص ٥١٤–ص٥١٥) رؤية سيد قطب لأشواط السورة الأربعة معنونة بمطلع يهز القلوب بالتذكير بالحساب وبمصارع الغابرين... والشوط الثاني (من آية ٣٦– إلى آية ٤٧) في مخاطبة المنكرين للوحي والمستهزئين بالرسول – صلى الله عليه وسلم – وتصوير مشاهد من عذابهم تتخلع له القلوب وينتهي البلاغ ببيان وظيفة الأنبياء وهي البلاغ.... ويتضمن الشوط الثالث استعراض أمة النبيين، وفيها تتجلى وحدة الرسالة والعقيدة. كما تتجلى رحمة الله بعباده الصالحين وإيحاؤه لهم وأخذ المكذبين.
أما الشوط الرابع والأخير فيعرض النهاية والمصير، في مشهد من مشاهد القيامة المثيرة: ويتضمن ختام السورة بمثل ما بدأت: إيقاعاً قوياً، وإنذاراً صريحاً، وتخليه بينهم وبين مصيرهم المحتوم.."

٢ مسلم، مصطفى، ونخبة من العلماء، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط١، الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الشارقة، (ج٥–ص٢).

٣ ينظر المصدر السابق " من (ص ٥ إلى ص ٧٢) المقطع الأول من (١– ٦) وعنوانه غفلة الناس عن الساعة وإعراضهم عن القرآن.. المقطع الثاني (٧– ١٥) وعنوانه "الإنذار بالوحي سمة مشتركة بين الرسل عليهم الصلاة والسلام "... المقطع الثالث (١٦– ٣٣) دلائل الوحدانية والقدرة، وتنزيه أفعال الله عن العبث،،،المقطع الرابع (٣٤– ٤٧) المصير المحتوم وعناية الله بخلقه..... المقطع الخامس (٤٨– ٩١) القصص التفصيلي في دعوة الأنبياء إلى التوحيد.. المقطع السادس (٩٢– ١٠٦) وحدة الملة وعدل الجزاء...المقطع السابع (١٠٧– ١١٢) ختام سلسلة الأنبياء رحمة مهداة.

٤ عرض ابن عاشور، في تفسيرالتحرير والتنوير، (ج١٧/٦–٧ص) اهم أغراض السورة فقال: فعرض أغراض السورة وأهم مقاصدها في عدة نقاط أهمها: " الإنذار بالبعث، وتحقيق وقوعه، وكان عنده من أهم المقاصد وليس المقصد الأصل الذي ترتبط بها موضوعات السورة الأخرى.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

١- **البناء الداخلي للسورة:** ظهر النسيج الداخلي للوحدة الموضوعية بعد دراسة تناسق البناء الداخلي لموضوعات السورة من خلال إبراز العلاقة بين موضوعاتها، ودلالة اسمها على وحدتها الموضوعية.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

تتألف السورة من مقدمة تتضمن لمحات عن أهم مقاصد السورة، وسبعة من المقاطع، التي يظهر فيها أصول وثوابت عقائدية في بعث الله للرسل، وحاجة الناس لهم، وخاتمة تتضمن تأكيدا لما سبق.

وتبدأ مقدمة السورة (١- ٢) بكشف أهم مقاصد السورة، وهي إنذار الناس بتحقق وقوع اليوم الآخر، وحاجتهم لمُنذِرين؛ لغفلتهم عن الساعة وإعراضهم عن الذكر باللهو واللعب.[١] ثم بين المقطع الأول:الآيات (٣-١٠) حجج المُعرضين عن دعوة الرسل، وشبهاتهم حول مصدر القرآن. ثم الآيات(١١-٤٩) وفيها أسباب قصم القرى وهلاكها في الدنيا والآخرة. وعلاقة المقطع بالوحدة الموضوعية للسورة، ما دلت عليه الآيات من حاجة الناس للمنذرين من الأنبياء والرسل لتصحيح عقيدتهم التي فسدت بسبب غفلتهم عن آيات الله عزّ وجلّ، وبسبب تعطيلهم لعقولهم عن التأمل في آيات الله الكونية الدالة على وحدانيته وكمال قدرته عزّ وجلّ، التي لازمها بعث الناس للحساب ومجازاتهم بما كانوا يعملون، قبل قصمهم في الدنيا والآخرة، وهذه الأسباب، هي: الترف، اتباع الباطل، الاستكبار عن عبادة الله، الشرك والافتراء على الله باتخاذه الولد، التأله، الاستهزاء بالأنبياء، استعجال العذاب، الإعراض عن الذكر، الافتتان بالنعم، ومن أسباب هلاك الناس يوم القيامة خسارتهم في الميزان يوم الحساب الذي كانوا عنه غافلين معرضين يلعبون بقلوب لاهية[٢]."

---

١ الغفلة: "سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ."، والإعراض وهو الانصراف عن الشيء، ونتج عن هذه الغفلة والإعراض مقابلتهم للمنبه المذكر باللعب؛ وهو كل فعلا قصد به غير مقصدا صحيحا. وعبر عن الغفلة والإعراض بالصيغة الاسمية لتدل على ثبوت الحدث عندهم مما يدل على حاجتهم الشديدة للنذير ليوقظهم، وعبر عن اللعب بالصيغة الفعلية ليدل على تجدد فعلهم هذا كلما جاءهم مذكر."ينظر الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم، (ت٥٠٢ه)، (١٤٢٩ه- ٢٠٠٩م)، مفردات ألفاظ القرآن، بيروت، دار الفكر، يظر تحت مادة (غفل – عرض)

٢ ينظر الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ،- ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، مفاتيح الغيب، ط١، بيروت، الكتب العلمية (ج٢٢/ص١٢٩)، وينظر الآلوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله (١٤٢٦ه-٢٠٠٥م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط٢، بيروت دار الكتب العلمية (ج١٧/ ص٤٨).

ثم جاءت الآيات (٥٠-٩٣) تبين وحدة الرسالة،القائمة على تأصيل التوحيد وإنذار الآخرة، فتحدثت الآيات في لمحات سريعة عن قصص الأنبياء بدأت بموسى وهارون، وختمت بأم عيسى عليه السلام، ولم يظهر ترتيب زماني لقصص الأنبياء، فليس ذاك هو مغزى ذكرهم، إنما ذكروا بناء على شهرتهم عند العرب المنكرين بشرية النبي – صلى الله عليه وسلم – تثبيتًا له بذكر من سبقه من المرسلين."[١]وقد جاءت الآيات في المقطع مؤكدة على محاور السورة، خادمة لوحدتها الموضوعية في التأكيد على جوهر الرسالة التي بعث به المنذرين، وأنّ السلامة والنجاة بالتوحيد الخالص لله دون سواه.

ثم جاءت آيات المقطع الرابع " (٩٤- ١٠٦) تحذر مرة أخرى من اقتراب الساعة؛ وتضمن المقطع بيانا لأهم محاور السورة، فهو يعطي الوحدة الموضوعية للسورة ثوبها النهائي، ففيه التأكيد على حاجة الناس للرسل المنذرين، لإيقاظهم من سكرتهم ولهوهم، فبينت هذا المقطع علامات تدل على دنو الساعة، وبين عاقبة الغافلين المعرضين عنها يوم القيامة.

ثم كانت الخاتمة:(١٠٧- ١١٢) كاشفة الغاية من الإنذار وبعث المنذرين وهي الرحمة بالعالمين والشفقة عليهم، وأنّ تمام العدل التبليغ قبل المحاسبة، يقول تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧)، وفى الحديث الشريف قيل: يا رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة"[٢]. وقوله: – صلَّى الله عليه وسلم –: "يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة"٣ فرسالته – صلى الله عليه وسلم – رحمة في ذاتها.وعمله هو تبليغ هذه الرحمة، المتجلية في آيات القرآن والسنة، والله الحكم الفاصل بين أهل الحق وأهل الباطل يوم القيامة.

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج٩/ص٢٤٨)

٢ أخرجه مسلم. ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبي الحسين،الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم،دار الجيل بيروت – دار الأفاق الجديدة ــ بيروت، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، حديث رقم، (٢٥٩٩)

٣ ابن أبي شيبة.، أبو بكر عبد الله بن محمد – ١٤٠٩ه- المصنف في الأحاديث والآثار، تح: كمال يوسف الحوت، ط١ الرياض، مكتبة الرشد، رقم الحديث "٣١٧٨٢" وهذا سند صحيح لكنه مرسل، ويعضده حديث مسلم قبله. هـــ

وارتبطت مقدمة السورة بخاتمتها في بيان سبب بعث الله المنذرين، فالمقدمة كانت الغفلة، وفي الخاتمة كانت الحجة والبلاغ، يقول تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الأنبياء(١٠٩ – ١١١).

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

اشتهرت السورة باسم "سورة الأنبياء" في المصاحف وكتب السنن[١]، ولم تعرف باسم آخر، وربط الباحثون [٢]بين اسم السورة وذكر جمع من الأنبياء فيها، حيث ذكر فيها "ستة عشرنبيا مع مريم وابنها –عليهم السلام–، ولم يرد ذكر هذا العدد من الأنبياء إلا في سورة الأنعام التي ذكر فيها ثمانية عشر نبيا، وقال ابن عاشور في تعليله سبب التسمية " فإن كانت سورة الأنبياء هذه نزلت قبل سورة الأنعام فقد سبقت بالتسمية بالإضافة إلى الأنبياء، وإلا فاختصاص سورة الأنعام بذكر أحكام الأنعام أوجب تسميتها بذلك الاسم؛ فكانت سورة الأنبياء أجدر من بقية سور القرآن بهذه التسمية.[٣]"

وعلاقة اسم السورة بوحدتها الموضوعية يظهر في الغاية التي من أجلها سيقت قصص الأنبياء في السورة فكان الحديث عنهم منة وثناء وفضلا من الله على الناس أن أرسل منذرين للناس يبلغون رسالة الحق، وينذرونهم اقتراب بعثهم وحسابهم، وفي بعث الله الأنبياء منذرين رحمة بأقوامهم، وفي بعث النبي –صلى الله عليه وسلم– شهادة على الناس أجمعين أنهم أنذروا وبلغوا رسالات ربهم.

وللوصول للوحدة الموضوعية للسورة لابد من دراسة البناء الخارجي والداخلي للسورة، والعلاقات التي ساهمت في تشكل هذا البناء وأبرزت شخصية السورة من خلاله.

البناء الخارجي للسورة: ويتشكل هذا البناء في دراسة العلاقات الخارجية للسورة ودورها في إبراز الوحدة الموضوعية لها.

---

١ ينظر البخاري، صحيحه، كتاب التفسير /سورة الأنبياء رقم الحديث (٤٧٣٩)
٢ ينظر الغزالي، محمد،نحو تفسير موضوعي،دار نهضة مصر،ط١،(ج١/ص٢٥٢)
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٥/١٧)

أولا: العلاقة مع السورة السابقة لها-سورة "طه"- والسور اللاحقة لها- سورة الحج.

١- **التناسب بين سورة الأنبياء، وسورة طه:** سورة طه مكية [١]، ومحورها الأهم هو بيان وظيفة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وتحديد منهج الدعوة والداعية لله [٢]. و يظهر التناسب بين سورتي طه والأنبياء في بيان حاجة الناس للرسل، ففي خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام في سورة طه؛ يقول تعالى ﴿ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ طه(١٣-١٥)، فبينت هذه الآية الغاية من إرسال الرسل وحاجة الناس لهم، وحذرت اقتراب الساعة، وتلخص الآيات المنهج الدعوي للأنبياء بعدة خطوات، اتباع أمرالله، الدعوة لتوحيده وعبادته، إنذار الناس الشرك بالله وعاقبة إعراضهم عن الحق.

وبينت السورتان شبهات المشككين بالوحي وسذاجتها وتخبطها، وتشابهت السورتان بالمضامين العامة التي عالجتها السور المكية، كتزكية النفوس من الشرك والخبائث ومفاسد الأخلاق، وفي تزكية القلوب من الشرك، كما غلب على السورتين أسلوب الترهيب مع المشككين في مصدر الوحي، المكذبين للبعث، وقد ظهر في السورتين أسلوب التصوير الحواري، في سورة طه ذكر لفظ "قال" ومما يشتق منه تسعًا وخمسين مرة، و في سورة الأنبياء ثلاثين مرة [٣]، وهذه ميزة ظاهرة أبرزت الأسلوب الحواري على السورة.

التناسب بين خواتيم طه ومطلع سورة الأنبياء ظاهر غني عن التوضيح[٤]، فسورة طه ختمت بميعاد بين الحق والباطل، بين الداعي للإيمان بالله واليوم الآخر وبين المنكرين المشككين به، وافتتحت الأنبياء بالإنذار من اقتراب ذلك الميعاد.

---

١ ينظر عباس، فضل حسن، (١٤٣٠ه- ٢٠١٠م)، إتقان البرهان في علوم القرآن، ط٢،دار النفائس، الأردن، (ج١/ ص٣٩٤)،وأشار فيها إلى الآيتين (١٣٠-١٣١) ورجح مكيتهما.

٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص١١٠).

٣ ينظر عبد الباقي، محمد فؤاد،المعجم المفهرس، دار الفكر، ط٤ جذر قال

٤ ينظر الآلوسي، شهاب الدين البغدادي، أبي الفضل، تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح،علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ج٩/ ص٤).

٢- التناسب بين سورتي الأنبياء و الحج:

سورة الحج من السور المكية، واختلف في مدنية بعض الآيات [١]، ترتيبها في المصحف بعد سورة الأنبياء وقبل سورة "المؤمنون"، وهي من المئين، تتناسب موضوعاتها مع موضوعات السور المكية[٢]، تشابهت مع سورة الأنبياء في قوة المطلع الذي يمتاز بالرهبة والتخويف من أحداث يوم القيامة، حيث رسمت الآيات في مطلعها صورا تهز النفوس،وترجف لها الأبدان تمثل حالة الفزع والرهب الذي يغشى القلوب، وكانت سورة الأنبياء أنذرت من اقتراب يوم الحساب و بينت غفلة الناس عنه، بينما سورة الحج صورت مشهد الفزع بأبلغ صورة.

وفي السورتين عرض جانب من قصة إبراهيم عليه السلام ناسب محور كل سورة، وذكر في سورة الحج نسبة المسلمين لإبراهيم -عليه السلام- وجاء في خواتيم الأنبياء ملامح من العلاقة بين إبراهيم-عليه السلام- و محمد صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين ورسول كل المسلمين: "...**قُلْ إِنَّمَآ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُمْ مُّسْلِمُونَ**...". وكثر في السورتين أسلوب الاستفهام التقريري[٣]، وغلب في السورتين أسلوب الترهيب والتخويف على الترغيب والتطمين، حيث عرضت السورتان أحوال الناس مع اليوم الآخر وإعراضهم عنه وغفلتهم حتى تزلزل بهم الأرض، وعرضت أصناف العذاب الذي يلقاه المكذبون لدعوة الله في الدنيا والآخرة.

وفي تناسب خواتيم سورة الأنبياء مع مطلع سورة الحج ظهرفي خاتمة الأنبياء وصف لنهاية الحياة الدنيا وخروج يأجوج ومأجوج، وطي السماء كطي السجل للكتب، ثم الوعد بالبعث، وتذكيرالناس أنّ إرسال الرسول -صلى الله عليه وسلم- هو رحمة بهم لإنذارهم من يوم الحساب، يوم يحكم الله بينهم بالحق، وهنا ترتبط الآيات بمطلع سورة الحج التي تنادي الناس أن يتقوا ربهم، وما هذه المناداة إلا رحمة بهم قبل أنّ يأتي يوم لا عطف فيه ولا رحمة بالمشركين،

---

١ اختلف في مكية السورة ومدنيتها / وأكثر المفسرين على أنها مختلطة، فيها مكي ومدني، وإن اختلف في التعيين، ينظر القرطبي تفسير جمع أحكام القرآن (١/١٢)والآلوسي.محمد بن شهاب.في تفسيره روح المعاني (١١٠/١٧).

٢ يقول سيد قطب رحمه الله في تقديمه للسورة "الذي يغلب على السورة هو موضوعات السور المكية وجوها، فموضوعات التوحيد والتخويف من الساعة، وإثبات البعث، وإنكار الشرك. ومشاهد القيامة، وآيات الله المبثوثة في صفحات الكون.. بارزة في السورة وإلى جوارها الموضوعات المدنية من الإذن بالقتال، وحماية الشعائر، والوعد بنصر الله لمن يقع عليه البغي وهو يرد العدوان، والأمر بالجهاد في سبيل الله." قطب، في ظلال القرآن، (١٧٨/٥)

٣ الاستفهام التقريري هو حمل المخاطب على الإقرار بما يصدقه.

فإن الإيمان واتباع الرسل هو وسيلة النجاة من هذا اليوم العظيم، وتصور مشاهد تظهر مقدار الخوف والرعب المبثوث بين الناس من ذلك العذاب العظيم.[١]

ثانيا: خصائص السورة مضمونا وأسلوبا.

عالجت سورة الأنبياء المواضيع التي عالجتها أخواتها من السور المكية (التوحيد، بعث الأنبياء منذرين ومبشرين، تزكيه النفوس من الشرك والخبائث، والحث على التوحيد الخالص، ولكنها امتازت بطرح تلك القضايا مع ما يتناسب ووحدة السورة وتناسق موضوعاتها، وظهرت ميزات أسلوبية للسورة ساهمت في تشكل الوحدة الموضوعية للسورة.

القسم الأول: المضامين التي امتازت بها سورة الأنبياء

١- عالجت السورة قضية التوحيد بتأكيد أنه أصل كل ما أرسل به النبيون وأنذروا أقوامهم من الغفلة عنه، وساقت الآيات دلائل وحدانية الله عزّ وجل الوجدانية والعقلية والنقلية، وبينت سبب وقوع الناس بالشرك والمعاصي.[٢]

٢- دلت الآيات على حاجة الناس للدعاة لله من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم وإن غفل الناس عن هذه الحاجة بملاهي الدنيا، فبينت السورة فضل الله على الناس بإنزاله الرسل رحمة وتذكرة، وبينت صفات الدعاة، وكرامتهم، وعرضت شبهات المشككين بهم، وردت عليها.

٣- دلت الآيات على حقائق وسنن بشرية، منها:

أ- غفلة الناس عن يوم الحساب وعن حقيقة اقترابه، وإعراضهم عن المنذرين لهم والتشكيك في دعوتهم بسبب انغماسهم في ملذات الدنيا وشهواتها اللتي عبر عنها القرآن ب"اللعب واللهو ".

ب- حصرت الآيات شبهات المشككين بالقرآن بعدة محاور تدور حولها كل مقولاتهم الواهية وهي "تكذيب إنزال الوحي على الرسل- إنكار مصدر القرآن -، اتهام الرسل بالسحر – التلاعب بعقول الناس -، اتهامهم بقول الشعر – التلاعب بالألفاظ والمعاني المؤثرة – اتهامهم باتباع تخيلات وأحلام غير حقيقية – أوهام من العقل الباطن-. [٣]

ت-عاقبة تكذيب الرسل ودعاة الله هي الإهلاك والتدمير والاستبدال.

---

١ ينظر البقاعي بتصرف، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (ج٥/ص١٤٢-١٢٦)

٢ الرازي، مفاتيح الغيب،، (ج٢٢/ص١٣٧)

٣ المتابع لشبهات المستشرقين وتلاميذهم من منحرفي الحداثيين يرى أن أهم الشبهات التي آثاررها حول القرآن تدور حول هذه المحاور الأربع التي اخبر عنها القرآن الكريم في الآيات (٣- ٥)

ث-عرض الحجج البالغة في الآيات ما يدل على وجود الله ووحدانيته، و غفلة الناس عن الدلائل الوجدانية في الكون، لتعطيلهم العقول عن التفكر في سنن الله الكونية، وعن الدلائل العقلية والنقلية[١].

ج- جُبل الإنسان على الاستعجال،ذلك أن قلة الصبر عنده تجعل مقياس تمني قرب الشيء أو زواله متعلقًا بالمحبة والكراهية لأثره الحالي، دون النظر إلى آثاره على غيره أو في مستقبله[٢].

ح- أن أصل الكفر بالله نابع من التعالي والكبر والخوف من نزع السلطة أو ضيق العيش، حيث ينسبون له الولد والشريك، واللهو واللعب، لتقليل شأنه عزّ وجل بين عباده ومساواته بمن هم دونه، "سبحانه".

خ- نصب الميزان يوم القيامة، دلالة على دقة العدل في الحساب.

د- الموت فتنة؛ "به آفةُ قومٍ، وفيه راحة قوم؛ لقوم هو انتهاءُ مدة الاشتياق، ولآخرين هو افتتاح باب الفراق، لقوم هو وقوع فتنتهم ولآخرين هو خلاصٌ من محنتهم، لقوم هو بلاء وقيامة ولآخرين هو شفاء وسلامة ".[٣] و يدخل في فتنة الموت عذاب القبر، أو الفتنة عند خروج روح الإنسان عند الممات، وعُلِمنا أنّ نستعيذ من هذه الفتنة.

ذ- إرسال الرسل هو رحمة من الله بأقوامهم، وإرساله محمدًا صلى الله عليه وسلم هو رحمة منه عزّ وجل للعالمين كآفة.

٤- تضمنت الآيات خصائص للملائكة؛ كالطاعة وعدم العصيان والمجادلة، والمداومة على العبادة بمحبةٍ وتواضع وخشوع دون انقطاع عنها، وهم عند الله مكرمون "[٤]

٥- اختصت هذه السورة بذكر حقائق كونية، منها أن السماء والأرض كانتا رتقًا ففتقهما الله[٥]، وأن أصل الحياة في كل شيء هو الماء، والجبال ثوابت راسيات في الأرض.

٦- تضمنت الآيات من الآية السادسة و الثلاثين إلى الآية الواحدة والتسعين عرضًا لكوكبة من الأنبياء والمرسلين الذين شرفهم الله سبحانه وتعالى بتبليغ الرسالة وتضمنت الآيات

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن.(ج٥/ص١٥٠)

٢ ينظر ابن عاشور بتصرف، التحرير والتنوير،(ج٩/ص٢٣٥)

٣ القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥هـ)، تح إبراهيم البسيوني، ط٣، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب- (ج٣/ص١٠٥)

٤ ينظر الزمخشري بتصرف، محمود بن عمر -١٤٢٦ه-٢٠٠٥م-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،ط١، بيروت، دار المعرفة، تح:- خليل شيحا، ص٦٧٥

٥ عن ابن عباس رضي الله عنه، رتقا "ملتصقتين ".ينظر الرجال، راشد،-١٩٩١م ١٤١١ه - صحيفة علي بن أبي طلحة في تفسير القرآن عن ابن عباس، ط ١ مكتبة السنة،ص٣٥٣.

تمثيلا لصفات بعضهم النبيلة وعداء أقوامهم لدعوتهم، وصبرهم على المحن التي أصابتهم في الدنيا، وما خصهم الله تعالى من معجزات وأكرمهم من كرامات؛ ليمثلوا لنا منهجا متكاملا في طريق الدعوة.

القسم الثاني: الأساليب التي امتازت بها سورة الأنبياء

١- استهلت السورة بمطلع قوي مؤثر يرهب السامع، تحمل كلماتها تحذيرا من اقتراب الحساب، وغفلة الناس عن هذا الحدث العظيم، فتشابهت السور(النحل والقمر والمعارج والتكاثر) مع سورة الأنبياء بالتحذير من اليوم الآخر والبدء بالفعل الماضي، وكان عمل الباحثة هو بيان ذلك الشبه، وعلاقة تلك السور المتشابهة بسورة الأنبياء، تشابهت سورة النحل[١]: مع سورة الأنبياء في المطلع المنذر اقتراب اليوم الآخر، وباستخدام الفعل الماضي في مطلع السورة، قال تعالى في مطلعها ﴿ **أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُ** ﴾النحل(١)، فجاء اقتراب العذاب بفعل(أتى)؛ و" أتى " بالماضي كفعل " اقترب"، لكنه بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه[٢] "، وتعالج هذه السورة موضوع العقيدة؛ الإيمان بالله الواحد، والبعث، والوحي، والرسل [٣]"،ويُحِيط بسورة النحل جو الامتنان بنعم الله المختلفة على الناس، بينما أحاط في سورة الأنبياء جو المنّة على الناس بإرسال رسل منذرين [٤].

ومع سورة القمر [٥]، قال تعالى في مطلع السورة " ﴿ **ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ** ﴾ القمر(١)، وتشابهت مقاصد السورتين بإنذارهم باقتراب الساعة، وعاقبة الأمم السابقة، وأنهم سيلقون مثل ما لقيت الأمم الهالكة إذ أنهم ليسوا بخير منهم."[٦]، وآيات سورة القمر كلها تتلاحق بزجر الكافرين[٧]، فامتازت عنها سورة الأنبياء بظلال الرحمة التي أرسل الأنبياء بها.

---

١ (سورة النحل) مكية، وتسمى سورة النعم، وهي مائة وثمان وعشرون آية، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز،(٣ج/ص٣٧٤).
٢ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ص٥٦٦)
٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٤/ص٩٥)
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص٢٢٤-٢٢٥)
٥ هي مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها فقال جمهور الناس هي مكية وقال قوم هي مما نزل ببدر وقيل بالمدينة وهي " سيهزم الجمع " القمر ٤٥ الآية، ينظر ابن عطية المحرر الوجيز، (ج٥/ ص١٩٢)
٦ ينظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، (ج ٧/ص ٧٣)، و ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٧/ص١٦٦)
٧ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٧/ص٦٤١).

وتشابهت أيضا مع سورة المعارج [١]؛ قال تعالى في مطلع السورة " ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ المعارج:(١)، عدا التشابه في الماضي والتحذير من اقتراب الساعة، فهذه السورة تصور الآخرة كحقيقة مشاهدة، وتصور الرعب الذي يتلبس الناس من هول ما يرون، ثم تبين صفات الناجين من هذه الفتنة العظيمة، وأن الفئة الغافلة عن دعوة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لاعبة لاهية عن مصيرها، مستعجلة له حتى يلاقوه."[٢]

وكذلك التشابه مع سورة التكاثر[٣]؛ قال تعالى في مطلع السورة: " ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ التكاثر(١ – ٢)، في هذه السورة بينت ما اشتغلت قلوبهم به، ولهت عن يوم حسابها، فماتوا وهم يتفاخرون ويتنافسون بنعم الدنيا الزائلة، ونسوا ذكر الله، فالسورة محذرة موقظة لغفلة القلب عن آخرته وانشغاله بالدنيا، وبهذا تشابهت مع أهم أسباب بعث الأنبياء في سورة الأنبياء وهو التهاء الناس بالدنيا عن الآخرة "[٤]

٢– تشابهت سورة الأنبياء مع الأنعام[٥] في ذكر كوكبة من الرسل، ذكرت سورة الأنعام منهم ثمانية

عشر رسولاً "[٦]بإيجاز بليغ يناسب محور السورة[١]، وأطنبت في ذكر قصة إبراهيم[٧]، ورغم ورغم أنّ سورة الأنعام انفردت بذكر أكبر عدد من الأنبياء إلا أن ذكرها كان متناسبا مع موضوع تأصيل العقيدة الكبرى بأسلوب القصص[٨].

---

١ سورة المعارج، مكية، عدد آياتها أربع وأربعون آية، ينظر الزمخشري، الكشاف، (ج٤/ص٦١١)
٢ ينظر قطب في ظلال القرآن، (ج٧/٣٢٥ص)
٣ سورة التكاثر، مكية، عدد آياتها ثمان آيات،ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز،ــ (٤٨٨/٥).
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٨٨/٨)
٥ مكية، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (٣١١/٢)، وتدعو إلى لتوحيد الله توحيدا خالصا لا شوائب شركية أو وثنية فيه، وتشابهت السورتان في استخدام أسلوب الحوار الحجاجي، فكثر البرهان بالأدلة العقلية، والوجدانية على وحدانية الله عزّ وجلّ، باستخدام (الاستفهام، والشرط، والقصر). جاء في سورة الأنعام الاستفهام في أكثر من آية (١٤–٣٠–٤٦–٤٧–٥٠–٥٣–٦٣–٧١–٩١–٩٣–١١٤–١٣٠–١٣١–١٤٤–١٥٨–١٦٤. ينظر الحسناوي، خالد توفيق مزعل، ٢٠١٢م أطروحة دكتوراه بعنوان "الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السور المكية، إشراف: أ. د سيروان الجنابي، جامعة الكوفة، قسم اللغة العربية، ص٥٧
٦ وتميزت آياتها بكثرة الاستدلال بالأدلة الكونية على وحدانية الله عزّ وجلّ، وعلى معالجة قضية البعث، وغفلة الناس عن الموت والحساب، وتنطوي آيات السورة في بيان صور انحرافات الناس عن التوحيد وأسبابه، وفي قدرة الله على عباده وقهرهم بالموت. ينظر آيات سورة الأنعام (١–٣) (١١–١٨) (٥٩–٦١) (١٠٠–١٠٥)، ينظر قطب، سيد، في ظلال القرآن، (٤٦٢/٢).
٧ ينظر آيات سورة الأنعام، قصة إبراهيم عليه السلام (٧٤– ٨١).
٨ ينظر في ظلال القرآن، (٢٨٧/٣).

٣- ظهر في السورة أسلوب التهكم والسخرية في محاورة الكفار ومجادلتهم، وذلك في قصة إبراهيم، وفي تصوير حالهم يوم الفزع الأكبر، وناسب ذلك الأسلوب محور الآيات لذكر استهزائهم برسلهم وبما ينذرونهم.

٤- ظهر في السورة الأسلوب الحجاجي [١]، والدعوى التي قامت عليها سورة الأنبياء هي إثبات النبوة للنبي- صلى الله عليه وسلم – مثله مثل سائر الأنبياء من قبله؛ بشرا رسولا، وبرز ذلك من خلال استخدام عدة أساليب بلاغية[٢]، ظهر الأسلوب الحواري الكلامي في السورة، حيث حيث ورد لفظ " قال وما اشتق منه" ثلاثين مرة في آيات السورة، وتناسب هذا مع الأسلوب الحجاجي الذي تقوم عليه السورة في إنذار الغافلين. وامتازت السورة بأسلوب الترغيب بالأدلة العقلية والوجدانية وهذا يناسب الأسلوب الحجاجي الذي قامت عليه[٣].

٥- تميزت السورة بانفرادها بتركيب "ذا النون" المقصود به يونس عليه السلام، في قوله تعالى ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ الأنبياء(٨٧)،وذو اسمٌ ناقص تفسيره صاحب[٤]، وعلى وصف اشتهر به التصق بالموصوف، فإن أطلقته عُرف من هو دون غيره، والنّون: الحوت..ونينوى: المدينة التي أُرْسِلَ إليها يونس[٥]، ودلالة التركيب توحي بملازمة يونس عليه السلام للحوت حتى صاحبه، وطال مكثه في بطنه فلقب بصاحبه. وناسب ذكره "بذي النون" وحدة السورة التي اهتمت ببيان منه وفضله على رسله المنذرين في عرض قصصهم ونصره لهم[٦].

---

١ الحجاج هو تحقيق الإقناع بالرأي أو بالدعوى المقدمة، بالاعتماد على الحجة والتدليل على.

٢ استخدام أسلوب الاستفهام في البرهان الحجاجي،وظّف في السورة في واحد وعشرين موضعا، معظمه بأداة الأستفهام "الهمزة " ومثال عليه في قصة إبراهيم، وهو في معرض إقامة الحجة على الكافرين، مثال ذلك الآيات (٥٢ – ٥٥) ومعظم الاستفهام في السورة كان إنكاريًا توبيخيًا، مثال ذلك الآيات "٣- ٦- ١٠-٣٤- ٤٤- ٥٠"ب- البيان الحجاجي بالحصر، وفائدته التأكيد على القضية بحصرها ضمن خيار واحد – وهي هنا إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم – مثال ذلك الآية (٢٥). ج – البيان الحجاجي بالشرط، والشرط يقوم على وجود شرط وجواب له، وجاء في سورة الأنبياء ليثبت عدة قضايا حججية، منها قضية التوحيد مثال الآية (٢٢) فهي استخدام الشرط في الدليل العقلي على وحدانية الله.د- الحجاج بالقصة، وظّف القصص القرآني لعدد من الأنبياء في السورة لخدمة محور السورة وبرهنة القضايا الأم التي تعالجها السورة من قضية التوحيد وإثبات الميعاد إلى دلائل النبوة

٣- ينظر الفراهيدي، بو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري: (ت١٧٠ه) كتاب العين، ط١، دار ومكتبة الهلال، (ج٨/ص٢٠٧)

٤ ينظر المصدر السابق (ج٨/ص ٣٩٦).

٥ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٨/ص٢٠٧)

٦ " ذو" تجيء عادة قبل اسم الجنس... لتكون وسيلة الوصف به، مع إعرابها هي الصفة المضافة، وإعراب اسم الجنس هو المضاف إليه المجرور٦." وهذا يكون لتعذر الوصف باسم الجنس، أو مراعاة المعنى كما المراد في صفات الفعل؛ "لأن " ذا كذا " بمعنى صاحب والصحبة لا يفهم منها اللزوم فضلاً عن اللزوم البين. ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج١٧/ص١٣٠-١٣١).

٦- تميزت السورة بانفرادها بعدد من الأبنية والصيغ، التي لم تذكر في سور القرآن الأخرى، وهي:"نقدر-كاتبون- كتب-كفران- يكفُّون- الكفل- صنعة لبوس- لاهية- تمنعهم- فأنجينهم-ينشرون- نفشت- ينفعه، نكسوا، تذرني، وَرَدُوها، فليأتنا، آذَنْتُكُمْ، آيَاتِهَا، بردا، ابنها، فتبهتهم، أترفتم، نجزيه،(فاستجبنا) ذكرت أربع مرات في السورة(وفي هذه دلالة على مصاحبة الله للمنذرين وتصديقه لهم)- يحزنهم- يستحسرون- حصب- لتحصنكم- محفوظا- يحكمان- خشيته- أدخلناه- يدعوننا- دوننا- يذكرهم-ردّها- رغبا- تركضوا-رهبا - زالت- فاسألوهم- سَقفا-استمعوه-يشفعون-شاكرون- صدقنهم- أصنامكم- نطوي-كطي[١]."

٧- وتميزت بأبنية صرفية وصيغ ذكرت في سورة الأنبياء أكثر من غيرها، وهي:" أقترب؛ ذُكرت مرتين من أصل ثلاث مرات، وقرية: تكررت أربع مرات من أصل ثلاث وثلاثين مرة، لاعبين: ذكرت مرتين من أصل ثلاث، نجيناهم: أربع مرات من أصل ثمان، نادى: أربع مرات من أصل خمس عشرة مرة، ينطقون: مرتان من أصل أربع، ياويلنا: ثلاث من أصل ست مرات، باركنا: مرتين من أصل ست مرات، الخيرات: مرتين من أصل عشر مرات، مشفقون: مرتين من خمس[٢]."

٨- وانفردت السورة بثمانية ألفاظ " فَصَمْنَا، يَدْمَغُهُ، رَتْقاً، فَفَتَقْنَاهُمَا، يَكْلَؤُكُمْ، نفحة، فَفَهَّمْنَاهَا، حَدَبٍ"[٣]، وهي موضوع البحث في المطلب القادم.

---

١ ينظر سورة الأنبياء الآيات(٨٧-٩٤-١٠٤-٣٩-٨٥-٨٠-٣-٤٣-٩-٢١-٧٨-١٢-٦٥-٨٩-٩٩-٥-١٠٩-٣٢-٦٩-٣٥-٩١-٤٠-١٣-٢٩-(٧٦-٨٤-٨٨-٩٠)-٦٨-١٠٣-١٩-٩٨-٨٠-٣٢-٧٨-٢٨-٧٥-٩٠-٤٣-٦٠-٤٠-٩٠-١٣-٩٠-٧-١٥-٦٣-٣٣-٢-٢٨-٨٠-٩-٥٧-١٠٤-١٠٤.

٢ ينظر سورة الأنبياءالآيات(١-٩٧)-(٦-١١-٧٤-٩٥)-(١٦-٥٥)-(٧١-٧٤-٧٦-٨٨)-(٧٦-٨٣-٨٧-٨٩)-(٦٣-٩٥)-(١٤-٤٦-٩٧)-(٧١-٨١)-(٧٦-٨٤-٨٨-٩٠)-(٧٣-٩٠)-(٢٨-٤٩)

٣ ينظر البسومي، باسم، معجم الفرائد القرآنية، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، ص٨٦

المطلب الثاني:الانفرادات اللفظية في سورة الأنبياء، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

من خصائص هذه السورة انفرادها بثمانية ألفاظ " قَصَمْنَا، يَدْمَغُهُ، رَتْقاً، فَفَتَقْنَاهُمَا، يَكْلَأُكُمْ، نفحة، فَفَهَّمْنَاهَا، حَدَبٍ"[١]

الانفرادة الأولى " قصمنا " في قوله تعالى ﴿**وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**﴾ الأنبياء(١١). جاءت الانفرادة في سياق تحذير الكافرين المكذبين بدعوة النبي– صلى الله عليه وسلم– من عاقبة هلاك الأمم الظالمة.

أولا: دلالة مادة "قصم " في اللغة

قصمنا أصلها من القصم، وهو الكسر الشديد للشيء، جاء في العين للفراهيدي[٢] – (ت١٧٠ه) "القصم: دق الشيء... ورجلٌ قَصِمٌ: هارِ ضَعيفٌ سَريعُ الانكِسار وفَتَاةٌ قَصِمةٌ: مُنكَسِرةٌ"[٣]

قال الزجاج[٤]–(ت٣١١ه)–:" في قوله تعالى وكم قَصَمْنا من قرية... معنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يقال قصم اللَّه عُمْرَ الكافِرِ أي أذْهبَه[٥].

---

١ ينظر البسومي، معجم الفرائد القرآنية، ص٨٦

٢ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (١٠٠ه – ١٧٠ه) وهو عربي الأصل من أزْد عُمان. لغوي ومعجمي ومنشئ علم العروض، نشأ الخليل بن أحمد بالبصرة وقد وهب الله الخليل بن أحمد ذكاءً خارقًا وفطنة كانت مضربًا للمثل في عصره. وجمع إلى ذلك تقوى وزهداً وورعًا وهمّة عالية. وقد فُتحت له مغاليق أبواب العلوم، فهو عالم اللغة والنحو والعروض والموسيقى وكان شاعرًا، فتحت معرفته بالإيقاع والنظم له بابًا لابتكار علم العروض، وللخليل من التصانيف: كتاب العين وهو أوّل معجم في العربية؛ كتاب النّغم؛ كتاب العروض؛ كتاب الشواهد؛ النقط والشّكل؛ كتاب الإيقاع." ينظر الذهَبي، أحمد شمس الدين أبو عبد الله محمد،(١٩٩٦م) سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط،ط١١، مؤسسة الرسالة.(ج١٣/ص٤٧٨)

٣ الفراهيدي، العين،(ج١/ص٤٧)

٤ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزجاج النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، وصنف كتاباً في معاني القرآن وله كتاب الأمالي، وكتاب مافسر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، وكتاب شرح أبيات سيبويه، وكتاب النوادر، وكتاب الأنواء، وغير ذلك.
وأخذ الأدب عن المبرد وثعلب، رحمهما الله تعالى، وكان يخرط الزجاج، ثم تركه واشتغل بالأدب، فنسب إليه." ينظر ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، (١٩٧٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت وفيات الأعيان (ج١/ص ٤٩)

٥ ينظر الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، –١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م– معاني القرآن وإعرابه،تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت،ط١ (ج٣/ص٣٨٦).

وقال ابن فارس[١] –(ت٣٩٥ه)–: "القصم أصل صحيح يدل على الكسر "[٢]، قال ابن سيده– (ت٤٥٨ه) [٣]–:" القاصِمةُ اسم مدينة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى ذلك لأنها قَصَمت الكفر أي أدْهَبته" وبين الراغب الأصفهاني[٤] نوع الكسر في المفردات بقوله " حطمناها وهشمناها، وذلك عبارة عن الهلاك، ويسمى الهلاك قاصمة الظهر.." [٥]، وكذا جاء في لسان العرب[٦] لابن منظور[٧]".

يظهر من الدلالة المعجمية أن أصل لفظ "قصم " يدل على تحطيم شيء وتهشيمه كسرا، وهو يستعمل حقيقة ومجازا، حقيقة في كسر عظام الظهر، ومجازا في إهلاك قوم وكسر قوتهم، و يدل على العذاب الشديد، وهو نهاية كل عذاب حلّ بقوم ظالمين، فدّل اللفظ بدقة بليغة على قوة الغضب وسرعة القضاء على الشيء المقصوم، وأنه يتناسب مع صنيع الظالمين المكذبين بآيات الله.

---

١ ابن فارس (٣٢٩ – ٣٩٥ هـ)أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين: من أئمة اللغة والأدب، قرأ عليه البديع الهمذاني والصاحب ابن عباد وغيرهما من أعيان البيان، أصله من قزوين، وأقام مدة في همذان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها، وإليها نسبته، من تصانيفه (مقاييس اللغة – ط) ستة أجزاء، و (المجمل) و (الصاحبي) في علم العربية، ألفه لخزانة الصاحب ابن عباد، و (جامع التأويل) في تفسير القرآن، أربع مجلدات، و (النيروز) في نوادر المخطوطات، و (الإتباع والمزاوجة) و (الحماسة المحدثة) و (الفصيح) و (تمام الفصيح) و (متخير الألفاظ) و (ذم الخطأ في الشعر –) و (اللامات) و (أوجز السير لخير البشر) في ٨ صفحات، و (كتاب الثلاثة) في الكلمات المكونة من ثلاثة حروف متماثلة، وله شعر حسن." ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج١٧/ ص١٠٣)

٢ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، أبو الحسين، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م معجم مقاييس اللغة، تح:– عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، (ج٥/ص٩٣)

٣ علي بن أحمد بن سيدة اللغوي الأندلسي، أبو الحسن الضرير، وكان أبوه أيضاً ضريراً من أهل الأندلس..صاحب كتاب المحكم في اللغة.. مات ابن سيدة بالأندلس سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها. الحموي، ياقوت، –١٩٩٣–معجم إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، تح: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي. (ج٢/ص٢٧)

٤ الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرن بالإمام الغزالي، من كتبه (محاضرات الأدباء – ط) مجلدان، و (الذريعة إلى مكارم الشريعة – ط) و (الأخلاق) ويسمى (أخلاق الراغب) و (جامع التفاسير) كبير، طبعت مقدمته، أخذ عنه البيضاوي في تفسيره، و (المفردات في غريب القرآن) و (حل متشابهات القرآن) و (تفصيل النشأتين) في الحكمة وعلم النفس، و (تحقيق البيان) في اللغة والحكمة، وكتاب في (الاعتقاد) و (أفانين البلاغة)، ينظر الأصفهاني مقدمة مفردات القرآن.

٥ الأصفهاني، مفردات القرآن،ص٣٠٦.

٦ ابن منظور، جمال الدين محمد مكرم، أبي الفضل، لسان العرب، حرف القاف،دار الصادر، (١٢٥/١٢)

٧ ابن منظور (٦٣٠ – ٧١١ هـ)، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، صاحب (لسان العرب): الإمام اللغوي الحجة .ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة.ثم ولي القضاء في طرابلس.وعاد إلى مصر فتوفى فيها، وقد ترك بخطه نحو خمسمائة مجلد، وعمي في آخر عمره. كان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة.، أشهر كتبه (لسان العرب)عشرون مجلدا، جمع فيه أمهات كتب اللغة، فكاد يغني عنها جميعا.ومن كتبه (مختار الأغانى)) و (نثار الأزهار في الليل والنهار)... و له شعر رقيق، ينظر الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس،(٢٠٠٢م) الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين.بيروت. (ج٧/ص١٠٨)

للفظ قصم في اللغة نظائر كفصم ودمر وأهلك، وجاء في الأثر في وصف الجنة "أن لا قصم فيها ولا فصم "[١]، والفصم في اللغة " أنْ ينصَدِعَ الشيءُ من غير أن يبين وتقول: فَصَمْتُه فانْفَصَم أي انصدَع،والانفِصامُ: الانقِطاع وإذا انصدَعَتْ ناحيةٌ من البيت قيل: فُصِمَ."[٢] وقال أبو هلال العسكري-(ت٣٩٥ه)-[٣]: أن القصم بالقاف الكسر مع الإبانة...والفصم بالفاء كسر من غير إبانة...انفصم الشيء انفصاما إذا تصدع ولم ينكسر."[٤]، وهذا يعني أنّ الفصم إتلاف يحصل يحصل للشيء بالقطع ولا يشترط هلاكه بسببه، وانفردت سورة البقرة بلفظ "انفصام" من مادة "فصم" في قوله تعالى:"..﴿ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة(٢٥٦)، بينما استخدم الفصم بصيغة الاسم ليدل على نفي أي قطع مهما قل يحصل لعروة الإيمان، ولم يقل دمرناها لأنّ التدمير لغة " "أصلٌ واحد يدلُّ على الدُّخول في البيت، وفي العين: استئصال الهلاك يقال: دَمَرَ القومُ يدمُرون دَماراً أي هَلَكوا، وفي لسان العرب: دَمَرَ عليهم يَدْمُرُ دَمْراً ودُمُوراً دخل بغير إذن وقيل هجم "[٥] وهذا يصف طريقة دخول العذاب إليهم واقتحامه لمساكنهم، لمساكنهم، بينما الهلاك في اللغة "يدل على كسر وسقوط، وفي اللسان "هو الموت. "[٦]

الفرق أنّ التدمير دلّ على طريقة مجيء العذاب ودخوله، والهلاك إنما هو الحكم بالموت والفناء، وليس القصم ذلك إنما هو صفة لكل عذاب جاء للأقوام السابقة بصرف النظر عن نوعه، فهو قاصم مهشم محطم لشوكتهم.

ثانيا: دلالة صيغة " قصمنا "في السياق

جاءت الصيغة في صورة الفعل الماضي، المضاف لضمير العظمة العائد إلى الله عزّ وجلّ، في تركيب استفهامي،"وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ..." معطوف على قوله تعالى: ﴿ مَآ ءَامَنَتْ

---

١ ينظر حديث مطول في صفة الجنة لأبي شيبة، في باب فضل الجمعة ويومها (ج١/ص٤٧٧)

٢ ينظر العين (١٣٩/٧) والمقاييس (٥٠٦/٤) ولسان العرب (٤٥٣/١٢)

٣ العسكري أبو هلال (ت٣٩٥هـ) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ابن يحيى بن مهران اللغوي العسكري. عالم لغوي رائد، له جهد محفوظ في مجالات البلاغة والنقد والأدب، تتلمذ على يد خاله أبي أحمد العسكري صاحب شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف. وكثيرًا ما اختلطت أخبارهما، ونسب إلى أحدهما ما للآخر من أقوال أو مؤلفات. والمعلومات عن سيرته قليلة، سوى ما يذكرونه عن اشتغاله تاجرًا في الأقمشة احترازًا من الطمع والدناءة والتبذل، وقوله الشعر، واهتمامه بالأدب والنقد واللغة، وأخذ أبو سعد السمان الحافظ بالرّي عنه، وكذلك أبو الغنائم بن حماد المقرئ. والغالب على مؤلفاته الأدب وما يتصل به. فله كتاب جمهرة الأمثال، ديوان المعالي ومعاني الأدب، وكتاب في شرح الحماسة، وكتاب أعلام المعاني في معاني الشعر وله ديوان شعر؛ وكتاب الصناعتين الشعر والنثر، وإلى هذا الكتاب تعود شهرته في تاريخ النقد والبلاغة العربيين. وله كتب أخرى ذات صفة لغوية مثل: التلخيص؛ المعجم في بقية الأشياء؛ الفروق اللغوية؛ ما تلحن فيه العامة؛ نوادر الواحد والجمع، ينظرالزركلي، الأعلام، (ج٢/ص١٩٦).

٤ العسكري، أبي هلال، الفروق اللغوية، تح عماد البارودي، المكتبة التوقيفية، (ص ٤٣١)

٥ معجم مقاييس (٢/ ٣٠٠) وكتاب العين (٨/ ٣٩) لسان العرب (٤/ ٢٩١)

٦ لسان العرب (٥٠٣/١٠).

﴿ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء(٦) أو على قوله تعالى ﴿ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنبياء(٩)، وهو تعريض بالتهديد. ومناسبة موقعها أنه بعد أن أخبر أنه صَدَق رُسُلَه وعْدَه – وهو خبر يفيد ابتداءً التنويه بشأن الرسل ونصرَهم وبشأن الذين آمنوا بهم. وفيه تعريض بنصر محمد –صلى الله عليه وسلم– وذكر إهلاك المكذبين له تبعاً لذلك، أعقب ذلك بذكر هلاك أمم كثيرة من الظالمين ووصف ما حل بهم ليكون ذلك مقصوداً بذاته اهتماماً ليَقرع أسماعهم، وفيه تعريض بإنذار المشركين بالانقراض بقاعدة قياس المساواة، وأن الله يُنشىء بعدهم أمّة مؤمنة كقوله تعالى ﴿ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ إبراهيم (١٩) "[1]

جاءت (قصمنا) في الآية فعلًا ماضيًا فاعله ضمير "نا " العائد على الله عزّ وجل، مفعوله "كم " مقدم، وفي الصيغة أكثر من دلالة، فالتعبير بالصيغة الفعلية يدل على تجدد واستمرار الفعل كلما تجددت دواعيه، وناسب الذكر بالماضي مراعاة مقام التحذير والتهديد بضرب المثل بشيء مضى وسبق وتحقق فعله، وإسناد الفعل لله عزّ وجل بضمير العظمة بيان لشدة الفعل مع قوة وعظمة فاعله، وجاءت كم تفيد الخبرية لتجعل الدلالة على التكثير والتهويل، وناسب هذا مقام التهديد الذي ضرب له المثل وفيه تعريض بالمشركين لتكذيبهم آيات الله واستعجالهم بالعذاب، وكم" أصلها اسم استفهام عن العدد، ومجازا تستخدم للدلالة على التكثير المصحوب بالافتخار"[2]، وهو مقصود الآية الظاهر المتضمن معنى القوة والتمكن.

جاء اللفظ في مقام التهديد الساخر المتهكم من مستعجلي العذاب ومنكري النبوة، من عميت أبصارهم عن رؤية النور في ظلمات الشرك والطغيان، فلم تعد قلوبهم تبصر ولا أسماعهم تعي إلا الباطل وما أصبح صنيعهم في الأرض إلا إسرافا، فناسب الوصل العطف بالواو على هلاك المسرفين في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴾ الأنبياء(٩)، فناسب بعد تذكيرهم بعظمة الكتاب الذي أنزل لهم والخيرية التي تأتيهم منه"﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ الأنبياء(١٠)، فكان التذكير بهلاك السابقين تهديدا ناسب تعطيلهم لعقولهم، وإتباعهم اللهو واللعب في التعامل مع القرآن الكريم الذي أنزل إليهم، فجاء الخبر بالآية بدلالة التفاخر والتكثير، وتؤكد لهم أنّ الله ناصرٌ رسوله – صلى الله

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٠٨/٩)

٢ ابن هشام، جمال الدين عبد الله الأنصاري (٧٦١ هـ) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، باب كم وأخواتها.

عليه وسلم – ولو بعد حين، وأنّ هلاك المكذبين بالقصم سنة من سنن الله في الكون، فحمل اللفظ معنى عذاب الاستئصال، وهو الذي يودي بجميع الأمة فلا يبقي منها ولا يذر،

كما حصل مع قوم نوح وعاد وثمود"[١]، وأنّ إنشاء القرى بعد تدميرها آية من الآيات التي غُفل عنها. وفي الآية جاء مجازاً في قوله "من قرية " وأن المراد أهل القرية، ولا مانعَ من استعمال اللفظ على حقيقته، فوقوع الكسر على القرية نفسها يتضمن التحطيم ضمنا لكل ما بداخلها، بل هو أقوى في النفس وأعظم في الخسران، فجاء فعل القصم على القرية بكل ما فيها، وفعل الإنشاء على القوم، وهذه حقيقة في ذاتها[٢]

ثالثا: علاقة الانفرادة"قصمنا" بالوحدة الموضوعية للسورة.

بينت دلالة اللفظ عظم مقدرة الله عزّ وجلّ على استئصال شوكة أهل الباطل، الجاحدين لحق الله عليهم، المنكرين لدعوة الرسل وما جاءوا به من آيات، وما حاق بهم بسبب إنكارها، فحقق اللفظ غاية المعنى المطلوب من تصوير الخوف والرعب من العقاب الرباني للظالمين، الذين اجتمعوا على الباطل، وعمّ الفساد بينهم، ويبين أهمية الرسل في تذكير الناس بمصرع الغابرين فيعتبرون.

وتحمل دلالة القصم معنى الهلاك التام المدمر دون رجعة، فناسب اللفظ وحدة السورة القائم على الإنذار من عاقبة لا توبة بعدها.

أنّ في التفكر في مصرع الغابرين إنذار وبيان يوقظ القلب الغافل، ويدعو لقياس الحال والآمال على ما كانوا عليه، فكثير من هذه الأمم الغابرة كان لها شأن عظيم في إقامة البنيان، ونحت الجبال، وأعطاهم الله قوة في أجسامهم، وكنوزًا وأموالًا، فما أغنى عنهم كل ذلك لما جحدوا آيات الله واستكبروا عن عبادته.

وقد قص القرآن الكريم على الناس قصص أولئك الأمم: عاد وثمود وقوم نوح وقوم لوط، وغيرهم، وقص نبأ الذين استكبروا وطغوا وتجبروا: فرعون وهامان وقارون وغيرهم، بماذا قابلوا نعم الله عليهم وماذا كان مصيرهم؟ فكان القصم هو النهاية العادلة المستحقة لظلمهم أنفسهم، وترتبط الانفرادة في بيان حاجة الناس للرسل قبل قصمهم في الدنيا والآخرة، فالرسل بعثوا منذرين محذرين من هول العذاب الذي ينتظر المكذبين الغافلين المعرضين.

١ينظر ابن عطية، البحر المحيط،(ج٤/ص٤٤٠).
٢ قطب،في ظلال القرآن،(١٤٩/٥)

الانفرادة الثانية "فيدمغه " في قوله تعالى﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾ الأنبياء(١٨)، جاء اللفظ في سياق بيان أسباب هلاك القرى في الدنيا والآخرة، ومنها: اتباع الباطل.

أولا: دلالة مادة " دمغ "في اللغة

أصل اللفظ من مادة "دمغ"، وهي تعني: ضربة في الدماغ قاتلة، في كتاب العين للفراهيدي-(ت١٧٠ه)- "كسر الصاقورة، والقهر،والأخذ من فوق "[١]، في مقاييس اللغة لابن فارس-(ت٣٩٥ه)-:"دمغ كلمة واحدة، لا تتفرع ولا يقاس عليها، فالدّماغ معروف، دمغته، ضربته على رأسه حتى وصلت إلى الدماغ، وهي الدامغة "[٢]، وفي المفردات "دمغه: كسر دماغه، ويقال حجة دامغة، ويقال للطلعة تخرج من أصل النخلة فتفسده إذا لم تقطع: دامغة، وللحديدة التي تشد على آخر الرحل: دامغة، وكل ذلك استعارة من الدمغ الذي هو كسر الدماغ."[٣]

ودلالة المعجمية للفظ تبين أن أصل اللفظ متعلق بأثره، فالدمغ كسر الدماغ، والدماغ جهاز السيطرة العقلية والتحكم في الجسد، وكسره مقتل لا محالة، وتعطيل لوظائف الجسد كافة، ويظهر من دلالة اللفظ أن القصد هو الإهلاك التام بضربة واحدة، فقصد الدمغ، وهو يدل على القهر والغلبة من العلو، والبلاغة في التعبير بالدمغ واضحة متناسقة مع سنن كونية بنصر الحق على الباطل مهما علا وتفاخر، ودلالات المعنى توحي بغلبة من علو وعن تمكن وسلطة مصحوبة بقوة، حيث كانت سببا في دفع الباطل وسحقه، فمادة اللفظ توحي بالقسوة والشدة التي تظهر في تفاصيل اللغويين لمادة دمغ وتصورهم لكسر قاتل في دماغ الرأس الأجوف، وهذا هو حال الحق في معركته مع الباطل.

ثانيا: دلالة صيغة " فيدمغه " في السياق

قال تعالى: ﴿ **بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ** ﴾ الأنبياء(١٨) هذه الآية مستأنفة بدأت بإضراب يبطل ما وصف الكافرون به الله عزّ وجل في الآيات السابقة " ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ**

---

١ الفراهيدي، العين (ج١/ص٢٧٤)
٢ ابن فارس، المقاييس (ص٣٦٥)
٣ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص١٣١).

﴿ كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء(١٦- ١٧) ويظهر تناسب الآيات مع بعضها؛ فالسابقة كانت تبين عاقبة الظالمين بالهلاك لغفلتهم عن آيات الله، ووصفهم الله عزّ وجل سبحانه باللهو واللعب باتخاذ الولد والصاحبة والعبث بخلق الناس دون حساب، فجاءت الآيات تابعة تدل على عدل الله في الكون بإقامة الحق وهزيمة الباطل [١]، وما ذلك إلا سنة من سنن الله في الأرض.

جاء اللفظ في صيغة المضارع الدال على تجدد واستمرار المعركة بين الحق والباطل حتى قيام الساعة، المسبوق بحرف العطف الفاء ليفيد التعقيب، فعقب قذف الحق دمغ للباطل أزهقه، و في الآية استعارتان؛ "فأصل استعمال القذف والدمغ في الأجسام، ثم استعير القذف لإيراد الحق على الباطل، والدمغ لإذهاب الباطل فالمستعار منه حسي والمستعار له عقلي.."[٢]، ترسم الآية في مخيلة السامع صورة للحق وهو كتله قوية جامدة تقذف على الباطل فتشج رأسه وتكسر دماغه بضربة قاتلة، وتصور الآيات طريقة هزيمة الباطل بقذف الحق عليه قذفا فيكون الحق هو الأداة التي قتلت الباطل الذي نتخيله جسدا يدمغ فيقتل وتزهق روحه، فهو هنا صورة عبرت عن معقول مدرك بالفكر بمحسوس مدرك بالظاهر."[٣]

ودلالة الصيغة تعبر عن قوة الحق وقدرته وتمكنه من السيطرة على الباطل بأقل جهد وأضعف حيلة، ودلالة "إذا " الفجائية والجملة الاسمية في قوله تعالى "فإذا هو زاهق " على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان "[٤] فالباطل هزيل ضعيف رغم انتفاخه وتبجحه، ولكنه أجوف مترنح، تشق ضربة واحدة دماغه فتهلكه وتقهره وتزهقه، وهذا عاقبة من يتقول على الله الأباطيل.

ثالثا: علاقة الانفرادة "يدمغه " بالوحدة الموضوعية للسورة.

الانفردة جاءت في سياق تنزيه الله عزّ وجل عن اللعب واللهو، وتسخر من مكذبي الأنبياء المفترين على الله، المتغافلين عن روعة خلق الكون البديع بين سماوات مرفوعة حافظة للناس حامية، وأرض مبسوطة، وما بينهما من العجائب والدلائل على بديع صانعه وعلو شأنه واستحقاقه للعبادة دون سواه.

وتظهر علاقة الانفرادة بالوحدة في مناسبتها لجو السورة العام القائم على التخويف والترهيب، وفي إبراز القيمة السلوكية للتعبير بلفظ "فيدمغه"، في بيان سنة من السنن الكونية لله،

---

١ ينظر بتصرف الرازي، مفاتيح الغيب (ج٢٢/ص١٢٧)

٢ السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب،- ١٩٨٧م- مفتاح العلوم، تح:- نعيم زرور ط٢بيروت، دار الكتب العلمية،،(ص١٧١)

٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٧/ص٢٦)

٤ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (ج٦/ص٦٠).

وهي سنة نصر الحق وإزهاق الباطل، وأنّ الباطل لا يزول إلا بالحق، وأنّ استمرار الباطل ما هو إلا لعدم ظهور الحق بين أهله، أو تلبسه بثوب الحق زورا وتدليسا، وما إن يظهر الحق ويعلم حتى يُقذف على الباطل فيدمغه، والحق في الآية هو الآيات البينات التي أرسل بها المرسلون، والقرآن الكريم الذي جاء به الرسول- صلى الله عليه وسلم، قال تعالى " ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ البقرة: ١١٩، وأنّ ما فيه من وعد ووعيد وما بينهما من تشريعات وقوانين ربانية تقيم السلوك وتهذب الأنفس وتزكي القلوب حقيقة لا ريب فيها، ولا بديل عنها لتحقيق الاستقامة، والباطل هو كل ما يناقضه، والمعركة قائمة بين الحق والباطل، حتى قيام الساعة.

الانفرادتان الثالثة والرابعة: في التركيب"رتقا ففتقناهما " في قوله تعالى﴿ أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ الأنبياء (٣٠)، جاءت الانفرادة في سياق بيان أسباب هلاك الأمم وتكذيبهم الرسل، ومنها غفلتهم عن التفكر في آيات الله في كتاب الكون المنظور.

أولا: دلالة مادة " رتقا" في اللغة

أصل الرتق في اللغة من مادة "رتق" وهو ضم مفتوق لبعضه وإصلاحه بلحمه، قال الخليل-(ت١٧٠ه)- في العين "الرَّتْقُ إلحامُ الفَتْق وإصلاحُه يقال: رَتَقْتُ فَتْقَه حتى ارتَتَقَ "[١] وفي مفردات الأصفهاني -(ت٥٠٢ه)" - الرتق: الضم والالتحام، خلقة كان أم صنعة، {كانتا رتقا ففتقناهما}، أي: منضمتين..."[٢] وقال ابن منظور في اللسان "والرَّتْقُ ضدّ الفَتْق ابن سيده الرَّتْقُ إلحام الفَتْق وإصلاحُه رَتَقَه يَرْتُقُه ويَرْتِقُه رَتْقاً فارْتَتَق أي التأم يقال رَتَقْنا فَتْقَهم حتى ارْتَتَق."[٣]

ويظهر دلالة المادة على معنى ضم شيء لشيء ولحمه به التحاما لضمان التصاقه به وتماسكه. والآية تخبر عن حال السموات والأرض، كانتا شيئين منفصلين ملتصقين وليسا شيئا واحدًا، إنما خُلِقا خَلقاً مختلفًا، ولكنهما وصلا ببعضهما رتقا، وهذا دليل الترابط بينهما مع اختلافهما.

---

١ الفراهيدي، العين (ج٥/ص ١٢٦)
٢ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص١٤٢)
٣ ابن منظور، لسان العرب (ج١٠/ص ١١٤)

ثانيا: دلالة مادة " فتق" في اللغة

أصل الفتق في اللغة، "الفتح " مادة فتق في العين للفراهيدي–(ت١٧٠ه)– " الفَتْقُ: انفِتاقُ رَتْق كلِّ شيءٍ مُتَّصِلٍ مُسْتَوٍ وهو رَتْقٌ فإذا انفَصلَ فهو فَتْقٌ..وتقول: فَتَقْتُه فانفَتَقَ"[١]، وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه) –" الفاء والتاء والقاف أصلٌ صحيح يدلُّ على فتح في شيء. من ذلك: فتَقت الشّيء فتْقاً. والفَتْق: شقُّ عصا الجماعة. والفَتْق: الصُّبح. وأعوام الفَتَق: أعوام الخِصْب."[٢] وقال الأصفهاني–(ت٥٠٢ه)– " الفتق: الفصل بين المتصلين، وهو ضد الرتق"[٣]

دلالة مادة " فتق" كما يظهر؛ هي الفصل بفتح ما كان متصلًا لحما أو لزقا، وهي تدل على خروج شيء من شيء حتى فصل عنه، فالفتق لا يكون في النسيج الواحد إنما هو لما خيط معا وتماسكًا بسبب اللحم أو اللزق.

ثالثا: دلالة صيغة "رتقا ففتقناهما " في السياق

جاءت الانفرادة "رتقا " مصدرا، وفتقنا " في صياغة الفعلية للماضي، وفي هذه الآية عدة دلائل ترتبط بالصيغة،بداية قوله تعالى " كانتا رتقاً " ولم يقل كنّ رتقا؛ لأن السموات لفظ الجمع والمراد به الواحد الدال على الجنس، قال الأخفش[٤]: السموات نوع والأرض نوع..."[٥]، وفي صيغة دلالة الوصف بالمصدر في قوله " كانتا رتقا " ثلاثة تأويلات:أحدها: أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق الله بينهما بالهواء...الثاني: أن السموات كانت مرتتقة مطبقة ففتقها الله سبع سموات، وكانت الأرض كذلك ففتقها سبع أرضين، الثالث: أنّ السموات كانت رتقاً لا تمطر، والأرض كانت رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر، والأرض بالنبات ".[٦]، جمع البعض بين الأقوال الماضية فقالوا: إنّ نشأة البدء كانت شيئا واحدا ففصلاهما بالهواء، ثم السماء الواحدة فتق منها سبع سماوات، والأرض سبع أرضين، ثم فتقت السماء بالمطر،

---

١ الفراهيدي،كتاب العين (ج٥/ ص١٣٠)
٢ ابن فارس، مقاييس اللغة (ص٨٣٤)
٣ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص٢٨٠).
٤ عبد الحميد بن عبد المجيد أبو الخطاب الأخفش الكبير النحوى،أخذ عنه يونس، وهو من أئمة اللغة والنحو، وله ألفاظ لغويّة انفرد بنقلها عن العرب. والأخافش المشهورون من النحاة ثلاثة، أكبرهم هذا، والأوسط. ينظر: القفطي (ت ٦٤٦هـ) جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٢م.إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي – القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، (ج٢/ص ١٥٧)
٥ تفسير الرازي (ج٢٢/ص١٣٩)، وينظر أبو حيان ، أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، طبعة ١٤٢٠ه، تح: صدقي محمد جميل، الناش :بيروت دار الفكر، (ج٦/ص٢٢٠)
٦ ينظر الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م جامع البيان في تأويل القرآن، تح:– أحمد محمد شاكر، ط١ مؤسسة الرسالة، (ج١٨/ص٤٣٠)

والأرض بالنبات "[١]، وهذا يناسب المعنى ولا تعارض فيه. وقال الزمخشري:" كانتا شيئاً رتقاً ومعنى ذلك: أنّ السماء كانت لاصقة بالأرض لا فضاء بينهما. أو كانت السموات متلاصقات، وكذلك الأرضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرّج بينها.[٢]

في صيغة" كانتا رتقا "عدة نكت بلاغية: وفيها كما نبه أئمة البلغاء من مجاز[٣] فلم يقل"كانتا رتقين، فعبر بالمصدر الذي يوصف بلفظه الواحد والاثنان والجميع من المؤنث والمذكر سواء[٤]؛ لأن المصدر فيد دلالة الثبوت، ناسب المراد من التعبير عن شدة الاتصال بينها بينها بصيغة تدل على شدة الوصف وتمكنه في الشيء؛ لأنّ المراد شدة الاتصال والتلاحم، وهو من أساليب العرب في التفنن في الخطاب.

يظهر من دلالات هذا التركيب الفريد الذي جاء في سياق انتقل بين مشاهد الملائكة الطائعين الخاشعين للرحمن وبين من يقابلهم من الجاحدين المتكبرين عن عبادة الله الزاعمين له شريكا يحكم معه، أو ولد يعوزه – سبحانه وتعالى عما يصفون – لتصل إلى استفهام قصد منه التوبيخ والتعريض بهم؛ عن غفلتهم عن آيات الله الكونية التي تبصرها أعينهم وتتلهى عنها قلوبهم، استفهام غرضه استنكار صنيع الكافرين، وتحفيز المخيلة على الإنصات، فتبعها تعريضٌ بغفلتهم عن رؤية ما حقه الإبصار، واستبان ما حقه الظهور والانجلاء، فكيف غفلوا عن أصل الكون وتكونه، فإن غفلوا عن خلقه الأولي فكيف يغفلون عن آياته المشاهدة؟ من فتق و رتق للسماء تارة بالماء، وفتق ورتق الأرض بماء شقها فأخرج منها نباتًا حياة للبشر، وجعل هذا الماء سببًا لكل حياة على الأرض.

رابعا: العلاقة بين الانفرادات في التركيب "رتقا ففتقناهما" والوحدة الموضوعية السورة

الآية الكريمة في سياق تجهيل المشركين وتوبيخهم على كفرهم، مع أنهم يشاهدون بأعينهم ما يدل دلالة واضحة على وحدانية الله – تعالى – وقدرته، ويعلمون أن من كان كذلك، لا يصح أن تترك عبادته إلى عبادة حجر أو نحوه، مما لا يضر ولا ينفع.

---

١ ينظر ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبي الفداء القرشي الدمشقي،(١٩٩٨م)، تفسير القرآن العظيم، قدم له: عبد القادر الأرناؤوط، ط٤، الرياض دار السلام، دمشق، دار الفيحاء،. (ج٣/ص٢٣٨)

٢ الزمخشري الكشاف،(ص٦٧٧)

٣ المجاز هواللفظ المستعمل لغير ما وضع له لقرينة مانعة من إيراد معناه الحقيقي.ينظر عباس، فضل، ٢٠٠٩ م أساليب البيان،دار النفائس، ط٢،، ص٢٧٢

٤ أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري -١٣٨١ هـ– مجاز القرآن.تح:– محمد فواد،القاهرة، مكتبة الخانجى.

والمعنى: أو لم يشاهد الكفار بأبصارهم، أولم يعلموا بعقولهم أن السموات والأرض كانتا رتقا، بحيث لا ينزل من السماء مطر، و لا يخرج، من الأرض نبات، ففتق الله – تعالى – السماء بالمطر، والأرض بالنبات؟!!"[١]

إنهم بلا شك يشاهدون ذلك، ويعقلونه بأفكارهم. ولكنهم لاستيلاء الجحود والعناد عليهم، يعبدون من دونه – سبحانه – مالا ينفع من عَبَده، ولا يضر من عصاه.

وتظهر علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة لهذا التركيب بهاتين الانفرادتين، أي في العلاقة الجلية بين طبيعة خلق السموات والأرض من رتق وفتق، وتظهر عظمة مقدرة الله، وقدرته على تحقيق ما أنذر به، وفي تزكية النفس في تدبر هذه الحقائق والتفكر بعظمة الخالق فنبني آثارا في الوجدان تطوع القلب وتنبهه من الغفلة والإعراض، وأخرى تحفز العقل على الانقياد والإتباع والخضوع لصاحب هذه القدرة وصانع هذه الكون بإتقان، وعلى قمتها يتوج القرآن الكريم، دون العوز لمزيد من الأدلة المؤقتة الزائلة بديلا عن تلك الدائمة المستمرة، وفي غياب التفكر بآيات الله، حصلت الغفلة، وفي إنكارعظيم صنعه، حصل الإعراض، وفي تكذيب الرسل حقّ العذاب والهلاك.

الانفرادة الخامسة "يكلؤكم " في قوله تعالى:" ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ** ﴾ الأنبياء(٤٢)، في سياق الحديث عن أسباب هلاك الأمم، عاقبة المكذبين، ومنها غفلة الناس عن التفكر في آيات الله في الكون.

أولا: دلالة مادة "كلأ" في اللغة

يكلؤكم من "كلأ– كلاءة، وأصلها الحفظ، قال الفراهيدي(ت ١٧٥ه): كَلأك الله كَلاءةً أي: حَفِظك وحَرَسك، والمفعول: مكلوءٌ والكَلأ: العُشْبُ رُطْبُهُ ويَبْسُهُ "[٢]، قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)– للكلمة أصول ثلاثة: " أصلٌ صحيح يدلُّ على مراقبةٍ ونَظَر، وأصلٌ آخر يدلُّ على نباتٍ، والثالث عضوٌ من الأعضاء [٣]ثم يُستعار. فأمَّا النظر والمراقبة فالكِلاءَة، وهي الحِفْظ، تقول: كلأه الله، أي حَفِظه. قال الله عزّ وعلا: ﴿ **قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ** ﴾الأنبياء ٤٢؛ يحفظُكم منه، بمعنى لا يَحميكم

---

١ ينظر الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، ١٩٧٩م، لباب التأويل في معاني التنزيل، بيروت دار الفكر.(ج٤/ص٢٩٢)

٢ الفراهيدي، العين (ج٥/ ص٤٠٧).

٣ يقصد عضو "الكُلية " وهي من أهم أعضاء الجسم الحيوية، و هي تقوم بتنقيه دم الإنسان من الفضلات و العناصر الفائضة طوال اليوم دون توقف، و هي التي تقوم بإفراز عدد من الهرمونات اللازمة لتنشيط نخاع العظام لينتج خلايا الدم الحمراء، و تنظيم نسبة السوائل بالدم.

أحدٌ منه، وهو الباب الذي ذكرناه أنّه المراقبة، لأنَّه إذا حفظه نَظَر إليه ورَقَبه."[١]، وفي مفردات القرآن " الكلأءة: حفظ الشيء وبقاؤه، يقال: كلأك الله، وبلغ بك أكلأ العمر، واكتلأت بعيني كذا."[٢]. "

مادة اللفظ تدل على معنى الحفظ والحماية، والمداومة على الرعاية ودلالة الحراسة، وتسمى الأرض" كلأ " لأنها تساعد في الحفاظ على حياة الإنسان والدواب برطب عشبها ويابسه، والكلية من الأعضاء التي تحمي الجسم من السموم القاتلة وتخرجها منها، وتحافظ على نشاط الجسم، وجاء اللفظ في سياق التذكير بنعم الله علينا، وغفلة الناس عن شكر تلك النعم وتقديرها، التي دونها هلاكنا أجمعين.

الفرق بين الحفظ والكلاءة والرعاية والحراسة: "أن الكلاءة هي إمالة الشيء إلى جانب يسلم فيه من الآفة، بينما الحفظ؛ نقيض الإضاعة وهو صرف المكاره عن الشيء لئلا يهلك،بينما الرعاية هي فعل السبب الذي يصرف المكاره عنه، أما الحراسة فهي حفظ مستمر فهو فعل الدوام على المحافظة."[٣]، وبهذه يكون دلالة الكلاءة عنهم هي الزوال، فهي من الحفظ المؤقت وليس الدائم، وذلك لزواله مع زوال الدنيا، وهو من الحراسة المؤقتة وذلك كمن يحرس السجين من قتل نفسه حتى موعد إعدامه، ومن الرعاية كمن يطعم أسيره حتى ينطق فيه الحكم.

ثانيا:دلالة صيغة "يكلؤكم" في السياق

جاءت هذه الانفرادة في الآية التفاتا بعد بيان عاقبة المستهزئين بأنبياء الله، وقد وجه الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم – ولأمته من بعده –، يقول الله تعالى " ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ الأنبياء(٤١، ٤٢)، جاءت الآيات تأمره أنّ يحاججهم بحجة عقلية، أن يستفهم منهم؛ من الذي يمنع عذاب الله – الذي يستحقونه – أنّ يحلّ بهم؟ من الذي يحميهم من ذلك العذاب؟ من سينصرهم من دون الله؟ من الذي يرعاهم إن نزع رحمته بهم؟

جاء اللفظ في صياغة المضارعة، وما تفيده من تجدد الحدث، وهذا واضح الدلالة في التذكير بالنعم، وأشدّ وقعا في النفس أن تذكرها بنعمة دائمة ألفتها النفس، وظنت خلودها، وفيه

---

١ ابن فارس،مقاييس اللغة (ص٩٠٦)
٢ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص٣٣١)
٣ ينظر المصدر السابق.

معنى الاختبار لمن يتألهون على الله، ومن يزعم أن له شريكا في ملكه، فهل ينعمون عليهم بهذه النعمة إنّ رفعها الرحمن.

وفي صيغة الجمع بيان لأثر النعمة على جميع خلقه، حتى الكافرين منهم، كان في الآية تقرير لتلك النعمة بأسلوب الاستفهام الاستنكاري التوبيخي، الذي امتازت به آيات السورة في محاجة الكافرين، فظهر معنى الاستدراج بالنعم، أي اتركهم يا محمد يلعبون حتى إذا وقع عليهم العذاب عرفوا أن لا كالئ لهم إلا الله سبحانه، وأنّ رحمته هي سبب تأخيره عنهم حتى اللحظة[١]، وجاءت " بل" بعدها لتقيم لازم الحجة عليهم، فإن لزمهم ما حملته معنى كلمة "كلاّ" وهي من دلائل معنى الربوبية فالمشركون يؤمنون بالله، ويكفرون به إلهًا، فأصبح توحيد الربوبية حجة عليهم، ولازمه – ما جاء بعد حرف الإضراب – الإيمان بما أنزل الله، ولكن حقيقة فعلهم هي الإعراض عن هذه التذكرة والتصرف بما فيها، ويقول الزمخشري:"هم معرضون عن ذكره فضلا على أن يخافوا بأسه " [٢]، وهو استهزاء آخر بهم.

ومعنى " من" هي البدلية، أي بدل " الرحمن " وإناطة الفعل باسم الرحمن؛ تنبيه على أن لا كالىء غير رحمته العامة،"[٣] وتدل معنى " يكلؤكم "على تضمن أكثرمن نعمة، فهناك معنى الحماية والرعاية والحراسة والحفظ، وهي من النعم التي غفلوا عنها رغم بيانها، وأطنب في بيان الظرف " الليل والنهار " لبيان دلالة إكمال النعمة، وشمولها كل زمان ومكان، وقدم الليل على النهار " تقديم الليل لما أن الدواهي أكثر وقوعاً فيه وأشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية، ولأنه الأصل. [٤]

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "يكلؤكم" والوحدة الموضوعية للسورة

وجاء اللفظ متناسبا مع مقصد السورة، فظهر اللفظ في سياق بيان أسباب إعراض الناس عن دعوة الرسل، المحاجة باستفهام تقريري، يتهكم بهم، ويظهر جحدهم لله مع استمرار رعايته وتدبير شؤونهم، فدلالة حفظ الله للخلق ظاهرة واضحة، لا يدركها إلا عاقل متفكر، فإن كان الله الرحمن يرعى خلقه كلهم؛ بما فيهم الكفار والفجار والفساق، فكيف برعايته وحمايته ونصره لرسله، وفيها معنى عجيب يدعو للتفكر في حقارة النفس البشرية المعرضة عن الذكر، بأنّ

---

١ ينظر ابن عاشور /التحرير والتنوير بتصرف (ج٩/ص٢٣٩)

٢ الزمخشري / الكشاف / (ج٣/ص١١٩)

٣ بيضاوي،ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ١٤١٨ هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ج٤/ص ٩٥).

٤ أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٦/ ٦٩)

المانع الوحيد من وقوع القصم بهم وإهلاكهم هو الله، فالله يحفظهم ويرعاهم عن وقوع عذابه عليهم.

وتظهر القيمة السلوكية لهذه اللفظة في ضرورة الانتباه من إيلاف النعم على البشر، وبضرورة استشعار رحمة الله بعباده، رغم عصيانهم وفسوقهم أو كفرهم، وتترجم هذه الدلالة على الواقع في تبني خُلق الحلم، والتصبر على الناس في دعوتهم فإن كان رب الناس يحميهم من عذابه في الدنيا رغم معاصيهم، فحريٌّ بالدعاة أن يصبروا على جهل الناس، وفي بيان أن أصل الإنذار هو رحمة، وأن غايته إيقاظهم من الغفلة المهلكة.

الانفرادة السادسة "نفحة " في قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ** ﴾ الأنبياء(٤٦)، جاءت الانفرادة في سياق التعجب من حال المشركين وإعراضهم عن آيات الله، وبين ندمهم مع أول نفحة عذاب تمسهم.

أولا: دلالة مادة "نفح" في اللغة

في العين: نفَح الطِّيبُ يَنْفَحُ نَفْحاً ونُفُوحاً، وله نَفْحةٌ طيّبةٌ ونَفْحَةٌ خَبيثةٌ، ونَفَحَتِ الدابَّة؛ إذا رَمِحَت برجْلِها ورَمَتْ بحَدِّ حافرها، ونَفَحَهُ بالسيف أي: تَناوَلَه من بعيد شَزْراً.[١]" في مقاييس اللغة للمادة أصل واحد؛ يدلُّ على اندفاع الشَّيء أو رَفْعِه. ونَفَحتْ رائحةُ الطِّيب نَفحاً: انتشرَتْ واندفعت."[٢]، وعند الراغب الأصفهاني هي هبوب من الخير وقد تستعار للشر." [٣] قال الجوهري[٤] –(ت٣٩٣ه)–: نفحة من العذاب؛ أي قطعة منه. ولا يزال لفُلانٍ من المعروف نَفَحَاتٌ، أي دَفَعَاتٌ."[٥] وابن منظور في اللسان قال: " يَنْفَحُ نَفْحاً ونُفُوحاً أَرجَ وفاحَ وقل النَّفْحةُ دُفْعَةُ الريح طَيِّبَة كانت أو خبيثة وله نَفْحة طيبة ونَفْحة خبيثة "[٦].

---

١ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ ص٢٤٩)

٢ ابن فارس، مقاييس اللغة (ص١٠٤٠)

٣ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص٣٧٨)

٤ هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،عالم ولغوي، أصله من» فاراب «من بلاد الترك، وقيل أول من حاول الطيران ومات في سبيله، طاف البلاد ودخل العراق فقرأ العربية على أبي علي الفارسي، والسيرافي، ثم طاف بلاد ربيعة ومضر، فأخذ العربية مشافهة من العرب، قال عنه ياقوت:كان من أعاجيب الزمان، ذكاء وفطنة وعلما.

أشهر كتبه تاج اللغة وصحاح العربية المعروف اختصارا بـــ «الصحاح». وله كتاب في العروض ومقدمته في النحو .ينظر أعلام الزركلي (ج١/ص٢١٣).

٥ الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـــ) ، (١٩٩٠م) تاج اللغة وصحاح العربية، ط، ٤بيروت، دار العلم للملايين، (٤٣٦/٢).

٦ ابن منظور، لسان العرب (٣١٤/١٤)

ويظهر من الدلالة المعجمية لمادة "نفح " أنّ النفح يدل على اندفاع جزء صغير من أصل شيء عظيم؛ كهبة من ريح، أو قطعة من عذاب، وكأن العذاب قطع كثيرة وكل واحدة منه تسمى نفحة، وهي هنا بمعنى الدفعة اليسيرة بدليل السياق، الدفعة اليسيرة من العذاب، وفي المعنى المعجمي دلالة تعظيم وتهويل لذلك العذاب، وفيها كشف المشركين المكذبين بالوحي المتعالين على الله ورسله والمستهزئين بعذابه.

ونظير اللفظ فهو " اللفح ". فيقول ابن فارس –(٣٩٥ه)–"يقال: لفَحَتْه النار بحرّها والسَّمومُ، إذا أصابه حَرُّها فتغيَّرَ وجهُهُ. وأمّا قولهم: لفَحَه بالسَّيف لفْحَةً: ضربه ضربةً خفيفة، فإنّ الأصل فيه النون، هو نَفَحَه."[1]ويظهر الفرق أن الضربة الخفيفة تسمى نفحة وليست لفحة، ومن دلالات اللفح هي حرق الوجه بالنار – والعياذ بالله، فهي بيان لنوع معين من أنواع العذاب، وتلك لبيان مقداره.

ثانيا: دلالة صيغة " نفحة" في السياق

قال تعالى " **وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ** " جاء اللفظ على وزن " فَعْلَة " اسم المرة[2]، ودلالته في اللغة على التقليل أو التصغير أو التحقير تبعا للسياق، وجاء اللفظ في سياق توبيخ المشركين معطوفا على قوله تعالى " ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ** ﴾ الأنبياء(٤٥)، قال ابن عاشور في دلالة الوصل بين الآيتين "الخطاب للنبي – صلى الله عليه وسلم – أي أنذرهم بأنهم سيندمون عندما ينالهم أول العذاب في الآخرة، وهذا انتقال من إنذارهم بعذاب الدنيا إلى إنذارهم بعذاب الآخرة، وأكد الشرط بلام القسم لتحقيق وقوع الجزاء "[3]

ودلالة سياق الآية التهكم وتوبيخ المشركين؛ وذلك لإيلافهم نعمة الأمن التي رزقهم الله إياها، فتركوا شكرها، ثم تتابع الآيات كشف حقائق نفوس الكافرين، فبدأت الآية بلام القسم لتوكيد حقيقةفعلهم وبيان غفلتهم عن عذاب الله –عزّ وجل – مع إن الشرطية التي تحتمل حصول الشرط قليلا أو كثيرا أو احتمال عدم وقوعه [4].

"وقد جاءت في سياق بيان الضعف البشري أمام جبروت الخالق تبارك وتعالى فأراد بيان ضعفهم أمام العذاب الخفيف القليل فأتى ب(إن) التي تفيد التشكيك في وقوعه، وأتى بكلمة

---

١ ابن فارس مقاييس اللغة لابن فارس (ص٩٥٨).
٢ السامرائي، معاني الأبنية، ص٣٤.
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير (٩ج/ ص٢٤٣)
٤ ينظر ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي، البحر المديد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ج٤/ص٥٢٠).

(المسّ) بدل الإصابة أو الحرق فهو دونها في المرتبة والأذى، وكذلك كلمة (نفحة) مع تنوينها المشعر بضعف العذاب وحقارته و(من) المفيدة للبعضية؛ فلم يأتهم كل العذاب وإنما هي نفحة عابرة يسيرة من جزء صغير من العذاب، ثم العذاب لم يُضف إلى اسم دال على القهر والجبروت بل أضيف إلى أرق اسم دال على الشفقة وهو (رب) ثم أضيف الرب إلى مقرّب محبوب وهو ضمير خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنّ الكلمات كلها مسوقة إلى هدف واحد وهو وصف هذا العذاب بالقلة والضآلة والحقارة ليبيّن بالتالي أن المذنبين يندمون ويتأسفون على ما عملوا عند تعرضهم لنفحةٍ بسيطة من عذاب الله.." [١]

. حيث أفادت هذه الصيغة تهويل ما يتعرضون له من قلة قليلة من عذاب الله فيصرخون مستنجدين نادمين[٢]، وعندها "**ليقولنَّ** " بصيغة التوكيد بلام ونون مشددة " **يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ**" فكيف لو جاءهم العذاب كله الذي عنه يتغافلون."[٣]

ثالثا: العلاقة بين دلالة الانفرادة " نفحة" والوحدة الموضوعية للسورة

ما امتازت به من الانفرادة القرآنية من دلائل لغوية، دلت دلالة واضحة على المعنى المراد، وبينت ضعف الناس، وحاجتهم الشديدة للمنذرين، الداعين لدين الله، الذين لا تتم النجاة إلا بهم، فجاءت هذه الانفرادة في مقطع تحدث عن سنة من سنن الله في الكون، وهي الموت؛ وأنه نهاية الابتلاء وبداية الجزاء، وعن استعجال الكفار موت الرسول –صلى الله عليه وسلم– ظنّاً منهم أنّ دعوته ستموت معه، وسينتهي ذكر البعث الذي تتحاشى أنفسهم الإيمان به.

وعلاقة اللفظ بالوحدة الموضوعية للسورة تظهر في عظم ما ينذر به المرسلون، وحاجة الناس لهم لتتناسب مع عظم هذا العذاب، وتكشف سفاهة وغفلة الكافرين المنكرين لآيات الله، الجاحدين لها، وبين اللفظ في سياقه سرعة تأثر هؤلاء المشركين، بأقل شيء من العذاب الذي كانوا يستعجلونه، وأنهم إذا ما نزل بهم شيء منه، أصيبوا بالهلع والجزع، وتنادوا بالويل، ثم تباكوا وسارعوا بالاعتراف بظلمهم لأنفسهم والتحسر على عدم اتباعهم المرسلين.

---

١ النورسي، بديع الزمان، –٢٠٠٢م– إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، تح إحسان الصالحي، تقديم محسن عبد الحميد،ط٣، القاهرة، شركة سوزلر للنشر.(ج١/ص٤٠)

٢ ينظر مسلم، مصطفى، بحث بعنوان النظم القرآني، جزالته وتناسقه ، في كتاب الإعجاز اللغوي و البياني في القرآن الكريم، جمع وإعداد:– علي بن نايف الشحود، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١،(ص: ٢٤٨)

٣ ينظر أبي السعود،إرشاد العقل السليم (ج٦/ص٧٠)

الانفرادة السابعة" ففهَّمناها" في قوله تعالى " ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ الأنبياء(٧٨ – ٨٠)، جاء اللفظ في سياق القصص القرآني في السورة في الثناء على داوود وسليمان عليهما السلام.

أولا:دلالة مادة " فهم" في اللغة

الفهم في الأصل المعرفة والعلم بالشيء، قال الفراهيدي (١٧٠ه):"فَهِمْتُ الشَّيء، فَهَماً وفَهْماً: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه وفهّمتُ فلانا وأفْهَمْتُه: عَرَّفْته وقرأ ابن مسعود: " فأفهمناها سليمان، ورجلٌ فِهِمٌ: سريع الفَهْم."[١]، ونقل ابن سيده (ت٤٥٨ه) في كتابه عن سيبويه(ت ١٨٠ه) " الفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب.."[٢].وابن فارس (ت٣٩٥ه) قال " فهم؛ عِلْم الشيء،... وفَهِمٌ: قبيلة."[٣]

وابن منظو(ت٧١١ه)– قال في اللسان " الفَهْمُ معرفتك الشيء بالقلب..وفَهِمْت الشيء عَقَلْتُه وعرَفْته وفَهَّمْت فلاناً وأَفْهَمْته وتَفَهَّم الكلام فَهِمه شيئاً بعد شيء ورجل فَهِمٌ سريع الفَهْم ويقال فَهْمٌ وفَهَمٌ وأَفْهَمه الأمرَ وفَهَّمه إياه جعله يَفْهَمُه واسْتَفْهَمه سأله أن يُفَهِّمَه وقد اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تفهيماً.."[٤]

يظهر من الدلالة المعجمية لمادة (فهم)، أنها دلت على علم وفقه يستند على إعمال العقل والقلب معا، فالآية أخبرت عن حكم داوود وهو حكم عدل استند فيه على رجاحة العقل، بينما حكم سليمان كان فهمًا، وهو الحكم العقلي مع إضافة دلالة الواقع القائمة على البناء والتعمير.

من نظائر الانفرادة " فقه – علم – عرف – عقل – فطن" فقه الشيء؛ تعني؛ " *الفِقْهُ العِلْم في الدّين " [٥]، هو إدراكِ الشَّيء والعِلْم به ". [٦]علم الشيء؛ نقيض الجهل "[٧]، و يدلُّ على أثَرِ أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره؛ من ذلك العَلامة "[٨]

---

١ كتاب العين (ج٤/ص ٦١)
٢ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م– المحكم والمحيط الأعظم، تح:– عبد الحميد هنداوي، ط١، الناشر بيروت، دار الكتب العلمية، (ج٢/ص٢٠٤)
٣ معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ص٢٩١)
٤ ابن منظور، لسان العرب (ج١١/ ص٢٣٥)
٥ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ ص٣٧٠)
٦ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص٨٣٢)
٧ الفراهيدي،كتاب العين (ج٢/ص١٥٢)
٨ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص٨٢٩)

*عرف الشيء؛ " يدل على تتابُع الشيء متَّصلاً بعضُه ببعض[١].

*عقل الشيء؛ قال الخليل " نقيض الجهل "[٢]، يقال فلان عَقولٌ للحديث أي لا يفلت الحديث سمعه[٣] "، * فطن الشيء؛ تعني " ذكاء وعلم بالشيء [٤]".

فهم الشيء؛ فهم الشيء بالقلب كما أسلفت في بيان الدلالة المعجمية للمادة، يظهر الفرق واضحًا بين الكلمة "فهم "وبين نظائرها، فهي وصف لعملية تحليل المدخلات التي أدركها الشخص بعلمه، وعرفها بتتابع الشيء، وعَقلها بحفظ كل فروعها، وأحتاج معها لزيادة فطنة، فأضاف فهم هذه المدخلات التفاعل الوجداني مع المسألة فحصل الفهم، الذي ينتج منه مدلولات تضيف على المدلول العقلي الخارج من النظائر مدلولا وجدانيا يحصل معه التكامل في الحكم بقدر المستطاع، ودلالة ربط المنطق العقلي في مسائل الفتيا بالدلالات الوجدانية لها؛ يظهر واضحا في قوله تعالى " فهمناها سليمان " وذلك أن كل العلوم تتبع المنطق والعقل في استنباط الحكم، بينما الفهم يجمع بين العقل والوجدان، ليحقق قيمة سلوكية تحث على البناء والتعمير

ثانيا:دلالة صيغة "ففهّمَناها " في السياق

جاء اللفظ في سياق قصة تَخَاصُم الرجلين لداوود عليه السلام: تخاصَمَ الى داود رجلان، دخلت غنم احدهما على زرع الآخر بالليل، فأفسدته فلم تبق منه شيئا، فقضى بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، فخرج الرجلان إلى " سليمان " وهو بالباب، فأخبراه بما حكم به أبوه، فدخل عليه فتال: يا نبى الله لو حكمت بغير هذا كان أرفق للجميع قال: وما هو؟ قال: يأخذ صاحب الغنم الارض، فيصلحها ويبذرها حتى يعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم، وينتفع بألبانها وصوفها ونسلها، فإذا خرج الزرع ردت الغنم إلى صاحبها، والأرض إلى ربها، فقال له داود: وفقت يا بنى وقضى بينهما بذلك.."[٥]

جاء اللفظ بالصيغة التالية "ففهّمناها: فاء " التعقيب " + صيغة المضعفة لعين الفعل "فهّم " + ضمير المتصل "نا " في محل رفع الفاعل العائد على الله –عزّ وجل – + ضمير المتصل "ها " في محل نصب مفعول به أول لفعل فهم عائد على الفتيا.

---

١ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص٦٥٩)
٢ الفراهيدي، كتاب العين (ج ١/ص١٦٠)
٣ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص٦٧٢)
٤ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ص٨٤٩)
٥ ينظر الطبري،، جامع البيان، (ج١٨/ ص٤٧٥)

ودلالة فاء التعقيب السابقة للفعل هي دلالة حدوث وقوع الفعل المعطوف عليه بغير مهلة أو بمدة قصيرة."[١]،وهذا يدل أن حكم داوود لم ينفذ بعد في المتخاصمين، ودلالة الفعل (فهّم) بالتضعيف مصدرها التفهيم، وهذه الصيغة تقتضي شدة حصول الفعل أكثر من صيغة الإفهام، وهذا يدل على عمق فهم سليمان – عليه السلام – للقضية [٢]، ودلّ التضعيف على التعدية فعدي الفعل إلى مفعولين، مفعول عائد على الفتيا، والثاني على الشخص الذي وقع عليه الفعل وهو هنا سليمان – عليه السلام –، ودلالة اسناد الفعل إلى الله عزوجل أنّ التفهيم الذي فهمه سليمان كان إما وحيا من الله بخلاف قضاء داوود فكان اجتهادا، ودلالة ذلك تكريم سليمان ورفعه لمنزلة النبوة، وإقرارعين أبيه به، فمعلوم أنّ الأب يفرح بتفوق ولده عليه في الفهم دون غيره، وإما نعمة من الله لسليمان أن زاده بصيرة في القضاء، وعلى هذا يكون فعل كليهما اجتهادا، والضمير عائد على المسألة التي قضى فيها داوود، وهذا يدل على اختلاف حكمهما فيها، فلو كان كلاهما مصيبيْن لم يكن لتخصيص سليمان بهذا التفهيم فائدة.[٣]

ثالثا:في العلاقة بين الانفرادة" ففهّمناها" والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الصيغة في سياق بيان فضل الأنبياء وصناعة الله لهم وتفضيلهم على العالمين لِما وهبهم من العلم والحكمة، ولِما صبروا عليه من الأذى في سبيل دعوتهم، فدلت هذه الانفرادة على هبة وهبها الله لعبده ونبيه سليمان، هبة القضاء بين المتخاصمين بالنفع العام، وهذا القضاء ينعش المجتمع ويساعد على ربط أوصاله وزيادة الألفة بينهم، فدلالة هذا التفهيم ضمنت لصاحب الغنم أصل ماله، وضمنت لصاحب الأرض تعويض جهده وتعبه في جنته، وحثت كليهما على ضمان رأس مال الآخر، ورعايته، فأصبح الغنم كأنه مستأجر بثمن مقدم، والأرض كذلك، لمدة يحددها جِدُ واجتهاد صاحب الغنم في الجنة، و من دلالات هذا التفهيم:

في حماية الملكية الفردية للمجتمع المسلم، وتنمية مفهوم العدالة ليتعدى مفهوم رد الحقوق بين المتخاصمين ليصل إلى دور البناء والتعمير في المجتمع المسلم، وفي معية الله للقضاة ومراقبة أحكامهم، وهذا أدعى في التقوى والاستقامة، وأشارفيها بعض المفسرين أن الآية تدل على جواز استئناف حكم القاضي.[٤]

---

١ السامرائي، فاضل صالح،(١٤٣٠ه–٢٠٠٩م) معاني النحو، ط٤، الأردن، دار الفكر،(ج٣/ص٢٠٢)

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٣/ص٥٥١)

٣ عادل(ابن، سراج الدين عمر بن علي بن الحنبلي الدمشقي النعماني، أبو حفص، (١٤١٩ هـ –١٩٩٨م) اللباب في علوم الكتاب، تح : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية. (ج١٣/ ص٥٥١).

٤ الشعرواي، تفسير الشعرواي، تفسير الآية (٧٩) من سورة الأنبياء

الانفرادة الثامنة "حَدَبٍ" في قوله تعالى:" ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾ الأنبياء(٩٦)، جاءت الانفرادة في سياق ذكر اقتراب الساعة وظهور علاماتها.

أولا: دلالة مادة " حدب " في اللغة

أصل الحدب في اللغة هو الارتفاع، قال ابن عباس: من كل حدب ينسلون "من كل شرف يقبلون "[١]، وفي العين " موضع الحَدَب من ظهر الأحدب، الحَدَبة وقد حَدِبَ حَدَبًا "[٢]، وقال الفرَّاءُ(ت٢٠٧ه): " مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ مِنْ كُلِّ أَكَمَةٍ، ومن كل مَوْضِعٍ مُرْتَفِعٍ[٣]. قالوفي المقاييس:" وهو ارتفاع الشيء. فالحَدَب ما ارتفع من الأرض."[٤]، وفي لسان العرب:" الحَدَبةُ التي في الظَّهْرِ والحَدَبُ خُروجُ الظَّهْرِ ودخولُ البَطْنِ والصَّدْرِ رجُل أَحْدَبُ..... وهم مِن كل حَدَب يَنْسِلُون يريد يَظْهَرُون من غَلِيظِ الأَرض ومُرْتَفِعها والجَمْعُ أَحْدابٌ وحِدابٌ والحَدَبُ الغِلَظُ من الأَرض في ارْتِفاع والجمع الحِدابُ والحَدَبةُ ما أَشْرَفَ مِن الأَرض وغَلُظَ وارْتَفَعَ ولا تكون الحَدَبةُ إلاَّ في قُفٍّ أَو غِلَظِ أَرضٍ "[٥].

تُظهر الدلالة المعجمية للمادة أنّ الحدب الغليظ المرتفع عن الأرض، فهو ما برز من الأرض فشرُف وهو واضحٌ جليٌّ عن الأصل الذي انبثق منه، واستعيرت للدلالة على كل جبل وسهل، وكل ما ارتفع عن الاستواء بشكل مقوس، وفي سياق التهويل بقدوم يأجوج ومأجوج، يصور اللفظ قدومهم من كل منطقة مرتفعة غليظة.

ثانيا: دلالة صيغة " حَدَبٍ" في السياق

" وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ " جاءت صيغة حدب على وزن "فَعَل" اسم فَعَل، بمعنى مفعول من " حَدِبَ – يَحْدَبُ " اسم المكان منه "حَدَب" [٦]، والتركيب فيه تقديم وتأخير "ينسلون من كل حدب " وحدب" مضاف إليه، وقعت في جملة حال من قوله يأجوج ومأجوج، وسبق حدب ب" كل " المفيدة للاستغراق والإحاطة بالأفراد والأجزاء، و جاء التركيب في سياق بدأ ب"حتى" التي يبتدأ بعدها الجمل، ولا تفارقها معنى الغاية؛ فهي غاية لمقدر يقتضيه

---

١ الرجال، عن ابن عباس من صحيفة على بن ابي طلحة، ص٣٥٥

٢ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ ص١٨٦)

٣ الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا، معاني القرآن، تح:: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل، ط١، مصر، دار المصرية للتأليف والنشر (ج٣/١ص٦٤).

٤ ابن فارس، مقاييس اللغة (ص٢٥٢)

٥ ابن منظور، لسان العرب (٥١/٤)

٦ الرصافي، محمود بن عبد الرحيم صافي (ت ١٣٧٦هـ)، ١٤١٨ هـ الجدول في إعراب القرآن الكريم، ط٤، دمشق دار الرشيد، – بيروت مؤسسة الإيمان.

المقام."[١]ومعناها استمرار هذه القرى الهالكة غارقة في هلاكها، إلى وقت اقتراب الساعة وخروج يأجوج ومأجوج من كل مكان مرتفع من الجبال والهضاب، يسارعون إلى الفساد الذي عرفوا به، والآية واضحة الدلالة على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات الساعة، ويدعم هذا القول الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج يأجوج ومأجوج آخر الزمان."[٢]

العلاقة بين الانفرادة "حدب" والوحدة الموضوعية للسورة.

هذا آخر عذاب يدفعه الله على الغافلين منهم، تكون بالدعاء من المؤمنين لله عزّ وجل بالنجاة من هذا الهلاك المريب، والعلاقة بين المفردة والوحدة الموضوعية للسورة، تظهر بإبراز خطر وهول العذاب الذي ينذر الأنبياء والرسل بوقوعه، ورغم وضوح الذكر الذي بعث به النبي – صلى الله عليه وسلم – وتبليغه للناس، فهناك من سينكر ويكذب حتى يحيط به العذاب من كل جانب، وعندها يصور القرآن حالهم " ﴿هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الأنبياء: (٩٧)،.. ويدل التعبير بكلمة { شاخصة } على ملامح المشهد وخطورة ما غفلوا عنه، " ثم يميل السياق عن حكاية حالهم إلى إبرازهم يتكلمون،

إنّ المحور الرئيسي للقصة يدور حول الإيمان بالرسل وحاجة الناس لهم، ورحمة الله بهم أن أرسل لهم بشرا منذرين، يحذرون الناس الساعة، ثم دلهم أنّ سبيل النجاة في الآخرة لا تكون إلا باتباع الرسول –صلى الله عليه وسلم – وما جاء به من الذكر المبارك المنزل من رب العالمين.

---

١ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢٦٥)

٢ في صحيح مسلم في حديث ذكر الدجال وصفته، رقم الحديث (٧٥٦٠) (٨/ ١٩٧)".....وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ.

المبحث الثاني

الانفرادات اللفظية في سورة الحج وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

توطئة " تقديم السورة

سورة الحج من السور التي اختلف في مكيتها ومدنيتها،[١] بسبب صحة الروايات عن نزول الآيتين، ﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴾ الحج(١٩)، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴾ الحج(٧٧) [٢]، في المدينة، والراجح أنها مكية.[٣]

جاءت سورة الحج في الجزء السابع عشر من القرآن الكريم، بعد سورة الأنبياء وقبل سورة المؤمنون برقم اثنين وعشرين رابعة النصف الثاني من القرآن بعد مريم وطه والأنبياء[٤]، "عد آياتها أهل الكوفة ثمانا وسبعين آية، وأهل المدينة ومكة سبعا وسبعين آية، وأهل الشام أربعا وأربعين آية، وعدها أهل البصرة خمسا وسبعين آية[٥]."

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

تنوعت مواضيع السورة ومقاصدها، بين إثبات عقيدة وتزكية نفس وتهذيبها، فقال عنها سيّد قطب: "يغلب على السورة موضوعات السور المكية، القائمة على الدعوة لتوحيد الله، وإثبات البعث وتحذير الناس من يوم القيامة، وإنكار الشرك٦."

المقصد الأهم الذي اهتمت به السورة ودارت حوله المقاصد الأخرى، والذي برز كوحدة موضوعية للسورة، **هو الإيمان باليوم الآخر، وتقرير أحقيّة البعث، وتأكيد قدومه مصحوبا بأهوال وأحداث؛ لا نجاة للناس منها إلا من استسلم لأمر الله وخضع لله متقيا إياه، وأقامت الآيات الحجج والبراهين العقلية على حقيقة هذا البعث، وبينت أصناف الناس في إنكاره**

---

١ – ينظر السيوطي (ت ٩١١هـ)جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ج٤/ص١٥٤)

٢ – جاء في صحيح البخاري باب قتل أبي جهل، عن أبي ذر الغفاري أن آية " هذان خصمان.." نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في معركة بدر ، ينظر صحيح البخاري حديث رقم (٣٩٦٥) ، وينظر صحيح مسلم باب قوله تعالى "هذان خصمان، حديث رقم (٧٧٤٧)، ينظر عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، (٣٩٤/١–٣٩٥)

٣ ينظر ابن عطية، المحرر والوجيز (١٢٧/٤)

٤ وستظهر الباحثة في خصائص السورة علاقة السورة برابعة النصف الأول من القرآن(سورة النساء).

٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/١٨٣ص)

٦ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص٥٧٥)،وينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٧/ص١٨٤–١٨٥–١٨٦).

ودواعيهم لذلك، وكشفت مخاوفهم، والربط بين تعظيم الشعائر في زيادة الإيمان، ورفع راية الاستسلام لله،" ذلك أن الحج يتضمن مناسك تقوم على الاستسلام والخضوع، وحسن الاتباع، وفيه تجرد من زينة الدنيا وملاهيها، لتشبه رحلة الناس في البعث.[١]

وتتجلى الوحدة الموضوعية للسورة الآنف ذكرها وتتأكد من خلال تتبع تشكلها في نسيج متكامل مترابط داخلي وخارجي للسورة.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين موضوعات السورة ومقاطعها.

المقصد الذي يجمع مواضيع السورة المختلفة هو الإيمان باليوم الآخر، وتقرير أحقيّة البعث، وأنّ الاستسلام لله هو النجاة من أهوال وزلزلة ذلك اليوم العظيم، وقد خلصت الباحثة بعد الاطلاع على تقسيمات عدد من الباحثين [٢]؛ إلى أنها تنقسم لخمسة مقاطع أساسية، وفي المقطع الثاني والرابع تقسيمات فرعية ناسبت موضوع المقطع، وبينت التناسب بين تلك المقاطع، ودورها في التأكيد على الوحدة الموضوعية للسورة.

مقدمة السورة الآيات (١-٢)" زلزلة الساعة ": بدأت سورة الحج بنداء رباني يخاطب الناس كافة، ويحذرهم يوم القيامة، وكانت مقدمة سورة الحج تؤكد قضية البعث وتقواه،.[٣] ثم جاءت المقاطع التالية لمقدمة السور تستعرض سننًا كونية لله في الأرض، وتبين أسباب كفر الناس بالبعث.

الآيات في المقطع الثاني (٣-١٦): بينت أصناف منكري البعث من الناس وبواعثهم على ذلك"

---

١ ينظر السايس، محمد علي، ٢٠٠١م، تفسير آيات الأحكام، تح:- طه عبد الرءوف، المكتبة الأزهرية للتراث، (ج٣/ص٦٨)

٢ قسمها سيد قطب- رحمه الله- إلى أربعة أشواط ومقاطع، ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٥/٥٧٧-٥٧٨)، وقسمها د.سعيد حوى في الأساس إلى اربعة مقاطع، ينظر الأساس في التفسير، (٧/٣٥١٧-٣٦٠٦)

٣ قال الجرجاني في تعريف التقوى:"وهو الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته، وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك"ينظر الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (١٤٠٥ه)، التعريفات، تح:-إبراهيم الأبياري، ط١، بيروت دار الكتاب العربي، ص٩٠، وأضاف الجرجاني فيٌ أقوال للبعض في التقوى فقال:"التقوى في الطاعة يراد بها الإخلاص وفي المعصية يراد به الترك والحذر، وقيل أن يتقي العبد ما سوى الله تعالى إلى وقيل المحافظة على آداب الشريعة وقيل مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وقيل ترك حظوظ النفس ومباينة النهى وقيل ألا ترى في نفسك شيئا سوى الله وقيل آلا ترى نفسك خيرا من أحد وقيل ترك ما دون الله...الذي أتقى متابعة الهوى وقيل الاهتداء بالنبي عليه السلام قولا وفعلا."

وهم كما رتبتهم السورة؛ الصنف الأول: المتبعون لغيرهم المجادلون بالله من غير علم تبعا للشياطين[١]، هذه الآية الكريمة والآيات التي بعدها، تدل على أنّ جدال الكفار في إنكارهم البعث، زاعمين أنه جل وعلا لا يقدر أن يحيي العظام الرميم[٢]"، فجادلتهم الآيات بدليل واضح وبرهان قاطع، وهو بداء خلقهم[٣]، وباعثهم الحقيقي على الإنكارهو اتباع شبهات المفسدين، لضعف في نفوسهم، وفساد في سلوكهم.[٤] الصنف الثاني: المتَبَعون، وهم المجادلون في الله بغير علم تبعا للهوى[٥]، هذا الصنف مختلف عن الأول، فذاك يتبع غيره، وهذا هو المتبوع المُقلّد، هذا هو الشيطان المريد نفسه؛ من الإنس والجن الداعي الناس إلى الضلال[٦]. ثم الصنف الثالث[٧]: الثالث[٧]: المتذبذب بين أهل الحق والباطل؛ العابد الله على حرف[٨]..

وجاءت آيات المقطع الثالث(١٧-٢٤): في قضاء الله بين الناس في اليوم الآخر، ويتحدث عن القضاء في محكمة الآخرة، وهذه المحكمة هي الغاية من البعث، وهي الفاصل بين الملل والنحل، وفي الآيات دلالة على بقاء الاختلاف على الله بين الناس حتى قيام الساعة، وتصور الآيات مشاهد العذاب؛ للظالمين من المتخاصمَين، جزاء وفاقا، وتبشر المؤمنين العاملين لذلك اليوم بالفوز العظيم[٩].

---

١ ينظر الآيات (٣-٧)من سورة الأنبياء، وسبب تقدم هذا الصنف على غيره أنه سبب انحراف أكثر الناس، وهو دليل الجهل، وغياب العقول عن التدبر والتفكر، فوصفتهم الآيات بتتبع شبهات الفُساق، ومجادلة الناس بها، فهم يجادلون في قدرة الله وفي حسابه، وغيرها من أباطيل الشياطين.

٢ الشنقيطي، أضواء البيان، (٤/ ٢٦٤)

٣ ينظرابن عجيبة، البحر المديد، (٥٨٨/٤)

٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(١٩٦/١٧)

٥ ينظر الآيات (٧-١٠)، فهو منكر للبعث لأن الحساب والعقاب بعده يتعارض مع أفعاله الظالمة، ولا يدعم طرقه المنحرفة في تضليل الناس واستعباد عقولهم، بينما البعث والحساب رادع للناس، يوجب التفكر في العاقبة، ويمنع النفس عن الفساد خشية العقاب

٦ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٨٠/٢)

٧ ينظر الآيات (١٠-١٦)

٨ هذا الصنف من الناس منكر للبعث في تصرفه المتذبذب بين الحق والباطل، فهو لم يؤمن حقيقة بالبعث، فلو أنّه وطن قلبه على عقيدة الإيمان باليوم الآخر والحساب؛ لكان أمر الله هو الفاصل في تصرفاته، ولكنه جعل منفعته الظاهرة هي الميزان الذي يقيس عليه رضاه عن الله، فهو شاك بقدرة الله على نصرة الحق على ظلام الباطل المحيط به، متقلب الأحوال والأقوال، يعبد على شرط منفعته وهواه." ينظر القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تقديم: هاني الحاج، حققه وأخرج أحاديثه:عماد زكي و خيري سعيد، طباعة مصر المكتبة الوقفية،(ج١٢/ص١٧-١٩)

٩ ينظر السعدي،عبد الرحمن بن ناصر، تفسير السعدي، خرج أحاديثه: السيد بن أحمد أبو يوسف، مصر، مكتبة الإيمان. ص٥٦٦.

وآيات المقطع الرابع(٢٥-٧٢)؛ فيها آثار التصديق باليوم الآخر والرهبة من يوم القيامة،وهي: تعظيم شعائر الله[١]؛ واليقين بنصر الله[٢]؛ الاعتبار بهلاك الأمم الغابرة[٣]، تصديق الرسول- صلى الله عليه وسلم- وما أنزل عليه، الإعراض عن الشبهات٤، الهجرة في سبيل الله٥،والعفو عند المقدرة، التفكر في آيات الله في الكون٦، الدعوة إلى لله والعمل بشريعته٧. بشريعته٧. تعظيم الله في النفس٨، وأخيرا العمل ليوم الحساب.

وختمت الآيات ببيان طريق النجاة، وهو الاعتصام بما أنزل الله[٩]؛ وفيها نداء رباني للمؤمنين من الناس بتكاليف بدأت بركوع وسجود- وهما أهم أركان الصلاة- ثم أمرهم الله بالعبادة عموما، وفي تخصيص الصلاة بيان لعظم أثرها في ربط العبد بربه، فكل عبادة أخلصت لله، كانت طريقا للفلاح"[١٠]، ثم أتبعت الآيات بحثٍّ الناس على الجهاد في سبيل الله[١١]. "

وقد تناسبت مقدمة السورة مع خاتمتها فبدأت السورة بمطلع مزلزل ينادي الله الناس فيه، وينذرهمالخسران[١٢]، وتنتهي السورة بخاتمة فيها تعبئة النفوس وتهيئتها لهذا التكليف العظيم الذي اجتباها الله للمؤمنين[١٣]؛ وخصهم بأكمل دين؛ الذي يتبع الفطرة المتكاملة مع طاقة الإنسان وقدرته.[١٤]

العلاقة الثانية بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

إنّ الارتباط بين اسم السورة وموضوعها يبدو في ذكر تفصيلات في الحج ومناسكه، حيث لم تشاركها فيه سورة أخرى، ومن أسباب تسمية السورة بالحج أيضا؛ تخليدا لدعوة الخليل

---

١ ينظر الآيات (٢٥-٣٧) من سورة الحج
٢ ينظر الآيات من (٣٨-٤١)
٣ ينظر الآيات (٤٢-٤٨)من سورة الحج.
٤ ينظر الآيات (٤٩-٥٧)من سورة الحج
٥ ينظر الآيات (٥٨-٦٠) من سور الحج.
٦ ينظر الآيات (٦١-٦٦) سورة الحج
٧ ينظر الآيات(٦٧-٧٢) سورة الحج.
٨ ينظر الآيات (٧٢-٧٦) من سورة الحج
٩ ينظر الآيات (٧٧-٨٧)
١٠ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٧/ص٦٣١)
١١ رحج الإمام الطبري أن المقصود هو الجهاد في سبيل؛ لأن الجهاد إذا أطلق قصد به الجهاد في سبيله بالمال، والنفس، ينظر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (ج١٨/ص٦٩١)
١٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج١٧/ص٥٧٥)
١٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن (ج١٧/ص٦٣١-٦٣٢)
١٤ والخاتمة بينت أنّ دين الإسلام هو المقوم للانحرافات التي أحدثوها بعد -إبراهيم عليه السلام- ومن تبعه من الرسل، فضبط الإسلام بنيان الدين، وجعله السبيل للنجاة من زلزلة الساعة، بتوجيه الخطاب إلى الأمة المؤمنة لتنهض بتكاليفها؛ وهي تكاليف الوصاية على البشرية، مستعدة لها بالركوع والسجود، وفيهما دلالة الخضوع والاستسلام لله، وبذل الوسع في المحافظة على المنحة الربانية العظيمة أنّ جعلهم مسلمين على ملة إبراهيم عليه السلام، واتباعهم هذه الملة هو الاعتصام بالله، وهو دليل تعلق القلب بالآخرة." ينظر المرجع السابق،(ج١٧/ص٦٣١)

إبراهيم عليه السلام؛ حين انتهى من بناء البيت العتيق، ونادى الناس لحج بيت الله الحرام، فتواضعت الجبال حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض، وسمع نداءه من في الأصلاب والأرحام، فجاؤوا يلبون النداء، " لبيك اللهم لبيك. [١]"

وقد ارتبطت السورة في بنائها الخارجي مع سورتي "الأنبياء"[٢] و "المؤمنون" بعلاقة المجاورة.

العلاقة الثالثة بين سورة"الحج" وسورة"المؤمنون[٣]":

تشابهت السورتان بعدة نقاط منها، سورة الحج بدأت بترهيب الناس من زلزلة الساعة، وبينت أنّ اتقاء الله هو سبيل النجاة؛ ولازم التقوى عبادة الله وحده كما أراد وتفصيل هذه العبادة وثمارها جاء في سورة "المؤمنون"، تحدثت سورة الحج عن أصناف المجادلين بالله من غير علم، فبينت في سورة "المؤمنون" عمدة جدالهم، وهو اعتراضهم على بشرية الرسل، وأثبتت آيات سورة الحج البعث بإثبات أصل بداية الخلق، ببيان أطوار الخلق حتى الموت، وبيان قدرة الله تعالى، وأنّ كمال الخلق يكون بانبعاث الناس وحسابهم[٤]، بينما في سورة "المؤمنون" جاء الحديث عن براعة الخلق وكمال الرعاية في النشأة الأولى، والاستدلال بذلك على صدق ما أعد للمؤمنين في الجنة من فخامة وكمال وبديع صنع[٥]، كما جاء في السورة بيانا لعدد من السنن، منها سُنة سنها كثير من الناس في تكذيب رسلهم، وتبعها سنة الله في إهلاكهم[٦]، بينما سردت سورة "المؤمنون" بإيجاز بليغ شبهات الكافرين، وبينت تشابه حججهم وأقوالهم ومصائرهم في الدنيا والآخرة، وذكر في سورة الحج أنّ القاضي بين طوائف الناس يوم القيامة هو الله، وذكر في الآيات الأولى من سورة "المؤمنون" الطائفة الفائزة في الحكم، الوارثة للفردوس[٧]. ثم انتهت سورة الحج بنداء من الله للمؤمنين حثهم فيه على الصلاة، والزكاة، والاعتصام بالله، وبدأت سورة "المؤمنون" بما يثمر هذا الاعتصام[٨]، وأثير سؤالا في سورة الحج أجيب عنه مجملا في خاتمة السورة، جاء جوابه مفصلا في سورة "المؤمنون"، وهو: كيف النجاة من زلزلة الساعة؟؟

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/١٧٩ص)
٢ درست الباحثة العلاقة بين سورة الانبياء وسورة الحج في المبحث السابق.
٣ من السور المكية، ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (٦/٢٨٥).
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٥/٥٨٣)
٥ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (٦/٢٨٨)
٦ ينظر السعدي،(٥٤٠)
٧ ينظر آيات سورة "المؤمنون"، (٩٣-١١٥)
٨ ينظر البقاعي، (٥/١٨٢)

الجواب في سورة الحج "**وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**"[١]. الجواب في سورة "المؤمنون" كان بتفصيل أعمال الخير التي بها يتحصل الفلاح[٢].

ثانيا: خصائص سورة الحج مضمونا و أسلوبا

امتازت سورة الحج بمجموعة خصائص في المضمون والأسلوب؛ وهي:

القسم الأول: خصائص سورة" الحج" مضمونا.

١- انفردت السورة بتصنيف المشككين بالبعث والحساب، ووصفهم ووصف أدلتهم، فكان أولهم وأكثرهم هم المجادلون المقلدون تبعا الشياطين، وثانيهم المجادلون تكبرا وتبعا للهوى، وثالثهم هو المتذبذب في دينه، المنكر للحق رغم وضوحه من غير دليل، والصنف الأخيرهو المصدق بالبعث وهم أهل الاستقامة من الرسل ومن تبعهم[٣].

٢- اختصت السورة بوجود سجدتين في الآيتين (١٨-٧٧)، وهذا تناسب مع وحدة السورة في بيان أثر اليقين باليوم الآخر في خضوع النفس، في حديث عقبة بن عامر "عقبة بن عامر قال قلت: يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدتين؟ قال: نعم فمن لم يسجدهما فلا يقرأهما[٤].

٣- ولما كان موضوع السورة إثبات البعث، بينت السورة بتفصيل لم تورده في سورة أخرى بدء خلق الإنسان[٥]؛ فامتازت ليس فقط ببيان أنواع المضغة المكونة في الأرحام، مخلقة وغير مخلقة[٦]، إنما جاء ترتيب الأطوار بدقة متناهية، يوافق ما دل عليه العلم الحديث، وتمتاز عن غيرها من الآيات بذكر الأطوار منذ الخلقة الأولى (التراب) إلى تطور مراحل الحياة بعد الخروج من الأرحام.

---

١ سورة الحج، (٧٧)

٢ الزحيلي، وهبة مصطفى، ١٤١٨ هـ، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ط٢ دمشق، دار الفكر المعاصر، (ج١٨/ص٦)

٣ - ينظر الآيات (٥-٨-١١-٧٥)

٤ أخرجه أبو داود "٢/ ١٢٠-١٢١": كتاب الصلاة: باب كم سجدة في القرآن، الحديث "١٤٠٢"، والترمذي "٢/ ٤٦": كتاب السفر: باب السجدة في الحج، الحديث "٥٧٥"، والدارقطني "١/٤٠٨": كتاب الصلاة: باب سجود القرآن، الحديث "٩"، والحاكم "١/٢٢١": كتاب الصلاة: باب فضلت سورة الحج بسجدتين، والبيهقي "٢/٣١٧": كتاب الصلاة: باب سجدتي سورة الحج، وأحمد "٤/١٥١"، من حديث عقبة بن عامر. " ويرى ابن كثير -رحمه الله - بعد عرض روايات الحديث رغم ضعفها فإن مجموعها يشد بعضه البعض فيقويها" ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢١٢-٢١٣)

٥- ينظر سور الحج آية رقم (٥).

٦ - قال ابن منظور في لسان العرب "المُخلّق أي تام الخلق " ينظر (ج١٠/ص٨٥).

٤- امتازت السورة بذكر بشارة للمخبتين؛ وأصل الإخبات التواضع والسكون[١]؛ وهو لا يكون إلا لمن علم يقينا عظيم مقدرة الله، وتاكد من لقائه،"وصفات المخبتين في السورة هي: وجل القلوب عند ذكر الله، والصّبر وإقامة الصلاة، والإنفاق. وكلّ هذه الصفات الأربعة مظاهر للتواضع فليس المقصود مَن جمع تلك الصفات لأن بعض المؤمنين لا يجد ما ينفق منه وإنما المقصود مَن لم يُخِل بواحدة منها عند إمكانها، والمراد من الإنفاق؛ الإنفاق على المحتاجين الضعفاء من المؤمنين لأنّ ذلك هو دأب المخبتين[٢]."

القسم الثاني:الخصائص الأسلوبية للسورة

١- امتازت السورة بمطلع فيه نداء رباني للناس كافة، رغم تشابه المطلع مع سورة النساء إلا أنّ الآيات في المطلعين ختمت بفاصلة مختلفة ناسبت محوري السورتين، قال الزركشي في التشابه بين مطالع السورتين: إن السورة الأولى- يقصد سورة النساء- تشتمل على شرح المبدأ – ويقصد بذلك بداية الخلق- إذ علل الأمر بالتقوى على أنّه حق لله الخالق على عباده المخلوقين- والثانية- يقصد سورة الحج- تشتمل على شرح المعاد- ويقصد اليوم الآخر؛ إذ علل الأمر بالتقوى هنا أنه الوسيلة المنجية من زلزلة الساعة وأهوال القيامة، يوم البعث الذي ما يعد خلق الخلق دونه عبث لا غاية منه- فتأمل هذا الترتيب ما أوقعه في البلاغة."[٣]

وكثر ذكر الناس في السورتين؛ حيث ذكر سبع عشرة مرة في سورة النساء، وخمس عشرة مرة في سورة الحج، وانتهت كلتا السورتين بخاتمة محكمة تناسبت مع مضمون المطلع حيث حثتا على ما يتحصل النجاة به؛ ففي أواخر سورة النساء ظهر فضل التمسك بما أنزل الله والاعتصام به"[٤]، وفي سورة الحج جاءت بوصايا للمؤمنين لمن أراد النجاة، وحثهم على الاعتصام بالله.

٢- امتازت السورة بخاتمة فيها أثر الإيمان باليوم الآخر في تقويم الحياة الناهضة بالفرد والأمة، بدء بالمحافظة على الصلاة، وهي أهم مقومات الاستقامة، ثم نقل عملية الإصلاح من الفرد إلى غيره في المجتمع، ثم أعده للجهاد في حياته كلها، والفلاح لا يكون دون جهد ومدافعة وابتلاء؛ و الثناء الدائم على الله، ثم الزكاة؛ عبادة تؤلف قلوب الناس وتربط أفراد الأمة ببعضهم،

---

١ ينظر ابن فارس، معجم المقاييس ص٣٣٩.
٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج٩/ ص٣٤٩)
٣ الزركشي،البرهان في علوم القرآن، (٢/ ٢٢٧)
٤ ينظر سورة النساء الآيات، (١٧٤، ١٧٥)

ثم جاء الإرشاد الأخير الذي منه تؤتى الأمة وهو ترك الاعتصام بالله، والتفرق. فذاك هو القاصم لوحدتهم، المانع لنصرهم في الدنيا والآخرة."[١]

٣- ولما كان أكثر الناس يكفرون بلقاء الله، كثر فيها إيراد لفظ "الناس" فيها في كثير من المواضع، حيث ورد اللفظ فيه أكثر من خمس عشرة مرة[٢]، وجاء النداء للناس فيها في أربعة مواضع[٣].

٤- ومن مميزات السور أيضا فاصلتها القرآنية الجامعة لعدد من أسماء الله الحسنى؛ "القدير – الشهيد – الحميد – القوي – العزيز – العليم – الحكيم – خير الرازقين – الحليم – العفو – الغفور – السميع – البصير – العلي – الكبير – اللطيف – الخبير – الغني – الرؤوف – الرحيم – المولى – النصير "،وهي من أسماء الله التي ترتبط بمقاصد السورة؛ فهي السورة المذكرة المؤكدة على البعث، فجاءت الفاصلة بأسماء تصف الله -عزّ وجلّ- بما يزيد العقيدة ثباتا في النفوس، فكل اسم منها مرتبط بحياة الإنسان منذ خلقه من تراب حتى يلج مقره الأخير يوم القيامة.[٤]

وفي السورة عدد من انفرادات المباني بين أفعال واسماء، فتميزت السورة بعدد من الأفعال وهي، " نُقِرّ- ليقضوا- ينازغنك- فينسخ- - يُهن-تقع- فتتخطفه-ليدخلنهم- يذكروا- يذهبن-نذيقه-يرضونه- يصطفي-يصهر-ليطوفوا[٥]"، انقلب- تمنّى- نهوا-وهُدوا-أُمروا- بُغي- اجتباكم- جادلوك- اجتمعوا- اختصموا- سخرناها- أصابته-ضعف- اطمأن[٦]".و" " أذن- أطعموا[٧]"، ومن الأسماء "القائمين- مكرم- بإلحاد- لحومها- مريد- أمنيته- ناسكوه- منسكا- نفعه-منافع- الأوثان- يداك- البائس-الباد- بيع- حرف- حملها- خوّان-دماؤها-الذباب٠ ذبابا-مرضعة- صوّاف-ضره[٨]." وامتازت السورة بعدد من التراكيب: "ضعف الطالب والمطلوب"، " أطعموا البائس" "تذهل كل مرضعة"، " وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ"،"لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ "، " وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ"[٩].

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٥/٦٣٠-٦٣٣)

٢- الآيات التي وردت فيها اللفظ "(١-٢-٣-٥-٨-١١-١٨-٢٥-٢٧-٤٠-٤٩-٦٥-٧٣-٧٥-٧٨)

٣- الآيات التي جاء النداء "يا أيها الناس.." هي(١-٥-٤٩-٧٣)

٤ ينظر: د. النصيرات، جهاد،(٢٠٠٩ م) أسماء الله الحسنى في فواصل سورة الحج (بحث محكّم) مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عدد (٢) مجلد (٢)

٥ سورة الحج الآيات"٥-٢٩-٥٢-٦٧-٤٠-١٨-٦٥-٣١-٥٩-(٢٨-٢٤)-١٥-٩-٥٩-٧٥-٥٤-٢٩"،

٦ سورة الحج الآيات"١١-٥٢-٤١-٢٤- ٤١-٦٠-٧٨-٦٨-٧٣-١٩-٣٦- ١١- ٧٣- ١٣"

٧ سورة الحج الآيات" ٢٧-(٢٨-٣٦).

٨ سورة الحج الايات" ٢٦-١٨-٢٥-٣٧-٣-٥٢-٦٧-(٣٤-٦٧)-١٣-٣٠-١٠-٢٨-٢٥-٤٠-١١-٢-٣٨-٣٧-٣-٧٣-٢-٣٦-١٣-(٤٥-٤٨).

٩ ينظر الآيات من سورة الحج"٧٣-٢٨-٢-١٨-٢٩)

٥- السورة غنية بوفرة أسلوب الاستفهام التقريري[١]، وهو من "أساليب نظم الكلام في القرآن في تحقيق الأمر المقرربه عن طريق الكناية؛ لأنّ الاستفهام طلب الفهم، والتقرير يقتضي حصول العلم بما تقرر به [٢]." وبكثرة الأمثلة والتشبيهات والاستعارات، بما يخدم مقاصد السورة، السورة، ويراعي جوها العام القائم على تقرير البعث والحساب، كمشهد البعث المزلزل في الآيات

(١-٢). ومشهد الإنسان المذبذب العابد على حرف في الآيات(الآية١١)، ومشهد اليأس من نصر الله لرسوله (الآية١٥)،ومشهد العذاب(الآية ١٩-٢٢) ومشهد من يشرك بالله(الآية ٣١)،ومشهد القرى المدمرة بظلمها (الآيات٤٥-٤٨) وضرب المثل بالذباب.(الآية٧٣)."[٣]، حيث ارتبطت هذه التشبيهات بمقاصد السورة وناسبت موضوعاتها، ووضحت المقصود بأبلغ الصور وأنفعها للنفس.

٦- انفردت السورة بعدد من الألفاظ وهي" تذهل- هامدة- عطفه- المجوس- مقامع- ضامر- عميق- تفثهم-العتيق- وجبت- هدمت- صوامع- بئر- يسطون- يسلبهم." وهي موضوع البحث في المطلب القادم.

المطلب الثاني: دلالات الانفرادات اللفظية، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

من مميزات السورة انفرادها بعدد من الألفاظ، ووظيفة هذا المطلب الكشف عن دلالاتها، والرابط بينها وبين الوحدة الموضوعية للسورة.

الانفرادة الأولى (تذهل) في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ ﴾

سورة الحج: (٢).

جاءت في مطلع السورة في سياق تمثيل حال الناس من هول معاينة يوم القيامة.

أولا: دلالة مادة "ذهل" في اللغة

أصل الذهل" الشغل عن شيء بشيء" يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي-(ت١٧٥ه)- في كتابه " والذَّهْلُ: تَرْكُكَ الشَّيء تَناساه على عَمْد أو يشغَلُك عنه شاغل، الذُّهول: الفَرَسُ الدَّقيق الجواد."[٤]، وذلك لانشغال العين عنه. ويقول ابن فارس-(ت٣٩٥ه): الذال والهاء واللام أصلٌ واحد يدلُّ على شغْلٍ عن شيءٍ بذُعْرٍ أو غيره. ذَهِلْتُ عن الشّيء أذْهَل، إذا نسيتَه أو شُغِلْت.

---

١ - ينظر الآيات (١٨-٦٣-٦٥-٧٠)

٢ - ابن عاشور، التحرير والتنوير، (٢٩ج/ص٣٧١).

٣ نصيرات، اسماء الله الحسنى في فواصل سورة الحج، (ص٧)

٤ ينظر الفراهيدي، العين،(٣٩/٤).

وأذْهَلَنِي عنه كذا. هذا هو الأصل. وحُكي جاء بَعْدَ دُهْلٍ من الليل وذهْل، كما تقول: مرَّ هُدْءٌ من اللّيل. ويجوز أن يكون ذلك لإظلامه وأنّه يُذْهَل فيه عن الأشياء."[١]، وقال الراغب الأصفهاني–(ت٥٠٢ه): الذهول شغلٌ يُورثُ حُزنا ونسيانا.."[٢]

وقال ابن منظور–(ت٧١١ه): "الدَّهل تركك الشيء، تناساه عن عمد أو شغلك عنه شغلٌ، تقول ذهلت عنه أو أذهلني كذا عنه.....وقيل الدّهل السّلوُّ وطيب النفس عن الإلف، ومرّ ذهل من الليل أي قطعة منه،وقيل ساعة من الليل...وجاء بعد ذهل من الليل أي هدء، والذهول من الخيل:الجواد الدقيق. " [٣]

دلالة اللفظ تحمل معنى الترك، إما عمدا أو غفلة، أو نسيانا؛ لشغلٍ أذهب الذهن عن تذكره، وناسب السياق الآيات لأنه يحمل دلالة فعل وخاطر نفس، فدقة اللفظ توحي أنّ الذهل حالة تصيب الناس فيتركون أهم شاغل لهم، وينصرفون عنه، والمعنى يدل على احتمال الترك للشيء عمدا أو غفلة لسبب جلل أشغل الذهن عنه، ومن هنا تأتي دلالة ذهل من الليل أي عتمة لا يميز فيها السالك فجج الطريق أو عقباتها فيذهل فيها عن مقصده، والخيل الدقيق الذي لا يظهر بين الخيول لدقته فيذهل عنه.

ثانيا: دلالة صيغة " تذهل" في السياق:

جاءت المفردة بصيغة المضارعة، والفعل المضارع دلالته زمانية في أكثر الأحيان، ولكن بعض النحاة جعلوا صيغة (أفعل) أو (تفعل) ليست قائمة بالزمن لمشابهتها أسماء الفاعلين.[٤]"

دلالة المضارع تتمدد بقرائن جاءت معه، وفي حالة الفعل" تذهل" يظهر دلالة الظرف لارتباطه بظرف الزمان (يومَ)، وفيه دلالة الحال والاستقبال. فيومَ يرونها حالهم (الذهول)، وهي مستمرة باستمرار الظرف الذي جاءت معه."[١]..

---

١ وينظر ابن فارس، المقاييس،(٣٩٠).
٢ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (١٣٧).
٣ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (٥٠/٦).
٤- وذلك لدخول سين وسوف عليها، ولاعتبارات أخرى، وهي عندهم تشبه الاسم النكرة الذي كان مدلوله عاماً، فتخصص بدخول (ال) التعريف عليه، ثم في اجتماع الفعل المضارع، واسم الفاعل في المعنى، وفي جريان المضارع في حركاته وسكناته مجرى اسم الفاعل، ووقوعه صفة كاسم الفاعل. فنقول:مررت برجل يبكي، كما نقول مررت برجل باكٍ، ومن أجل ذلك كان المضارع معرباً، لأن الاسم معرب بالأصالة والمضارع فرع عليه. وعند الكوفيين هو معرب بألاصالة لا المشابهة "..ينظر الصبان،محمد بن علي، حاشية الصبان، ترتيب مصطفى حسين أحمد، دار الفكر،(ج١/ص٦٤).
وتدل حروف المضارعة (أنيت) على صاحب الحدث.وكل واحد فيها يحدد الفاعل متكلماً أو مخاطباً أو غائباً،ودلالتها على الشخص الفاعل أوضح من دلالتها على اسم الفاعل، وذهب كثيرٌ من النحاة أن الفعل المضارع يفيد الزمن الحالي إذا خلا من القرآئن. (ينظر ابن الحاجب، عثمان، أبي عمرو، شرح الوافية في نظم الكافية،تح:موسى العليلي، مطبعة دار الآداب في النجف، ط١، (١٤٠٠ ه –١٩٨٠م) (ص٣٩٩)، بدري، كمال إبراهيم، الزمن في النحو، دار أمية للنشر، (ص١٥٠).

جاء اللفظ ضمن التركيب متأخراً عن الأصل؛ وأصل نظمه (عما أرضعت يوم يرون زلزلة الساعة..) "[٢]وقدم (الظرف) يوم ترونها على عامله للاهتمام بالتوقيت بذلك اليوم وتوقع رؤيته لكل مخاطب من الناس."

ودلّ الفعل المضارع في (تذهل كل مرضعة) على زمن مستقبل، والإخبار عن شيء لم يحصل بعد كما ظهر في دلالته الصرفية، وفاعلها لفظ "كل" ليدل على شمول الحكم على المضاف إليه "المرضعة " وجاءت صيغة "مرضعة" لتدل على "حال الإرضاع وهي ملقمة الصبي ثديها، والمرضع شأنها أن ترضع وإن لم تباشر الإرضاع، في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل على أن ذلك الهول إذا فوجئت به هذه، وقد ألقمت الرضيع ثديها نزعته من فيه لما يلحقها من الدهشة، وقوله عَمَّا أَرْضَعَتْ أي عن إرضاعها أو عن الذي أرضعته.."[٣] وقرئت تَذهل في البناء للمعلوم، وفي البناء للمجهول؛ أي تذهلها الزلزلة، وفي تقديم الظرف على الفعل لبيان عظمة ذلك اليوم، وبيان هوله.حيث جاء التركيب يضع اللفظ في نظم فريد، صور للسامع مشهدا مزدحما لصور شاخصة؛ تنقل مقتطفات لحالات مخصوصة يستحيل عليها عادة أن تكون هكذا، فلا المرضعة يصدق نسيانها لرضيعها،ونزعها إياه عن حضنها، ولا كل حامل يمكن أن تجهض دون سبب، فبيّن التركيب زمان ذلك الحدث المزلزل المهول، وبين شدته على الناس، وبين حاجة الناس للاستعداد له والاتقاء منه."[٤].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة والوحدة الموضوعية للسورة

معنى الآية التي انفردت باللفظ؛يوم تشهدون قيام الساعة تنشغل الوالدةُ عن رضيعَها الذي ألقمته ثديها؛ من شدة الكرب، وتُسْقط الحامل حملها من الفزع، وتغيب عقول الناس، فهم سكارى من هول وفزع

المنظر، وليسوا بسكارى من الخمر، ولكن شدة العذاب أفقدتهم عقولهم وإدراكهم."[٥]

جاء اللفظ يحمل دلالة ترك شيء مهم لانشغالها بشيء أهم، وسُلوُّ النفس عما تألفه، وكانت دلالة مادته وصوته وبنائه الصرفي تشخص للسامع صورة حية من انعدام الإدراك للشيء، حتى يصل بالمرضعات أن تذهل عما أرضعت، وذلك من هول ما ترى، وعظم ما تشهد، ورعب أذهب الوعي السليم.

---

١ ينظر ابن الحاجب، شرح الوافية في نظم الكافية، (ص٣٩٩)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٨٨)
٣ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب ــ (ج٢٣/ص ٥).
٤ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ج٣/ص١٤٣)، والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (ج٤/ص١١٣)
٥ ينظر السعدي، تفسير السعدي، (ص٥٦٢)

اللفظ جاء في مشهد عنيف رهيب، فألقى بظلاله الشديدة والعنيفة على مشهد البعث الرهيب، واستجاش مشاعر التقوى واستسلام النفس، فالمشهد مزدحم بصور تشغل النفس، فتترك ما حوله لتتبع الخبر، وهذا الشغل حصل منذ تلاوة الآيات بتلك البداية المزلزلة، وهي تنذر من ضخامة الحدث الجلل، الذي ما أرسل المرسلون إلا لتأكيد قدومه، وتحذير الناس من اقترابه، وتوصيهم بالإعداد له[١].

الانفرادة الثانية "هامدة" في قوله تعالى " ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ (الحج: ٥). في سياق إثبات البعث، وضرب المثل بالأرض الميتة عندما تحيا بالماء وتنبت.

أولا: دلالة مادة "همد " في اللغة

الهمود أصله من "همد" وهو السكون التام، يقول الفراهيدي–(ت١٧٥ه) في كتابه العين: الهُمُودُ: الموتُ. كما هَمَدتْ. ثمُود، ورمادٌ هامِدٌ إذا تَغيَّر وتَلبَّد. وثمرةٌ هامدةٌ إذا اسودت وعفِنت. وأرضٌ هامدةٌ مُقشعرة لا نبات فيها إلا يبيس متحطم. والهامدُ من الشجر: اليابس ويقال للهامِد: هَمِيد. والإهْمادُ: السُّرعة. والإهْمادُ؛ الإقامة بالمكان٢."وقال النحاس:(ت ٣٣٨ه): "يقال همدت النار إذا طفئت وذهب لهبه، وأرض هامدة أي جافة عليها تراب."[٣] ويقول ابن فارس–(ت٣٩٥ه)– في معجمه: أصلٌ يدلُّ على خمودِ شيء. وهَمَدت النار: طَفِئَتْ البَتّة. وأرضٌ هامدة: لا نباتَ به. ونباتٌ هامد: يابس. والإهماد: الإقامة بالمكان. ومما شذَّ عن هذا الباب قول من قال: إنَّ الإهماد: السُّرعة في المَشْي."[٤]

قال ابن سيده–(ت٤٥٨ه)– في المحكم المحيط: أهْمَدَ: سكت على ما يكره، رماد هامِدٌ: قد تغير وتلبد....وهَمَدَ الثوب يَهمُدُ هَمْدا وهُمُودا: تقطع وبلى، وهو من طول الطي تنظر إليه فتحسبه صحيحا، فإذا مسسته تناثر من البلى، وقيل: الهامِدَ: البالي من كل شيء. والإهمادُ: السرعة، فهو من الأضداد٥...ومقلوبه: (د ه م) الدُّهْمَةُ: السواد، والأدهَمُ: الأسود، يكون في

---

١ ينظر قطب،في ظلال القرآن، (ج٥/ص٧٥)
٢ الفراهيدي، العين، (ج٤/ص٣١)
٣– النحاس، معاني القرآن، (ج٤/ص٣٣٠)
٤ ابن فارس المقاييس، (ص١٠٧٥)،
٥ ذكر اللفظ ابن الأنباري، محمد بن القاسم، في كتابه الأضداد(ص١٧٢)، تح:–محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا بيروت، فقال:– الإهماد حرف من الأضداد؛ يقال للسير والجِدّ فيه إهماد، ويقال لقطع السير والتواني عنه إهماد.."

الخيل والإبل وغيرهما،وادْهامَّ الزرع: علاه السواد. ١"وقال الراغب الأصفهاني-(ت٥٠٢ه) كقول من سبقه إلا أنّه قال تفسير معنى الإهماد السرعة في المشي: " فإن يكن ذلك صحيحا فهو كالإشكاء في كونه تارة لإزالة الشكوى، وتارة لإثبات الشكوى.٢" وقال الجواليقي -(ت٥٤٠ه)-: معللا تضاد المعنى للفظ الواحد-:" الإهماد السرعة، والإهماد الإقامة؛ لأنها حركة منك تظهرها مرة فتسرع، وتمسكها مرة فتقيم، ويجوز أن يكون الإهماد في لغة قوم الإقامة، وفي لغة قوم السرعة..٣"

أما قولهم إنّه من الأضداد، فذلك لحمله معنى الخمود والسكون مع معنى السرعة في الإهماد، وقال ابن منظور-(ت٧١١ه)- في لسان العرب في معنى الإهماد: الانْدِفاعُ في الطَّعَام؛ وقد أَهْمَدُوا فيه: انْدَفَعُوا.٤

ومن هنا يتبين لنا أنّ مادة الهمد فيها دلالة نهاية الشيء، وتغير حاله، فأصلها من همدت النار إذا صارت رمادا، و يظهر دلالة من قال أنّها تحمل معنى السرعة في اللفظ، فصيرورة النار إلى رماد فيه سرعة، وفيه دلالة تحول الشيء من مادة بخصائص بارزة إلى مادة مختلفة، فهي تدل أنّ هذه الأرض الهامدة لم تكن هكذا يابسة ميتة، إنّما كانت على خلاف ذلك.

ثانيا: دلالة الصيغة "هامدة " في السياق.

بعدما أقامت الآيات الدليل من نفس الإنسان، وتطور خلقه على صحة البعث، جاءت الآيات بالدليل الثاني المرئي المشاهد للجميع في أحياء الأرض الميتة.

جاء اللفظ بصيغة اسم الفاعل٥، ومن دلالته إظهار الصفة المؤقتة التي تتغير بتغير الظروف، فإنّ الأرض الميتة تبقى على حالها حتى يبعث الله عليها الماء فتهتز به وتحيا من جديد، وفيه دلالة البعث لكل ميت، فالهامد يبقى بحالة الخمود والسكون حتى يغير الله حاله إلى الحياة.

وجاء حالا من الجملة؛ ذكر لبيان الهيئة التي بدأت عليها الأرض قبل اهتزازها بالماء، فهي هامدة، وتقيد الرؤية بها، فحال الأرض عند الرؤية هامدة٦. ومجيء اللفظ اسما، للدلالة على

---

١ المحكم والمحيط الأعظم (ج٢/ ص١٨١)

٢ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٣٩٤)

٣ ينظرالجواليقي،(ت٥٤٠ه) أبي منصور موهوب بن أحمد، (١٣٥٠ه)، شرح أدب الكاتب، باب تسمية المتضادين، مكتبة القدسي، القاهرة، ص٢٥١-٢٥٢.

٤ ابن منظور لسان العرب،(ج١٥/ص٨٩)

٥ ينظر ابن هشام،عبد الله جمال الدين الأنصاري، ١٣٨٣ه، شرح قطر الندى، تح:- محمد محي الدين عبد الحميد، ط١، المكتبة العصرية، ص٢٧٠.

٦ ينظر المرصفي، حسين، ١٩٩١م، الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية، تح: د. عبد العزيز الدسوقي، الهيئة المصرية العامة للكتب، (ج١/ص٣١٣)

على ثبوت حالها في عين الرائي، فهي هامدة دلالة على استقرار السكون والخمود فيها، وتحول الخطاب من جموع الناس إلى خطاب المفرد "ترى" فيها دلالة رؤية المخاطب لهذه الحالة بعينه بينما لا يرى كل آثار تطور خلقه[١]، والخطاب فيه عام لكل سامع، وظهر هنا ارتقاء في الاستدلال على الإحياء بعد الموت بقياس التمثيل؛ لأنه استدلال بحالةٍ مشاهدَة؛ فلذلك افتتح بفعل الرؤية، بخلاف الاستدلال بخلق الإنسان، فإن مبدأه غيرُ مشاهَد فقيل في شأنه { فإنّا خلقناكم من تراب } الآية. ومحل الاستدلال من قوله تعالى: { فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت }، فهو مناسبُ قولِه في الاستدلال الأول { فإنا خلقناكم من تراب }، فهمود الأرض بمنزلة موت الإنسان واهتزازُها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت."[٢]

"ويظهر التعبير الدقيق للفظ (هَامِدَةً) يبين حقيقة التحول الذي يحصل في الأرض الجافة؛ حيث لا تتوقف فيها الحركة نهائياً، بل هنالك حركة لذرات التراب ولكنها هامدة ضعيفة جداً. فإذا ما نزل عليها الماء اختزنه التراب في داخله لفترة طويلة مما يؤمن الغذاء باستمرار لهذه النباتات.

والآية تحدثت بدقة علمية تامة عن مراحل الإنبات، فالرحلة تبدأ بإنزال الماء على هذه الأرض حيث يمتزج هذا الماء بذرات التراب، لتبدأ هذه الذرات بالاهتزاز المستمر؛ مما ينتج عنه زيادة في حجم التراب وتمدده. وبعد ذلك تبدأ الحبوب الموجودة في التراب بامتصاص هذا الماء وتبدأ بالتمدد أيضاً والنموّ وتبدأ عملية الإنبات، ومن عظمة القرآن أنّه لخَّص كل هذه المراحل بثلاث كلمات فقط: (اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ)"[٣]

بين خاشعة وهامدة: جاءت الآية في سورة فصلت تتشابه مع الآية المدروسة مختلفة بلفظ آخر ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤] "جاء اللفظ ليدل حقيقة على موت الأرض وخمودها، وانبعاث الحياة فيها بالماء، بينما لفظ خاشعة استعير لمعنى الهمود، فصورت الأرض في حال القحط بحال الخاشع المتذلل المتقاصر[٥]"

---

١ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج١٢/ص١٣)
٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير (٢٠٣/١٧)
٣ أودع الله تعالى خاصية التمدد واختزان الماء في جزيئات التراب، ولولا هذه الصفة لم تستمر الحياة أبداً، فقد اكتشف حديثا أن التراب يتميز بتخزينه كميات ضخمة من الماء يمكن أن تبقى لسنوات طويلة. ينظر كحيل، عبد الدائم، كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم،www.kahee٧١ com ، ص٣٨
٤ سورة فصلت آية ٣٩
٥ ينظر الزمخشري، الكشاف، (٢٠٦/٤)

ثالثا: العلاقة بين دلالة الانفرادة والوحدة الموضوعية للسورة:

للفظ دلالة على تمكين عقيدة البعث في قلب المؤمن؛ وحثه على العمل الصالح طمعا وخوفا، فدلالة المفردة تبين صفة ضعف وعجز، فالأرض ميتة لا حياة عليها، مرئية للخلق كلهم، بعث الله فيها الحياة بماء أنزله من السماء؛ فنفخ فيها الحياة من جديد، فبعدما ضرب المثل للإنسان بخلقه من تراب ثم تطور خلقه المعجز داخل الأرحام، ثم بيان ما قدر على تلك النطفة من عمر في هذه الدنيا بحول الله وقدرته، جاء بمثال آخر للبعث يبدأ من التراب أيضا، فإن أنكر الكافرون البعث لعجزهم تصور فكرة عودة العظام البالية؛ – التي ما هي إلا تراب– إلى الحياة، فإنّ مشهد الأرض القاحطة أمامهم –التي ما عليها إلا التراب– وهي تهتز، وتنبت من جديد، هي أقوى حجة عليهم يوم الحساب.

الانفرادة الثالثة "عِطفه" في قول تعالى ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ سورة الحج(٩)؛ في سياق تصوير حال المجادلين من أهل الباطل وتكبرهم عن الحق.

أولا: دلالة مادة " عطف" في اللغة

العطف أصله انثناء واعوجاج، يقول الفراهيدي–(ت١٧٥ه): عَطَفْتُ الشيءَ: أَمَلْتُه،وانعطف الشَّيء انعاج،وعَطَفْتُ عليه: انصرفت، وعَطَفْتُ رأسَ الخَشَبَةِ أي: لوَيْتُ،وقوله: (ثانيَ عِطْفِهِ) أي: لاوي عُنُقِهِ وهُنَّ عواطفُ؛ أي: ثواني الأعناق، وثَنَى فلانٌ على عِطْفِهِ إذا أعرضَ عنكَ وجفاك، وتَعْطِفُ على ذي رَحِمٍ في الصّلة والبرّ،...والعَطّافُ: الرّجل العطيف على غيره بفضلهِ الحسنُ الخُلُق..وعِطْفا الإنسان من لدنْ رأسِه إلى وَرِكِهِ....وعطفتُ الوسادةِ أيْ: ثنيتها وارتفقتها.[١]"

ويقول ابن فارس–(ت٣٩٥ه) في المقاييس: العين والطاء والفاء أصلٌ واحدٌ صحيح يدلُّ على انثناء وعِياج. يقال: عَطَفْتُ الشّيء، إذا أَمَلْتَه. وانعَطَف، إذا انعاج.[٢]"

وقال الأزهري–(ت٣٧٠ه)– في التهذيب: " ويقال العطاف الرداء؛ ذلك أن لابسه يميل به من كتف إلى آخر... [٣]"

---

١ الفراهيدي، العين، (ج٢/ص١٧)

٢ ابن فارس، المقاييس، ص٧٨٧.

٣ ينظر الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور، ٢٠٠١م تهذيب اللغة ــ بيروت دار إحياء التراث العربي. (ج٢/ص١٠٦).

وقال ابن سيده–(ت٤٥٨ه)– في المحكم: عَطَفَ؛ انصرف،ورجل عَطُوف، وعَطَّاف: يحمي المنهزمين.وعَطَف عليه يعْطِف عَطْفا: رجع عليه بما يكره، أوله إلى ما يريد... يقال ثنا عطفه عن الشيء، رخى البال..."[١]

وقال الراغب الأصفهاني–(ت٥٠٢ه): العطف يقال في الشيء إذا ثني أحد طرفيه إلى الآخر، كعطف الغصن والوسادة والحبل، ومنه قيل للرداء المثني: عطاف، وعطفا الإنسان: جانباه من لدن رأسه إلى وركه، وهو الذي يمكنه أن يلقيه من بدنه. ويقال: ثنى عطفه: إذا أعرض وجفا، نحو: {نأى بجانبه}، وصعر بخده، ونحو ذلك من الألفاظ (يقال: نأى بجانبه، وطوى كشحه، وثنى عطفه، وصعر خده، وزوى طرفه، وشمخ أنفه، وازور جانبه، واكفهر حاجبه...، ويستعار للميل والشفقة إذا عدي بعلى، يقال: عطف عليه وثناه..."[٢]

وهنا يتبين أنّ اللفظ يدل على انثناء واعوجاج. وكأن الشيء انصرف ومال عن أمر أو طريق كان يسلكه، ولم يثر اهتماما، وأعرض عنه تكبرا، ويقال عطف ناحيتيه عن اليمين إلى الشمال، مائلا بردائه، يميل به من كتف إلى آخر، أي ثنى طرف على آخر، والمقصود مال بجنبه تكبرا.

ثانيا دلالة الصيغة "عطفه " في السياق

نفت الآية السابقة عن المجادل أي مستند إليه في جداله؛ سواء كان عقلياً أو نقلياً[٣]، بل أثبتت له الجهالة من جميع الجهات،ثم صورته هذه الآية بصورة الرافض للحق تكبرا وتعجرفا.

جاء اللفظ على وزن "فِعلٌ" اسم يدل على المفعول فالعِطفُ هنا بمعنى المعطوف، عنقا أو كتفا أو خدا أو منكبا [٤]، وهو كناية عن التكبر والإعراض[٥].

وجاء لفظ " عطفه" مضافا إضافة لفظية لكلمة "ثانيَ"؛ التي جاءت حالا من الضمير المستكن من يجادل، وهذا النوع من الإضافة لا يفيد تعريفا ولا تخصيصا، إنما تفيد التخفيف فقط بحذف التنوين؛ لأنه يدل على كمال الاسم، والإضافة تدل على نقصانه ولا يكون الشيء كاملا ناقصا."[٦]

---

١ ابن سيده ابن،علي بن إسماعيل أبو الحسن، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية. (ج١/ ص١٩٦)

٢ الأصفهاني، مفردات القرآن، ص٢٥٤.

٣ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢٨١)

٤ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، ص٥٨.

٥ ينظر أبي حيان، البحر المحيط،(ج٦/ص٢٥٧)

٦ ينظر ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى،(ج١/ص٢٥٤)

فدلالة التركيب تصف صنفا من الناس إذا عرض عليه الحق، وتجلى أمامه واضحا، أصابه الكبر والخيلاء.[١]

قال الإمام الطبري ناقلا عن العرب أنها تقول:"جاءني فلانا ثاني عطفه؛أي جاءني متبخترا من الكبر."[٢]

واللفظ فيه كناية عن رفض الشيء؛ ذلك أنه يعر ض عما يدعى إليه فيميل عنه بجسده والقصد تكذيبه ورفضه، وهذا مرد من قال متكبرا معرضا عن الحق."[٣] وقد صور التركيب مشهدا لمجادل ليس معه دليل صحيح، ولا وحي، ولا كتاب من الله، عندما يجد الحق طوقه وأطبق عليه، ينسحب من المجادلة معرضا، ليوهم غيره أن الحق معه، فيلف رداءه حول نفسه معرضا عن مجادله، تكبرا منه وجحودا من أن يقره بحجته.

ثالثا: علاقة دلالة اللفظ بالوحدة الموضوعية للسورة

يظهر اللفظ صورة لحركة جسدية له دلالة سلوكية؛ تعبر عن تصرف صنف من أصناف الناس المجادلة تبعا لهوى النفس، لا طلبا للحق، واصفا إياهم بالكبر والغرور، فكان إعراضهم عن الحق بتلك الهيئة جحدا لحقيقة أنّ المرسلين صادقون بإنذارهم الناس من قيام الساعة، وأنّ دلائل مقدرة الله على البعث ظاهرة واضحة في تبدل أحوال الحياة من حولهم، فيميلون عن الحق للتدليس على الناس قبل أنّ تنكشف بطلان حججهم، فيصرفون ملتوين منعطفين بأجسادهم وعقولهم عن الحق، بينما أصحاب عقيدة الإيمان باليوم الآخر مستقيمو الحال، باحثون عن الحق، حريصون على اتباعه تقاة من الله.

---

١ ينظر الرزاي، التفسير الكبير، (ج١/ص٣١٨)
٢ ينظر الطبري، جامع البيان، (ج١٨/ص٥٧٣)
٣ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٧/ص١٢٢)

الانفرادة الرابعة "المجوس" في قول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (الحج: ١٧). في سياق الفصل بين الملل يوم القيامة.

أولا: دلالة مادة "مَجس" في اللغة

المجوس ملة من الملل، قال الفراهيدي –(ت١٧٥ه)–: المجس مشتق من المجوس، مَجَّسُوا أولادَهم وتَمَجَّسَ القومُ[١]، وفي الحديث: " كُلُّ مَولُودٍ يُولدُ على الفِطْرة حتى يكونَ أَبَواهُ يُمَجِّسانِه أو يُنَصِّرانِه أو يُهَوِّدانِه[٢]"

وقال الأزهري–(ت٣٧٠ه)–: "المَجُوسُ: جَمْعُ المَجُوسيِّ، وهو معرب، أصله: مِنْج قُوش، وكان رجلاً صغير الأذنين، كان أول من دان بدين المَجُوس، ودعا الناس إليه، فعرَّبته العرب؛ فقالت: مَجُوسٌ، ونزل القرآن به، وربما تركت العرب صرف مَجُوس إذا شُبِّه بقبيلة من القبائل، وذلك أنه اجتمع فيه العجمة والتأنيث[٣]".

نقل عن أبي علي النحوي[٤] –(ت٣٧٧ه)–: أنه قال: " المَجُوس واليهود إنما عرف؛ على حد يهوديٍّ ويهودٍ ومجوسيٍّ ومجوسٍ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما؛ لأنهما معرفتان مؤنثان فجريا في كلامهم مجرى القبيلتين، ولم يجعلا كالحيين في باب الصرف.. "[٥]

وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه): :" الميم والجيم والسين كلمةٌ ما نَعرفُ لها قياساً، وأظنُّها فارسيَّة، وهي قولنا هؤلاء المجوس. يقال: تَمَجَّسَ الرّجلُ، إذا صارَ منهم"[٦].

وقال الجواليقي –(ت٥٤٠ه)–: مجوس؛ كلمة أعجمية تكلم بها العرب."[٧]

ذكر في قاموس الكتاب المقدس وهو تأليف لمجموعة من اللهوتيين: أن" nimagoc " مأخوذة عن كلمة "ماجو" الفارسية، والتي تعني كاهنًا أو عالمًا بالفلك؛ والكاهن عندهم رتبته بين الحاكم والشعب في بلاد ماري وفارس. وكانوا خدمة دين زرادشت،وكانوا معروفين بلباسهم

---

١ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٦/ص٦٠)
٢ أخرجه البخاري، باب ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم (١٣١٩).
٣ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (ج١٠/ص ٣١٨)
٤ أبو علي الفارسي، أحد الأئمة في علم العربي، ولد في فسا (من أعمال فارس) ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ، من كتبه (التذكرة) في علوم العربية، عشرون مجلدا، و (تعاليق سيبويه) و (الحجة – ط) الأول منه، في علل القراءات، و (جواهر النحو –) و (الإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني) وغيرها.
٥ ينظر ابن منظور، لسان العرب،(٢٣/١٤)
٦ ابن فارس، المقاييس، (٩٧٥)
٧ الجواليقي، (١٣٨٩ه– ١٩٦٩م)– المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تح:– أحمد شاكر، ط٢، مطبعة دار الكتب ص٣٦٨.

الخاص وسكنهم المنفرد عن بقية الناس. ومن جملة وظائفهم أنهم أبقوا النار على مذبح أرمزد وقاوموا شر اهريمان. وقد عبدوا العناصر الأربعة: النار والماء والتراب والهواء. ولكن جلّ عبادتهم انحصرت في النار.[١]"

ونقل الآلوسي-(ت١٢٧٠ه)-: في تفسيره قولا لبعضهم فقال " ذكر بعضهم أن مجوس معرب موكوش، وأطلق على أولئك القوم لأنهم كانوا يرسلون شعور رؤوسهم إلى آذانهم.."[٢]

ومن هنا يتبين لنا أنّ مادة "مجس" مشتقة من اسم العلم الأعجمي"مجوس"؛ وقد استعمل استعمال اسم الجنس، كقولنا يهودي ويهود، فنقول مجوسي ومجوس. يدل على ملة من الملل التي دانت بديانة غير الإسلام.[٣]"

ثانيا: دلالة الصيغة "الْمَجُوسَ " في السياق

المجوس ملة من الملل، " وهم عبدة النار، ويقولون بأصلين؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة. والنور أزلي، والظلمة محدثة. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً."[٤]

ولم تقع مجوس إلا اسماً للقبيلة، ولو سميت رجلاً بمجوس لم تصرفه، وأما أطلاقهم المجوس فإنما أرادوا المجوسيين واليهوديين ولكنهم حذفوا يائي الإضافة.[٥]"

جاء اللفظ في صيغة جمع؛ لإرادة الجنس، ولمناسبته الجموع التي عطف عليها من أصناف الديانات الخمس غيرها المذكورة في الآية، وجاء ذكره بعد أربع ملل، وأخيرا عطف عليه ملة الشرك عامة -، فجاء المجوس بعد ملة النصارى؛ وذلك ان المجوس - يمنعون عبادة الأوثان- ولهم كتاب يسمى (زندافستا)[٦]؛ فأشبهوا بذلك أهل الكتاب، وقال النبي- صلى الله عليه وسلم- "سنوا بهم- يقصد المجوس لما سُئل عنهم- سنة أهل الكتاب[٧]"، وجاء بعدهم الصنف الأخير من الناس، وهم أهل الشرك من عبدة الأوثان.

---

١ ينظر قاموس الكتاب المقدس، تأليف عدد من اللاهوتين، هيئة التحرير د. بطرس عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر.ط٩، القاهرة، دار الجيل. تحت كلمة "مجوس"

٢ الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٢٤)

٣ ينظر تعليق أحمد شاكر، في حاشية كتاب المعرب الجواليقي، ص٣٦٨.

٤ ينظر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي،الملقب بفخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تح علي سامي النشار، بيروت، دار الكتب العلمية. ص ١٣٤.و ينظر الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبي الفتح، الملل والنحل، تح:- محمد كيلاني،دار المعرفة بيروت، لبنان،(ج١/ص٢٣٢-٢٣٣)،

٥ ابن سراج، أبي بكر محمد بن سهل البغدادي، الأصول في النحو، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٣، ١٩٨٨ تح: د.عبد الحسين الفتلي لأصول (ج٢/ص ١٠١).

٦ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٧/ص٢٢٤)

٧ أخرجه البيهقي في السنن الصغرى، باب الجزية، حديث رقم (٤٠٥٤)، وقال عنه الشيخ الألباني:ضعيف.

ويرى الإسكافي-(ت٤٢٠ه)- في درة التنزيل أنّ الترتيب بين الملل كان ترتيبا زمانيا[١]،ذلك أنّ الترتيب اختلف في آيات سورة البقرة، في قوله تعالى: " ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة البقرة: ٦٢)، وفي سورة المائدة اختلف الترتيب بين النصارى والصابئين؛ فقال تعالى " ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (سورة المائدة: ٦٩) فشابهت سورة الحج سورة المائدة بالترتيب بين الملل، وخالفتها في زيادة ملة المجوس إليهم، والترتيب في سورة البقرة كان مناسبا لسياق السورة، متعلقا بالكتب المنزلة على الأنبياء وتصديق الناس بها[٢]،وكذلك جاءت سورة المائدة بترتيبٍ زمانيٍ مراعٍ سياق الآيات[٣]، ولكن رغم ذلك تشابهت سورة البقرة مع سورة المائدة في الإخبار عن طبيعة الإيمان المقبول من الناس في الآخرة، وكانتا في سياق يرتبط ببني إسرائيل، وتكذيبهم الرسل، وهجرهم العمل بما أنزل الله، ولهذا الاختلاف في السياق والمراد من الآية في سورة الحج، يشعر الباحث في دلالات السياق بمعان مختلفة رتبت عليها الملل هذا الترتيب، فالآية جاءت في سياق الحديث عن صنف من الناس ظن بالله السوء، وارتاب في نَصر الله لرسوله- صلى الله عليه وسلم – ثم عن الفصل بينهم يوم القيامة، فكان الترتيب متعلقا بهذا الفصل؛ فالمؤمنون وعدهم بجنات وهو يفعل ما يريد، وأنذر المكذبين الذي عبدوا مخلوقات الله و كذبوا رسوله- صلى الله عليه وسلم- بالنار، ويفصل بينهم في النار، فكل منهم في دركة..[٤]"، ودلالة هذا الترتيب أيضا يتعلق بسياق القضاء الذي جاءت فيه السورة، وفاصلتها بقوله تعالى "أن الله على كل شيء شهيد"، تدل على اطلاعه سبحانه على ما لا يعلمه غيره عنهم، وكذا للتشابه الكبير بين عقيدة النصارى القائمة على الامتزاج بين الآلهة الثلاث في واحد، وعقيدة المجوس التي تقوم على الامتزاج، بين إله النور وإله الظلام، فكان الترتيب يناسب منزلتهم في عقيدة التوحيد، ولهذا قدم الصابئة على النصارى، رغم أنهم أهل كتاب لكن عقيدة الشرك لديهم

---

١ ينظر الإسكافي(ت٤٢٠هـ)، محمد بن عبد الله الأصبهاني، أبو عبد الله، (١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م)،(درة التنزيل وغرة التأويل، تح:- د. محمد مصطفى، نشر جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، ط١،معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، (ج١/ص٢٥٠)

٢ ينظر المصدر السابق، (ج١/ص٢٥١)

٣ ينظر المصدر السابق، (ج١/ص٢٥٢)

٤ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٢٤)

طغت على قلوبهم، فاليهود أقلهم انحرافا في عقيدة التوحيد، ثم الصابئة؛ والراجح أنهم أهل كتاب انحرفوا عن التوحيد[١]، ثم النصارى ثم كان المجوس وأخيرا جاء المشركون في النار.وختمت السورة بإعادة التأكيد الذي بدأت به الآية لطول الفصل بين اسم إنّ وخبرها، كون خبرها جملة وهو توكيد حسن."[٢].

وجاء التأكيد لتقرير حقيقة أنّ الخلاف قائم بينهم ليوم الدين، وأنّ الله وحده الفاصل بينهم، وأن موعد ذلك الفصل هو يوم القيامة.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة والوحدة الموضوعية للسورة

ناسبت هذه الآية ما سبقها، فهي "فذلكة لما تقدم، لأنه لما اشتملت الآيات السابقة على بيان أحوال المترددين في قبول الإسلام كان ذلك حافزا لأن يتساءل المرء عن أحوال الفرق بعضهم مع بعض في مختلف الأديان، وأن يسأل عن الدين الحق لأن كل أمة تدَّعي أنّها على الحق وغيرها على الباطل وتجادل في ذلك "[٣]، فبينت هذه الآية أنّ الفصل بين أهل الأديان فيما اختصموا فيه يكون يوم القيامة، إذ لم تفدهم الحجج في الدنيا.

ويخبر الله تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة؛ الذين آمنوا بالله ورسوله محمدٍ – صلى الله عليه وسلم– واليهود والصابئين وهم:(قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه) والنصارى والمجوس(وهم عبدة النار) والذين أشركوا وهم: عبدة الأوثان، والذين أشركوا فعبدوا غير الله معه؛ فإنه تعالى { يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }، ويحكم بينهم بالعدل، فيدخل من آمن به الجنة، ومن كفر به النار، فإنه تعالى شهيد على أفعالهم، حفيظ لأقوالهم، عليم بسرائرهم، وما تُكِن ضمائرهم[٤].

جاء اللفظ في سياق تقرير حقيقة نصرة الله تعالى لدينه الحق، ويبين علامة من علامات التقوى في القلوب، وهي اليقين بنصر الله، ثم رتبت الآية ديانات الناس الستة من الأعلى مرتبة إلى الأدنى، فجاءت المجوسية بالمرتبة الخامسة، "وهي ديانة جمعت من كل الأديان السابقة، وانتهت بتقديس النار، فهي ديانة لا تقوم على التوحيد ولا تصدق بالبعث، إنما الأرواح عندها

---

١ قال شيخ الإسلام ابن تيمية :إن الصابئة نوعان: صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، فالحنفاء بمنزلة من كان متبعاً لشريعة التوراة والإنجيل قبل النسخ والتحريف والتبديل، وهؤلاء حمدهم الله تعالى وأثنى عليهم .وأما الصابئة المشركون: فهم قوم يعبدون الملائكة، ويقرأون الزبور، ويصلون، فهم يعبدون الروحانيات العلوية..ينظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، الرد على المنطقيين، دار المعرفة، بيروت، (ص٢٨٨)

٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٢٤)

٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،

٤ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢٨٣)

تنتقل مباشرة لمقعدها في الجنة أو لجحيم بارد لا نار فيه، وآخرون يقولون بالتناسخ بين الأرواح، فهي عندهم متنقلة بين ميت ومولود، كما يؤمنون بأنّ العذاب للروح دون الجسد.

ويحرمون على أنفسهم كل ما فيه منفعة للبدن، ويظنون بفنائه بعد الموت وعدم عودة الروح إليه أبدا، ولهم معتقدات خرافية؛ حيث يسيطر إله الظلام على الأرض فترة من الزمان، ثم عودة إله النور والسيطرة عليه من جديد بعد "[1]، بينما تؤكد آيات سورة الحج على إثبات الحساب وقيام الساعة، وتدعو الناس لاتقائها، وقد ذكرت السورة أصناف الناس، فكان لا بد من ذكر أصناف الديانات التي يدين بها الناس، فالصنف الأول هم المؤمنون بالله وما جاء به المرسلون جميعا، ثم جاءت الأديان الخمسة الزاعمة أنها على الحق.

الانفرادة الخامسة "مقامع " في قوله تعالى ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (الحج: ٢١). في سياق ما أعد للكافرين من عذاب يوم القيامة.

أولا دلالة مادة " قمع" في اللغة

أصل القمع تذليل الشيء، يقول الفراهيدي–(ت١٧٥ه)– في كتابه: قَمَعْتُ فُلاناً فانقَمَعَ: أي ذَلَّلْتُه فذلَّ واختَبَأَ فَرَقاً، والقَمَعُ ما فَوْقَ السَّناسِنِ من سَنَام البَعِيرِ من أعلاهُ...والقِمَعُ: شَيْءٌ يُصَبُّ به الشَّرابُ في القربة ونحوها وجمعه أقماع ويكون الواحد قِمْع وقِمَع جميعاً، ويكونَ لأشياءَ كثيرةٍ مثل ذلِك،والمِقْمَعة: خَشَبَة يُضربُ بها الإنسانُ على رَأسِه، والجميع المَقامِعُ، والمِقْمَعةُ: مِسمارٌ يكون في طَرَف الخَشَبة مُعَقَّفُ الرَّأس، والأُدُنانُ: قِمَعان."[2]

يقول ابن فارس–(ت٣٩٥ه) في المقاييس: " القاف والميم والعين أصولٌ ثلاثة صحيحة: أحدها نزولُ شيءٍ مائعٍ في أداةٍ تُعْمَل له، والآخَر إذلالٌ وقهر، والثالث جنسٌ من الحيوان.فالأوَّل القِمَعُ معروف، يقال قِمَعٌ وقِمْع. وفي الحديث: "وَيلٌ لأقماع القول"، وهم الذين يَسمَعون ولا يَعُون، فكأنَّ آذانَهم كالأقماع التي لا يَبْقَى فيها شيء. ويقولون: اقتَمَعْتُ ما في السِّقاء، إذا شربتَه كلَّه، ومعناه أنك صِرْت له كالقِمَع– وقد جمع ابن فارس بين المعنى الأول والثاني فقال:" والأصل الآخَر، وقد يمكنُ أنْ يُجمَعَ بينه وبين الأوَّل بمعنىً لطيف؛ وذلك قولُهم: قمَعْتُه: أذللْتُهُ. ومنه قمَعْتُه، إذا ضربته بالمِقْمَع. قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ [الحج ٢١]. وسمِّي قمَعَة بن الياس لأنَّ أباه أمره بأمرٍ فانقمع في بيته، فسمِّي قمَعة. والقياس في هذا والأوَّل متقارب؛ لأنَّ فيه الوُلوجَ في بيته وكذلك الماءُ ينقمع في القِمَع. والأصل الآخَر– الثالث– القَمَع: الدُّباب الأزرق

---

١ ينظر الشهرستاني، الملل والنحل،(ج١/ص٢٤٥-٢٤٦)، ينظر ابن عاشور،التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٢٥)

٢ الفراهيدي، العين،(١/١٨٨-١٨٩)،

العظيم. يقال: تركناه يتَقَمَّع الدِّبَّانُ من الفَرَاغ، أي يدُبُّها كما يتقمَّع الحِمار. وتُسمَّى تلك الدِّبَّانُ: القَمَعُ... ويقال: أقْمَعتُ الرّجل عنِّي، إذا ردَدتَه عنك. وهو من هذا، كأنَّه طردَه."[١]

وقال الزمخشري-(ت٥٣٨ه)- في الأساس:" قمع خصمه: قهره وأذله فانقمع وتقمّع.والناس على باب القاضي متقمّعون. وانقمع في بيته وقمّع: جلس وحده. وقمعته بالمقمع والمقمعة وبالمقامع وهي الجرزة. وتقمّعت الدواب: ذبّبت عن رءوسها القمع؛ وهي ذبّان كبار زرق من ذبّان الكلإ التي تغنّي الواحدة: قمعة.ومن المجاز: " ويل لأقماع القول" وهم الذين يسمعون ولا يعون، وفلان قمع الأخبار: يتتبّعها ويتحدّث بها، وتقول: ما لكم أسماع إنما هي أقماع، وتركته يتقمّع: يطرد الذباب من فراغه.وإبل مقموعة وسلع مقموعة: أخذ الخير فالخير منها.وقمع فلان كتبي: أخذ خيارها وترك."[٢]

وفي لسان العرب، وقال ابن منظور-(ت٧١١ه): والقَمَعةُ ذبابٌ أزرقُ عظيم يدخل في أنوفِ الدَّوابِّ ويقع على الإبل والوَحْش إذا اشتدَّ الحر فيَلْسَعُه،ا وقيل يركب رؤوسَ الدوابّ فيؤذيها، والجمع قَمَعٌ ومقَامِعُ... وقَمِعَتِ الظبيةُ قَمَعاً وتَقَمَّعَتْ لَسَعَتْها القَمَعَةُ؛ ودَخَلت في أنفِها فحرَّكَتْ رأسَها من ذلك، وتَقَمَّعَ الحِمارُ حَرَّكَ رأسَه من القَمَعةِ لِيَطْرُدَ النُّعَرةَ عن وجهه أو من أنفه.."[٣]

ومن هنا يظهر أن مادة القمع أصل يدل على الإذلال؛ فيقال قمعت فلان أي قهرته[٤]، والمقامع جمع مِقمعة؛ وهي كل ما يضرب به الرأس[٥]؛ وقال الأزهري:هي شبه الجزرة من حديد يضرب بها على الرأس[٦]، والقمع شيء يصب فيه الشراب المائع[٧]، وقيل هو كالمحجن يضرب على رأس الفيل.[٨]، وقال ابن الأثير(ت٦٣٧ه): هي سياط تعمل من حديد رؤوسها معوجة. [٩]"

---

١ ابن فارس، المقاييس، ص٨٦٢.
٢ الزمخشري، الأساس في البلاغة، (٢/٢٧٠-٢٧١)
٣ ابن منظور، لسان العرب، (١٢/١٩٢)
٤ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٣١١)
٥ وقال هي من الخشب.
٦ الأزهري، التهذيب، (ج١/ص١٩٢)
٧ ينظر الفراهيدي، العين، (ج١/ص١٨٨)
٨ ينظر الرازي، مختار الصحاح، (ص٥٦٠)
٩ ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير؛ وهو صاحب " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر "، توفي عام (٦٣٧)ه

ثانيا: دلالة الصيغة " مقامع" في السياق

جاء اللفظ في سياق يتحدث عن عقاب الكافرين، ويبين أداة تعذيب خصصت لهم مصنوعة من حديد.[١] في صيغة جمع التكسير لاسم الآلة "مقمعة" على وزن مفعلة، وفيه دلالة الكثرة، وهي وهي تدل على أداة، ودل البناء على بساطة التركيب للأداة بمجيئه دون قيود،[٢]ودلالة التركيب الصرفي ناسبت السياق من حيث ترهيب الكافرين بما أعد الله لهم من المقامع الحديدية كثيرة يضربون بها.

ومقامع مبتدأ مؤخر، سبقه الخبر في "لهم " فجاءت لام الاستحقاق لتدل أنهم استحقوا ذلك العذاب، وتخصهم بالعذاب بها[٣]، وهي عائدة على الكفرة في الآيات السابقة، ثم وصف التركيب تلك المقامع أنّها من حديد، ولم يقل حديدية، لتبين صلابة المصنوع منه، وأنها خالصة من الحديد، فلا يفهم أن فيه مادة غيرها، وغلب عليها الحديد.

وجاء اللفظ معطوفا على قوله تعالى: " ويصب من فوق رؤوسهم الحميم"، يصور صنفا جديدا من العذاب أو يوضح بما يصب الحميم به من فوقهم، ضمن سياقٍ رسم مشهداً متكاملا تتوزع فيه أصناف العذاب المحضرة للخصم الكافر، وبدأت برسم ثياب لهم من قطع النار تغطي أجسامهم، ثم ينزل عليهم الحميم صبا من فوق رؤوسهم، فلا هواء بارد يخفف عنهم، فيصب عليهم الحميم ليذيب ما في بطونهم، فيخيل للسامع حالهم ويدفعه سؤال، أفلا يهربون؟ فتأتي الآية بالجواب: لهم مضارب من حديد؛ تضربهم بها زبانية النار كلما هموا من عظم الغمّ أن يخرجوا.

و السياق الذي جاء فيه ترهيبي، يصف عظم العذاب الذي ينتظر الكافرين، فعطفت شبه الجملة "لهم مقامع من حديد" على الجملة الفعلية " يصب من فوق رؤوسهم الحميم". وأفاد التحول من أسلوب الفعلي الدال على زمن حدوث الفعل، إلى شبه الجملة الدليل على الاختصاص، ليبين أن تلك الخصوصية ستكون في زمان العذاب الذي ينكرونه.[٤]

---

١ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢٨٦).
٢ ينظر السامرائي، معاني الأبنية،(١١٠)
٣ ينظر زايد، فهد خليل، ٢٠١٠م، المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية، ط١، عمان، دار الصفوة، ص٢٣٩.
٤ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٢٩)

ثالثا: علاقة دلالة اللفظ بالوحدة الموضوعية للسورة

جاء اللفظ في سياق يبين العذاب المستحق للكافرين بحق الله على عباده أن يعبدوه وحده، المكذبين بقدوم يوم يعذبون به، الشاكين بعودة أجسادهم البالية من جديد، فأرجع الله لهم أجسادهم وجلودهم وكساهم أيضا ثيابا من قطع النار.

هذه الانفرادة حملت شكل الأداة التي تضرب بها وجوههم وأدبارهم وهم يهربون من عذاب أنكروه، وهم يفرون من غمّ كذبوه، كلما حاولوا الخروج، من هول ما يصيبهم- لا يجدون إلا المقمعة؛ تضربهم بعنف فيعودوا لعذابهم الذي كانوا ينكرون، وساهم اللفظ في رسم المشهد الفظيع لهول ما يجدوه ذاك اليوم، الذي كانوا فيه يتخاصمون، فهم المجادلون بغير علم، العابدون على حرف، الهادمون بيوت الله في الأرض، فاستحقوا بأعمالهم هذا العذاب العظيم، وهذا القمع كما كانوا يقمعون أهل الحق ويكذبون يوما يجزون فيه ما كانوا يفعلون.

الانفرادة السادسة " ضامر" في قوله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج: ٢٧)، في سياق قصة إبراهيم-عليه السلام.

أولا: دلالة مادة " ضمر" في اللغة

الضمر في اللغة يعني القلة والدقة في الشيء، يقول الخليل بن أحمد -(ت١٧٥ه)- في كتابه:الضُّمْرُ من الهُزال (ولُحُوق البطْن) والفعْلُ: ضَمَرَ يضْمُرُ ضُمُوراً فهو ضامِرٌ، وقَضيبٌ ضامِرٌ: انضمَرَ وذَهَبَ ماؤه، والمِضمارُ: موضعٌ تُضَمَّرُ فيه الخيْل وتضميرُها أنْ تُعْلَفَ قُوتاً بعد السِّمَن،والضَّميرُ: الشيءُ الذي تُضمِرُه في ضَمير قلبكَ، وتقول: أضْمَرْتُ صَرفَ الحَرْفِ إذا كان متحرِّكاً فأسْكَنْتَه فأسْكَنْتُه،والغِناءُ مِضمار الشِّعْر أي به يُخْتَبَر...والضَّمْرُ من الرجال: المُهَضَّمُ البطن اللطيفُ الجسم وامرأةٌ ضَمْرَةٌ، ولُؤْلُؤٌ مُضْطَمِرٌ أي فيه بعضُ الانضِمام،وتضَمَّرَ وجهُه أي انضَمَّت جلدته من الهُزال.."[١]

ويقول ابن فارس-(ت٣٩٥ه) عن أصل مادته: الضاد والميم والراء أصلان صحيحان: أحدهما يدلُّ على دقةٍ في الشَّيء، والآخر يدلُّ على غَيبةٍ وتستُّر."[٢]، ولكن الأصلان حقيقة من بعضهما، فدقة الشيء وخفته تساهم في سرعة حركته وغيبته عن العين.

---

١ الفراهيدي، العين،(ج٧/ص٤١-٤٢)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص٦٠٢)

قال الراغب الأصفهاني–(ت٥٠٢ه) موضحا الفرق بين الضامر والهازل: الضامر من الفرس: الخفيف اللحم من الأعمال لا من الهزال."[١] يقصد أن الهزال من مرض؛ وليس الضامر كذلك، إنما هو الدقيق من العمل القوي البدن، وقال رابطا بين دلالة المادة ومعنى الضمير في النفس: الضمير: ما ينطوي عليه القلب، ويدق على الوقوف عليه، وقد تسمى القوة الحافظة لذلك ضميرا."[٢]

وجاء اللفظ في الحديث " إذا أَبْصَرَ أحدُكم امرأةً فَلْيأت أَهْلَه فإن ذلك يُضْمِرُ ما في نفسه."[٣] قال ابن منظور–(ت٧١١ه): يضمر ما في نفسه أي يُضْعِفه ويُقَلِّله.[٤]وعن نافع عن ابن عمر أنّ النبي– الله صلى الله عليه وسلم– كان يضمر الخيل يسابق بها [٥]، وتَضْميرُها أن تُعْلف قُوتاً بعد سِمَنها.."[٦]

ومن هنا يظهر أنّ دلالة المادة تحمل معنى الدقة في الشيء حتى يكاد يختفي ويتستر عن العين، فيقال لفرس ضامر أي نحف ودق فهو هزال، والعرب كانت تُسَمّن البعير قبل السبق، فيكون أخف وأسرع، وفناسب المعنى أنّ جموعا ستأتي تركب الضوامر وهو كل ركب للسفر، فحمل المعنى دلالة تسابق الحجيج في الوصول إلى بيت الله مهما بعدت المسافات وزادت المشقة.

ثانيا دلالة الصيغة "ضَامِرٍ" في اللغة

معنى الآية أنك – يا إبراهيم – ما إن تُعلم الناس عن بدء الحج، حتى يأتوك مشاة على الأقدام، أو راكبين كل مركوب يتسابقون إلى بيت الله، من كل مكان وإن بعد[٧].

ويقال ضَمَرَ الفرس فهو ضامر وضَمر ومضمر ومضطمر وقد ضَمرَ وضُمرَ ضمراً وضموراً ومهرة ضامر وناقة ضامر [٨]، جاء اللفظ ضمن تركيب بلاغي من تراكيب القرآن، في في بناء صرفي على وزن اسم الفاعل، ليدل على دلالة النسب على الضَمر؛ فيقال في اللغة

---

١ الأصفهاني، مفردات القرآن.(ص٢٢٤)
٢ المصدر السابق
٣ أخرجه أبو داوود في سننه، باب ما يؤمر به من غض البصر، حديث رقم(٢١٥١)، وعلق عليه الشيخ الألباني" وقال حديث صحيح.
٤ ينظرابن منظور، لسان العرب، (ج٤/ص٤٩١)
٥ أخرجه أبو داوود في سننه،باب السبق، حديث رقم (٢٥٧٦)، وعلق عليه الشيخ الألباني" وقال حديث صحيح.
٦ ينظرابن منظور، لسان العرب، (ج٤/ص٤٩١)
٧ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٢٩٠).
٨ الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، أبو القاسم، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م، أساس البلاغة،تح: محمد باسل، ط١، بيروت:دار الكتب العلمية. (ج٢/ص٤٨)

رجل سامن إذا كثر سمنه وازداد[١]، فيقال ناقة ضامر أي ذات ضمر؛ أي مهزولة من كثر المشقة، وترك التأنيث للاسم على أنه صفة الشيء والشيء مذكر ومنسوب إليه؛ فكأنهم قالوا هذا شيء ضامر، ثم وصفت الناقة به. فالضمر يطلق على دابة تضمر للسفر وإن لم تكن ضامرة في حينها [٢]"

جاء التعبير القرآني بكلمة ضامر معطوفة بواو التقسيم- إذ معنى العطف هنا على اعتبار التوزيع بين راجل- وراكب لبيت الله[٣]، ومجرورا، في جملة حال معطوفة على رجال، لتبين حال القادمين ركبانا على بعير هزيل أتعبه بعد الشقة أو زاده هزلا[٤].

والمقصود من التعبير هو الراكبين، ولكن التعبير بضامر كان أبلغ؛ حيث أنه عبر عن الراكب، وعن حالته من وصف المركوب الذي جاء عليه، وفي عدم تحديد الضامر دلالة التعميم المناسبة لكل مركوب يوصل لمكة.

ودل اللفظ على عموم الناس ذكورا وإناثا، ودلالة " كل" السابقة للفظ على التكثير لا الإحاطة، أي رواحل كثيرة[٥]، دلالة على أن الحجيج الراكبين أكثر من الراجلين، وقال بعض الفقهاء فيها دلالة تفضيل الراجل على الراكب[٦].

و"يَأتِينَ"؛ صفة لضامر أو كل؛ والجمع باعتبار المعنى كأنه قال ركبانا على ضوامر يأتين[٧]، والظاهر فيها عودة الضمير عَلَى " كُلّ ضَامِرٍ" لأن الغالب أنّ البلاد الشاسعة لا يتوصل منها إلى مكة

إلا بالركوب، وقد يجوز أن يكون الضمير يشمل" رِجَالاً وكُلّ ضَامِرٍ؛على معنى الجماعات والرفاق."[٨]

ثالثا: العلاقة بين دلالة اللفظ والوحدة الموضوعية للسورة

للفظ دلالة سلوكية تظهر في تعلق قلوب الوافدين في بيت الله بدليل أنهم يصلون إليه رغم المشقة والجهد الذي يتكبدونه في طريقهم، يصلون وهم يتخيلون طيف إبراهيم عليه السلام

---

١ ينظر ابن سكيت يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ١٩٩٨م، كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني): (ت ٢٤٤ه) تح :د. فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان (ص٥٩٢-٥٩٣)

٢ ينظر سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر،(ت ١٨٠هـ)، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، كتاب سيبويه، تح: عبد السلام محمد هارون، ط٣ القاهرة، مكتبة الخانجي. (ج٣/ص٣٨٣)

٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٤١)

٤ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٣٧)

٥ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٧/ص٢٤٢)

٦ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٣٧)

٧ المصدر السابق، (ج٩/ص١٣٨)

٨ قرأ عبد الله وأصحابه والضحاك وابن أبي عبلة يأتون غلب العقلاء الذكور في البداءة برجال تفضيلا للمشاة إلى الحج. ينظر أبي حيان، تفسير البحر المحيط ــ (٦/ ٣٣٨)

يدعوهم لبيت الله، يسعون وهم يرون طيف هاجر ساعية باحثة على ما تنقذ به ولدها الرضيع إسماعيل، ويصلون فيه ويذكرون محمد –عليه الصلاة والسلام– يخطو حوله[١]، ورجاؤهم أن يتقبل الله رحلتهم.

والرابط بين هذه الدلالة ووحدة السورة تظهر فيما يحمله اللفظ من معنى تحمل المشقة والشوق من السبق إليها، وكل ذلك هو من علامات تعظيم القلوب المؤمنة لشعائر الله، وهو يعبر عن حال الناس في الدنيا فهم في مضمار،"عن أبي عبد الرحمن السلمي: قال انطلقت إلى الجمعة مع أبي بالمدائن وبيننا وبينها فرسخ، وحذيفة بن اليمان على المدائن، فصعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: اقتربت الساعة، وانشق القمر، ألا وإنّ القمر قد انشق ألا وإن الدنيا قد أذنت بفراق ألا وإن اليوم المضمار، وغدا السباق فقلت لأبي ما يعني بالسباق؟ فقالك من سبق إلى الجنة[٢]."فناسب اللفظ حال الناس في الدنيا فمن ضمر نفسه، وضبطها سبق للجنة، ومن سمنها وأطلقها خسر.

الانفرادة السابعة " عميق" في قوله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (سورة الحج: ٢٧)في سياق قصة إبراهيم أيضا.

أولا: دلالة مادة "عمق" في اللغة

العمق في اللغة "البعد "، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: بئرٌ عميقة، إذا بعُد قعرُها وأعْمَقَها حافرُها. تعمَّق الرّجلُ في كلامه، إذا تنطَّع."[٣]، وقال ابن دريد–(ت٣٢١ه)– في الجمهرة:" عَمْق الشيء، وهو مسافة غَوْره، والعُمْق: موضع. والعَمْق: البُعد.. وفَجٌّ عميق، أي بعيد."[٤]

وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه): إذا اتصف الطريق بالعمق قصد فيه البعد، وإذا اتصفت به البئر فهو طول جرابها، ويقولون ما أبعَدَ عماقة هذه الرّكيّة، أي ما أبعدَ قعرها.وذُكرعن بعض فُصحاء العرب: رأيت خَليقة فما رأيتُ أعمق منها. قال: والخليقة: البئر الحديثة الحفر.."[٥]

ويتبين بعد الاطلاع على الأقوال أنّ مادة "عميق" تدل على البعد إلى أسفل، أي مقدار غوره، فدلالة اللفظ تعني طول المسافة من أعلى إلى أسفل، وهذا فيه دلالة المشقة لمن جاء من طريق عميق.

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص١٩٢)
٢ أخرجه الحاكم في المستدرك، باب الأهوال، حديث رقم (٨٨٠٠)، وعلق الذهبي عليه فقال: صحيح.
٣ الفراهيدي، العين (ج١/ص١٨٦).
٤ ينظر ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو بكر، ١٩٨٧م، جمهرة اللغة (ت ٣٢١):تح رمزي منير بعلبكي، ط١،بيروت دار العلم للملايين، (ج٢/ص ٢٨)
٥ ينظر ابن فارس، المقاييس، (٦٠٢)

ثانيا:دلالة الصيغة "عميق"في السياق

جاء اللفظ على وزن الصفة المشبهة " فعيل"، ويأتي هذا البناء للدلالة على الثبوت مما هو خلقة أو مكتسب؛ كقولنا طويل قصير فقيه[١]، لتدل أن البعد صفة دائمة لكثير من الطرق التي سيأتي منها الحجيج.

وفي قوله تعالى" يأتين" أكثر من توجيه؛ فيجوز أن تكون صفة "كل ضامر" وأسند الإتيان إلى الرواحل التي تركب، وإذا جمع ما لا يعقل حقه التأنيث، وجاز فيها أن تكون حالا ثانية من ضمير الجمع في" يأتوك " فالحال الأول دل على التنوع والتنصيف فصار المعنى؛ يأتوك جماعات، ولما قصد به الجماعات جاز مجرى على الفعل التأنيث[٢].

وفي دخول كلمة "كل" دالة على الإحاطة، تدل أنهم سيأتون من كل أقطار الدنيا، يجيبون دعوة إبراهيم عليه السلام، ولما وصف الله تعالى الفج بالعميق أراد دلالة لا توجد في معنى البعيد، ذلك أن العميق لا يوصف بها إلا الأشياء البعيد للأسفل كما ظهر في دلالة المعجمية للمادة، ذلك وكأنهم في حجهم لمكة سيرتقون، كأنهم قادمون من أسفل ليرتقوا، والرقي يكون باتباعهم الإسلام وتعظيمهم شعائره في قلوبهم، والتنوين في" فجٍ" مع إضافته ل "كل" دلالة على التكثير، فالمعنى كثرة الطرق القادم منها الحجيج "وفيه دلالة البُشرة بفتوحات عظيمة، وبلوغ دعوة الإسلام بقاع الأرض، ورفع راية الإسلام وانتشاره في كل فج عميق."[٣]

ثالثا: علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

معنى الآية أنّ الحجيج يأتون من كل بلد بعيد، وقد دعا الخليل عليه السلام، ثم من بعده محمد –صلى الله عليه وسلم– الناس إلى حج هذا البيت، فوعده الله بأفواج من الراجلين والراكبين من مشارق الأرض ومغاربها، تأتي تعظم شعائر الله، وتوقر بيت الله."[٤]

يظهر من دلالة اللفظ أن القادمين لمكة جاوؤا من أعماق الأرض، ليصلوا إلى أطهر مكان فيها، فهم جاؤوا بعد أن بلغ نداء التوحيد الذي أطلقه إبراهيم عليه السلام لكل فج، حتى أعمقها. وفي هذا حجة على الناس كافة أنّ طريق اتقاء عذاب الآخرة وأهوالها– الذي بلغهم أمره– هو التمسك بدعوة التوحيد، ومن كذب بالآخرة والبعث فقد خسر، والفرق بين الفريقين أن الأول اتخذ دنياه طريقًا للآخرة رغم المشقة ليرتقي بنفسه ويفوز، والآخر أهلكه كثرة المجادلة والمقامرة على نفسه فخسر.

---

١ ينظر السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (٨٣)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(٢٤٥/١٧)
٣ ينظر الشنقيطي، أضواء البيان،(١٤٠/٩) في تفسير سورة العصر
٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص: ٥٣٦)

الانفرادة السابعة " تفثهم" في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج: ٢٩). في سياق بيان مناسك الحج.

أولا: دلالة مادة "تفث "

اختلف اللغويون والمفسرون على أصل كلمة التفث إلى فريقين، فريق ذهب إلى أنّ الكلمة لم تكن معروفة من قبل عند العرب[١]،" نُقل عن القاضي الإمام أبو الطيب الطبري- (ت٤٥٠ه) قوله[٢]: هذه لفظة غريبة عربية لم يجد أهل المعرفة فيها شعراً، ولا أحاطوا بها خبراً.[٣]"وأنّ المفسرين أول من كشف معناها من سياق الآية التي جاءت فيها[٤]، نقل عن ابن مجاهد أنه قال:" عن مجاهد في قوله تعالى:: "التفث؛حلق الرأس، ورمي الجمار، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة."[٥] وجعله السيوطي ضمن النوع العشرين وهو معرفة الألفاظ الإسلامية[٦]؛ أي التي لم تكن معروفة قبل الإسلام، وقال أخرون – وهوالراجح- أنه من الكلمات المعروفة عند العرب؛ فنقل عن ابن شميل-(ت٢٠٤ه) [٧] قوله: التَّفَثُ النُّسُك مِن مناسك الحج، ورجل تَفِثٌ أي متغير شَعِثٌ لم يَدَّهِنْ ولم يَستَحِد، قال أبو منصور الأزهري-(ت٣٧٠ه)-: لم يفسر أحدٌ من اللغويين التَّفَث كما فسره ابن شميل؛ جَعَلَ التَّفَثَ التَّشَعُّثَ وجعلَ إذْهابَ الشَّعَثِ بالحَلْق قضاءً وما أَشْبهه[٨]، وقال المبرد-(٢٨٦ه)[٩]: أصل التفث في

---

١ ينظر الزجاج، معاني القرآن وإعرابه (ج٣/ص٤٢٣)، والأزهري تهذيب اللغة(ج١٤/ص٢٦٦).

٢ الطبري هو الإمام العلامة، شيخ الإسلام، القاضي أبو الطيب ؛ طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر، الطبري الشافعي، فقيه بغداد. ولد سنة (٣٤٨ه) بآمل، وتوفي سنة (٤٥٠ه)ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج١٧/ص٦٧٠)

٣ ابن العربي العربي(ابن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي أحكام القرآن ــ١٤٢٤ هــ – ٢٠٠٣م، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه :محمد عبد القادر عطا، ط٣، لبنان دار الكتب العلمية، (ج٥/ص٤١٦).

٤ النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر (ت ٣٣٨هــ) طباعة سنة ١٤٠٩ه- معاني القرآن الكريم، تح: محمد علي الصابون، مكة المرمة جامعة أم القرى – (ج٤/ص٤٠٠).

٥ الصنعاني،عبد الرزاق بن همام، ١٤١٠ ه – ١٩٨٩م تفسير عبد الرازق، تح:مصطفى مسلم، ط١، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، (ج٤/ص ٣٩٢)

٦ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكربن محمد جلال الدين،١٤٢٥ه-٢٠٠٥م، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت، دار الفكر، (ص٣٠١).

٧ ا النضر ابن شمبل هو ابن خرشة بن زيد بن كلثوم بن عنزة... بن تميم.. العلامة الإمام الحافظ أبو الحسن المازني البصري النحوي، نزيل مرو وعالمه، كان من فصحاء الناس وعلمائهم بالأدب وأيام الناس، توفي (٢٠٤ه)، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،(ج٩/ص٣٢٨)

٨ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٤/ص٢٦٦)

٩ إمام النحو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، البصري، النحوي، صاحب كتاب الكامل، ت(٢٨٦ه)، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،(ج١٣/ص٥٧٧).

في كلام العرب كل قاذورة تلحق الإنسان فيجب عليه نقضها؛ والمراد ههنا قص الشارب، والأظفار ونتف الإبط، وحلق العانة، والمراد من القضاء إزالة التفث.

قال نفطويه–(ت٣٢٣ه)[١]: سألت أعرابياً فصيحاً ما معنى قوله: {ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ}؟ فقال ما ما أفسر القرآن ولكنا نقول للرجل ما أتفثك وما أدرنك![٢]؛ أي ما اوسخك.

قال الأصفهاني–(ت٥٠٢ه): : أصل التفث؛ وسخ الظفر وغير ذلك؛ مما شأنُهُ أن يزال عن البدن[٣].

والراجح القول الثاني؛ وذلك لأمرين؛ أولا أنه جاء في شعر العرب، حيث نقل عن أمية بن أبي الصلت: حفُّوا رؤوسهم لم يحلقوا تفثاًولم يَسُلُّوا لهم قمْلاً وصئباناً[٤]

ولأن عددًا من أهل اللغة أثبتوه، والإثبات مقدم على النفي.[٥]

وخلاصة الدلالة أن التفث لفظ عربي، أريد به الدرن والمستقذر مما يعلق في بدن الناس والدواب، وقضاء التفث هو إزالته، وقد استخدم استعمالا شرعيا يتناسب مع دلالته اللغوية ليدل عند إضافته للقضاء على بعض مناسك الحج،؛ حيث لا تعارض بين الأعمال التي فسرها بها السلف، وبين إزالة الدرن والأوساخ، سواء كانت أوساخا مادية أو معنوية كالذنوب.[٦]

ثانيا: دلالة الصيغة " تفثهم " في السياق

جاء اللفظ على وزن "َفَعَلٌ" مصدر دال على مجرد الحدث مجرد من أي شيء آخر[٧]، وأضيف له ضمير الجمع "هم " العائد على الناس الراجلين، والآتين من كل ضامر. وفي إضافة

---

١ هو الإمام الحافظ النحوي العلامة الأخباري أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان، العتكي الأزدي الواسطي، المشهور بنفطويه صاحب التصانيف. ت (٣٢٣ه)، ينظر الذهبي،سير أعلام النبلاء،(٧٥/١٥).

٢ ينظر الرازي: مفاتيح الغيب ــ (ج٢٣/ص ٢٧)

٣ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٥٩)

٤ احتج به ابن العربي في أحكام القرآن، (ج٥/ ص٤١٧)، و القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، (ج١٢/ص ٥٠)، و الجاحظ،أبوعثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، (ت٢٥٥ه)ــتح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل،١٤١٦هــ – ١٩٩٦م، لبنان/ بيروت، (ج٥/ص٣٧٦)

٥ ينظر الرازي،مفاتيح الغيب (ج٣٢/ص٢٧)

٦ ودليل من قال بالتغاير بينهما حديث عروة بن مضرس الطائي قال: جئت رسول الله صلى الله عليه و سلم في الموقف فقلت جئت يا رسول الله من جبلي طيء، أكللت مطيتي، وأتعبت نفسي، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه، هل لي من حج؟ فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– من أدرك معنا هذه الصلاة، وأتى عرفات قبل ذلك؛ ليلا أو نهارا، تم حجه وقضى تفثه."٦، والشاهد في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم، جعل أتمام الحج غير قضاء التفث، مما يدل على أنه يقصد به إزالة الأوساخ والدرن العالق، سواء تم ذلك بنسك كالحلق والنتف أو غيره.
ويرد على هذا الدليل أنّ دلالة العطف في الحديث لا يقتضي منها المغايرة، فجاز العطف ليبين أن الوقوف في عرفة كفت الحاج المتأخرة المناسك المتقدمة، أوجبت عليه بدء مناسك ما بعد عرفة./أخرجه الأمام أحمد في مسنده، من باب حديث عروة بن مضرس، رقم الحديث(١٨٣٢٦).

٧ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، (ص٣١)

التفث لهم دلالة الاختصاص، فإن هذا التفث مصدره منهم، فالتفث كل ما يطرحه الجسم من درن، ويرجح استخدام الفعل "يقضوا" على أنّ التفث فعل من أفعال الحج، حيث يلزم معنى القضاء؛ وهو إحكام أمر وإتقانه، وإنفاذه لجهته[١]،وذلك يلزم منه أن يكون التفث أعمالا تنجز بإحكام، ودلالة العطف بحرف"ثم " الذي يفيد التراخي الرتبي، يقتضي أنّ المعطوف ب" ثم" أهم مما ذكر قبله، وبأهمية ما ذكر بعده وهو هنا الوفاء بالنذر، والطواف الأخير، وهي من المناسك التي لا خلاف عليها.[٢]

ويظهر من دلالة اللفظ مشهد يدل على المشقة والجهد الحاصل من مناسك الحج، فترى الحاج يتحلل من إحرامه أشعث متسخاً من أثر رحلته، وجهاده في مناسكه، ثم يسعى لوفاء النذر، ليتحلل من كل ما عليه من أعمال زائدة تطوع بها، ويطوف الطواف الأخير، وقد تخلص من درن الدنيا وذنوب الآخرة، مولودا من جديد طاهر القلب والنفس.

ثالثا: علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

المراد بالآية أن يقطعوا التزامهم بترك الطيب وقص الشعر، ويزيلوا ما عليهم من الدرن والشوائب؛ التي تجمعت عليهم أيام مناسكهم، ويوفوا بما نذروا لله في حجهم، ويطوفوا طواف الإفاضة ببيت الله العتيق.

وقد دل اللفظ في معناه اللغوي على الوسخ والدرن، وفي معناها الشرعي على عمل من أعمال الحج؛ كقص الشعر ونتف الإبط وغيرها، وفي دلالة اللفظ التركيبية معان عدة، منها أن قضاء التفث أعمال الحج الواجبة، ودليل على الاستسلام والانقياد لحكم الله، فالعبد ممسك عن أعمال مباحة تحولت بأمر إلهي إلى محرمات، وهو في هذا مستسلم لأمر الله، منقادٌ لكل ما أمر، فكل ما أمر الله بعمله خير، وكل ما أمر بتركه هو تفث تجمعه الناس في حياتهم، والسبيل لقضائه هو الإيمان بالله، فتكون التزكية، وتكون النجاة من زلزلة اليوم الآخر.

الانفرادة الثامنة (العتيق) في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج: ٢٩) **وفي قوله تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾** (الحج: ٣٣).

---

١ ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٨٩٣)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٤٨)

أولا: دلالة مادة "عتق " في اللغة

العتق في اللغة تحمل معنى القدم، قال عنه الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: "العتق هو الإطلاق من الأسر، والقديم من كل شيء[١]"، و قال الأصمعي-(ت٢١٦ه)-: عتق فلان بعد استعلاج، إذا صار رقيق الخلقة بعدما كان جافا"[٢].وفي مقاييس اللغة لها أصل واحد، وما خرج عنه فينظر له على حدة، وهو معنى الكرم خِلقةً و خُلُقاً، وتحمل معنى القدم..[٣]". وجمع الراغب الأصفهاني -(ت٥٠٢ه)- بين المعاني السابقة بجملة موجزة، فقال: "العتق هو المتقدم في الزمان أو المكان أو الرتبة، ولذلك قيل للكريم عتيق، ولمن خلا عن الرق عتيق..[٤]".

أما ابن منظور-(ت٧١١ه) - فقال: هي الحرية، خلاف الرق، والعتيق عنده الكريم الرائع من كل شيء، فيقال للجارية عاتق إذا أدركت البلوغ ولم تكن في خدمة أهلها أو تحت زوج يتملكها، ويقال للخمر إذا مضت عليها الزمن عتقت؛ أي ازدادت لذة وسكرا[٥]"،وعن عائشة: أن أبا بكر دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: أنت عتيق الله من النار فيومئذ سمي عتيقا[٦].

فدلالة العتق تلخص كما أوجزها الراغب، وهي تقدم الشيء عن غيره في الزمان أو المكان أو الرتبة أو جميعهم، كما هو حال بيت الله (الكعبة المشرفة).

ثانيا: دلالة الصيغة "العَتِيق" في السياق

جاء اللفظ على وزن "فعيل" صفة مشبهة ليدل على أن وصف "العتق" ثابت في البيت، كأنه طبيعة منه[٧]، وجاء اللفظ في سياق الحديث عن مناسك الحج، فختمت المناسك بالحديث عن طواف الإفاضة،

فبعد قضاء التفث يطوف المسلم بالكعبة، وسميت الكعبة المكرمة في سور الحج فقط بالبيت العتيق؛ ووجه المفسرون تسميها بذلك لعدة وجوه: "الأول: العتيق هو القديم، و أنه أقدم بيوت الله في الأرض[٨]، بل عند بعضهم أن الله خلقه قبل الأرض والسماء. والثاني: أن الله أعتقه

---

١ الفراهيدي، العين، (ج١/ص١٤٦)
٢ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١١/ص١٤٢)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص٧٣٣)
٤ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٢٤١)
٥ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج١٠/ص٢٧)
٦ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب مناقب أبي الصديق رضي الله عنه وعمر، حديث رقم.(٣٩٦٦)وقال الشيخ الألباني عنه: حديث صحيح.
٧ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، (ص٥٣)
٨ سورة آل عمران.آية(٩٦)

أعتقه من الغرق حيث رفعه إلى السماء. الثالث: أن الله أعتقه من أن يكون ملكاً لأحد من المخلوقين. الرابع: أنه عتيق بمعنى أن كل من زاره أعتقه الله تعالى من النار.[١]"

جاء اللفظ نعتا للبيت، ودلالة النعت هنا هي المدح، فدلالته تحمل معنى الكرم والرفعة والإحسان، أو كما قال القرطبي جودة الشيء[٢]، فبيت الله جمع كل معاني الكرم؛ فهو له منزلة القدم والأسبقية على غيره من بيوت الله، وبناه أكرم الخلق من الأنبياء، في بقعة مباركة، عصمها الله من الجبابرة، ليس ملكا لأحد من ملوك الأرض، رغم طمعهم بذلك، وله منزلة تعظيم وتوقير عند المسلمين لا تعرف لغيره.

ومعنى قوله تعالى ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ﴾ [٣] أي بعد حلهم وبعد الإتيان بما عليهم من مناسك. فليزيلوا عنهم أدرانهم وأوساخهم، وليوفوا نذورهم التى نذروها لله – تعالى – فى حجهم، وليطوفوا طواف الإفاضة، بهذا البيت القديم الذي جعله الله – تعالى – أول بيت لعبادته، وصانه من اعتداء كل جبار أثيم[٤].

ويحمل التركيب دلالة فقهية؛ فالطواف المقصود هو طواف الإفاضة، وهو ركن من أركان الحج لا ينوب عنه شيء، ويقع به تمام التحلل، ووذهب جمهور أهل العلم إلى أن المقصود من الآية هو طواف الإفاضة[٥]. ولا خلاف معتبر في قضاء التفث والوفاء بالنذور بعد الطواف، فالأكثرون على جواز ذلك إذ أنّ الواو عندهم لا تفيد الرتبة إلا بتوقيف[٦].

وفي الموضع الثاني الذي ذكر فيه لفظ "عتيق" في قوله تعالى ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [٧]؛ المقصود أنّ لكم في هذه الهدايا منافع تنتفعون بها من الصوف واللبن والركوب، وغير ذلك مما لا يضرها إلى وقت ذبحها عند البيت العتيق، وهو الحرم كله.[٨] جاء هذا التركيب يفصل بينه وبين التركيب السابق آيات قليلة، آخرها آية[٩]معللة

---

١ الرازي، تفسير مفاتيح الغيب، (ج٨/ص١٢٩).
٢ ينظر القرطبي احكام القرآن، (ج١٢/ص٤٧)
٣ سورة الحج، آية رقم (٢٩)
٤ ينظرابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٩٥/٣)
٥ ينظر الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن،(ج١٨/ص٦١٦)
٦ ينظر الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، ١٤٠٥ه، أحكام القرآن، تح محمد صادق القمحاوي – بيروت، دار إحياء التراث العربي (ج٥/ص٧٦)
٧ سورة الحج، آية (٣٣)
٨ ينظرالسعدي، تفسير السعدي، (ص٥٦٩)
٩ (وليطوفوا في البيت العتيق)

الحكمة من فريضة الحج، ومن ذبح الهدي؛﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[١]؛ ذلك أن من يمتثل أمر الله، ويُعَظِّم معالم الدين، ومنها أعمال الحج ومناسكه، والذبائح التي تُذْبَح فيه، وذلك باستحسانها واستسمانها، فهذا التعظيم مِن أفعال القلوب المؤمنة الموقنة بيومٍ تُبعث فيه الناس ويحاسبون فيه على أعمالهم.

وجاء في سياق الحديث عن مكان ذبح الهدي، والمحل مأخوذ من حل الشيء، و أصله من حل الأحمال عند النزول.[٢] والمراد به في الآية مكان الحلول، أي: المكان الذي ينتهي فيه أجل تلك الأنعام، أو المكان الذي يجب ذبحها فيه.والمعنى: المكان الذي تذبح فيه منته إلى البيت العتيق. ومن فنون البلاغة في التركيب، استخدام " إلى" حرف الانتهاء المجازي[٣]؛ ذلك أنها لا تنحر في الكعبة، ولكن قصد المجاورة[٤]، فهي تنحر في منى والمروة وفجاج مكة– كما ورد في السنة– ولكن التقرب بذبحها هو من مقاصد حج البيت[٥].

وفي التركيب تصدير[٦]؛ باعتبار مبدأ هذه الآيات هو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[٧]"

ثالثا: علاقة الانفرادة "العتيق" بالوحدة الموضوعية للسورة

انفردت سورة الحج بذكر كلمة العتيق فيها، وجاء اللفظ صفة في المرتين للبيت؛ والمقصود الكعبة المشرفة، في سياق قصة تحكي عما كان في عهد إبراهيم عليه السلام من أمر بناء الكعبة، فسماها الله مكان البيت إذ لم يكن هناك بناء بعد بل مكانه فقط؛ ثم أضاف البيت إلى ضمير الجلالة ليزيده تشريفا وتعظيما، وأمره بتطهيرها للحجيج، ثم ذكر الطواف به، ذبح الهدايا إليه، واصفا إياه بالعتيق، وهي صفة مدح وتمجيد، تدل على اشتماله صفات تفرد به عن غيره من المساجد والبيع والصوامع التي تذكر فيها اسم الله، فهي صفة فريدة لا يستحقها إلا بيت الله" الكعبة ".

---

١ سورة الحج آية (٣٢)
٢ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن (٩٨ص)
٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٥٩)
٤ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (١٤٦/٩)
٥ رجح الإمام القرطبي أن المقصود انتهاء الشعائر كلها من وقوف ورمي وسعي، أنها تنتهي بطواف الإفاضة بالبيت العتيق، وعلى هذا يكون تخصيص الانتهاء بالبيت عنده على حقيقته بمعنى انتهاء الشعائر عنده...ينظر القرطبي، الجامع أحكام القرآن، (ج١٢/ص٥١)
٦ وهو الإتيان في آخر الكلام بلفظ يشبه لفظًا في صدره، ويسمى رد العجز عن الصدر أيضا.."ينظر السيوطي، في علوم القرآن،(ج٢/ص٢٧٧)
٧ سورة الحج، آية (٢٦)

جاءت الانفرادة في تركيب يبين صفات الساعين لرضا الله في إتمام فريضة الحج، فكان من صفاتهم تعظيم شعائر الله في القلوب، واللفظ فيه دلالة الحرية، والإحسان والتكرم، فالمعنى يدل أن العبودية لله والخضوع والاستسلام لأوامره هما السبيل للحرية، وهما طريق كرامة الإنسانية وعزتها، فالبيت لله عز وجلّ، وتعظيمه ومعرفة قدره، ترتبط بالتعرف على الله والاتصال به، فكان ذلك الرابط هو طريق النجاة، وهو دليل التصديق بالبعث، والاحتراز من الخسارة بعده.

الانفرادة التاسعة " وجبت" في قوله تعالى ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الحج: ٣٦)، في سياق شعائر الحج وذبح الهدي.

أولا: دلالة مادة "وجب" في اللغة

الوجب في اللغة هو السقوط والوقوع، جاء في العين" وجب الشّيء وجوباً، وأوْجَبه ووَجَّبهُ،ووَجَبَتِ الشَّمْسُ وَجْباً: غابت، وسمعت لها وجبة أي: وَقْعة؛ مثل شيء يَقَعُ على الأرْض.والمُوَجَّبُ من الدّواب: الذي يَفْزع من كلِّ شيء[١]"

وفي مقاييس اللغة:"الواو والجيم والباء: أصلٌ واحد، يدلُّ على سُقوط الشيء ووُقوعِه، ثم يتفرَّع. ووَجَب البيعُ وُجوباً: حَقَّ ووَقَع. ووَجَب الميِّت: سقَط، والقتِيلُ واجب.[٢]"

وقال ابن منظور–(ت٧١١ه)– في لسان العرب:" وكلُّ شيءٍ سَقَطَ وَجْباً ووَجْبَة.....وقوله تعالى فإذا وَجَبَتْ جُنُوبها قيل معناه سَقَطَتْ جُنُوبها إلى الأرض، وقيل خَرَجَت أنْفُسُها فسقطتْ هي، فكُلُوا منها، ومنه قولُهم خَرَجَ القومُ إلى مَواجِبِهم؛ أي مَصارعِهم."[٣] ويقال وَجَبَ الشيءُ يَجِبُ وُجوباً أي لزمَ، وأوجَبَهُ هو وأوجَبَه اللّه، واسْتَوْجَبَه؛ أي اسْتَحَقَّه.[٤]" فيكون معنى الواجب سقوط الأمر او الحكم على الفروض عليه واستحقاق فعله.

فالمعنى يدل على سقوط البُدُن وغياب روحها عنها، فسقطت دلالة أنها تنحر وهي واقفة، ومعقودة بطريقة معينة؛ لتسقط وهي واقفة، فجاء لفظ "وجب" مناسبا لمعنى السقوط، حيث التشابه

---

١ الفراهيدي، كتاب العين (ج٦/ص ١٩٣)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص١٠٨٤)
٣ لسان العرب (ج١٥/ص١٥٤)
٤ المصدر السابق

بين الحروف وبين سقوطها على جنوبها، وبين أن ذبح الهدي واجب على الحاج، فناسب الوجب مع فريضة واجبة.

ثانيا: دلالة الصيغة " وَجَبَتْ " في السياق

جاء اللفظ في صيغة الفعل الماضي المؤنث، في جملة شرطية، مسبوقة بفاء عاطفة على جملة مقدرة تقديرها " إن نحرتموهن"، أي إن سقطت وسكنت وانسلت دماؤها منها فكلوا منها، وأطعموا القانع والمعتر، وقوله تعالى "وجبت جنوبها" كناية على خروج الروح والموت[١]،وهو تصوير وصف لحالة معنوية، لحركة حسية بصرية تصور خروج الروح، وكأنها طاعة من الذبيحة لأمر الله، فما كان منها عندما شقت حنجرتها إلا أن سقطت مستسلمة.

وفي التركيب دلالة زمانية، ظهرت في استخدام حرف إذا- ظرف لما استقبل من الزمن- يؤقت للحدث بحصول فعل الشرط، فإن الأكل منها يحصل بوجوب جنوبها، أي سقوطها ميتة، "والقصد من هذا التوقيت المبادرة بالانتفاع بها إسراعا إلى الخير الحاصل من ذلك في الدنيا بإطعام الفقراء وأكل أصحابها منها فإنه يستحب أن يكون فطور الحاج يوم النحر من هديه، وكذلك الخير الحاصل من ثواب الآخرة." [٢]

ثالثا: علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

معنى الآية "جعلنا لكم نَحْرَ البُدْن من شعائر الدين ووسيلة لتتقربوا بها إلى الله، لكم فيها خير في منافعها من الأكل والصدقة والثواب والأجر، وقولوا بسم الله عند ذبحها. ثم صورت الآية مشهد ذبح الهدي؛ واقفة قد صُفَّتْ ثلاث من قوائمها وقُيِّدت الرابعة، فإذا سقطت على الأرض جنوبها فقد حلَّ أكلها، فكلوا منها تعبدا، وأطعموا منها القانع -وهو الفقير الذي لم يسأل تعففًا- والمعترَّ الذي يسأل لحاجته، هكذا سخَّر الله البُدْن للناس، لعلكم تشكرون الله على تسخيرها لكم.[٣]

دلالة اللفظ تبين بلاغة الكلمة القرآنية، ومناسبتها لسياق الكلام، فجاءت دلالات الكلمة لتعطي معنى الخضوع والانقياد عند الهدي المساق للنحر؛ في شعيرة من شعائر الله، وحملت معنى السقوط لغة والقطع الدال على تأكيد حصول الأمر، ودلت كناية على الموت لله، ونقلت

---

١ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ج٣/١٦٠)، وأبي سعود، روح المعاني،(ج٥/ص١٠٧)

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٧/ص ١٩١)

٣ ينظر السيوطي والمحلي، تفسير الجلالين (ص: ٤٣٨)، وينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (٥٣٨ص).

صورة شعيرة النحر بطريقة مشاهدة مسموعة فيعظم السمع المشهد في نفسه كأنه يراه حقيقة، ومن دلالاتها أنها بينت أمثل طريقة لذبح الإبل[١]؛ وهي واقفة معقودٌ أحد أطرافها.

وجاء اللفظ في سياق الحديث عن تعظيم شعائر الله سبحانه في الحج، وما يتعلق به،،وأخذها بالاهتمام والجد والتعظيم؛الذي أشعرنا الله بلزومه على عباده حين أوجبه عليهم، فليس فيه معنى العبثية أو العشوائية التي يلبس به المشككون على الناس، إنما هو أمر فيه تذكير للمؤمنين بفداء إسماعيل عليه السلام، ذلك البلاء العظيم الذي أفلح به إبراهيم –عليه السلام[٢] –، فالاستسلام لأمر الله والتصديق بالبعث والحساب يدعو للتسابق في اكتساب رضا الله، وتقديم الهدايا؛ وهي رمز للطاعة والاستسلام – وذلك لغنى الله عنها– و دليلٌ على المحبة، والرغبة في اكتساب التقوى للنجاة في ذلك اليوم العظيم.

وفي نحر الهدي باسم الله دلالة على التوحيد الخالص، فجعل الله لكل أمة منسكاً ليشكروه على نعمه، وعلى ما سخر للناس في هذه الأرض من أنعام، فالشكر على النعم من علامات الإخلاص في القلوب، ومن واجبات المخلوق تجاه خالقه.

الانفرادتان؛ العاشرة " هدّمت" و الحادية عشرة" صوامع " في قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ الحج(٤٠).

في سياق نصرة الله لمن جاهد لنصرته.

أولا: دلالة المادة "هدّم" ومادة " صمع" في اللغة.

١– دلالة مادة "هدم "

الهدم في اللغة أصله من القلع للأبنية، "جاء في كتاب العين " الهدم؛ قلع الدار، والهدم الخلق البالي، والجمع أهدام والهَدِمةُ: النّاقةُ الضَّعِيفةُ الشَّديدةُ الضَّبَعَةِ إلى الفحل... تقول:وعجوز مُتَهَدِّمة أي فانية هَرِمَة [٣]".وقال ابن فارس في المقاييس –(ت٣٩٥ه)–: لها أصل واحد يدل على حطّ البناء[٤].وفي مفردات القرآن للأصفهاني–(ت٥٠٢ه): "هو إسقاط البناء....ومنه استعير: دم

---

١ روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم – أنه نحر بيده سبع بدن قياما؛ كما في صحيح البخاري، "باب من نحر بيده "حديث رقم (١٦٢٦).

٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص١٩٣)

٣– الفراهيدي، العين (ج٤/ص١٣٠)

٤ ابن فارس المقاييس،(ص١٠٦٦)

هدم. أي: هدر، والهدم بالكسر كذلك لكن اختص بالثوب البالي، وجمعه: أهدام[١]" ويقال في اللغة "هَدَمَه يَهْدِمُه هَدْماً وهَدَّمه فانْهَدَمَ وتَهَدَّمَ، وهَدَّمُوا بُيوتهم شُدِّدَ للكثرة،وهو فِعْلٌ مُجاوزٌ والفِعلُ اللازم منه الانْهدامُ ويقال هَدَمَه ودَهْدَمَه بمعنى واحد.."[٢]

ويتبين من دلالة اللفظ في المعاجم أنه يدل على القلع؛ وهذه فيها دلالة الإزالة، ويدل على حط؛ وهذه فيها دلالة التغيير، ويدل أيضا على الإسقاط؛ وهذه فيها دلالة القوة، فالهدم إزالة للشيء فيتغير حاله من التمكين إلى الزلزلة، ومن العلو والرفعة إلى السفلة والانحطاط، ومن القوة إلى الضعف. أي يدل على تغير حال شيء ثابت بقوة إلى حالٍ أخرى.

٢- دلالة مادة "صوامع "

الصمع في اللغة التضام، قال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-:" يقال أصمعت أذنه صغر حجمها وضاق صماخها[٣]؛ ومن ذلك الصَّمع في الأُذنَين. يقال هو أصمعُ، إذا كان ألصَق الأذنين.. ويُقَالُ للظليم[٤]: أصمع لرفعه أذنه، والأنثى صمعاء، وامرأة صمعاء الكعبين أيْ: لطف كعبها واستوى،...ومنه سمّي الرمح: أصمع." وجاء في تهذيب اللغة:" الأصمع الضامر الذي ليس بالمنتفخ، والأصْمَعان: القلبُ الذكِيُّ والرأيُ الحازم[٥].

وفي المقاييس:" الصمع؛ لطافة في الشيء وتضامٍّ، ومن ذلك اشتقاق الصومعة.. ويقال: قلبٌ أصمع، أي لطيف ذكيّ.[٦]" سُمِّي بذلك لانْضِمامِه وتَجَمُّعِه، كذلك الرأيُ الحازم على المَثَل كأنه انضمّ وتجمّع..." [٧]قال ابن سيده-(ت٤٥٨ه): كل منضمٍّ فهو مصمِّع[٨].

ويظهرمن دلالة المادة تعبير عن شيء مدقق محدد، منضم على بعضه، صغير الحجم، واستعيرلكل شيء متآلف منسجم.

ثانيا دلالة الصيغ في تركيب" لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ"

جاء التركيب في موقع جواب شرط لولا؛ وهي حرف امتناع لوجود؛ أي امتناع الجواب لوجود الشرط، وهو دفع الناس؛ أي لولا تسليط الله المؤمنين على المفسدين، لهدمت صوامع

---

١ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٣٨٨)
٢ ابن منظور، لسان العرب، (ج٨/ص٢٨١)
٣ "الصِّماخ من الأذن: الخَرق الباطن الذي يفْضي إلى الرأس" ينظر ابن سيده، المحكم (ج٢/ ص٢٩٨).
٤ "الظليم: ذكر النِّعام" ينظر ابن منظور، لسان العرب (ج١٢/ص ٣٧٣).
٥ ينظر تهذيب اللغة، الأزهري، (ج٢/ص٣٧)
٦ ابن فارس، المقاييس، (ص٥٧٥)
٧ ابن منظور، لسان العرب، (ج٨/ص٢٨١).
٨ ابن سيده، المخصص، (ج٢/ص٥٨)

وبيع ومساجد يذكر فيها اسم الله، وجاء فعل هدمّت بصيغة الماضي المثبت المضعف[١] المقترن باللام؛ "للمبالغة في الهدم، أي لهدّمت هدما ناشئا عن غيظ بحيث لا يبقون لها أثرا"[٢].وفي بناء الفعل للمجهول دلالة للاهتمام به على فاعله، وتحقيرا للفاعل، لأن الغاية هنا تخيل السامع لصورة الهدم؛ دون محاولة تصور الفاعل أو الأداة التي هدمت بها، إنما هي صورة السقوط، والدمار الحاصل من انهدام البناء.

والصوامع؛ جمع تكسير لصومعة، على وزن فوعلة، والفواعل جمع لصفة أو اسم، وهي هنا جمع لاسم بناء،"له شكل مستطيل مرتفع يصعُد إليه بدرج وبأعلاه بيت، كان الرهبان يتّخذونه للعبادة ليكونوا بعداء عن مشاغلة الناس إياهم، وكانوا يوقدون فيها مصابيح للإعانة على السهر للعبادة ولإضاءة الطريق للمارين، من أجل ذلك سُمّيت الصومعة المنارة."[٣]واستخدمت فيما بعد لبناء مآذن المسلمين."[٤]

ولجمع التكسير دلالة التكثير –على الغالب–، وصيغة منتهى الجموع فواعل تستخدم لجمع الكلمات التي تحول دلالتها المعجمية من الصفات إلى أسماء؛ فتحول صفة الصمع إلى اسم صومعة [٥]، لتدل على اسم مكان، وصوامع تدل على كثرة الأبنية المهددة بالهدم لولا سنة الدفع. "لكن الجمع إذا نكر حمل على أقل الجمع [٦]"والجمع المنكر لا يدل على أكثر من ثلاثة من ذلك المجموع[٧]"، ودلالة ذلك التنكير هو بيان أن عدد قليل من الصوامع أو البيع – التي كانت قبل الإسلام يذكر فيها الله وحده[٨]– لولا سنة التدافع لهدمت، وليس فيه دلالة أن الصوامع والبيع خير خير من المساجد لتقدمها عليها في الآية.

---

١ وقرأ "لَهُدِمَتْ" بالتخفيفِ نافعٌ وابن كثير. والحجة لمن خفف أنه أراد المرة الواحدة من الفعل، ينظر ابن خالويه، الحسين بن أحمد،أبو عبد الله الحجة في القراءات السبع،دار الشروق – بيروت،ط٤، ١٤٠١، تح:– د. عبد العال سالم مكرم (ص: ٢٥٤)

٢ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ (ص٣٨٨)، وابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٠٢)

٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٢٠١)

٤ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص١٥٤)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج١٢/ص٧١)

٥ ينظر يعيش(ابن، موفق الدين علي بن محمد بن علي الأسدي الموصلي، أبو البقاء، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، شرح المفصل للزمخشري،تقديم:د.إميل بديع يعقوب، ط١،بيروت، دار الكتب العلمية، (ج٣/ ص٢٥٢)

٦ ينظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (ت ١٢٥٠هـ)،١٤١٩هـ – ١٩٩٩م. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، تح:– الشيخ أحمد عزو عناية، ط١دار الكتاب العربي دمشق – كفر بطنا، (ج١/ص٢٨٧)

٧ ينظر المرجع السابق، (ج١/ص٣٠٧–٣٠٩)

٨ "جملة {يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً} صفة، والغالب في الصفة الواردة بعد جمل متعاطفة فيها أن ترجع إلى ما في تلك الجمل من الموصوف بالصفة. فلذلك قيل برجوع صفة {يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ} إلى {صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد} للأربعة المذكورات قبلها وهي معاد ضمير {فيها}." ابن عاشور،التحرير والتنوير (١٧/ ٢٠١)

وحكمة تقديم هدم الصوامع على البيع؛ذاك أنّ الصوامع معروفة عند العرب أكثر من البيع؛ فكانوا يهتدون بمناراتها في طرق تجارتهم،[١] "وقال بعض العلماء :هذا تَرَقٍّ من الأقل إلى الأكثر إلى أن انتهى إلى المساجد وهي أكثر عمَّارا وأكثر عُبادا وهم ذووا القصد الصحيح،، وأن الصوامع المعابد أصغر حجما من البيع، فالبيَع أوسع منها، وفيها عابدون أكثر، والصلوات يقصد بها كنائس النصارى، والمساجد للمسلمين."[٢]

ثالثا: علاقة الانفرادتين في التركيب "لهدمت صوامع" في الوحدة الموضوعية للسورة.

تأذن الآية التي جاء فيها التركيب المنفرد للمؤمنين بقتال ظالميهم؛ الذين أخرجوهم من ديارهم بغير حق إلا أنهم آمنوا بالله الواحد، ونبذوا عبادة غيره، وتبين أن لولا سنة الله في الأرض بأن يدفع ظلم الفجار بسيوف المجاهدين، لخربت الأرض، وهُدِّمت فيها أماكن العبادة من صوامع الرهبان، وكنائس النصارى، ومعابد اليهود، ومساجد يذكراسم الله فيها كثيرًا. ومن جد وعمل لنصرة دين الله، فإن الله ناصره على عدوه. فهو القوي لا يغالب، العزيز الذي لا يرام، قد دبر الأمر كله ويعلم ما يكيدون وهو على نصر جنده لقدير.[٣]

جاء اللفظان في تركيب منفرد بمعنى إسقاط أبنية الرهبان، فالهدم دل على الإسقاط، وتغيير الهيئة وانحطاط الشيء لأسفل، ودلت الصومعة على اسم مكان يتعبد فيه الرهبان ولاسمها علاقة بشكلها، فالصمع شيء يشبه الأسطوانة كمآذن المسلمين اليوم، فالمعنى هو معاداة الأماكن التي يذكر فيها اسم الله، ومحاربة اسمه عز وجل، وليس مقصود المكان بذاته إنما ما بني لأجله، وهذه الدلالة ترتبط معوحدة السورة في بيان الإفساد الحاصل في الأرض لو أنّ الحياة كانت عبثا دون حساب، وفي هدم الصوامع دلالة على إزالة البناء الذي قصد التعبد منه، فإن كان الناس قادرين على إزالة أبنية صنعوها، ثم كانوا قادرين على إعادة بنائها من جديد، فمن العقل والمنطق أنّ خالق الناس بقادر على إزالة الكون كله وإعادته من جديد، وإن كان صوت وقعة الهدم يورث في النفس ذلك القلق والخيفة، فكيف الحال لو وقعت الواقعة الكبرى، وهدمت كل الجبال والبنيان. وهو ما حذرت منه السورة، ودعت الناس لاتقائه.

وفي الآيات بيان لسنة من سنن الله في الكون، وهي سنة التدافع، فالجهاد لم يفرض عبثا، أو محبة في سفك الدماء إنما هو السبيل لحقن الدماء، وحماية ضرورات الحياة الدين والنفس

---

١ ينظر المصدر السابق،(٢٠٢/١٧).
٢ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣٠٤/٣).
٣٣ ينظر السعدي، تيسير الكريم المنان...، (٥٣٩)

والمال والعرض والعقل. فالكافرون يفسدون في الأرض، ودليل فسادهم أنهم يهدمون أماكن الطهر والصلاح فيها، ولا يدفع ضرر هؤلاء إلا المؤمنون المصدقون بنصر الله، والحريصون على الفوز بالجنة.

الانفرادة الثانية عشرة "بئر" في قوله تعالى ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (سورة الحج: ٤٥). في سياق التذكير بهلاك الأمم الغابرة، وإثبات البعث.

أولا: دلالة مادة "بئر" في اللغة

أصل البئر في اللغة الحفر، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي-(ت١٧٥ه)- "بأرت الشيء وابتأرته أي خبأته.من حديث الرسول- صلى الله عليه وسلم- [١]"فأنه لم يبتئر عند الله خير" **أي** يدخر." [٢]

قال الراغب الأصفهاني-(ت٥٠٢ه): " أصله الهمز، يقال: بأرت بئرا، وبأرت بؤرة، أي: حفيرة. ومنه اشتق المئبر، وهو في الأصل حفيرة يستر رأسها ليقع فيها من مرعليها، ويقال لها: المغواة، وعبر بها عن النميمة الموقعة في البلية، والجمع: المآبر.بأرت بؤرة أي حفيرة[٣]،

وفي لسان العرب لابن منظور-(ت٧١١ه): :" بَأَرَها يَبْأَرُها وابْتَأَرَها حَفَرَها، والبئر حفرة يدخر فيها ماء المطر أو الجاري تحت الأرض." فإذا كثر ماؤها وزاد عمقها سميت بالجبّ؛ وهو البئر مذكر في لسان العرب[٤].

ويتبين من دلالة المادة أنها تدل على حفرة لتجميع المياه، وفيها دلالة الادخار والرزق، ذلك أنه يستخدم لتحزين الماء لحاجته، ويعد امتلاكه ثراء، وسعة في الرزق.

---

١ عن النبي صلى الله عليه و سلم ذكر رجلا (فيمن كان سلف أو قبلكم آتاه الله مالا وولدا - يعني أعطاه - قال فلما حضر قال لبنيه أي أب كنت لكم؟ قالوا خير أب قال فإنه لم يبتئر عند الله خيرا - فسرها قتادة لم يدخر وإن يقدم على= =الله يعذبه فينظروا فإذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني أو قال فاسهكوني، ثم إذا كان ريح عاصف فأذروني فيها، فأخذ مواثيقهم على ذلك - وربي - ففعلوا. فقال الله: كن. فإذا رجل قائم، ثم قال: أي عبدي ما حملك على ما فعلت؟ قال مخافتك أو فرق منك فما تلافاه أن رحمه الله)ينظر صحيح البخاري، باب الخوف من الله حديث رقم (٦١١٦)

٢ ينظر إلى الفراهيدي، العين (ج٨/ص٢٩٠)

٣ ينظر الأصفهاني،مفردات القرآن،(ص١٢٨)

٤ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج٣/ص٦٥)

ثانيا: دلالة الصيغة " وبئر"

البئر مؤنثة على وزن فِعلٌ بمعنى مفعول؛ وتجمع على آبار[١]، وفِعل تدل على الأسماء من المفعول لا الصفات، فالبئر اسم لحفرة تحفز لادخار الماء فيها[٢]، فلها دلالة الدوام على الشيء[٣]،

وجاء التركيب عطف على قرية[٤]؛ بمعنى وكم من قرى أهلكناها..وكم من آبار عطلناها، ومعطلة صفة لبئر، فالبئر عامرة بالماء، ولكن التعطيل وقع على الإفادة منها، ودليل ذلك عطف جملة "وقصر مشيد" فالمشيد هو القصر المجصص المزخرف، ووصفه بالمشيد يدل على بقائه على حاله وزخرفته لكنه خالٍ من أهله المُهلكين.[٥]

جاء التركيب في سياق بيان جُرم ارتكبه كثير من الناس مع رسلهم، وهو تكذيبهم إياهم، فكانت سنة الإهلاك بعد الإملاء مناسبة لعظيم جرمهم.

نقلت الصورة القرآنية مشهدا كئيبا لحال القرية الخالية من أصحابها، رغم بقاء عروشها وقصورها قائمة مزخرفة، رغم وجود أهم سبب للحياة وهو الماء في آبارها، تلك الصورة توحش النفس، وتدعوها للتأمل، ولاستعمال كل وسائل الإدراك لديهم من أسماع وأبصار وقلوب للتفكر في عاقبة الأمم المكذبة.

ثالثا:علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

معنى الآية "من سنن الله في كونه إهلاك القرى الظالمة بكفرها، فديارهم مهدَّمة خَلَتْ مِن سكانها، وآبارها لا يستقى منها، ولا يَرِدُها أحد بعد كثرة وارديها والازدحام عليها، وقصورها العالية المزخرفة لم يحم شدة بنائها ولا ارتفاعهت، ولا إحكامها ولا حصانتها؛ لم يحم كل ذلك أهلها عن حلول بأس الله بهم.٦

جاءت كلمة "بئر" الموصوفة بالتعطيل في سياق يتحدث عن عاقبة تكذيب الرسل، وعن سنة الله تعالى في الأرض بإهلاك الظالمين، ويدعوهم للتفكر في مساكن السابقين، فذلك التفكر هو طريق حماية القلوب من الغفلة، التي عطلت القلب عن التقوى، فالبئر حفرة لادخار الماء في الأرض، والقلوب هي بئر النفس، فإن ادخر العبد فيها الخشية من يوم يلقى فيه الله، وادخر

---

١ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٦/ص٢٧٠)
٢ ينظر السامرائي، معاني الأبنية في العربية، (ص٥٨).
٣ ينظر المرجع السابق، (ص٥٨).
٤ ينظر اللآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٥٨)
٥ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ج٣/ص١٦٣)
٦ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ج٣/ص ٣١٦)

الأعمال الصالحة التي أخلصها لله، وأخذ بحسبانه أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، نجا، وإن ادخر في نفسه الفسق والكفر والعصيان ألهم الفجور؛ وخسر في الدنيا والآخرة.

الانفرادة الثانية عشر "يسطون" في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (سورة الحج: ٧٢)، في سياق الحديث عن حال الكافرين عن سماع الحق.

أولا: دلالة مادة "سطو" في اللغة

السطو في اللغة هو البطش الشديد، قال حبر الأمة ابن عباس في تفسير الآية –(ت٦٧ه)–:يسطون؛ يبطشون"[١]، وفي العين:" السَّطْو البَسْط على الناس بقَهْرهم من فوق يقال سَطَوْتُ عليه... والسَّطْو شدة البطش؛ وإنما سُمي الفَرَسُ ساطياً لأنه يَسْطو على سائر الخيل؛ فيقومُ على رجليه ويسطو بيديه[٢]."

وفي التهذيب للأزهري–(ت٣٧٠ه)–: السطو شدة البطش، والسَّطْوُ: أن يُدخِل الرجلُ اليَدَ في الرَّحِم فيَسْتَخْرِجَ الوَلَد...وقد يُسْطَى عَلَى المرأة إذا نَشَبَ ولدُها في بطنِهَا ميِّتاً فيُسْتخرَج منها...ويقال: اتّق سَطْوَتَه، أي: أَخْذَتَه [٣]."قال النحاس–(ت٣٣٨ه):سطا به، يسطو؛ إذا بطش به كان ذلك بضرب أو شتم[٤]."، وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه): " وهو أصل يدل على القهر والعلو؛ وأخذ الشيء بقوة وغلبة[٥]."

وخص الأصفهاني –(ت٥٠٢ه–) السطو برفع اليد على الشخص أي التطاول عليه، وقال: وتستعار السطوة للماء كالطغو؛ يقال: سطا الماء وطغى، وفي اللفظ أيضا دلالة البطش بالوثوب على الشيء[٦].

ويظهر بعد سرد دلالة المادة في المعاجم أنّ السطو نوعٌ من أنواع البطش؛ لكنه أشد منه، ويقصد به الإذلال وإلحاق الأذى؛ ويغلب عليه استخدام اليد،وقد يصاحبه شتم ووثوبٌ على

---

١ الرجّال، صحيفة علي بن ابي طلحة، ص٣٦٢.
٢ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٧/ص٢٧٨)
٣ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٣/ص ٢٠)
٤ النحاس، معاني القرآن، (ج٤/ص٤٣١)
٥ ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٤٧٩)
٦ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص١٧٥)، وابن منظور، لسان العرب، (ج١٤/ص٣٨٣)

المسطو عليه، فهي لفظة تصور حركات جسدية وانفعالات نفسية؛ يُقصد بها القهر والتطاول على الغير وإذلاله.

ثانيا دلالة صيغة " يَسْطُونَ"

جاءت الانفرادة "يسطون" في صيغة من صيغ الأفعال الخمسة، وقوع الفعل وفاعله في محل نصب خبر يكادون؛ وذلك أن الفعل الناقص كاد يأتي خبره فعلا مضارعا في الغالب؛ وذلك لأن الفعل كاد يدل على أن الفعل شديد القرب من الوقوع ولكنه لم يقع لتعسره[١]، وهو أبلغ من عسى في الدلالة على المقاربة؛ ذلك أنّ العرب تقوله لمن هو على حد الفعل كالداخل فيه؛ لا زمان بينه وبين دخوله، ولهذا تجد اللفظ في صيغة الفعل المضارع أدل على الغرض؛ لأنه يدل على الزمن القريب من الحدوث[٢].

وجاء التركيب في محل بدل الاشتمال لجملة "تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر"، لأنّ الهمّ بالسطو كان مما اشتمل عليه المنكر. [٣] وفاعل الفعل يعود على الكافرين– الذين يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا– فصورت الآية انفعالاتهم الظاهرة والباطنة، ونقلت رغبتهم في البطش بالمسلمين؛ وحددت الكلمات التفاصيل الزمنية الظاهرة في تلك الصورة؛ ففضحت وجوههم سرائرهم، ويظهر الإنكار والغيظ في وجوههم عند سماعهم آيات القرآن، فهم ما إن يسمعوا الآيات تتلى حتى تعزم أنفسهم على البطش بهم، وبينت حقيقة منهجهم في التعامل مع الحق الظاهر البين؛ فهم لا يناهضون الحجة بالحجة، ولا يقرعون الدليل بالدليل، إنما يلجؤون للسطو والعنف عندما تفشل خططهم؛ حيث حمل معنى السطو البطش مع الوثب؛ وفيه دلالة التهور نتيجة الغضب من ظهور الحق جليا فوق ركام دعواهم.[٤]"

ثالثا: علاقة الانفرادة في الوحدة الموضوعية للسورة

معنى الآية التي جاءت فيها الانفرادة" وإذا تلي القرآن على أسماع الكافرين ظهر الإنكار على وجوههم، وكادوا يبطشون بالذين آمنوا، قل لهم يا محمد –صلى الله عليه وسلم – أأنبكم بأعظم من ذلك عليكم؛ نار أوعد الله الكافرين بها أعدها لهم في الآخرة، وبئس المصير.[٥]"

---

١ ينظر أبي البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، كليات القرآن تح: عدنان درويش – محمد المصري بيروت، مؤسسة الرسالة –، (ص٧٤١)
٢ ينظر ابن يعيش، شرح المفصل، (ج٤/ص٣٧٧)
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٣٣٤)
٤ ينظر ابن عاشور المصدر السابق، وقطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص٦٢٨)
٥ ينظر ابن كثير،، تفسير القرآن العظي، (ج٣/ص٣١٥-٣١٦)

اللفظ في صيغته وسياقه جاء بدلالات وإيحاءات تناسب الصورة المعبرة عن حالة الكافرين عندما تدمغهم البينات من آيات الله، وجاء اللفظ في سياق يبين فضل الدعوة لله، ويبرز بعض مظاهر الأذى التي تعترض الداعين لله في سبيله، وفيها حث للمؤمنين على الصبر على أذى الكافرين، كما حث الله رسوله محمدا – صلى الله عليه وسلم– فقال له "وادع إلى ربك إنك لعلى هدى مستقيم[١]"؛ فطمأنه بسلامة المنهج وصفاء النور الرباني الذي أنزل عليه.

وتظهر علاقة اللفظ بالوحدة الموضوعية للسورة في دلالات اللفظ، فاللفظ يشكل حالة من الغليان تعتري صدور الكافرين عند تذكيرهم بالله وباليوم الآخر، فهم عندما يسمعون آيات الله تتلى يخشون على أنفسهم من الحق وأهله، ومن أن يخسروا مكاسب حازوها بإفسادهم بين الناس، وعقيدة البعث عقيدة تربوية تقوم على تهذيب النفوس، ومنعها من الإفساد.

الانفرادة الثالثة عشرة "يسلبهم " في قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ (سورة الحج: ٧٣)، في سياق ضرب المثل بضعف ما يعبدون من دون الله.

أولا: دلالة مادة "سلب" في اللغة

السلب في اللغة هو الأخذ، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: كل لِباسٍ على الانسان سَلَبٌ، والسَّلُوب من النّوق التي يؤخَذُ ولدها، وجمعه سَلائب، وقيل هي الناقة إذا أُلقَت ولَدَها لغير تَمامٍ وجمعُه سُلُبٌ، وأَسْلَبَتْ فَعَلَت ذلك ويقال للشاء أَسْلَبَتْ، ويقال السُّلُبُ الطِّوال وفَرَسٌ سَلِبُ القوائِم وبعير مثلُه، وفَرَسٌ سَلْبُ القوائِم خفيفُ نقلِها ورجل سَلْبُ اليَدَيْن بالطعْن خفيفُهما[٢]."

يقول ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–: "السين واللام والباء أصلٌ واحدٌ، وهو أَخْذُ الشَيء بخفّة واختطاف. وفي الأثر النبوي" من قتل قتيلا له عليه بينةٌ فله سلبه.."[٣] يقال سلبتُهُ ثوبَهُ سلْباً. والسَّلَب: المسلوب. "[٤]

---

١ سورة الحج، آية (٦٧)
٢ابن منظور، لسان العرب، (ج٦/ص١٥)
٣أخرجه البخاري في الصحيح، حديث رقم(٤٣٢١)، (٢٩٧٣)
٤ ابن فارس،المقاييس، ص٤٨٨

وقال الراغب الأصفهاني-(ت٥٠٢ه): السلب: نزع الشيء من الغير على القهر.... وفي السلب السود؛ فقد قيل: هي الثياب السود التي يلبسها المصاب، وكأنها سميت سلبا لنزعه ما كان يلبسه قبل. وقيل: تسلبت المرأة، مثل: أحدت.....والأساليب: الفنون المختلفة.[١]"

ويتبين هنا أنّ مادة "سلب" تحمل دلالة الخطف والأخذ بخفة؛ ولها دلالة الاختلاس؛ في أخذ ما للغير بخفة، وتحمل دلالة القهر عند الأخذ؛ لذلك يسمى ما ينتزع من القتيل من ثيابه ودرعه سلبا[٢].

ثانياً: دلالة الصيغة " يَسْلُبْهُمُ"

جاء اللفظ في صيغة المضارعة في جملة شرطية؛ ودلالة المضارع المسبوق بأداة الشرط "إن"على معنى الاستقبال تنصيصا[٣]، وجاء اللفظ ضمن آية بدأت بنداء أفاد الإقبال، وتنبيه السامعين لمضمون الخطاب، ثم بدأ بفعل "ضُرب" مستعار للقول والذكر، مبني للمفعول للتنبيه على الحدث، واحتمل الفاعل أن يكون الله؛ فيكون المثل تشبيها تمثيليا؛ أي أوضح الله تمثيلا يوضح حال الأصنام في فرط العجز عن إيجاد أضعف المخلوقات، كما هو مشاهد للجميع، أو أن يقدر الفاعل "المشركين" فيكون بمعنى المماثل، أي جعلوا أصنامهم ندا لله، واستخدم فعل الأمر" فاستمعوا"،وقصد به التحريض على التدبر على التقدير الأول، والتعجب على الاحتمال الثاني[٤].

ثم جاء بكلمة تعبرعن علاقتهم بمن يشركون بالله؛ فقال" تدعون" ولم يقل "تعبدون" ذلك أنّ أعظم ما أشركوا فيه، زعمهم أنّ شركاءهم يسمعونهم ويلبونهم، وربط المثل المضروب هذه الصفات بالخالق فقط فمن خلق الكون بكل ما فيه، وخلق الروابط بين مخلوقاته، هو وحده القادر على تدبير أمور خلقه، ووحده القادر على العطاء والمنع.

جعل المماثلة بينهم وبين حشرة من أحقر مخلوقات الله، وأضعفها، ويمتاز هذا المخلوق بالسلب؛ ودلالة السلب هي الخطف السريع والنزع بالقهر، وهذه الكلمة وصفت علاقة الذباب بمن حوله وصفا دقيقا، فالذباب يقدرعلى اختلاس ما يريد ممن حوله من المخلوقات التي تعظمه حجما. وقال القرطبي: وخص الذباب هنا لأربعة أمور: لمهانته، وضعفه، واستقذاره، وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على

---

١ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص١٧٨-١٧٩)
٢ ينظر ابن حجر، فتح الباري، (ج٩/ص٤٠٨-٤٠٩)
٣ ينظر رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، ١٣٩٥ه - ١٩٧٥م، شرح الرضي على الكافية لابن الحاجبتح: أ. د. يوسف حسن عمر. ليبيا، جامعة قار يونس، (ج٢/ص٢٥٧)
٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٧/ص٣٣٩)

خلق مثله ودفع أذيته، فكيف يجوز ان يكونوا آلهة معبودين، وأربابا مطاعين، وهذا من أقوى الحجج وأوضح البراهين "[١]

التركيب يرسم صورة تدل على عجزهم عن استنقاذ ما سلبهم إياه الذباب، بعد أن بين عجزهم عن خلقه، فيكون المعنى المتصور"إن كان ما تعبدون من دون الله لا يعجز فقط على أن يخلق؛ إنما يعجز أن يذب عن نفسه أذى أدنى المخلوقات[٢]، ولا يستطيعون منعه من سلبهم، والسلب لا يكون إلا للقتيل، فكأن الله شبه ما يعبدون من الأصنام بالقتلى المهزومين، الذين لا حول لهم ولا قوة حتى عن دفع ذبابة عنهم.

ثالثا:علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

جاء اللفظ ضمن آية ابتدأت بنداء رباني للناس كافة من ربهم- بعدما بارزوه بالشرك والمعصية- جاء النداء لهم بحسن الاستماع لمثل من الله يضربه لعباده، فضرب لهم مثلا لأحقر مخلوق عند البشر- الذبابة- فكل ما تعبدون من دون الله لن تقدر على خَلْق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهما ضعيفان معًا: ضَعُفَ الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضَعُفَ المطلوب الذي هو الذباب، وأريد بهذا المثل بيان هوان ما يعبدون من دون الله، وعظم جرمهم أن جعلوا الخالق والمخلوق أندادا!![٣]

جاء اللفظ "يسلبهم" في سياق إثبات عجز وسفه المشركين وما يعبدون من دون الله، فأخبر الله تعالى أولا عن عجز هذه الكائنات عن خلق أضعف مخلوق في أعين المشركين وأحقرهم إليهم؛ الذباب،والذباب واحد؛ فهي للجنس[٤]، وقول الناس ذبانةٌ خطأ[٥]، وجمعها القليل أذبنة، والكثير ذبّان[٦]، وجاء اللفظ مفعول لفعل منفي بلن؛ ينفي مقدرة الخلق عنهم، وفي سياق ضرب مثل من الله بأوجز عبارة وأبلغها، فبيّن فيها عجز معبودات المشركين- حتَّى حال الاجتماع والتّعاون- عن خلق أصغر مخلوق وأحقره عندهم، ولا حتَّى على الانتصار منه؛ ولازم هذه الحقيقة بطلان ألوهيتها بالضرورة؛ إذ من لوازم الألوهية القدرة التامّة على كلّ شيء؛ ولهذا فإنّ

---

١ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٨٣/١٢)

٢ ينظر أبي السعود، إرشاد العقل السليم، "وفيه أنّ المشركين كانوا يطيبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله.." (١٢١/٦)

٣ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣١٦/٣)

٤ ابن يعيش، شرح المفصل، (ج٢/ص٢٨٠)

٥ ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو بكر، كتاب الاشتقاق، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣،،تح:-عبد السلام محمد هارون، (ص٤٢٥)

٦ ينظر الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢م، أبو إسحاق لكشف والبيان ــ ط١،بيروت، دار إحياء التراث العربي.(ج٧/ص٣٤).

من عرف الله حقّ المعرفة، واستخدم عقله وفكره في التمعن في آيات الله في الكون علم يقينا أن كل ما في الكون يدل على وجود خالق واحد حكيم متقن، لم يخلق الكون وحسب إنما يدبر أمره كله، فيحفظه ذلك الإيمان من الشرك.[١]

وفي دلالة "لن " –الدليل على النفي المستقبلي على الإطلاق دون دلالة تأكيد أو تأييد–[٢]، معنى التحدي التهكمي، لا الحقيقي، فأراد الله أن يحقر ما يعبدون من دونه، فجاء بخبر يتضمن السخرية منهم، فنفى مقدرتهم على خلق ذباب واحد، أو حتى استنقاذ ما سلبه الذباب إياهم.

وليس المقصود هو الاستهانة بخلق الذباب، فالذباب كائن عجيب يستحيل خلقه إلا على الله كغيره من المخلوقات، لكنه حقير مستقذر في أعين المخاطبين، واختيار الذباب دون غيره يعطي دلالة العجز والضعف التي لا يعطيها غيره من المخلوقات أمامهم، وتكتمل صورة التهكم بهم وتحقيرهم بالتركيب التالي، وهو "وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه.."[٣]

فهم عاجزون حتى عن استنقاذ شيء سلبه إياهم الذباب قهرا، فذلك المخلوق– المستضعف لديهم– لو سلطه الله على الناس لما استطاعوا الحياة على الأرض[٤]، فالذباب سارقة في طبيعة خلقها، لكن اللفظ سلب ناسب صنيع الذباب ذلك أنه لا يكون إلا بخفة وقهر، هذا من جانب، ومن جانب آخر تدل الدراسات في عالم الحشرات أنّ الذباب يحول ما يتغذى عليه إلى سائل، يدخل إلى جهازها الهضمي ثم يرسل إلى كل أجزاء جسدها، ولهذا يصعب أن تسترجع ما سحبه الذباب بخرطومها[٥].

ويظهر التركيب الذي جاء فيه اللفظ عظم جرم كثيرمن الناس في حق خالقهم، فجحدوا حق الله تعالى عليهم أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، فجعلوا له أندادا، فبينت هذه الآية بما تضمنته من مثلٍ سفاهة ما يعبدون من دون الله، فإنّ إفراده سبحانه وتعالى بالألوهية هو سبب إرسال الرسل ومدار رسالتهم جميعا، وإنكارعبادته وحده والإيمان باليوم الآخرهو سبب هلاك المكذبين يوم القيامة، ذلك أنهم ما قدروا الله حق قدره.

---

١ ينظر ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١ه)ـ(١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح:– طه عبد الرؤوف سعد، مصر، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية، (ص٢١٤)

٢ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص١٩٠).

٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص٦٢٩).

٤ "الأنثى الواحدة تضع في المرة الواحدة ٤٠٠ بيضه، وإذا لم يأتي طيور و حشرات أخرى مثل النمل لتأكل من هذا البيض لوضعت الإناث في الموسم الواحد ١بجانبه ٦٦صفر من الذباب وفي هذا الوقت كان سيستحيل علي الإنسان أن يعيش في وجود.."ينظر أسرار عالم الحشرات، سلسلة من أسرار القرآن (٣)،دار الغوثاني للدراسات القرآنية،(٩٨)

٥ المصدر السابق، (٩٩ص–ص١٠٠)

فالمؤمن يعلم عظم مقدرة الله تعالى،فهو يتفكر في خلق الكون ويتأمل كل ما يجول حوله وينظر إلى قدرة الله على تدبير أمر الكون كله، وبديع صنعه، فعندما تتعرف النفس إلى خالقها، يلزم من تلك المعرفة العبادة، ودلالة اللفظ السلب ترسم حقيقة العلاقات بين كل المخلوقات التي خلقها الله، فكل المخلوقات تقوم على سلب أحدها الأخرى، والخالق هو المسيطر على تلك العلاقات، وهو القادر على دفع أذى المخلوقات عن بعضها البعض.

المبحث الثالث

الانفرادات اللفظية في سورة "المؤمنون" وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

توطئة: تقديم السورة

سورة "المؤمنون" من السورة المكية بالاتفاق[١]؛ قال ابن عاشور:"ولا اعتداد بتوقف من توقف في ذلك، بأنّ الآية التي ذكرت فيها الزكاة وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾ المؤمنون:٤ تعين أنها مدنية؛ لأنّ الزكاة فرضت في المدينة. فالزكاة المذكورة هي التزكية بالمعنى المصدري[٢]، فيكونون حريصين على تطهير أنفسهم وقلوبهم، وأموالهم بالصدقات، وإطلاق الزكاة على الصدقة مشهور في القرآن.[٣]"

وقد ورد تسمية السورة بهذا الاسم في السنن عن الصحابي عبد الله بن السائب أنّه قال:" صلى بنا رسول الله –صلى الله عليه و سلم– الصبح بمكة، فاستفتح سورة "المؤمنون"، حتى إذا جاء ذكر موسى وهارون، أو ذكر عيسى... أخذت النبي– صلى الله عليه و سلم– سعلة؛ فركع[٤]"، وذكر ابن عاشور تسميتها بسورة "الفلاح"، وسورة "قد أفلح" وهو مما جرى على الألسنة.[٥]"

جاءت السورة في الجزء الثامن عشر من القرآن، بعد سورة الحج، وقبل سورة النور، برقم ثلاث وعشرين، خامسة النصف الثاني من القرآن، وهي من المئين؛ عدد آياتها عند الجمهور مئة وتسع عشرة آية وعند الكوفيين مئة وثماني عشرة آية[٦].

ذكر الواحدي في سبب نزول السورة رواية عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول:" كان إذا أنزل الوحي على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يسمع عند وجهه دويّ كدوي النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه فقال: "اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارضنا وارض عنا"، ثم قال: "لقد أنزلت علينا

---

١١ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٦/ص٢٨٥)
٢ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص٢٠٨)
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٥–٦)
٤ رواه أحمد في مسنده، باب من اسمه عبد الله رقم الحديث" ١٥٤٣٢"، قال شعيب الأرنؤوط في التعليق عليه: إسناده صحيح على شرط مسلم، وذكره البخاري في صحيحه، بصيغة التشكيك "يُذكر فيما روي عن ابن السائب"، باب الجمع بين السورتين في الركعة والقراءة،
٥ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨–ص٥)
٦ ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (ج٦/ص ١٢٣) و ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨–ص٥)

عشر آيات من أقامهنَّ دخل الجنة" ثم قرأ: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى عشر آيات..[١]"والرواية أقرب إلى بيان فضل السورة منها إلى سبب النزول...إذ ليس فيها ما يدل أنّ السورة نزلت بعد الدعاء.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها

تشابهت آراء الكثير من المفسرين الذين اعتنوا بدراسة وحدة السورة، وتعمقوا فيها، بربط مقصدها الأهم الذي تدور حوله بالآية الأولى منها "**قد أفلح المؤمنون**" وذلك أنّ فيها دلالة واضحة عليه، فالإمام البقاعي(ت٨٨٥ه) يرى أن مقصودها "اختصاص المؤمنين بالفلاح[٢]"، بينما فصل القاسمي(ت١٣٣٢ه) أكثر فقال: " سميت بهم لاشتمالها على جلائل أوصافهم ونتائجها..[٣]"، وقال سعيد حوى (ت١٤٠٩ه):" إنّ السورة تصب مصبا واحدا، الفلاح للمؤمنين، والخسار للكافرين[٤]"، وقال الغزالي(ت١٤١٦ه) في مقصد السورة: "نزلت سورة "المؤمنون" لتعلق الأبصار بالآخرة، وتطمئن المؤمنين إلى مستقبلهم الطيب، وأما الكافرون فالويل لهم[٥]." وأما جعفر شرف الدين(ت١٤٢٢ه)- صاحب الموسوعة القرآنية- فيقول في حديثه عن السورة:" الغرض من هذه السورة، بيان الشروط التي يفلح بها المؤمنون، وينصرون على أعدائهم.[٦]"

ولكن سيد قطب(ت١٣٨٥ه) انحاز إلى رؤية أكثر عمقا دلت عليها المقدمة والخاتمة، وكل محاور السورة، فقال:"فهي سورة "المؤمنون" أو هي سورة "الإيمان"، بكل قضاياه ودلائله وصفاته، وهو موضوع السورة ومحورها الأصيل..[٧]"

وكذلك نحا ابن عاشور(ت١٣٩٣ه) نحوه، وبيّن الإيمان الذي تم به الفلاح، فقال." هذه السورة تدل حول محور تحقيق الوحدانية، وإبطال الشرك، ونقض قواعده والتنويه بالإيمان وشرائعه[٨]."

---

١ الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أبو الحسن، ١٤١٢ه-١٩٩٢م، أسباب النزول، تح: عصام الحميدان، ط٢، الدمام، دار الإصلاح، ص٣٠٢.وقال المحقق في تخريج الحديث والحكم عليه:" إسناده صحيح.

٢ البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص١٨٢)

٣ القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، ١٤١٨ه، محاسن التأويل، تح: محمد السود، ط١،بيروت دار الكتب العلمية، (ج٧/ص٢٨٠).

٤ حوى، سعيد، ١٩٨٥م، الأساس في التفسير، ط١،القاهرة، دار السلام، (ج٧/ص٣٦٦٩).

٥ الغزالي، محمد، ١٣٣٥م، نحو تفسير موضوعي، ط١، القاهرة، دار الشروق، ص٢٦٧.

٦ شرف الدين، جعفر، ١٩٩٩م، الموسوعة القرآنية، خصائص السور، بيروت، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، (ج٦/ص٤٢)

٧ قطب، سيد، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٦)

٨ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٦)

جو السورة كأغلب السور المكية من حيث قصر الآيات، وإقامة الحجج والبراهين؛ لتقرير التوحيد وأحقية البعث، وجزاء الناس بما صدقوا وكذبوا، وغلب عليها أسلوب المواساة والتسلية لرسول الله- صلى الله عليه وسلم- ومن آمن معه، والتبشير فيها غلب على التحذير، فحام جو الخشوع الذي بدأت به السورة حول آياتها، وعالجت قضايا العقيدة الكبرى بأسلوب المدح المشجع لمن اتبع الحق وصدق، وبالجدال الهادئ لمن أنكر وجحد، وأكدت السورة تحقق الفلاح للمؤمنين، ونفيه عن الظالمين[١].

وعليه يكون مقصد السورة الأم، والذي يربط محاور السورة ببعضها مشكلا الوحدة لها، **هو حقيقة أنّ الإيمان بالله وحده وإفراده بالعبادة والسؤال، والثبات على طريقه المستقيم الذي دلت عليه الآيات في الأنفس والكون، واتباع الرسل الذين اصطفاهم لهداية الناس رحمة بهم؛ هو سبب الفلاح في الدنيا والآخرة**"، وتظهرآثار الإحسان على الموحدين في أعمالهم وخلقهم، وحوزهم الفردوس الأعلى في الآخرة، ونجاتهم من عذاب الآخرة.

ويؤكد هذه الوحدة التناسق الذي يحيط بالسورة من الداخل والخارج.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق علاقات البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

سورة "المؤمنون"، هي السورة التي تخبر بتحقق النجاة والبقاء الأبدي لطائفة من الناس، بعدما عرضت سورة الحج أصناف الناس من الكافرين، جاءت هذه السورة لترفع طائفة المؤمنين وتبشرهم بتحقق الفوز العظيم؛ فجاءت السورة تضم مقدمة، وسبعة مقاطع، وخاتمة، في نظم قرآني بديع.

مقدمة السورة: بدأت السورة بمقدمة من جملة واحدة" قد أفلح المؤمنون"وهي من جوامع الكلم، تضمنت عقيدة الفلاح، فكأنه قيل قد تحقق الفلاح بكل ما رغبوا فيه[٢]. فلو كان السؤال كيف يتحقق الفلاح المتوقع؟ أجيب بالإيمان بالله الذي بيده وحده منح الفوز والبقاء.

وقد تضمنت هذه المقدمة عدة حقائق: أولا- تأكيد الفلاح للمؤمنين بدلالة حرف قد؛"الذي إذا دخل على الفعل الماضي أفاد التحقيق أي التوكيد، فحرف "قد" في الجملة الفعلية يفيد مفاد إن

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٨).
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٧)

واللام في الجملة الاسمية، أي يفيد توكيدا قويا.[١]"وأفادت ثبوت ما كان متوقع الثبوت في حقهم لانشغالهم بدواعي الفلاح[٢]، وجاءت لتقرب الفعل إلى الحال الدال على الثبوت[٣].

وتدل كلمة المؤمنين على المصدقين بوحدانية الله، المقرين بنبوة النبي –صلى الله عليه وسلم– المصدقين بما أنزل عليه، وبما أنزل من قبله وبالآخرة هم موقنون.**والرابط بين مقدمة السورة ومقاطعها في بيان كيف أفلح المؤمنون؟**[١]

١– أفلح المؤمنون بإخلاصهم العبادة لله، الآيات (٢–١١)، بدأ المقطع الأول من السورة بوصف أعمال تخصص بها المؤمنون عن غيرهم، افتتحت بالخشوع في الصلاة، وانتهت بالمحافظة على الصلاة، ودلالة الخشوع هو الإخلاص و مقياسه ما وقر في القلب؛ والاستسلامه التام، وهو سلطان الجوارح، فيكون الخشوع دليلا على طهارته من الشرك، ثم تتبعها الآيات ببيان طهارة اللسان والجسد والمال." [٤]

٢– أفلح المؤمنون بمعرفتهم الله خالقا؛ الآيات(١٢–٢٢)؛ بعدما انتهى المقطع الأول بذكر مآل الخلق المفلحين في الآخرة، جاءت هذه الآيات تصف بداية الخلق العجيب، بتقرير أصل الخلق لله أولا، وبيان الإحسان في إتقان خلق الإنسان ثانيا، ولازم الإقرار بالله خالقا موجد لأصل الإنسان هو عبادته وحده، إذ لم يثبت أصل الخلق لغيره، ولازم الإقرار بالله محسن في تمام خلقه هو تنزيه عن الشريك والعبث بالخلق[٥].

٣– أفلح المؤمنون بتصديقهم الرسل،الآيات(٢٣–٥٢)،بعد أن ذكرت الآيات فلاح المؤمنين بعبادتهم الله كما أرتضى لهم، وتعرفهم إليه خالقا ومنعما، وختم بنعمة حملهم على الأنعام والفلك، جاءت الآيات في هذا المقطع تبين نعمة عظيمة من نعم الله وهي إرساله الرسل هداية

---

١ المصدر السابق.

٢ ينظر أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (ج٦/ص١٢٣)

٣ ينظر المصدر السابق.

٤ يرى ابن الجوزي–(ت ٥٩٧ه)؛ أنّ الخشوع في القرآن إما ذل، أو سكون جوارح أو خوف أو تواضع. " ومحل كل ذلك القلب؛ الراجح أن الخشوع كل ذلك، وهو مقصود ابن فارس(ت٣٩٥ه) عندما قال أصل الخشوع التطامن؛ وهي الطمأنينة والسكون." ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، ط١،بيروت، مؤسسة الرسالة، ص٢٢٧." ينظر ابن فارش، مقاييس اللغة، (ص٣١٦) ينظر الفراهيدي، العين، (ج٧/ص٤٤٢)

٥ و من تمام الخلق أن هيأ للإنسان وسخر له ما يكفيه ويكرمه، فأنعم عليه بنعم عدة أقيمها الماء، أصل الحياة، و ذكر أنواع (النخيل– الأعناب) لغنى جزيرة العرب بهما واشتهارهما فيها٥،وخص ببيان منافع الأنعام الألبان واللحم والحمل، وذلك لعجيب خلقها، ولازم الإقرار بنعم الله على الإنسان إفراده بالعبادة تصديقا بعجيب صنعه وإبداعه، وشكرا لنعمه التي أسبغها على عباده، وبتمام العبادة الخالصة له يكون الفلاح."ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٨/ص٢٩)

للناس؛ لتعريفهم بالله والاقتداء بهم في المعتقد القلبي والعملي، وبيان أنهم أكمل الناس إيمانا وأعلاهم درجة ومنزلة في الجنة، وأعلى الرسل إيمانا هم أولو العزم من الرسل[١].

٤- أفلح المؤمنون بتمسكهم بالطريق المستقيم غير مفترقين فيه، (٥٣-٦١)، لما ختم المقطع السابق بمدح الأنبياء والتأكيد على وحدة دعوتهم، جاء هذه المقطع ليبين ضلال الناس في حقيقة الرسل، ذلك أنّ منهم من آمن بهم، ولكنه رفعهم إلى منزلة الألوهية لنفي البشرية عنهم، وإسكات المخالفين لهم، فوقع في شرك عظيم، وفرحوا باستدراج الله لهم وتزايد أموالهم وأولادهم، حتى يأتيهم عذاب الله أو يرجعون[٢].

٥- أفلح المؤمنون المصدقون بدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم-،(٦٢-٩٨)، لتبين رحمة الله بعباده بتكليفهم بما يقدرون عليه، وحسابهم الدقيق الموزون لكل ما صنعوا واجترحوا[٣]، وأنّ الناس يوم القيامة سيحاسبون على ما بلغهم من الرسل[٤]، واستحقاق العذاب لمن كذب بدعوتهم، وأنكر وقوع ما حذروا منه، وختم المقطع ببيان المنهج النبوي في التعامل مع الكافرين[٥]

٦- أفلح المؤمنون الذين ثقلت موازينهم يوم القيامة، (٩٩-١١٤)، و تعرض الآيات مشهدا من مشاهد القيامة، مشهد الخاسرين في الميزان، الذين جاؤوا إلى ميزان فارغ من الصالحات[٦]، ويصور

مشهد عذابهم وشدة البؤس الذي هم فيه؛ جزاء كفرهم وسخريتهم من عباد الله، المستغفرين الراجين رحمة ربهم، السائلين عفوه[٧].

---

١ فذكر أول الرسل في الأرض"نوح " وأطنب في قصته زيادة عن غيره، ليبين التشابه في سير الأنبياء، وتوحد دعوتهم، وتشابه حجج الكافرين حتى آخر رسول،وتضمن هذا المقطع التأكيد على أن بشريتهم هي من كمال الحكمة الربانية، وتمام رحمته بعباده، وأنّ إنكارها هو تكبر وجحود لا غير." ينظر سورة "المؤمنون" الآيات، (٢٤-٣٤- ٤٤-٤٦-) ينظر سورة "المؤمنون" الآيات،(٢٣-٣٢)، وينظر أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي، (ت٧٩٢ه)، ١٤٢٣ه- ٢٠٠٢م، شرح العقيدة الطحاوية، تح:- أبو عبد الله مصطفى العدوي، ط١، دار الرجب، ص٤٦.

٢ ينظر الطبري، جامع البيان، (ج١٩/ص٤٤)

٣ ينظر السعدي، تيسير الكريم، (ص٥٥٤)

٤ ينظر الطبري،جامع البيان، (ج١٩/ص٥١)، ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٩٠)

٥ وهو مجادلتهم بالدليل والبرهان، ودفع الإساءة بالحسنة، والاستعانة عليهم بالدعاء. ينظر الطبري، جامع البيان، (ج١٩/ص٦٧)

٦ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص١٢٦)

٧ ينظر طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط١، القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، (ج١٠/ص٦٤).

٧- أفلح المؤمنون بمعرفتهم الغاية من الخلق،(١١٥-١١٧)، وابتدأ هذا المقطع باستفهام استنكاري عن تجاهلهم حقيقة الخلق، وإنكار البعث والحساب[١]، وهم بذلك ينسبون العبث لله، فيمتدح الله نفسه، وينزه ذاته عن العبث؛ لأنّ نفي البعث لازمه عبثية الخلق، فتعالى الله عن ذلك.

الخاتمة: أفلح المؤمنون بالاستعانة بالله، الآية(١١٨)، تناسبت مقدمة السورة مع خاتمتها فقد افتتحت السورة بخبر تحقق الفلاح للمؤمنين المخلصين لله، وبيان صفاتهم العملية، فجاءت خاتمة السورة تؤكد أنّ الإيمان هو التوحيد الخالص، وأنّ توحيده بين مقامي العبادة والاستعانة بالدعاء الذي هو أصل من أصول الإيمان العظيمة[٢]، يقول تعالى﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ المؤمنون(١١٨).

العلاقة الثانية:بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

الارتباط بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية. يظهر واضحا جليا، ذلك أنّ سورة "المؤمنون" تبحث في قضايا الإيمان الكبرى[٣]، فدلت على أنّ الإيمان تصديق قلب، ونطق لسان، وعمل جوارح؛ وهذا ظاهر في الآيات (١-٩)، وبينت التوحيد بأقسامه الثلاث(الربوبية؛ وهو الذي أقر به المشركون، ولكنه لم يدخلهم الإسلام[٤]، والإلوهية؛ فنصت الآيات أنّ هذا التوحيد هو هو الذي أرسل به الرسل[٥]، وأقامت الآيات الحجج والبراهين على فساد عقيدة الشرك[٦]؛ وبينت أسماء وصفات لله تعالى في عدد من الآيات[٧]، وأقرت حقيقة البعث[٨]، وأقرت نبوة محمد –صلى صلى الله عليه وسلم–[٩]. وتعد هذه القضايا الثلاثة التي عالجتها السورة بهذا الإجمال المعجز أهم أهم قضايا الإيمان الكبرى[١٠]، والتي بها يتحقق الفلاح.

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٢٢٦). ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص١٣١)
٢ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٢٢٨)، و الشنقيطي، أضواء البيان، (ج٥/ص٣٦٥)
٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٦)
٤ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون": (٨٤ – ٨٩)
٥ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون": (٢٣) و(٣٢)
٦ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون": (٩١)و(١١٧)
٧ ينظر إثبات صفة القدرة بقوله "لقادرون" (١٨و٩٥)،وإثبات العلم له؛بقوله "عليم "(٥١)، واثبات علم الغيب له، بقوله عالم الغيب والشهادة(٩٢)، واثبات العرش العظيم والكريم في الآيات(٨٦-١١٦)، ونفي الغفلة عنه سبحانه آية(١٧)، وإضافة الإحسان والخيرية لصفاته تعالى"أحسن الخالقين(١٤)، وخير الراحمين(١٠٩و١١٨).
٨ ينظر الآيات "آيات بداية الخلق(١٢-١٦)، آيات مجادلة الكفار لحقيقة البعث(٣١-٤١)و (٧٧-٨٣)
٩ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون":(٦٩-٧٤)
١٠ ينظر الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، الموافقات، تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان، (ج٨/ص٣٧٥).

العلاقة الثالثة: بين سورة "المؤمنون" والسورة اللاحقة بها (سورة النور):

جاءت سورة "المؤمنون" قبل سورة النور[١] في ترتيب المصحف الشريف، وكما بينت سورة "المؤمنون" دلائل الإيمان والصبغة التي اتسم بها أهله، جاءت سورة النور تدرج فرائض تنظم المجتمع المؤمن أخلاقيا، وترتقي به بالتشريعات الربانية النيرة، فسورة "المؤمنون" في ضبط النفس وتهذيبها، وسورة النور في ضبط علاقة المؤمنين مع بعضهم وتنظيمها.

وتشابهت السورتان بنقاط عدة أظهرت الترابط بين السورتين المتجاورتين، منها: وصف أهل الفردوس في سورة "المؤمنون" بحفظهم فروجهم؛ أما سورة النور فصلت أحكام هذه الفضيلة، وحدودها[٢]، وعندما وصفت سورة "المؤمنون" أعمال المفلحين، جاءت سورة النور لتبين أنّ هذه أعمال قائمة على الاتباع المتمثل في طاعة الله كما بين رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في المنهج المستقيم الذي ارتضاه الله لهم، وقيدت الإيمان بذلك [٣].

ثالثا: خصائص سورة "المؤمنون" مضمونا وأسلوبا

انفردت سورة "المؤمنون" بخصائص في المضمون والأسلوب ساهمت في إبراز وحدتها الموضوعية، منها:

الخصائص الأولى: المضامين التي امتازت بها السورة

١- امتازت سورة "المؤمنون" بمقدمة بينت فيها أنّ الأعمال الصالحة هي سبب ثقل الموازين يوم القيامة، وهي البضاعة التي تاجر بها أهل الفردوس فربحوا، وتشابهت هذه السورة بعرضها هذه الأعمال مع سورة "المعارج"[٤]، وبين السورتين نقاط تجمعهما؛ منها: أخبرت سورة "المعارج" عن النفس البشرية الهلوعة؛ التي انحرفت عن التوسط والاعتدال، وتقلبت أحوالها في الدنيا بين ابتلاء ضيق أو سعة؛ جعلها بين الخوف والمنع، و ﴿ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾[٥]، وهي بهذا تتشابه مع سورة "المؤمنون" التي بينت انحراف الناس عن حقيقة خلقهم، وجحدهم لحق الله في إفراده بالعبادة، وفي ندمهم يوم القيامة على ذلك.

---

١ قال ابن عطية في المحرر الوجيز،(ج٤/ص١٩٣): سورة النور مدنية كلها.

٢ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، أسرار ترتيب القرآن، تح:عبد القادر أحمد عطا، دار الاعتصام – القاهرة، (ص١١٨)

٣ ينظر الآيات من سورة النور(٥١-٥٢- ٦٢-٦٣-٦٤)

٤ وهي سورة مكية، عدد آياتها اربع وأربعون، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٥/ص٣٣٦)

٥ سورة المعارج، (١٩-٢٢)

أعمال الفلاح المشتركة بين السورتين:

سورة "المؤمنون"	سورة المعارج
مقدمة الأعمال: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)	مقدمة الأعمال:إِلَّا الْمُصَلِّينَ،
١-(الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ)	١-الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ	*******
٢-وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ	٢-وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ
**********	(وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ)
٣-وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ *	**٣-(وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ)**
٢- وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ	**٤-وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ.**
**********	وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ
وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ	الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ *الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ[١]	أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ [٢]

تشابهت السورتان في وصف الأعمال التي تلبست الطائفة الفائزة من الناس، واختلف تقديم تلك الأعمال؛ حيث افتتحت سورة المؤمنون بأخبار تحقق الفلاح لمن اصطبغ بصبغة الإيمان، بينما قدمت سورة "المعارج" تلك الأعمال علاجا للنجاة من فتن الدنيا وابتلاءاتها[٣].

٣- انفردت السورة بذكر الأعمال الصالحات التي يتصف بها أهل الفردوس، قال الله تعالى في سورة الكهف." ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴾[٤]، ففصلت سورة "المؤمنون" هذه الأعمال الصالحات في الآيات (١-٩).

---

١ ينظر سورة "المؤمنون"، الآيات (١-١١)
٢ ينظر سورة المعارج الآيات (٢٢-٣٥)
٣ للمزيد ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٩/ص٢٠٦)، والزمخشري، الكشاف، (ص٧٠٣)
٤ سورة الكهف،(١٠٧، ١٠٨)

٤- لم يرد ذكر أطوار الخلق السبعة في الرحم إلا في سورة "المؤمنون"، وجاء الوصف للنشأة بدقة تعجب منه أهل الاختصاص[١]، وهي تظهر كامل الرعاية الربانية لخلقه، وعظيم صنعه، وكانت السورة الوحيدة التي ذكر فيها كلمة "خلقنا"[٢] أربع مرات من أصل أربع وعشرين مرة من ذكرها في القرآن كله. واختلفت السورة في عرضها عن بداية الخلق عن آيات سورة الحج[٣]؛ حيث كانت سورة الحج في إثبات القدرة على الخلق والابتداء بالخلق في مقابل الحديث عن جحد الناس للبعث، فعرضت نشاة الخلق من الطين حتى موتهم، بينما المقصود من آيات بدء الخلق في سورة المؤمنون إبطال الشرك[٤]، فقد بينت الأطوار كلها في الأرحام مع ذكر منشأ الخلق.

٥- ذكرت سورة المؤمنون في دليل أعمال المؤمنين سبعا من طرق تحصيل الإيمان، وبينت ارتباط هذه الطرق مع بعضها لتحصيل الإيمان الحق، وانفردت السورة بتسمية السموات السبع بالطرائق، وفي لفظ طرائق دليل على حمل كل واحدة للأخرى فوقها[٥]، واختلاف كل سماء عن الأخرى[٦]، وعن اتخاذ كل سماء طريقا لمخلوقات الله، كالملائكة أو الكواكب تسبح فيها[٧]،

٦- خصَّت السورة وصف شجرة الزيتون ومنافعها دون ذكر اسمها[٨]، وذلك للتنويه بشأنها، وإيماء بعظم منافعها للناس، وتناسب مع سياق الآيات في ذكر نعم الله على الناس، وغفلة المتكاسلين عن شكرها. وخصت ذكر خروجها في جبل الطور؛ لبيان أول الخلقة فيه[٩]،

---

١ نقل الشعرواي في كتابه، الآيات ت الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى،www.islammi.٨m.com ، اعتنى به" أحمد الزغبي" (ص: ٦٥) عن عالم الأجنة (كيث ل مور)هو من أشهر علماء العالم في علم الأجنة ورئيس قسم التشريح والأجنة في بجامعة تورنتو بكندا، ورئيس الاتحاد الكندي الأمريكي لعلماء الأجنة، وله عدة كتب مترجمة إلى ثماني لغات، وهو الحائز على الجائزة الأولى في العالم عن كتابه " علم الأجنة"...قال الدكتور كيث ل. مور: أنّ الجنين عندما يبدأ في النمو في بطن أمه يكون شكله يشبه العلقة أو الدودة، وعرض الصورة بالأشعة لبداية خلق الجنين ومعها صورة للعلقة، فظهر التشابه واضحا بين الاثنين، ولما قيل له: أنّ العلقة عند = = العرب معناها الدم المتجمد، ذهل وقال إنّ ما ذكر في القرآن ليس وصفا دقيقا لشكل الجنين الخارجي، ولكنه وصف دقيق لتكوينه، ذلك أنه في مرحلة العلقة تكون الدماء محبوسة في العروق الدقيقة في شكل الدم المتجمد.

٢ ينظر سورة "المؤمنون" الآيات (١٤-١٧)

٣ ينظر الآية (٥)من سورة الحج

٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٢٨)

٥ ينظر أبي السعود، إرشاد العقل السليم، (ج٦/ص١٢٧)

٦ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٨/ص١٨)

٧ ينظر الكشاف، الزمخشري، (ج٣/ص١٨٣)

٨ ينظر سورة "المؤمنون"، آية (٢٠)

٩ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٨/٣٥)

ويحتمل أنّ فيها تنويه زيادة منافعها إن وجدت هناك لاجتماع بركة البذرة مع بركة التربة؛ ذلك أن السياق كان في بيان نعم الله ورعايته لخلقه بإحسان بديع تدبير دقيق.

٧- تميزت السورة في عرضها لقصص عدد من الأنبياء بالإيجاز بما يناسب شخصية السورة ووحدتها، فقصت قصص أعظم الناس إيمانا –الرسل– فبدأت بأول المرسلين نوح[١] –عليه السلام–، فظهر في قصصهم أنّ من لوزام الإيمان الدعوة لله، ومن لوزام الدعوة تقرير التوحيد، والصبر والاستعانة بالله[٢]، وبينت القصص موانع الإيمان عند المكذبين، وأبرزها الاستكبار والاستعلاء بالنفس على الحق.

٨- لمحت السورة لأثر الترف في هلاك الأمم السابقة، وذلك أنّها السورة الوحيدة التي جاءت مشتقات الترف فيها مرتين، "أترفناهم، ومترفيهم"[٣]، وفي ذلك دليل أن ّ الترف من أعظم عوائق الإيمان في النفس، وفيه استدراج للكافرين، فلا يحزن المؤمن لترف الكافر؛ ليقينه بأثر الملاهي والترفيه في سلب العقل حكمة التدبر والتفكر في حقيقة الحياة.

الخصائص الثانية: الأساليب التي امتازت بها السورة.

١– اختصت السورة بدعاء ذُكر فيها مرتين، الأولى بصيغة الجمع، في قوله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٤] والثانية بصيغة الإفراد في آخر آية في السورة، فقال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[٥]. وفي الآية الأولى خبر عن دعاء امتاز به الناجون في الآخرة، وفي الآية التالية توصية ربانية بلزوم ذلك الدعاء لمن أراد الفلاح، فهو دعاء جبر التقصير؛ والطمع برحمة رب العالمين.

---

١ وبينت ما حال بين قومه وبين الإيمان، من كبر وإنكار لبشريته، واختياره عنهم بهذه الكرامة، فاستحقوا بذلك الهلاك الذي طلبوه، ينظر عباس، فضل، ١٤٣٠ه–٢٠٠٩م، قصص القرآن الكريم، ط٣، الأردن، دار النفائس، (ص٢٠٠)

٢ ثم تلتها ذكررسول دون التعريف باسمه؛ ليكون محور الاهتمام هو تشابه الأقوام في أقوالهم وأفعالهم مع رسل الله، وجحدهم ما جاءوا به، وما حملهم على ذلك إلا التكبر والاستعلاء على حكمة رب العالمين لاصطفائه رسلا = = =من البشر عليهم، ثم عرضت قصة موسى وهارون –عليهما السلام– بإيجاز بليغ؛ تبين فيه سبب كفر فرعون، وأشارت بعدها ببضع كلمات معجزات عن عيسى ابن مريم، بنسبه لأمه دون ذكر اسمه؛ لتبين أنّ أصل الخلاف فيه ميلاده العجيب، وتبرئ السيدة مريم من اتهامات اليهود، إذ لو كان له أب لنسبه الله إليه دون أمه، وتنكير "آية" جاء لبيان أنّ ميلاده من أعظم الأدلة التي معه على صدق ما جاء به، وخص ذكر الإيواء لربوة؛ لبيان نعم الله عليهما من جهة، وبيان ضعفهما وبشريتهما، فلو كانا إلهين كما زعم الكافرون لما احتاجا إلى ذلك الإيواء." ينظر ابن عاشور (ج١٨/ص٦٦)

٣ ينظر سورة "المؤمنون" الآيات(٣٣–٦٤)

٤ سورة "المؤمنون" آية (١٠٩)

٥ ينظر سورة "المؤمنون" آية (١١٨)

٢- امتازت السورة بتنوع أساليب التوكيد فيها، ووفرتها، وكان أكثر التوكيد بالجملة الأسمية، ثم ب(إنّ)ثم ضمير الفصل، ولام الابتداء، ثم (أنّ)، و لام القسم، ثم (قد)، و(الحروف الزائدة- ب-ما-من-) و التأكيد بالتكرار، والتقديم والتأخير، والنون المشددة، وناسب وفرة هذه الأساليب جو السورة القائم على بيان تقرير حقائق إيمانية، وبيان معتقدات كفرية، أكد أصحابها على تمسكهم بها، فاستحقوا الهلاك بسببها[١].

٣- أكثرت السورة من أسلوب الاستفهام، إذ بلغ وروده اثنين وعشرين مرة، وهذا يناسب جو السور المكية التي تعالج قضايا العقيدة، وتنقض معتقدات المشركين بأسلوب الاستفهام الإنكاري،الذي يدل على ثقة المتكلم بما جاء به، ويدعو للتفكر فيما استفهم عنه، أمّا التقريري يهدف لنزع اعتراف المخاطب ليلزمه بالحجة[٢].

٤- انفردت السورة بنداء الله تعالى للرسل أجمعين فيها، في قوله تعالى "يا أيها الرسل.."، نداء الله لرسله نداء استحبابا وترقي، متضمنا من أتبعهم وأمن بهم، فأمرهم أنّ يأكلوا من طيبات ما أنعم الله عليهم، وأمرهم بالعمل الصالح وتقوى الله، وفي هذا الانفراد دلالات منها: أنهم أعلى المؤمنين درجة، وأحسنهم أعمالا وخلقا، إذ خصهم بالنداء دون نداء المؤمنين الذي ورد في كثير من سور القرآن، وفيها تسلية للنبي والدعاة من بعده، وتعظيم الأمة التي ينتمون إليها جميعا، وخسارة من فرق بينهم فآمن ببعض وكفر ببعض.

٥- انفردت السورة بثلاثة عشر فعلا مضارعا لم يرد بهذه البنية الصرفية إلا بسورة "المؤمنون" وهم (يتفضل-تلفح- نمدهم -تنبت- ينطق- تهجرون- تبعثون- تجأروا- يجأرون- يحضرون- - نسارع- ليصبحن-)[٣] ، وأكثرها في سياق الحديث عن الكافرين أو محاججتهم، وقد ناسبها المضارع لأن الحديث لكفار قريش عند نزول القرآن، وعن كل كافريأتي بعدهم به،

---

١ ينظر الصمادي، محمد محمد صالح، ٢٠٠٣م، سورة "المؤمنون"(دراسة أسلوبية) رسالة ماجستر في اللغة العربية وأدابها، الجامعة الأردنية، إشراف:د.محمد بركات أبو علي، ص٩٣.

٢ ينظر المصدر السابق، ص١١٢

٣ ينظر الآيات في سورة "المؤمنون"(٢٤-١٠٤- ٥٥- ٢٠- ٦٢-٦٧-٤٧-٦٥-٩٨-٦٤-١٠١-٥٦-٤٠)

وامتازت السورة بورود اثني عشر بناء صرفيا للفعل الماضي [١]؛وهذه الأفعال هي (فكذبوهما- فكسونا- مِتُّم- أنسوكم- أنشأنه- فاتخذتموهم- فأتبعنا- أترفناهم- أفحسبتم- رحمناهم- استويت- أطعتم).[٢]وامتازت السورة بسبعة عشر بناء صرفيا على هيئة أسماء؛ وهي(قائلها-العاديّن- منزلا- لناكبون- المُهلكين- همزات- تترا- لأماناتهم- لبشرين- مترفيهم- فخراج- ذهاب- راعون- زُبرا- شقوتُنا- وصبِغ- صلواتهم)[٣].

٦- امتازت السورة بعدد من التراكيب لم ترد إلا فيها؛ مثل(على صلواتهم يحافظون[٤]) حيث لم ترد بصيغة الجمع إلا في هذه الآية، وتركيب(سيقولون لله..[٥])حيث ذكرت ثلاث مرات في سورة "المؤمنون" فقط، وتركيب(أنت خير الراحمين..[٦])حيث ذكر مرتين في السورة.

٧- امتازت السورة بذكر بعض الأبنية الصرفية فيها أكثر من أي سور أخرى في القرآن، (الفلك[٧]؛ وردت ثلاث مرات من أصل ثلاث وعشرين مرة، و(نطفة: وردت مرتين من أصل اثنتي عشرة مرة، وعلقة: وردت مرتين من أصل خمس مرات، ومضغة: مرتين من أصل ثلاث مرات، عِظاما: ثلاث مرات من أصل تسع مرات)[٨]،(كذّابون: وردت مرتين من أصل ثلاث مرات، ومُثلكم: ثلاث مرات من أصل سبع، أنشأنا وردت ثلاث مرات من أصل ست، تأكلون وردت ثلاث مرات من أصل اثنتي عشرة مرة، وأعوذ وردت مرتين من أصل سبع)[٩].

٨- جاءت معظم فواصل السوتر منتهية بحرف النون؛ وعددها(مئة وأربع عشرة) فاصلة، أما الأربع الباقية فجاءت منتهية بحرف الميم، وهما حرفان يشتركان في كثير من

---

١. كثر في السورة الأفعال الماضية، حيث جاءت نحو مئة وخمس وعشرين مرة، يليها الأفعال المضارعة نحو ثمانٍ وتسعين مرة، وأقلها أفعال الأمر التي جاءت اثنتين وثلاثين مرة؛ ولكنها امتازت بمجيء فعل الأمر(ارحم) مرتين من أصل خمس مرات في القرآن كله، ليبين حاجة المؤمنين لهذا الدعاء في دنياهم للفلاح في آخرتهم، ومن أفعال الأمر لم ترد بهذا البناء الصرفي إلا فيها؛ وهي(أنزلني-اخسئوا- ارحم- ارجعون)، وأفعال أمر كثر ورودها في سورة "المؤمنون" عن غيرها من سور القرآن؛ منها(انصرني) حيث لم يرد بهذه البنية إلا ثلاث مرات في القرآن كله، مرتين منهم في سورة "المؤمنون"، كثرة الأفعال الماضية في السورة على المضارعة، وقد ناسب مضامين السورة التي جاءت تبشر المؤمنين في مطلعها، حيث أنّ الماضي إذا أخبر به عن المستقبل دل على تحقيق وقوعه،" وتخبر حقائق علمية في خلق الحياة، وتسرد قصصا تاريخية؛ وبالرغم كثرت الأفعال الماضية في السورة، إلا إنها تميزت بأفعال مضارعة منفردة أكثر من الأفعال الماضية المنفردة التي جاءت فيها." ينظر المصدر السابق، ص٧٨. ينظر الآيات من سورة "المؤمنون"(٢٦-٣٩) الشافعي، حاشية الصبان، (٣٣/٤)

٢ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون"(٤٨-١٤-٣٥ -١١٠—١٤-١١٠-٤٤-٣٣-١١٥-٧٥-٢٨-٣٤)

٣ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون"(١٠٠-١١٣-٢٩-٧٤-٤٨-٩٧-٤٤-٤٧-٦٤-٧٢-١٨-٨-٥٣-١٠٦-٢٠-٩)

٤ ينظر آية (٩) من سورة "المؤمنون"

٥ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون"(٨٥-٨٧-٨٩)

٦ ينظر الآيات من سورة "المؤمنون"،(١٠٨-١١٨)

٧ (١٢-٢٧-٢٨)

٨ النطفة (١٣-١٤) علقة (١٤-١٤)مضغة(١٤-١٤) عظاما(١٤-٣٥-٨٢)

٩ كذابون(٢٦-٢٩)،مثلكم(٢٤-٣٤،٣٣)،أنشأنا(١٩-٣١-٤٢)، تأكلون(١٩-٢١-٣٣)، أعوذ(٩٧-٩٨)

الصفات، وأهم صفاتهما أنهما أكثر الأصوات الساكنة وضوحا[١]، حيث غلب على السور جو الخطاب الهادئ والحجج العقلية، التي يلزمها أعلى درجات الوضوح في الوصف، وعلى شدة ثقة المتكلم بما جاء به، وجاءت الآيات الأربع التي ختمت بالميم متميزة حيث دلت ثلاث منها على صفات الله تعالى "عليم"، "رب العرش العظيم"، "رب العرش الكريم"، والرابعة وصفا لدين الله "المستقيم" [٢].

٩- انفردت سورة المؤمنون بعدد من الألفاظ، وهي:" سيناء- كالحون- تلفح" وهي موضوع البحث في المطلب القادم من الدراسة.

المطلب الثاني: دلالات الانفرادات اللفظية، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

من مميزات السورة انفرادها بعدد من الألفاظ لم ترد إلا فيها، وهي" سيناء، هيهات، كالحون، يلفح" وستبين هذه الدراسة، العلاقة بين دلالات هذه الانفرادات والوحدة الموضوعية للسورة.

الانفرادة الأولى: "سيناء" في قوله تعالى ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾ المؤمنون (٢٠)، في سياق بيان نعم الله على خلقه.

أولا دلالة مادة "سيناء" في اللغة:

لم يصنف أصحاب المعاجم "سيناء" تحت جذر معين، عدا ابن منظور-(ت٧١١ه)- الذي صنفها تحت باب السين[٣]، ولم يزد في تعريفها عن الذي جاء به الزجاج-(ت٣١١ه)- في كتابه "معاني القرآن" فقال:" وطُورُ سِينِينَ؛ سَيْنَاءَ جبل بالشام، إن سَيناء حجارة، وهو واللَّه أعلم اسم المكان؛ فمن قرأ سَيْناء على وزن صحراء فإنها لا تنصرف، ومن قرأ سِيْناءَ؛ فهو على وزن عِلْباء، إلا أنه اسم للبقعة فلا ينصرف، وليس في كلام العرب فِعْلاء بالكسر[٤]". وجاء في كتاب اللغات في القرآن للمقرئ -(ت٣٨١ه)-:"و سينياء: الحسن؛ بلغة توافق النبطية[٥]".وذكر الماوردي -(ت٤٥٠ه)- خمس تأويلات لطور سيناء، فقال:"أحدها:إنّ سيناء البركة...الثاني: إنه الحسن المنظر...الثالث: إنه الكثير الشجر...الرابع: إنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى...الخامس: إنه المرتفع مأخوذ من النساء – وهذا المعنى لم أجد له أصلا في المعاجم –،

---

١ أنيس، إبراهيم، الصوات اللغوية، ص٢٧.
٢ ينظر صمادي، سورة "المؤمنون" دراسة أسلوبية، ص٤٣.
٣ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج٧/ص٣٢٠)
٤ الزجاج، معاني القرآن وأعرابه، (ج٤/ص١٠)
٥ المقرئ، إسماعيل بن عمرو، اللغات في القرآن، تح: صلاح الدين المنجد، ط١، القاهرة، مطبعة الرسالة، (ص٣٨)

وهو الارتفاع؛ فعلى هذا التأويل يكون اسماً عربياً، وعلى ما تقدم من التأويلات يكون اسماً أعجمياً، واختلف القائلون بأعجميته على ثلاثة أقاويل:أحدها: إنه سرياني..والثاني إنه نبطي.... والثالث: إنه حبشي[١]." و في الصحاح للرازي-(ت٦٦٦ه)-:" إنّ سينا هي الشجر. [٢]"

والراجح "أنّ" سيناء دلت على معنى الحسن في غير العربية، وهي هنا اسم أعجمي لمكان معين، على من قال إنها اسم للشجر الذي ينبت عليها.

وأصل اللفظ التاريخي، يبين أنّ سيناء لفظ مرتبط بجبل مبارك، أقسم به الله تعالى في القرآن، وذكره في سورة "المؤمنون" ضمن النعم التي أحسن بها على عباده، وهو مُعَظَّم في كتب اليهود والنصارى.

ثانيا دلالة صيغة "سيناء" في السياق

سيناء اسم على وزن فعلاء، ومن قال أنها صفة جعلها استثناء؛ قال السيوطي-(ت٩١١ه)-" لم تأت صفة على فعْلاء إلاّ طور سيناء؛ والطور: الجبل، والسّيناء: الحسن[٣]." وكان الطبري في تفسيره رجح أنه اسم مضاف على كونه صفة؛ فقال الطبري-(ت٣١٠ه)-:" إنّ سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منوّنا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى عليه السلام، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: مبارك[٤]."

وقال الزمخشري-(ت٥٣٨ه)-:"وطور سنين، لا يخلو إما أن يضاف فيه الطور إلى بقعة اسمها سيناء وسينون، وإمّا أن يكون اسماً للجبل مركباً من مضاف ومضاف إليه، كامرئ القيس، وكبعلبك، فيمن أضاف. فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة أو التأنيث؛ لأنها بقعة، وفعلاء لا يكون ألفه للتأنيث كعلباء وحرباء. ومن فتح فلم يصرف؛ لأنّ الألف للتأنيث كصحراء[٥]."

---

١ الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي أبو الحسن،النكت والعيون، تح: :السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية (ج٤/ص٥٠).
٢ الرزاي، مختار الصحاح، (ص٣٢٦).
٣ السيوطي، المزهر في علوم اللغة (٢/ ٨٨)
٤ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (١٩/ ٢٢)
٥ تفسير الكشاف ــ موافق للمطبوع (٣/ ١٨٤)

وأشار المفسرون واللغويون في الحديث عن اللفظ إلى أنّ طور " سيناء" في سورة "المؤمنون"، هو طور"سينين" في سورة التين، ذلك أنهما اسم واحد؛ لكن العرب الفصحاء لا يتركون اسما أعجميا حتى يغيروه ليوافق فصاحتهم، وبلاغتهم[١].جاء لفظ سيناء سبعا وثلاثين مرة في الكتاب المقدس، ولفظ "حوريب" وهو من أسماء جبل سيناء في كتبهم سبع عشرة مرة[٢].

والمراد من الشجرة هنا هو شجرة الزيتون، والتي ذكرت في ستة مواضع في القرآن[٣]، بينما في سورة "المؤمنون" ذكرت شجرة الزيتون ضمنيا بالإشارة في قوله تعالى: ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ ﴾،وتخصيصها بالذكر مع طي كون الناس منها يأكلون تنويه بشأنها، وإيماء إلى كثرة منافعها فثمرتها طعام وإصلاح ومداواة، وأعوادها وَقود وغيره....وذكر خروجها من طور سيناء فيه دلالة المنشأ والبداية، وبيان اجتماع بركة النبتة مع بركة البقعة التي تنشأ فيها.[٤]"

ويظهر من دلالة صيغة اللفظ، أنّه جاء بصيغة الاسم الأعجمي الأصلي- وليس المقلوب-، لأن السياق ناسب ذلك من حيث تعدد النعم وأصل النشأة للإنسان، فكان البيان القرآني بمجيء اللفظ بصيغته الاسمية الأصل وهي الأفصح والأنسب لسياقه.

ثالثا: علاقة الانفرادة بالوحدة الموضوعية للسورة

دارت سورة "المؤمنون" حول حقيقة الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة والسؤال، والثبات على طريقه المستقيم الذي دلت عليه الآيات في الأنفس والكون، واتباع الرسل الذين اصطفاهم لهداية الناس، وذلك هو سبيل المفلحين في الدنيا والآخرة.

لفظ سيناء تدل على صفة أو اسم بقعة من الأرض، ميز الله تلك البقعة بالبركة، كما ميز بشرا من خلقه بالرسالة، وميز هذا الجبل بشجرة تنبت فيه، وميز تلك الشجرة بمنافع زائدة.

وقد قيل إنّ أول شجرة نبتت بعد طوفان نوح –عليه السلام- هي الزيتون[٥] ولجبل سيناء سيناء تاريخ مع الرسل والأنبياء، وهو الجبل الذي نودي منه موسى –عليه السلام-[٦]، وهو ملجأ ملجأ عيسى

---

١ قاله الإمام الطبري في تفسيره(١٠٤/٢١)، وسماه السيوطي في الإتقان باب قلب المنقول، (٥٠/٢)
٢ ينظر قاموس الكتاب المقدس، http://st-takla.org/، شرح كلمة سيناء.
٣ ذكرت في سورة الأنعام، (٩٩-١٠٤)، وفي سورة النحل، (١١)، سورة النور(٣٥)، سورة عبس (٢٩)، والتين(١).
٤ ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٣٤)
٥ ينظر الخازن، لباب التأويل، (ج٣/ص٢٧٠)
٦ ينظر الطبري، جامع البيان، (ج١٩/ص٢٢)

في آخر الزمان[١]، وبزيت الشجرة التي تنبت عليه ضرب الله مثلا لنوره[٢]، وجاءت الانفرادة في سياق يظهر بديع إحسان الله على خلقه كلهم في الدنيا، فيحسنون الظن بما يعد لعباده المؤمنين في الآخرة،فيحقق التفكر في آيات الله الرقي الإيماني في تعظيم قدرة الله، وإكبار صنعه.

الانفرادة الثانية:"هيهات" في قوله تعالى ﴿ ۞هَيۡهَاتَ هَيۡهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾ المؤمنون (٣٦)، من كلام المشركين في إنكار البعث.

أولا: دلالة مادة "هيهات" في اللغة

جاء لفظ هيهات في المعاجم تحت مادة "هيا"، أو "هيه" أو " هيهات" كما هي دون نقصان.

فقال الخليل بن أحمد (ت١٧٥ه)- في العين: "هَيا من زَجْر الإبل.. وهيهيت بالإبل هيهاةً وهِيهاءً دعوتها وزَجَرْتها..... واعلم أن ابتداء الحكاية المضاعفة جائزٌ ابتداعُها عندَ العَرَب لأن كلاً على ما تَوَهَّم من جَرْس نَغْمَة أو حِسٍّ حَرَكة." [٣] ويقصد بذلك أنّ العرب كانت تبدأ كلامها بأصوات حروف مركبة؛ تختصر بها كلمات أو جملاً انتشرت دلالاتها بينهم.

وفي المقاييس:" معنى " هيهات " بعد، كقوله عز وجل حكاية عن قوم: " هيهات هيهات لما توعدون " أي ما أبعد ما توعدون.[٤]"، وقال الأصفهاني-(ت٥٠٢ه): في معجمه " هيهات كلمة تستعمل لتبعيد الشيء، يقال: هيهات هيهات، وهيهاتا..[٥]"و في لسان العرب -(ت٧١١ه): " هَيْهاتَ وهَيْهاتِ كلمة معناها البُعْدُ؛ وقيل هَيْهاتَ كلمة تبعيد،... والتاء مفتوحة مثل كيف، وأصلها هاء، وناسٌ يكسرونها على كل حال بمنزلة نون التثنية.[٦] "

ويظهر من دلالة المادة أنها أصوات مضاعفة كما أشار الخليل، كررت لمعنى فعل "بعد" وأسباب العرب في استخدام اسم الفعل دون الفعل نفسه؛ سيظهر في دلالة صيغة اللفظ.

ثانيا: دلالة الصيغة "هيهات" في السياق

هيهات في اللغة اسم فعل ماض يفيد الاستبعاد بمعنى "بعد" مبني على الفتح؛ وأسماء الأفعال في اللغة العربية على أقسام ثلاثة اسم فعل ماض ك "هيهات"، واسم فعل مضارع واسم فعل أمر، وما تمتاز به أنها مبنية لا تتأثر بما قبلها من عوامل لفظية أو معنوية.

---

١ ينظر صحيح مسلم، باب ذكر الدجال وصفته، حديث رقم (٢٩٣٧).
٢ سورة النور، آية (٣٥)
٣ الفراهيدي، العين (ج٤/ص١٠٧)
٤ ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، نشر: محمد علي بيضون (ص٤٣)
٥ الأصفهاني، مفردات القرآن، (٣٩٦ص)
٦ ابن منظور، لسان العرب، (ج١٥/ص١٢٧)

واسم الفعل هو ما ناب عن الفعل معنى واستعمالاً مثل شتان وصه وأوه[١]، وقد وضعت الدلالة على صيغ الأفعال كما تدل الأسماء على مسمياتها، وغرضها الإيجاز والاختصار[٢]، فهو ينوب عنه في المعنى والاستعمال.

قال ابن جني-(ت٣٩٢ه)- في الخصائص:" هيهات وهي عندنا من مضاعف الفاء في ذوات الأربع، ووزنها فَعْلَلة، وأصلها هَيْهَيَة؛...فانقلبت " اللام ألِفا " فصارت هيهاة. والتاء فيها للتأنيث والوقوف عليها بالهاء، وهي مفتوحة فتحة المبنيَّات، ومن كسر التاء فقال: هيهاتِ؛ فإن التاء تاء جماعة التأنيث..[٣]، واللام عندنا محذوفة لالتقاء الساكنين، ولو جاءت غير محذوفة لكانت هَيْهيَات؛ لكنها حُذفت لأنها في آخر اسم غير متمكّن، فجاء جمعه مخالفا لجمع المتمكّن، كما حذفت في قولك: ذان وتان واللّذان واللّتان[٤]."

وذكر ابن عاشور خلاف النحاة في هيهات على ثلاثة أقوال؛" الأول أنها اسم فعل للماضي من البعد، فمعنى هيهات كذا: بعد. فيكون ما يلي هيهات فاعلا، والقول الثاني: إنها اسم للبعد؛ أي فهي مصدر جامد، وهو الذي اختاره الزجاج-(ت٣١١ه)- في تفسيره[٥]؛ و غلطه البعض وقالوا: واستهواه اللام في قوله تعالى: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ}.

والقول الثالث: هيهات ظرف غير متصرف؛ ومعناه في البعد، وهو قول المبرد[٦]. قال ابن جني: كان أبو علي يقول في هيهات: أنا أفتى مرة بكونها اسما سمي به الفعل مثل صه ومه، وأفتى مرة بكونها ظرفا على قدر ما يحضرني في الحال. ثم قال ابن عاشور: الأصل أن يكون ما بعدها مرفوعا، والأفصح أن يكون ما بعده مجرورا باللام، فيكون على الاستغناء عن فاعل اسم الفعل؛ لعلم به مما سبق من الكلام، فتكون اللام للتبيين؛ أي إيضاح المراد من الفاعل، فيحصل بذلك إجمال ثم تفصيل يفيد تقوية الخبر."[٧]

وعليه تكون دلالة اللفظ هي تأكيد إنكار الكافرين للبعث في قولهم، وسخريتهم ممن ينذرهم به، فاللفظ فيه كناية البعد، مع السخرية والاستعلاء بتأكيد ما يخبرون من انتفاء البعث والحساب يوم القيامة.

---

١ ابن هشام، أوضح المسالك، (ج٤/ص٨١)
٢ الزمخشري، شرح المفصل لابن يعيش، (ج٩/ص٢٥).
٣ يقصد ابن جني اختلاف القراءة المتواترة في الكلمة، نقل ابن الجزري في النشر:" واختلفوا في (هيهات هيهات) فقرأ أبو جعفر بكسر التاء منهما وقرأ الباقون بفتحها فيهما، ينظر الخصائص (ج٢/ ص٣٦٨).
٤ ابن جني، أبي الفتح عثمان، (ت٣٩٢ه)، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م-الخصائص، تح: الشربيني شريدة، القاهرة، دار الحديث. (ج٣/ص ٤٢)
٥ ينظرالزجاج، معاني القرآن وأعرابه، (ج٤/ص١٢)
٦ ينظر الشافعي، حاشية الصبان، (ج٤/ص١٢)
٧ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٥٤-٥٥)

ثالثا: العلاقة بين دلالة المفردة والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الآيات في سياق إنكار الكافرين للبعث والميعاد، وتكذيبهم الوعيد الذي جاء به رسولهم بالعذاب يوم الحساب؛ فحقروا عقولهم أن قاسوا قدرتهم البشرية الضعيفة العاجزة على قدرة الله تعالى، ولم يتفكروا في خلقهم أول مرة، أو الخلق المتكامل من حولهم[١]، فجاءت اللفظة بهذه الصيغة المتكررة الدالة على السخرية والاستعلاء، والتسفيه لما يعدهم به رسولهم، وليقنع المخاطب بهذا اللفظ المتكرر بقوة حجته، واستحالة نقضها.

فناسب نقل هذه الجزء من حوار المشركين شخصية السورة القائمة على ترقية الجماعة المؤمنة عن غيرها، والقائمة على الحوار الهادئ مع المجادلين، وتوضيح حقيقة الإيمان الذي ارتقت به جماعة دون غيرها، وتبين أهم الشبهات التي تعترض الناس فتحجب عنهم هذه المنزلة الرفيعة بالفردوس، وفيها تسلية للرسول–صلى الله عليه وسلم– للمؤمنين.

ودلالة اللفظ تدل على عدة حقائق تتعلق بعقيدة الكافر؛ منها انعدام الفكر العقلاني المتوازن في التفكير، وذلك بنفيه البعث وتأكيده ذلك النفي في الخطاب؛ رغم أنّ خلقه نفسه من أكبر الدلائل عليه.

ثانيا: تبين أثر الترف على النفس في انحراف العقيدة؛ حيث تتعلق النفس في الدنيا؛ لكثرة الملاهي والأموال؛ ولأجل عقيدتهم الفاسدة بقياس أحوالهم مع الله؛ تحصد قلوبهم معتقدا فاسدا يجيز عبث الله في خلق الناس، وأنهم إليه لا يرجعون.

الانفرادة الثالثة "تلفح" في قوله تعالى: " ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ المؤمنون (١٠٤). في سياق وصف عذاب المنكرين.

أولا: دلالة مادة "لفح" في اللغة

تلفح أصلها من لفح؛ قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه) في معجمه:" لَفَحَتْه النّار أي أصابَتْ وَجْهَه وأعالي جَسَده فأحْرَقتْ والسَّمُومُ تَلْفَحُ الإنسانَ، واللُّفّاحُ: شَيءٌ أصفر مثلُ الباذنجان طيِّبُ الرِّيح[٢]"

وقال الزجاج–(ت٢١١ه)– في بين الفرق بين اللفح والنفح؛ أنهما بمعنى واحد، إلا أنّ اللفح أعظم تأثيرا من النفح[٣]."، وأشار الأزهري–(ت٣٧٠ه)– في معجمه أنّ اللفح حرقا يصيب أعالي أعالي الجسد[٤]." وكذا قال ابن فارس –(ت٣٩٥ه)–: " اللام والفاء والحاء كلمةٌ واحدة؛ يقال:

---

١ ينظر السعدي، تفسير السعدي، (ص٥٥١)
٢ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ ص٢٣٤)
٣ ينظر الزجاج، معاني القرآن وأعرابه، (ج٤/ص٢٣)
٤ ينظر الأزهري، تهذيب اللغة، (ج٥/ص٤٧).

لفَحَتْه النار بحرّها والسَّمومُ، إذا أصابه حَرُّها فتغيَّرَ وجهُهُ، وأما قولهم: لفَحَه بالسَّيف لفْحَةً: ضربه ضربةً خفيفة، فإنّ الأصل فيه النون، هو نَفَحَه[١]. ونقل الجوهري-(ت٣٩٨ه)- عن الأصمعي-(ت٢١٦ه)-تفريقه بين اللفح والنفح بغير ما قال الزجاج؛ فقال" ما كان من الرياح لفح فهو حر، وما كان من الرياح نفح فهو برد[٢]." وذكر أصحاب المعاجم نبات اللفاح بتفسير اللفح؛ وهو نبات أصفر يشبه الباذنجان، يمتاز برائحته الطيبة، وقد اشتهر هذا النبات بكثرة الأساطير والخرافات حوله، فقالوا هو نبات يمد بالطاقة، وسمي بتفاح الجن؛ لشبه جذره بالجسد البشري، وأنه يصرخ عند قلعه فيقتل من يسمعه، وهو من النبات السام الذي يدخل في العلاجات الطبية[٣].

ويظهر من دلالة الانفرادة المعجمية أنّ النفح نوع من أنواع العذاب بالحريق؛ وأنه عذاب بالمساس، فمس من الحر أو ريح السموم للوجه تسمى نفحة، وهو يبين عظم هذا العذاب رغم بساطته وسرعته، وفي دلالته إهانة وتحقير لتعمدها الوجه بالعذاب.

ثانيا: دلالة صيغة " تلفح" في السياق

جاءت الانفرادة بصيغة المضارعة، واصلها "لفح"؛ يقال: لفَحَتْه النارُ تَلْفَحُه لفْحاً ولفَحاناً، أصابت وجهه[٤]، وفي دلالة المضارعة معنى الاستمرار؛ كأن استمرار اللفح هو حالهم يوم القيامة، وقدم المفعول على الفاعل، لزيادة الاهتمام في مكان اللفح عن ما يلفح به، ذلك أن الوجوه التي تلفحها النار هي أشرف الأعضاء، وفي ذلك زيادة ترهيب وزجر عن المعاصي، وتحقير لمن منعه الكبر عن الإيمان[٥].

وقد جاء اللفظ في سياق عرض مشهد من مشاهد الآخرة، نفخ في الصور، ميزان يثقل بأعمال، وندم الكافر على تفريطه في حق نفسه، ويبدأ ذلك الندم مع أخف مساس للنار له، ويستمر فترة خلوده فيها.

وفي دلالة لفحها للوجه أنها تغشت الجسد كله حتى وصلت للوجه، ذلك أنّ الإنسان يدفع عن وجهه النار ما استطاع بجسده، فإن أهلكته خلى بينها وبينه[٦]. وفي كل ذلك دلالة على شدة العذاب الذي يناله، واستحقاقه ذلك العذاب.

---

١ ابن فارس، مقاييس اللغة، (٩٥٨ص)
٢ الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، (ج٢/ ص٤٢٤)
٣ ينظر المدونة العربية مقال بعنوان تفاح الجن، http://boorass.blogspot.comنشر بتاريخ ٢٠١٣/٥/٧م.
٤ ابن منظور، لسان العرب
٥ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (٢٥٦/٩)
٦ ينظر السعدي، تفسير الكريم المنان، (٥٥٩)

ثالثا: العلاقة بين دلالة الانفرادة و الوحدة الموضوعية للسورة

بينما تدور آيات السورة حول الإيمان وقضاياه، ورسله، والحواجز التي اصطنعها الكافرون ليمنعوا أنفسهم عن الإيمان، وكانت في سياقها تبشر وترغب بالفردوس، وتجادل بالبرهان القاطع على قضية التوحيد، ولازم اليقين بها، وقد انفردت السورة بلفظ يدل على العذاب، وذلك أنّ حقيقة الإيمان الذي يتم به الفلاح وتثقل به الموازين هو امتلاء قلب المؤمن شفقة من عذاب الله، ووجل قلبه من يوم الحساب، فكان ذلك الخوف الجليل هو الحافز على الأعمال التي أثقلت الموازين، بينما التكذيب بلقاء الله كان السبب في الخسران الأليم، قال تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[١].

وكان في دلالة اللفظ نوع من العذاب الذي فيه تحقير للكافرين، الذين استعلوا على الإيمان بالله بمناصبهم وأنسابهم، فاسودّت وجوهم وتكدرت أحوالهم، وتحول خطابهم من حال المستكبر المتعالي المستهزئ بالمؤمنين، إلى حال النادم الخاسر الخالد في العذاب المهين[٢].

الانفرادة الرابعة"كالحون" في قوله تعالى ﴿ **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ** ﴾[٣].

أولا دلالة مادة "كالحون" في اللغة

أصل الكلح في اللغة العبوس، كالحون من "كلح كلوحا"، وقال عنه الفارهيدي-(ت١٧٥ه)- في معجمه: "الكُلُوح: بُدُوّ الأسنان عند العُبُوس. وكَلَح كُلُوحاً. وأكْلَحَه كذا[٤]."

وقال الزجاج -(ت٢١١ه)- واصفا شكل الكالح" والكَالِحُ الذي قد تَشَمَّرتْ شَفَتُه عَنْ أسنانِه، نحو ما ترى من رُؤوسِ الغَنَم إذا مسَّتْهَا النار فبرزت الأسنان وتشمرت الشِفَاهُ[٥]."

وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه)- في المقاييس" الكاف واللام والحاء أصلٌ يدلُّ على عُبوس وشَتَامةٍ في الوجه. من ذلك الكُلوح، وهو العبوس. يقال كَلَح الرَّجُل، و دهرٌ كالِحٌ[٦]."

---

١ سورة "المؤمنون"، (١٠٢-١٠٤)
٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص٢٤٥)
٣ سورة "المؤمنون"،(١٠٤)
٤ الفارهيدي، كتاب العين (ج٣/ص ٦٣)
٥ الزجاج، معاني القرآن وأعرابه، (ج٤/ص٢٣)
٦ ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٩٠٨)

قال ابن سيده –(ت٤٥٨ه)– قولهم " قبَّح الله كَلْحَته، يعني الفم وما حوله، ورجل كَوْلَحٌ: قبيح[١]."

وفي الأثر عن علي رضي الله عنه قوله" لا تكونوا عجلا مذاييع بذرا، فان من ورائكم بلاء مبرحا مكلحا وأمورا متماحلة ردحا.."[٢] وجاء اللفظ مكلحا، ليدل على شدة وبلاء وإفساد حاصل.

ويظهر من دلالة المادة في المعاجم، أنّ الكلوح هيئة تدل على العبوس الشديد الذي تظهر معه الأسنان، وليس هذا للحزين المغلق، إنما هو للمقهور الغضبان الصامت، الذي تدل ملامحه على شدة ما يعتري نفسه من قهر وألم.

ثانيا دلالة الصيغة "كالحون" في السياق

كالحون، اسم جمع صحيح لاسم الفاعل لكالح، قال ابن منظور–(ت٧١١ه): يقال كَلَحَ الرجلُ، وأَكْلَحه الهَمُّ، ودهرٌ كالحٌ..... ودهر كالح وكُلاحٌ شديد،...الكُلاح وسنة كَلاح على فَعال بالكسر، إذا كانت مُجْدِبة.... ورجل كَوْلَحٌ قبيح، والمكالحة المُشارَّةُ، وتَكَلَّحَ البرقُ، تَتابَعَ وتَكَلَّحَ البرقُ تَكَلُّحاً؛ وهو دوام برقه، واسْتِسْراره في الغمامة البيضاء، وهذا مثل قولهم تَكَلَّحَ إذا تَبَسَّمَ، وتَبَسَّمَ البرقُ مثله[٣]."

وصيغة اسم الفاعل التي جاءت بها الانفرادة دلت على ثبوت الفعل "الكلح " للكافرين، وهي أبلغ في الإخبار عن العذاب الذي يلقونه من الفعل؛ الذي يرتبط بالزمن، فإن سُئل ماذا يحدث للكافرين في النار؟ قلنا هم كالحون فيها، وفي ذلك إشارة إلى الحدث والحدوث وفاعله[٤].

وفي تقديم الظرف على المسند إليه عدة دلالات؛ منها بيان أنّ الكلوح مصدره المكان الذي هم فيه، واستمرار اللفح الذي تعرضوا له. واللفح والكلح من العذاب الذي يخص أشرف الأعضاء– الوجه–، ورد عن ابن عباس " كلح؛ تقلصت شفتاه وسال صديده. وقال ابن مسعود– في معنى الكلح –: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار، وقد بدت أسنانه وقلصت شفتاه. وفي الترمذي عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وهم فيها كالحون – قال –

---

١ اين سيده، المحكم المحيط الأعظم (ج١/ص ٤٢٦)

٢ البخاري،، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفري أبو عبد الله، الأدب المفرد، حديث رقم (٣٢٧)،، ط٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، تح،:محمد فؤاد عبد الباقي، صححه الشيخ الألباني. ص (١٢٠)

٣ابن منظور، لسان العرب،(ج١٣/ص٩٩)

٤ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، (ص٤١)

تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى شفته السفلى حتى تضرب سرته) قال: هذا حديث حسن صحيح غريب."[١]

المراد من دلالة اللفظ، نقل صورة الحدث كاملة، فالخالدون في النار، تلفح وجوهم النار، وهم فيها كالحون، والكالح هو من اتسم بثبوت فعل الكلح؛ وهو العابس حتى تبدو أسنانه،وهو كناية عن شدة الألم الذي يعتريه في النار.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة"كالحون" والوحدة الموضوعية للسورة

لما كانت السورة تتعلق بالإيمان بالله الواحد، وأهم قضاياه، وما ينطوي تحته من عقيدة، انفردت السورة بلفظين من أربعة دلت على عذاب الكافرين في آية واحدة، جاءت في سياق مشهد الحساب يوم القيامة، وما في ذلك اليوم من قلق وتكدر في النفس، لمن خسر الميزان، ولم يأتِ حصاد يثقله[٢]، فلفحت النار الوجوه حتى تكلح، وتشوه هيئتها، ويكدر لونها؛ إنه مشهد مؤذ أليم[٣].

و اتسمّ جو السورة بالهدوء والمجادلة بالحجة الواضحة البينة، و صورت مشهد العذاب بإيجاز بليغ؛ قصد الترهيب من الانحراف عن صراط المؤمنين، وبين أنّ إشفاق المؤمنين من عذاب ربهم تصديقا له، وحرصهم على طاعته، ويقينهم أنهم إليه راجعون، وتصديقهم رسل الله – الذين حذروهم من هذا العذاب–؛ فاتقوه بإيمانهم بالله وحده كما يحب ويرضى لعباده المفلحين.

وفي معنى الكلوح، الشدة والبؤس والألم؛ والذي يعتري الناس عند تغير أحوالهم، وفي السورة بشارة لتغير أحوال الفريقين، فالمؤمنون في نعيم الفردوس خالدون، والكافرون المتكبرون المتعالون بأنسابهم، وأموالهم في عذاب النار يلفحون كالحين.

فناسب اللفظ وحدة السورة القائمة على التفضيل بين فريقين؛ الأول نال الدرجات العليا واستحق ذلك بإيمانه وعمله الصالح، والآخركفر فكان كالحا تعيسا، والكلوح يناسب الشخصية الكافرة في الدنيا والآخرة؛ لإعراضها عن الإيمان وفقدانها ثمرته في الدنيا قبل الآخرة.

---

١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (ج١٢/ص ١٥٢).
٢ ينظر السعدي، تيسر الكريم، (ص٥٥٩).
٣ قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص٤٨)

المبحث الرابع

الانفرادات اللفظية في سورة النور، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية

توطئة: تقديم سورة النور

سورة النور من السور المدنية[١]، وهي ستون وآيتان في المدنيين والمكي وأربع في عدد الباقين[٢]،

وقد عرفت بهذا الاسم في المصاحف وكتب السنن، ولم تعرف بغيره، وجاء عن عمر بن الخطاب أنه كتب لأهل الكوفة:"علموا نساءكم سورة النور[٣]"، جاءت السورة في الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم، بعد سورة "المؤمنون" وقبل سورة "الفرقان"، برقم أربع وعشرين، سادسة النصف الثاني من القرآن الكريم.

وارتبطت السورة بكثير من الحوادث التي وافقت نزول آيات من السورة، وساهمت في تحديد تاريخ نزولها، أولها: الآية التي تنهى عن الزواج من الزواني، في قوله تعالى" ﴿ **ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً** ﴾ النور(٣)، ذكر في السنن أن مرثد بن أبي مرثد[٤] كان يحمل الأسارى في مكة، وكان في مكة بغي يقال لها عناق، وكانت صديقته قال: جئت إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقلت يا رسول الله أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت ﴿ **وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ** ﴾ فدعاني؛ فقرأها علي، وقال لي:" لا تنكحها [٥]".توفي مرثد– رضي الله عنه– في السنة الثالثة للهجرة[٦]، وفي هذا دلالة على زمن نزول السورة.

---

١ ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص١٩٣)

٢ الداني، البيان في عد القرآن، (ص١٩٣)

٣ أخرجه البيهقي عن الهمداني، باب "ذكر سورة الأعراف و التوبة و النور"، حديث رقم (٢٤٣٧)، ينظر البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠ه، تح:– محمد السعيد بسيوني زغلول. (٢ج/ ص٤٧٢)

٤ مرثد بن أبي مرثد الغنوي، صحابي، وأبوه صحابي، واسمه: كناز وهما ممن شهد بدرا.. كان يحمل الأسرى... استشهد مرثد في صفر سنة ثلاث في غزاة." ينظر ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني، ١٤١٥ هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، ط١، بيروت دار الكتب العلمية (ج٦/ص٧٠)

٥ رواه أبو داود، كتاب النكاح، باب في قوله تعالى :الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَة، برقم (٢٠٥٢)، والحاكم في المستدرك، برقم (٢٧٠٠)، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢٤٤٤).

٦ ينظرابن حجر، الأصابة، (ج٦/ص٧٠).

وذكر سبب نزول آخر، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن امرأة كانت يقال لها أم مهزول وكانت تكون بأجياد وكانت مسافحة كان يتزوجها الرجل وتشترط له ان تكفيه النفقة، فسأل رجل عنها النبي صلى الله عليه و سلم أيتزوجها؟ فقرأ نبي الله –صلى الله عليه وسلم– أو أنزلت عليه الآية، والرواية تدل أيضا على أن السورة نزلت في أول الهجرة.

ثانيا: آيات اللعان(٦–١٠) التي ارتبطت برواية هلال بن أمية[١]، وعويمر العجلاني[٢]، حيث جاء في صحيح بخاري:" عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ، قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ، فَقَالَ النَّبِيُّ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: الْبَيِّنَةُ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: الْبَيِّنَةَ، وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ، فَذَكَرَ حَدِيثَ اللِّعَانِ.[٣]"

وكذلك آيات حادثة الإفك(١١– ٢٦)، التي اتهمت بها السيدة عائشة بالفاحشة بهتانا وظلما، وربطها بعض المفسرين بآيات القذف أيضا[٤]، وجاءت تفاصيل الحادثة في كتب الروايات[٥]، وكانت الحادثة في السنة السادسة للهجرة على الراجح[٦].

وتضمنت السورة تشريعات حفظت أموال الناس وأعراضهم،عجز البشر حتى يومنا هذا أن يضعوا مثلها.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

سلط الإمام البقاعي في تفسيره الضوء على مقاصد مهمة بينت شخصية السورة، وربط بين دلالة اسم السورة بمحورها، فجعل اسم السورة "النور" علامة بارزة في الربط بين مواضيع السورة وأهم مقاصدها، فقال:" مقصودها مدلول اسمها المودع قلبها، المراد منه أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة، اللازم منه تأكيد الشرف للنبي– صلى الله عليه وسلم–.. والطهارة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها[٧]."

---

١ "هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف، الأنصاري الواقفي، شهد بدرا وما بعدها وقد تقدم خبره في ترجمة مرارة بن الربيع وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم" ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (ج٦/ ص٥٤٦)

٢ هو "الصحابي، عويمر بن أبي أبيض العجلاني"، ينظر ابن حجر، الإصابة،(ج٤/ص١٠٧).

٣ البخاري، صحيح البخاري، بَاب إِذَا ادَّعَى أَوْ قَذَفَ فَلَهُ أَنْ يَلْتَمِسَ الْبَيِّنَةَ وَيَنْطَلِقَ لِطَلَبِ الْبَيِّنَةِ، حديث رقم(٢٦٧١)، وحديث عويمر جاء في باب اللعان ومن طلق بعد اللعان. حديث رقم(٥٣٠٨).

٤ سورة النور، (٤–٥)، ينظر الطبري، جامع البيان تأويل، (ج١٩/ص١٠٢).

٥ ينظر صحيح البخاري، (٢/٩٤٢–٩٤٥)، حديث رقم(٢٥١٨)، وصحيح مسلم، حديث رقم، (٢٧٧٠).

٦ ينظر ابن هشام، السيرة النبوية، (ج٤/ص٢٥٢)، والطبري، محمد بن جرير، ١٤٠٧ه، تاريخ الأمم والملوك، ط١ بيروت، دار الكتب العلمية، (ج٢/ص١٠٨).

٧ البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص ٢٢٩)

ولكن صاحب الظلال تميز بالتعبير الأمثل والأشمل في بيان مقصد السورة فنقل عنه اكثر الباحثين من بعده[١]، فقد ربط دلالة لفظ "النور" بذات الله، ومقاصد السورة، فقال: " المحور الذي تدور عليه السورة كلها هو محور التربية التي تشتد في وسائلها إلى درجة الحدود. وترق إلى درجة اللمسات الوجدانية الرفيقة... تربية عناصرها من مصدر النور الأول في السماوات والأرض. نور الله الذي أشرقت به الظلمات..[٢]."

ويظهربعد تدبر آيات السورة، والنظر في أقوال الباحثين فيها أنّ الوحدة الموضوعية للسورة– والتي تعبر عن أهم موضوعاتها والترابط المنتظم بينها واهم مقاصدها–**كان في الهدايات التربوية المنتشرة في آيات السورة التي تربي العباد وتنظم العلاقات والروابط بينهم بالنور الإلهي؛ فتنجلي الظلمة عن الأمة المسلمة،ويتحقق العدل المطلق بتلك القوانين والتشريعات الثابتة المستقرة، التي شُرعت لحماية أعراضهم وأموالهم، ولتزكية أخلاقهم وترقيتهم فوق الأمم، وتكشف خطر المنافقين** وفساد قلوبهم وأخلاقهم، وحرصهم على إشاعة الفاحشة والرذيلة في المجتمع المسلم، وتكشف عن طبيعة النفس البشرية في إيلاف المعصية، وتلبيس إبليس على الناس في اعتيادها رغم الأذى الذي تسببه للفرد والمجتمع، فجاءت السورة تسلط نورها على تلك العيوب في المجتمع المسلم الناشئ، وتزكي الأنفس، وتضبط الميزان القضائي للأمة.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق علاقات البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها..

تتميز سورة النور بمطلع متميز، حدد أهم ملامح شخصية السورة، فهي سورة متميزة بالبيانات التي جاءت فيها، وبناء على هذه البيانات احتوت السورة مقدمة وأربعة مقاطع وخاتمة، وهي:

مقدمة السورة: قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ سورة النور(١)، وهذه السورة امتازت بالبدء بكلمة "سورة "ولهذه البداية دلالة على أهمية كل آية فيها، وكلمة "فرضناها" تؤكد أن الأخذ بكل ما فيها من حدود وأخلاق وآداب عند الله سواء، وأنّ هذه

---

١ ينظرحوى، الأساس في التفسير، (ج٧/ص٣٦٧٩-٣٦٨٠)، وشرف الدين، الموسوعة القرآنية، (ج٦/ص٧١)
٢ قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص ٢٤٧)

التشريعات والتوصيات واجبة الاتباع لاستحقاقها ذلك الوجوب من الله[١]، فيكون تعلق المقاطع مرتبطا بهذه الفرائض والهدايات التربوية التي نظمت المجتمع المسلم وتحقق بها العدل المطلق.ثم بدأت آيات المقطع الأول الآيات(٢-٣٣) في تسليط نورها إلى هدايات ووسائل لتحصين النفس وتحصيل العفة والطهارة [٢].ثم بينت آيات المقطع التالي **(٣٤-٤٦)** في هداية الناس إلى نور الله، وأثر نوره سبحانه في استقامة الناس، تضمن هذا

المقطع بيان صفة من صفات الله، وهي النور، وبينت عظم أثرهذا النور الذي أنزله على عباده، قال ابن عمر-رضي الله عنهما-سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إنّ الله خلق خلقه، ثم جعلهم في ظلمة، ثم أخذ من نوره ما شاء، فألقاه عليهم، فأصاب النور من شاء أن يصيبه، وأخطأ من شاء، فمن أصابه النور يومئذ فقد اهتدى، ومن أخطأ يومئذ ضل....[٣]"،

ثم جاءت آيات **المقطع التالي، تهدي الناس لحقيقة المنافقين، وخطرهم على المجتمع المسلم، الآيات(٤٧-٥٧)** يقوم المجتمع المنتظم على محور احترام القوانين والتشريعات التي ارتضتها جموع الأمة، وفي حال أمة الإسلام فإن الأصل أنّ دستورها مستمد من كتاب الله وسنة نبيه- صلى الله عليه وسلم-، لهذا يعد محور التنظيم في الأمة مرتبطا بعقيدتها التي تنص أنّ الحكم لله، وما رفض هذا الحكم إلا صفة من صفات المنافقين[٤]،قال تعالى عنهم﴿ **وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ** ﴾"سورة النور(٤٧-٤٨)،وأثر تلك الطاعة المطلقة لله ورسوله على المؤمنين هو تحقيق الخلافة. ثم كان **المقطع الأخير في هدايات إرشادية في تهذيب المجتمع المسلم وتزكيته، الآيات(٥٨-٦٤)**، تضمن هذا المقطع مجموعة من الأحكام الخاصة ببيوت المسلمين، بعد أنّ وعد المطيعين منهم بالخلافة، عادت الآيات تبين أنّ الخلافة لا تكون لمجتمع متخبط، فالكون يقوم على وتيرة الدقة والتنظيم، ولن يكون فلاح المؤمن إلا بتزكية النفس من كل اسباب الفساد والإفساد، ولهذا نصت الآيات على آداب وأحكام تزكي النفس

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٥٧)

٢ تضمنت آيات هذا المقطع حدودا وتشريعات وآدابا تربوية للحفاظ على عفة وطهارة الجماعة المسلمة "حد الزنا – لغير المحصن- وحد القذف، واللعان، والنهي عن تجارة البغاء، وتضمنت عدة نصائح بينة، تحصن المسلم من الرذائل؛ وهي النهي عن اتباع الشيطان، والأمر بالعفو والصفح بين الناس، وغض البصر وتحصين الفروج، وآداب الاستئذان، والترغيب في تزويج الشباب. وعرضت الآيات حادثة الإفك بطريقة بينة واضحة، أكدت فيها على براءة السيدة عائشة -رضي الله عنها- مما قذفها بها المنافقون والجاهلون، وبينت للمؤمنين المناهج السليم في التعامل مع روايات الإفك.

٣ أخرجه أحمد في مسنده، (٦٦٤٤) تح:شاكر، (ح٢/ ص١٩٧)، والترمذي، صحيح سنن الترمذي (٢١٣٠) واللفظ له.

٤ ينظر السعدي، تيسير الكريم، (ص٥٧١)

وترتقي بها، ومنها: بيان أوقات الاستئذان؛ حفاظا على عورات المسلمين، وحكم القواعد من النساء، وحكم طاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– وتوقيره وأهله[١].

وارتبطت خاتمة السورة بمقدمتها؛ أنه لما ذُكر في أول السورة حدّ الزنا والقذف قال تعالى في آخرها: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ سورة النور(٦٣) فكان أول السورة بيان لمجموعة من هؤلاء المخالفين أمر الله– الزانية والزاني والقاذف– أولئك الذين خالفوا عن أمره فأصابهم عذاب أليم في الدنيا وفي الاخرة، وقال تعالى في آخر سورة النور: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ۖ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة النور(٦٤)، فالخاتمة تبين عظيم علم الله، ذلك أنّ استشعار عظمة علمه وواسعه، وأثرهذا الاعتقاد في تهذيب خلق المؤمن وسلوكه، وحمايته من الفتن المثيرة للمعصية سرا وعلانية، لإيمانه أنّ الله هو الأعلم بأحوال عباده، وبما جبلت عليه أنفسهم من حب الشهوات، وهو الأعلم بالحكم الأنسب لتهذيبهم وتزكيتهم، وأنّه تعالى هو المالك لكل ما في السماوات الأرض، ومن ملك شيئا فهو الأحق بالحكم فيه، فيتحقق بالإيمان أمن المجتمع المسلم لطهارة النفس من المعاصي السرية، وطهارة المجتمع من المعاصي العلانية[٢].

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية.

معنى النور في اللغة الضوء الذي يعين على الإبصار[٣]، وجاء اسم الله النور في آية: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ النور(٣٥) [٤]، فقد ذكر– لفظ النور في السورة "سبع مرات" [٥]في هذه الآية وحدها– ذكر لفظ "نور" خمس مرات في الثناء على الله عزّوجلّ (..مثل نوره.. نور على نورٍ يهدى الله لنورهِ.. ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) [٦]. وارتبط اسم السورة "النور" بدلالتها التربوية، ودلالات أحكامها وآدابها وتشريعاتها على حياة المؤمن بترقية خُلقه إلى

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص١٢٠-١٢٤)
٢ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٢٩٠).
٣ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، ص٣٨٤.
٤ الفيروزآبادي، البصائر، (ص٢٣٥).
٥ من أصل خمس وأربعين مرة في القرآن كله، ينظر جلغوم، عبد الله، (٢٠١٥م)، المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم، ط١، السعودية، الرياض، مركز تفسير الدراسات القرآنية، حرف النون.
٦- وقال ابن عباس– رضي الله عنه– في بيان المقصود من هذا التمثيل، " هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء، كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم، فإذا جاء العلم ازداد هدى على هدى، ونوراً على نور.. "ينظر صحيفة ابن ابي طلحة، تح: الماجد،(ص٣٧٤)

أعلى الدرجات، وتقويم طريقه بعد الانحراف بأدق الوسائل وأحسنها[١]، فيظهر الارتباط العميق بين اسمها الذي ارتبط بذات الله الشريفة، ودل على صفة من صفاته، بحقيقة أثر تلك السورة في تنوير المجتمع المسلم، وكشف خبث المنافقين وخططهم التي تحاك في الظلمات.

العلاقة الثالثة: بين سورة النور و السورة اللاحقة لها سورة "الفرقان"

اهتمت سورة النور بتزكية النفوس وتطهيرها، وبينت أن تحقيق ذلك باتباع آيات الله البينات التي أنزلها هلى رسوله –صلى الله عليه وسلم– وأثر ذلك في إنجلاء ظلام الجهل العقائدي والسلوكي بنور من عند الله، ودفعت السورة عن شبهات المنافقين حول بيت النبوة، وكذا سورة الفرقان اعتنت بمؤازرة النبي –صلى الله عليه وسلم– والتصدي لشبهات الكافرين حول الوحي ومصدرية القرآن، فتشابهت السورتان في بيان طرق الكافرين والمنافقين في التشويش على الناس، وتلبيسهم على الناس بالأباطيل والحجج الواهية لإفساد دينهم عليهم.

وخاتمة سورة النور تبين سعة ملك الله، وتعظيم أمر الرسول– صلى الله عليه وسلم– وتهديد من تجاوز الحد، وافتتحت الفرقان بتمجيد الله، وإثبات فضله على عباده، ونعمه عليهم بما أنزل على عبده هداية لهم، وإنذارا مما ينتظر الكافرين من عذاب وخزي في الدنيا والآخرة[٢].

ثانيا: خصائص سورة النور مضمونا وأسلوبا:

الخصائص العامة التي بينت وحدة السورة وساهمت في سطوعها.

أولا: خصائص مضامين سورة النور.:

١– امتازت سورة النور بتحديد تسعة أحكام، حكم الزنا، والقاذفين، وحكم اللعان، والاستئذان، وحكم غض البصر، وحفظ الفرج، وأحكام النكاح، والمكاتبة، وحكم البغاء، وربطت كل ذلك بالإيمان بالله والتوحيد، حيث تتابعت هذه الأحكام وفق ترتيب وانسجام دقيق[٣]. وتشريع عدد من الحدود وهي: حد الزنا، والقذف، واللعان، وبينت ماهية كل حد؛ كيفا وكما، وشرطا، وكل ذلك بإيجاز بليغ.

٢– تميزت سورة النور بانفرادها ببيان براءة السيدة عائشة رضي الله عنها من الإفك الذي اتهمت به، حيث أصبحت هذه الآيات مقياسا لعقيدة المؤمن، فبينت تفاوت الإيمان في المجتمع المسلم، حيث قسمت الحادثة المجتمع–بناء على تعاملهم معها– إلى أربعة أقسام، وهم: المنافقون و المتلقون بألسنتهم والصامتون، وأفضل هؤلاء هم الظانون بأنفسهم وغيرهم خيرا،

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص١٣٩) ينظر الشعرواي، تفسيره، (٢٧٦٧ص)
٢ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (٢٩١/٥)
٣ ينظر كامل، محمد، قبسات من سورة النور، دار النهضةالعربية، بيروت، ١٩٨١،(ص١٠٠)

فسلطت الآيات الضوء على نفوس المسلمين، ونبهتهم إلى التصرف الأمثل في التعامل مع قضايا الإفك.

٣- تضمنت سورة النور آية فريدة وهي آية المشكاة[١]، فهي قلب هذه السورة، والرابط بين آياتها، حيث بينت حال المؤمن المهتدي بنور الله تعالى، المستفيد من العلم الإلهي المنزل، والأحكام الشرعية التي أنارت بصيرته وأشعلت قلبه، وهدته طريقا لتزكية النفس ورقيها، فجمعت له نور الفطرة مع نور الإيمان، ونور العلم مع صفاء المعرفة، فكان كل ذلك له نورا على نور[٢].

٤- من أهم ما تميزت به سورة النور إبرازها الرابط التفسيري بين الخطابين القرآني والنبوي، فإنّ الحوادث والنوازل التي تزامنت مع السورة ساهمت في إضافة معانٍ تفسيرية للآيات[٣]. وبينت علاقة التكامل القوية بين السنة والقرآن.

٥- تميزت سورة النور بآية تضمنت سبع وصايا ربانية للمؤمنات من شأنها تحصينهن من الفواحش، وتعريفهين بقيمة العفة في بناء شخصية المسلمة، وبهذا تمنع استغلالها من صانعي الرذيلة ومحبي انتشاره في المجتمع، وهذه الأوامر هي: "يغضضن البصر، يحفظن الفرج، لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، يضربن بخمورهن، لا يبدين زينتهن إلا ل....، لا يضربن بأرجلهن، يخفين زينتهن[٤].

ثانيا: خصائص السورة الأسلوبية

لسورة النور عدة خصائص أسلوبية ميزتها عن سور القرآن، وبينت ملامح السورة وشخصيتها، ومنها:

١- تشابهت سورة الأحزاب[٥] مع سورة النور في عدة نقاط أهمها: بيان عظيم ضرر المنافقين على الجماعة المسلمة، وتقولهم على بيت النبوة الأباطيل والشبهات، والتمهيد بتحذير المجتمع المسلم من قذف المحصنات، وذلك بفضح كذبهم وتربصهم بالمسلمين للغدر بهم في

---

١ سورة النور آية (٣٥)

٢ ينظر السعدي، تيسير الكريم الرحمن، (٥٦٨)

٣ لمزيد من الأمثلة التوضيحية ينظر أطروحة د.خلف، نوال، ٢٠٠٧م.بعنوان"الأنسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا" جامعة الجزائر، كلية الأداب واللغات، قسم اللغة العربية، أشراف، د.محمد رتيمة،

٤ ينظر سورة النور، آية (٣١).

٥ مدنية، عدد آياتها ثلاث وسبعون، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز،(ج٤/ص٤٢٢).

الشدائد[١]، وبدأت السورة وختمت بالتحذير منهم، مبينة منزلة الرسول–صلى الله عليه وسلم– وأزواجه، مع أفرادهنّ بأحكام تناسب منزلتهن وعلو شأنهن[٢].

٢- تشابهت سورة النورمع سورتي الطلاق و التحريم[٣] بتضمنها تشريعات وآداب تخص الأسرة المسلمة، من أحكام الطلاق وما يتعلق بها من عدة ونفقة وإرضاع وإسكان[٤]، وسورة التحريم تشابهت مع سورة النور ببيان حادثة تخص بيت النبوة، وتتعلق بأزواجه –صلى الله عليه وسلم– والغرض منها بيان منزلة بيت النبوة بين المسلمين وأنّ لا شيء في حياته– صلى الله عليه وسلم– إلا جعله الله كتابا مفتوحا لأمته وللبشرية كلها[٥]، وفي هذا دليل على طهارة ازواج النبي وعفتهم، فإن كان الله عزّوجلّ أنبأه بحوار دار في بيته خفية عنه، فهل يغفل عن فاحشة زعم المنافقون وقوعها في بيت النبي–صلى الله عليه وسلم!؟

٣- تشابهت سورة النور مع سورة النساء٦، التي قال تعالى فيها:" ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء(١٧٤) فمن المقاصد الأساسية التي عالجتها سورة النساء بناء المجتمع، وحماية الجماعة المسلمة، وبيان أثر اتباع أحكام الله ومنهجه الرباني في إقامة دعائم المجتمع المتحضر أخلاقيا وفكريا[٧]، واعتنت السورة برعاية حقوق الضعفاء والأيتام والمساكين، وحقوق الأسرة المسلمة والمحافظة على العلاقات الزوجية، وبيان الطرق السليمة للانفصال منها، واعتنت السورة بنبذ عادة الجاهلية في الميراث، وإقرار النظام الأمثل فيه، وأقرت آيات السورة المنهجية السليمة في التغيير والإصلاح في المجتمع المسلم، القائمة على

---

١ سورة الأحزاب (٥٨)وينظر سورة الأحزاب الآيات،(١) و(١٢–١٩)(٤٨)و (٦٠–٦٨)و(٧٣)

٢ ينظرسورة الأحزاب (٣٢) (٢٨–٣٤)،(٥٠–٥٥) تضمنت السورة احكا م وتشريعات خاصة بتنظيم المجتمع المسلم وتقويمه وتحافظ على الأسرة المسلمة، ومن أهم التشريعات في السورة فرض الحجاب على المسلمات في الآيات" (٥٩)،، وإبطال عادات جاهلية فشت في المجتمع الجاهلي كالظهار، والتبني، وتبرج الجاهلية الأولى، الآيات،(٣–٥)و(٣٧–٣٨) ينظر ابن عاشور، (ج١٨/ص١٤١)، و(ج٢١/ص٢٤٨) ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن،(ج١٤/ص١٢٧).

٣ اسورة الطلاق مدنيّة بالاتّفاق. وآياتها خمس عشرة فى عَدّ البصرة، واثنتا عشرة عند الباقين، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٥/ص٢٩٥).وسورة التحريم مدنية، ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٨/ص٣٤٥)

٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٨/ص٢٩٣).

٥ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٨/١٥٦ص).

٦ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٤/ص٢١٢)

٧ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٢/ص٢٠٦–٢٠٧).

العدل والإحسان[١]، وعرضت لأحوال المنافقين وفضائحهم، وإبطال مآثر الجاهلية، واستبدالها بالنور الذي أنزله الله.[٢]

٤- تميزت السورة بمطلع السورة فريد انفردت به عن غيرها من السور، قال عنه صاحب الظلال:" تبدأ بإعلان قوي حاسم عن تقرير هذه السورة، وفرضها بكل ما فيها من حدود وتكاليف، ومن آداب وأخلاق.... فيدل هذا البدء الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة، ومدى عمق هذا العنصر–الأخلاقي– وأصالته في العقيدة الإسلامية، وفي اهتمام الإسلام بالنفس البشرية وتزكيتها.[٣]"، فجاء مطلع السورة مصاغا بأسلوب يؤكد أهمية ما ما وراءه من أحكام وتكاليف، فجمع ذهن السامع، وحضر القلب والسمع لتلقي الأمر، وأظهر قيمة الأحكام المنزلة؛ وفيه تعظيم وإجلال الله لحمكته وعلمه، وكل ذلك من انسجام الآيات القرآنية في بناء السورة الواحدة.

٥-امتازت سورة النور بعدد من التشبيهات التمثيلية التي ميزتها، وأوضحت القيم الحقيقية لأعمال الناس يوم القيامة، فضرب فيها مثلا، لقلب المؤمن وأعماله في آية النور[٤]، "وضرب الله مثلاً لنور القرآن المعنوي بمصباح أرضي من صنع النّاس، ذي نور صافٍ من أيَّةِ شائبة، وهذا النّور يتلألأ كالكوكب الدرّي، والقرآن بالنسبة إلى سائر كلام الله كقطرة من بحر، وكذلك نور المصباح بالنَّسبة إلى سائر ما خلق الله من نور في الكون الكبير.[٥]".

وضرب مثلا لقلب الكافر[٦]، حيث شبه أعمال الكافر بالسراب،حيث لا ثواب ولا أجر له فيه؛ ووجه الشبه هو توهم أنّ ما يسعى له موجود[٧]، وكذلك في قوله "أو كظلمات في بحر لجي" فخيّر السامع بين التشبيهين لصلاح كليهما في تشبيه حاله، غير أن هذا التمثيل بيّن التخبط الذي يعيشه الكافر في حياته، فكان كل عمله ظلمات، ثم بيَّن أشد أنواع الظلمات على الإنسان وهي ظلمات البحر المتلاطمة أمواجه للغريق فيه، ليبين أنّ من لم يوفقه الله للإيمان فلا نور له يهتدي به في حياته فينجو[٨].

٦– انفردت السورة بأبنية لأفعال وأسماء لم ترد إلا فيها، أولا: انفردت بثمانية وعشرين فعلا مضارعا " تشهد، يكد، تلهيهم، تمسسه، ليمكنن، ينكحها، يجده، يضعن، يوقد،

---

١ ينظر الفيروزآيادي، بصائر ذوي التمييز، (ج١/ص١٧٠).
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٤/ص٢١٤).
٣ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٥٥)
٤ سورة النور(آية ٣٥)
٥ عباس، فضل، (٢٠٠٧م)،البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها،ط١١، الأردن، دار الفرقان، (ص: ٧٦)
٦ ينظر الآيات من سورة النور، (٣٩–٤٣)
٧ ينظر الرازي، التفسير الكبير، (ج٨/ص١٧٠)
٨ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٢٥٧)

يتقه، تأخذكم، ليستئذنكم، يؤلف،تحسبونه، يحفظن، يحفظوا، يخفين، يخالفون، تدخلوها، ترفع، يرمون، يتسللون، تسلموا، تشيع، ليصفحوا، يصرفه، يضربن، تطيعوه[١]." وخمسة أبنية لأفعال ماضية، وهي:"حُمِّل، حُمِّلتم، أدخلناها، أردنَ، ارتابوا[٢]." وثلاثة أفعال أمر، وهي." أنكحوا، فاجلدوا، فاجلدوهم[٣]." وانفردت بتسعة وثلاثين اسما، وهي:" كِبره، شهادات، إكراههنّ، لواذا، هينا، آباء،أخواتهن، مبرءون، برقه، ابصارهنّ، البغاء، أبنائهنّ، ثيابكم، ثيابهنّ، تحصنا، الحلم، الخبيثون، الخبيثين، الخبيثات، الخامسة، خمورهنّ، خوفهم، أخوالكم، دُريّ، أربع، مُذعنين، رجلين، الزجاجة، زينتهن، كسراب، النور، سنا، شأنهم، شرقية، مصباح، صديقكم، صلاته، طوّافون، الطيبون، الظمآن، الظهيرة[٤]."

٧- وامتازت السورة بذكر بعض الأبنية الصرفية فيها أكثر من غيرها من السور، وهي: "كاذبين؛وردت مرتين من ثلاث، يمشي؛ وردت ثلاث من سبع، مباركة؛ وردت مرتين أربع، الأبصار؛ وردت ثلاث من ثماني عشرة، بعولتهن؛ ثلاث من أربع، بيوت؛ تسع من أربعة عشر، بيوتا؛ ثلاث من تسع، بيوتكم؛ مرتين من ست، مبينات؛ مرتين من ثلاث، كلمة"ثلاث"؛ وردت مرتين من ست، ودُعوا؛ مرتين من ثلاث، يسبح؛ مرتين من سبع[٥]." وامتازت السورة بأربع انفرادات لفظية وهي " الأيامى، يحيف، مذعنين، لواذ.[٦]"، ودلالاتها هي موضع البحث في المطلب القادم.

٨- سورة النور جاءت معظم فواصلها منتهية بحرف النون؛ وعددها واحد وثلاثون فاصلة، وبحرف الميم؛ وعددها اثنتان وعشرون فاصلة، أما الفواصل إحدى عشرة الباقيات، فانتهت بحرف الراء؛ سبع فواصل؛ "الأبصار" مكررثلاث مرات، "المصير" مكرر مرتين، و"قدير" و"نور"، والباء؛ وجاءت فاصلتين كلمة"الحساب "، واللام؛ فاصلة واحدة "الآصال"، وفي دلالة ألفاظ الفواصل معان تتوافق مع وحدة السورة، فالإبصار يحتاج لنور، والمصيروالحساب هو الرادع للنفس من الانحراف، والنور والقدير من اسماء الله التي ناسبت وحدة السورة وهداياتها التربوية.

---

١ ينظر سورة النور، الآيات"(٨-٢٤)-٤٠-٣٧-٣٥-٥٥-٣- ١٩-٦٠-٣٥-٥٢-٢-٥٧-٤٣-١٥-٣١-٣٠-٣١-٦٣-٣٦-(٤-٦-٢٣)-٦٣-٢٧-١٩-٢٢-٤٣—٣١-٥٤.

٢ ينظر سورة النور، الآيات"(٥٤-٥٤-٧٥-٣٣-٥٠)

٣ ينظر سورة النور، الآيات(٣٢-٢-٤)

٤ ينظر سورة النور، الآيات، ١١-(٨-٦)-٣٣-٦٣-١٥-٣١-٣١-٢٦-٤٣-٣-٣٣-٣١-٥٨-٩٠-٣٣-(٥٨-٥٩)٢٦-٢٦-٢٦-(٧-٩)٣١-٥٥-٦١-٣٥-(٦-٨-٤٥)٤٩-٤٥-٣٥-٣١-٣٩-(١٢-١٦)-٤٣-٦٢-٣٥-٦١-٤١-٥٩-٥٨-٢٦-٣٩-٥٨.

٥ ينظر الآيات من سورة النور.(٧-٨)،(٤٥)-(٣١)- (٣٥-٦١)،(٣٧-٤٣-٤٤)، (٣١)،(٣٦-٦١)،(٢٧-٢٩-٦١)، (٢٧-٦١)، (٣٤-٤٦)، (٥٨)، (٤٨-٥١)، (٣٦-٤١).

٦ ينظر سورة النور، الآيات، (٣٢-٥٠-٤٩-٦٣).

٩- امتازت السورة بذكر بعض التراكيب النحوية ذاتها لزيادة النسق الصوتي والإيقاعي للسورة، ومن أمثلته: "**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**" حيث ذكر التركيب أربع مرات[١]، وقصد منه تذكير المخاطبين بفضل الله عليهم ورحمته بهم، سواء كان ذلك في سياق التيسير عليهم أو في الحدود التي فرضها الله لتنظيم حياتهم، و تطهير قلوبهم من الفواحش وتزكيتها[٢]، وكذلك التركيب:" **يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم**"، ذكرمرتين في السورة، مرة بعد الوعظ ومرة بعد تقديم وسائل الوقاية للمحافظة على عفة المجتمع، ومرة ثالثة بالإضافة لضمير العظمة "آياته"[٣] في حكم استئذان الأطفال، ويلاحظ أن كلمات التركيب تحفزّ المتلقي للانتباه إلى الحكم الربانية، ولتقدير عظمة هذه التشريعات لعظم علم وحكمة المشرع لها، فيخضع لها مستسلما."[٤] مستسلما."[٤]

المطلب الثاني: دلالات الانفرادات اللفظية، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

من مميزات سورة النور انفرادها بأربع ألفاظ "وهي الأيامى، يحيف، مذعنين، لواذ." وتختلف دلالة كل لفظ بتنوع مادته وبنائه الصرفي وموقعه في تركيب الجملة وسياق الآيات، لتظهر بعد دراسة هذه الدلالات علاقة اللفظ بوحدة السورة وتناسب موضوعاتها.

الانفرادة الأولى: " الأيامى" في قوله تعالى" ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة النور (٣٢). جاءت الانفرادة في سياق يرشد المسلمين على الزواج عموما لتحصين النفس، وتزويج الضعفاء منهم والمعوزين[٥].

أولا: دلالة مادة " أيم" في اللغة

الأيامي جمع "أيم"؛ وقال عنه الخليل-(ت١٧٥ه)-: الأيْمُ من الحيّات... والإيامُ: الدّخان....وامرأةٌ أيِّم قد تأيَّمَتْ؛ كانت ذات زَوْجٍ فمات وهي تَصلُح للأزواج لأنّ فيها سُؤورَةً من شبابٍ.... والأيامَى: جَمْعُها[٦]."

---

١ ينظر الآيات من سورة النور(١٠-١٤-٢٠-٢١)

٢ أولهما في آية (١٠)، وجاءت الآية عقب بيان أحكام الله وما ظهر فيها من فضل ورحمة من الله على عباده، وقبوله توبة المذنبين، فحذف جواب "لولا" للتهويل،ليدل تهويله على تفخيم مضمون الشرط الذي كان سببا في امتناع حصوله، فيكون التقدير لولا فضل الله عليكم بحكمه بينكم بالحق لذاق بعضكم بأس بعض ولتكالب بعضكم على بعض غيرة وحقد. ينظر الملاح، عائشة أبراهيم حسن، ٢٠٠٤م، رسالة ماجستر في اللغة العربية وآدابها، بعنوان " النظم القرآني في سورة النور، إشراف: د. محمد أبو حمدة، الجامعة الأردنية،. ص٥٠

٣. ينظرسورة النور، آية (٥٩)

٤ ينظر الآيات من سورة النور،(١٨-٥٨).و ينظر الملاح، النظم القرآني في سورة النور، ص٥١

٥ ينظر السعدي، تيسير الكريم، (ص٥٦٧)

٦ الفراهيدي، كتاب العين (ج٨/ص ٤٢٥)

فصل الأزهري–(ت٣٧٠ه)– في دلالة المادة"آيم"، ونقل أقوال اللغويين فيها، فنقل عن أبي عبيد–(٢٢٤ه)–[١]: الأيْم والأيْن، جميعاً: الحيّة.وقال شَمر–(ت٢٥٥ه)–[٢]: قال أبو خَيْرة: الأيْم والأيْن والثُّعْبان: الذكران من الحيات، وهي التي لا تَضُرّ أحداً،وقال ابن شُميل –(ت٢٠٣ه)–: كل حيَّة أيم، ذكراً كانت أو أُنثى"، وربما شدد فقيل: أيِّم، كما يُقال: هَيِّن وهَيْن، والأيامى: القرابات: الابنة والخالة والأخت.ونقل عن ابن الأعرابي –(٢٣١ه)–[٣]، يُقال للرجل الذي لم يتزوج: أيّم، وللمرأة أيّمة، إذا لم تتزوَّج قال: والأيّم: البكْر والثَّيِّب، وعن ابن السِّكيت–(ت٢٤٤ه)– [٤]: فلانة أيِّم، إذا لم يكن لها زوج؛ ورجل أيِّم، لا امرأة له؛ والجمع: الأيَامى. والأصل: أيَايم، فقُلبت الياء وجُعلت بعد الميم.

وأضاف الأزهري: وتأيَّم الرّجُلُ زماناً، وتأيَّمت المرأة، إذا مَكَثا أيّاماً وزماناً لا يتزَوَّجان، والحَرْبُ مَأيَمة، أي: تقتل الرِّجال وتدع النِّساء بلا أزواج. ونقل عن ابن الأنباريّ–(ت٣٠٤ه)–[٥]: رجل أيِّم، ورجلان أيِّمان، ورجال أيِّمون، ونساء أيِّمات. وأيَّمٌ: بَيِّن الأيُوم والأيْمَة، وعن ابن الأعرابي–(٢٣١ه)–: الإيَام: الدُّخان؛ يقال: آم الدُّخانُ يَئيم إياماً. وقال: وأما الأُوام، فهو شِدّة العَطَش؛وقد آم الرَّجُلُ يَؤُوم أوْماً."[٦]

وجمع ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–: الأقوال في معجمه على أصول ثلاثة، فقال:" ثلاثة أصول متباينة: الدُّخَان، والحيّة، والمرأة لا زوج لها.... قال الأصمعيّ–(ت٢١٦ه)–: آمَ الرجل يؤوم إياماً، دَخَّنَ على الخليّة ليخرج نَحلُها فيشتار عسلَها، فهو آيم، والنَّحلة مَؤُومةٌ، وإن شئتَ مَؤُومٌ عليها. وأما الثّاني فالأيمْ من الحيّات الأبيض....وقيل: هو الجانّ من الحيات. والثالث الأيِّم: المرأة لا بَعْلَ لها والرجل لا مَرأةَ له..."[٧]. وكذا قال الأصفهاني في معجمه، وابن منظور في اللسان[٨].

---

١ الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبد الله. صاحب كتاب "الغريب" و"الأموال"، (١٥٧ه–٢٢٤ه)، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء(ج١٠/ص٥٠٤)

٢ شمر بن حمدويه،كان له عناية صادقة بعلم اللغة، ورحل من أجل ذلك في الأقاليم، صاحب كتاب "الجيم"، (ت٢٥٥ه)، ينظر مقدمة الزهري في تهذيب اللغة(ج١/ص٢٥)

٣ إمام اللغة أبو عبد الله، محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم الأحول النسابة. له مصنفات كثيرة أدبية، وتاريخ القبائل، وكان صاحب سنة واتباع.–(ت٢٣١ه)–، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء،(ج١٠/ص٦٨٨)

٤ شيخ العربية، أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت، البغدادي النحوي المؤدب، مؤلف كتاب " إصلاح المنطق "، دين خير، حجة في العربية،–(ت٢٤٤ه)–، ينظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ج١٢/ص١٧)

٥ الإمام الحافظ اللغوي ذو الفنون أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار بن الأنباري، المقرئ النحوي،صنف في علوم القرآن، والغريب والمشكل، والوقف والابتدا،–(ت٣٠٧ه)–، ينظر الذهبي سير أعلام النبلاء،(ج١٥/ص٢٧٥)

٦ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٥/ص٤٤٦)

٧ ابن فارس، مقاييس اللغة، (٩٩ص)

٨ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (٣٠)، وابن منظور لسان العرب، (ج١/ص٢١٢).

بعد البحث في أصول اللفظ الثلاثة؛ الحية، الدخان، ومن لا زوج له، تجد دلالة المادة تشير إلى رابط يجمع بين الأصول وهو الالتواء وعدم الاستقرار؛ فالحية كثير الالتواء لا تستقر على حال، والدخان استعمل للتفريق بين النحل وعسلها فحمل معنى التشويش وعدم استقرار الرؤية، وكذا الأيم من الناس، فهو من فارق زوجه أو طال عليه العزبة، يظهر على حياته عدم الاستقرار والتشويش لبيان حاجته لشريك في حياته، و إطلاقه على النساء لكثرة وفاة أزواجهن عنهن في المعارك والحروب والأسفار.

ثانيا: دلالة الصيغة " الأيامى"

الأيامى في اللغة جمع أيم، " الأصل أيايم جمع الأيِّم، فقلبت الياء وجُعلت بعد الميم، وأمّا أيامى فقيل هو من باب الوَضْع..... وقد آمَتِ المرأة من زَوْجها تَئِيمُ أَيْماً وأُيُوماً وأَيْمَةً وإيمة وتأيَّمَتْ زماناً، وأتامَتْ وأتَيَمْتها تَزَوَّجْتُها أيّماً وتأيَّم الرجلُ زماناً وتأيَّمتِ المرأة إذا مَكَثا أيّاماً وزماناً لا يتزوَّجان[١]."

وزن أيامى فيه وجهان:" عند الزمخشري أفاعل لأنه جمع أيم بوزن فيعل، وفيعل لا يجمع على فَعَالى. فأصل أيامى أيائم فوقع فيه قلب مكاني قدمت الميم للتخلص من ثقل الياء بعد حرف المد، وفتحت الميم للتخفيف فقلبت الياء ألفاً. وعند ابن مالك وجماعة: وزنه فَعَالى على غير قياس[٢]."

وجاء على وزن "فعالى"، وهو من جموع المعنى مع فعلى[٣]، يدل على ما تضمن معنى الآفات والأوجاع و المكروه.

قال ابن يعيش–(ت....)–:" اعلم أن الشيء يُحمَل على الشيء لمناسبةٍ بينهما، إما من جهة اللفظ، وإما من جهة المعنى. وقد تقدّم من ذلك كثيرٌ في التكسير. وهذه الأسماء حُملت على غيرها لتقارُبهما في المعنى؛ وذلك أن هذا البناء من الجمع إنّما يجمع عليه "فَعِيلٌ" إذا كان في معنى "مَفْعول"، وذلك بأنّ فعْله ممّا لم يُسمّ فاعله من نحو: "قَتِيل"، و"جَرِيح". ألا ترى أنّ تقديره: قُتِلَ فهو قتيلٌ، وجُرِحَ فهو جَرِيحٌ...ولا يجمع من ذلك على "فَعْلَى"، إلا ما كان من الآفات والمكاره التي يُصاب بها الحَيُّ، وهو غير مُريد لها، نحو: "لَدِيغ"، و"عَقِير"، فتقول في تكسيره:

---

١ ابن منظور، لسان العرب، (ج١/ص٢١٢).

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٢١٥)

٣ قد يؤتى بالجمع على وزن مصدر فعله، كالحضور والسجود والقعود والقيام، ويكون للدلالة على المعنى الحقيقي للفعل، وإنما جيء بالفعل على وزن مصدره للإشارة إلى هذا الأمر." السامرائي، معاني الأبنية، (ص١٣٩).

"قَتْلَى"، و"جَرْحَى"، و"لَدْغَى"، و"عَقْرَى".....فأمّا جمعُهم إيّاه على "فَعْلَى"، فليس بالأصل، وإنّما هو بالحمل على "جريح"، و"جَرْحَى"...لمشاركتها "فَعِيلًا"، في معنى "مَفْعول" في المكروه."[١]

ودلالة الصيغة الصرفية دلت أنّ لفظ الأيامى وصف حالهم، وما يلحقهم من حزن ووجع بسبب الفراق الذي يعيشونه فشابهوا أصحاب الأوجاع والمكاره في ذلك.

قال القرطبي:" المقصود من قوله تعالى: " وأنكحوا الأيامى منكم " الحرائر والأحرار، ثم بين حكم المماليك فقال: " والصالحين من عبادكم وإمائكم [٢]."

وجاء اللفظ في سياق الإرشاد الرباني لعباده للمحافظة على عفة وطهارة الأمة، فأرشد المؤمنين إلى السعي في تزويج الأيامى، وعطف عليه الصالحين من العبيد، واستغني عن صفة الصلاح في الأيامى لأكثر من مناسبة، ذلك أنّ حكم الصلاح للزواج قد تحصل لهم من قبل، أو لدلالة صيغته على الحزن والألم الذي علاجه بالزواج[٣]. واللفظ في محل نصب مفعول به لفاعل دل عليه ضمير الجمع في فعل الأمر"أنِكح+وا"، فكانت همزة القطع في الفعل مميزة له، بينت أن الأمر ليس للفرد الذي سينكح، إنما هو لأولياء أمورهم، حتى لا يعضلوهم عن الزواج أو يعسروه عليهم[٤]. ويفهم من التبعيض في قوله " منكم" أنها تخص أحرار المسلمين والمسلمات؛ لأن غير المسلمين لا علاقة لهم بالآية.

وفي صيغة الأمر في قوله تعالى "أنكحوا" معنى الوجوب أو الندب، ويقاس الحكم تباعا لحال المأمور، ومظنة وقوعه في ضرر في دينه ودنياه.

ثالثا: العلاقة بين دلالة الانفرادة"الأيامى" والوحدة الموضوعية للسورة

جاء سياق الانفرادة في التهذيب والنصح والإرشاد الذي كان أهم محاور السورة ومقاصد وحدتها الموضوعية، فجاءت الانفرادة في آيات أردفت بعد الأمر بالعفاف الإرشاد إلى ما يعين عليه، وهو أمر الأولياء بتزويج من تحت أيديهم من الأيامى والصالحين من العبيد[٥]. ودلالة اللفظ المعجمية بينت شمولية الحكم "للنساء والرجال و الأرامل والمطلقات والعزّاب" فكل هؤلاء أيامى" والرابط بينهم الذي دلت عليه الصيغة هو وصفهم بالوحدة، وفي هذا دلالة على العلاقة بين الانفرادة ووحدة السورة الموضوعية، التي اعتنت ببيان هدايات تربوية تنير حياة الناس باتباعهم آيات الله البينات، حيث ظهرت رعاية الله لعباده، وتشريعه لأحكام تراعي الفطرة التي

---

١ ابن يعيش، شرح المفصل، (ج٣/ص٣٣٨-٣٣٩)
٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج١٢/ص ٢٤٠)
٣ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٤٦٠).
٤ ينظر الشعرواي، تفسير الشعرواي.(ص٢٧٥٩)
٥ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٢١٥)

خلق النفس البشرية عليها، فكان الأمر بالزواج تطهيرا للنّفوس وللمجتمع كله، لهذا جاءت الآيات التالية تحثهم على الاستعفاف إذا لم يستطيعوا الزواج، فقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ سورة النور(٣٣).

من معاني الانفرادة المعجمية الفراق، إضافة إلى معنى التشويش وعدم الاستقرار النفسي، وقد حملت صيغته معنى الحزن والألم، ودل تركيبه على تولي الغير شؤونهم، وهذه حال المجتمع المسلم إن لم يتبع نور الله ويتقيد بشرعه، فتجد الأمة حائرة مشوشة مستضعفة يتسلط عليها غيرها في إدارة أمرها، وكل هذا بسبب تخليها عن أقامة شرع الله.

الانفرادة الثانية "مذعنين" في قوله تعالى" ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ سورة النور، (٤٩)، جاءت الانفرادة في سياق أخبار الله تعالى عن صفات المنافقين.

أولا: دلالة مادة"ذعن" في اللغة

انفردت السورة بكلمة "مذعنين"،وأصلها "ذعن"، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–:" أَذْعَنَ إِذْعاناً وذَعِنَ يذْعَن أيضاً أي: انقاذ وسَلِسَ..ناقةٌ مِذعانٌ سَلِسةُ الرأسِ منقادةٌ لقائدها،وفي القرآن: (مُذْعِنين) أي: طائعين.."[١].

وجاء في التهذيب للأزهري–(ت٣٧٠ه)–: "الإذعان في اللغة: الإسراع مع الطاعة، تقول: قد أذعن لي بحقّي معناه: قد طاوعني لِما كنت ألتمِسه منه، وصار يُسرع إليه.."[٢]

وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–: "الذال والعين* والنون أصلٌ واحدٌ يدلُّ على الإصحاب والانقياد. يقال أذْعَنَ الرَّجُل، إذا انقاد، يُذْعِنُ إذْعاناً، وبناؤه ذَعَنَ، إلاَّ أنَّ استعماله أذْعَنَ[٣]."

و في اللسان عن الفراء–(ت ٢١٥ه)–: "مُذْعِنين مطيعين غير مستكرهين وقيل مذعنين منقادين وأذْعَنَ لي بحقي أقرّ وكذلك أمْعَنَ به أي أقرّ طائعاً غير مستكره[٤]."

ويظهر من دلالة المادة "ذعن" أنها تعبر عن حالة تتضمن ثلاث صفات، وهي الانقياد و الإسراع ومطلق الطاعة، فيدل ذلك على الرضا التام عن الأمر بدلالة الإسراع في الأمر الذي هم منقادون إليه.

---

١ الفراهيدي، كتاب العين، (ج٢/ ص١٠٠)
٢ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (ج٢/ص ١٩٢)
٣ ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص١٣٥)
٤ ابن منظور، لسان العرب، (ج٦/ص٣٣)

ثانيا "دلالة الصيغة "مذعنين"

مذعنين، جمع مذعن، اسم فاعل من أذعن الرباعيّ بمعنى انقاد أو أطاع مسرعا، وزنه مفعل بضمّ الميم وكسر العين[١]، وجاء اللفظ حالا من فاعل يأتوا، ودلت صيغة البناء باسم الفاعل على الحدث"الإذعان" والحدوث" التغير من الإعراض إلى الإذعان" والفاعل" المذعن"[٢]، ويدل جمع السالم على القلة من ناحية العدد، وليس هذه المقصود هنا- إنما قصد دلالته على الشمول من ناحية الصفة، فإن قيل المؤمنين، دل على كل من اتصف بالإيمان، وأما المراد من "مذعنين" كل من اتصف بهذه الصفة[٣]، وقد دل انقلاب حال المنافقين من الإعراض إلى الإذعان إلى تلبسهم جميعا واشتراكهم بهذه الصفة.

وفي تركيب الجملة "يأتوا إليه مذعنين" دلائل عجيبة، فهي جواب شرط ل"وإن يكن لهم الحق، وتعلق "إليه " بمذعنين ليدل على الاختصاص، فيكون المعنى أنهم لا يأتون على هذه الحالة إلا لحكم الله ورسوله إن كان الحق معهم؛ لعلمهم اختصاص حكم الله بالعدل المطلق دون غيره[٤].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "مذعنين" والوحدة الموضوعية للسورة

الوحدة الموضوعية للسورة والرابط بين موضوعاتها هو الهدايات التربوية البينة والمبينة التي شاع نورها في آيات السورة، بها ينتظم أمر الناس فيما بينهم، ويتحقق العدل المطلق بقوانين وتشريعات ربانية ثابتة منضبطة تحفظ للناس حقوقهم في أموالهم وأعراضهم ونسبهم، وتضمن سلامة عقيدتهم، وترتقي بأخلاقهم وأمتهم، وكان الاستسلام المطلق لأحكام الله وأوامره مع الرضا بها، هو العلامة الفارقة للمؤمنين في المجتمع.

يقول صاحب الظلال:"منهج الإسلام الواضح في التربية يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن بالعقيدة وآدابها إلى حركة سلوكية واقعية؛ وتحويل هذه الحركة إلى عادة ثابتة أو قانون. مع استحياء الدافع الشعوري الأول في كل حركة، لتبقى حية متصلة بالينبوع الأصيل[٥]."وقد جاءت الانفرادة في سياق يكشف خيانة وفساد الشعور الباطن لطائفة من المفسدين، التي لوثت المنبع الأصيل، الذي ينظم حياتها ويضبط سلوكها، فكان نتاجهم معتقدا خبيثا، محبا للفساد ونشرالرذيلة بين الناس.

---

١ صافي، الجدول في إعراب القرآن، (ج١٨/ص٢٨٠).
٢ ينظر السامرائي، معاني الأبينة، (ص٤١).
٣ ينظر المصدر السابق، (ص١٢٦).
٤ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ج٣/ص٢٥٣).
٥ قطب، في ظلال القرآن، (ج٥/ص ٢٨٩)

فكان من الآيات المبينات التي نزلت بها السورة ونورت بها حياة المسلم وطهرت المجتمع من الخبائث، التفريق البيّن بين أفعال المؤمن وأفعال المنافق، فميزت المنافقين بعلامات فارقة؛ منها إعراضهم عن حكم الله ورسوله–صلى الله عليه وسلم – إلا إن كان الحق معهم فهم مذعنون له، وفي هذا دلالات عظيمة أظهرتها الانفرادة، ذلك أنهم على يقين أنه الحق من ربهم، فيسرعون له عندما يوافق أهواءهم، ويعرضون خلاف ذلك، وتبين الحال التي يجب أن يكون عليها الناس في إقدامهم على حكم الله، وهي الإذعان له، ولكن اللفظ ناسب حال المنافقين ليدل على خضوعهم له لحاجة الدنيا فقط.

الانفرادة الثالثة" يحيف" في قوله تعالى﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[١]. تميزت السورة بانفرادها بالفعل المضارع "يحيف" في الثلث الأخير منها، في سياق الحديث عن المنافقين.

أولا دلالة مادة "حيف" في اللغة

يحيف مضارع من مادة "حيف" قال عنها الفراهيدي–(ت١٧٥ه)– كلمات موجزة:" الحَيْفُ المَيْلُ في الحُكْم[٢]."وكذلك قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–:" الحاء والياء والفاء أصلٌ واحد، وهو المَيْل. يقال: حاف عليه يَحِيفُ، إذا مالَ. ومنه تحيفْتُ الشيءَ، إذا أخذْتَه من جوانبه، وهو قياسُ الباب لأنه مال عَنْ عُرْضِه إلى جوانبه[٣]. وفي اللسان" وتَحَيَّفَ مالَه نَقَصَه وأَخَذَ من أَطْرافه، وتَحَيَّفْتُ الشيء مثل تَحَوَّفْتُه إذا تَنَقَّصْتَه من حافاته، والحِيفةُ الطَّرِيدَةُ لأنها تَحَيَّفُ ما يَزِيدُ فتَنْقُصه،.. والحافان عِرْقانِ أخضران تحت اللسان الواحد حافٌ خفيف..."[٤]

الحيف لغة كما بين اللغويون هو إنقاص الشيء وأخذه من الجانب، واستعمل في الانحراف عن الحق في القضاء، بمعنى التحايل في الحكم على شيء ظهر الحق فيه جليا وعدم إيفاء صاحب الحق حقه كاملا. ويستعمل لمن يشعر بميله لأحد الخصوم على الآخر لقرابة أو مودة، فيقال له لا تحِف، أي لا تميل عن الحكم بالحق الكامل لصاحبه.

الفرق بين الحيف والظلم والجور، الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه[٥]، وهذا يدل على قمة الانحراف في الحكم، حيث يحكم بخلاف الحق رغم ظهوره ووضوحه تسلط وطغيانا،

---

١ سورة النور،(٥٠)
٢ الفراهيدي، العين، (ج٣/ص ٣٠٧)
٣ ابن فارس، المقاييس،ص٣٨٧
٤ ابن منظور، لسان العرب،٠(ج٤/ص٢٨٩)
٥ ينظر ابن فارس، المقاييس، (ص٦٤١)

أما الجورفهو الميل عن الطريق[١]، وهذا يدل على تعمد التضليل في الحكم باتخاذه سبل التشويش والتلبيس على الغير، وهذا فيه معنى الخديعة والمكر بالحكم بين الناس بالباطل، وأما الحيف فهو أخذ الشيء من جوانبه، بمعنى إنقاصه وعدم إتمام الحق بالكامل.

ثانيا:دلالة الصيغة "يحيف" في السياق

جاءت الانفرادة في صيغة المضارع المفرد المذكر، في تركيب عجيب للإخبار عن أحوال المنافقين بصيغة الاستفهام غير الحقيقي، المراد منه،: الحكم على الشيء بأنه ثابت مقرر، وأمر واقع؛ كقوله تعالى في المنافقين: ﴿ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ فكلمة "أم" في جميع الأنواع السالفة منقطعة بمعنى: "بل"[٢].

وجيء الفعل "يحيف" مسبوقا بالفعل "يخافون" المضارع أيضا للإشارة إلى أنه خوف في الزمن الحالي من الحيف في المستقبل؛ لما يقتضيه دخول أن- وهي حرف الاستقبال- على فعل (يَحِيفَ). فهم خافوا من وقوع الحيف بعد نشر الخصومة ثم أعرضوا عن التحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وفي إسناد الحيف إلى الله ورسوله –صلى الله عليه وسلم- اتهاما منهم لحكم الله وحكم رسوله معا أنهما يميلان عن الحق. وهذا يدل على عقيدتهم في رسول- صلى الله عليه وسلم- وتكذيبهم له، وأنّ حكمه بغير ما أمر الله، فهم يطعنون في الحكم وفي الحاكم.[٣].

وتظهر دلالة الصيغة المضارعة تجدد الفعل في الحدوث، ولا يدل على ثبوته في صدورهم، لأن الثبوت في هذا الاعتقاد يخالف الفطرة' التي جبلت عليها الأنفس، ويبين أنّ الشعور يتجدد في صدورهم كلما تخاصموا مع أحد وتقاضوا أمام شرع الله.

ثالثا: علاقة الانفرادة "يحيف" في الوحدة الموضوعية للسورة

اعتنت الوحدة الموضوعية للسورة ببيان قيمة آياته في تربية المجتمع وتطهيره من الرذائل بإيرادها جملة من الشرائع والأحكام والآداب، التي تنظم حياتهم وتضبط سلوكهم، فجاءت الانفرادة في سياق يبين صفات فئة مفسدة للمجتمع، منكرة لشرع الله، معرضة عن حكمه تعالى؛ فاسدة القلب، لانعدام نور الله فيها.

---

١ المصدر السابق، ص٢٢٩

٢ حسن، عباس النحو الوافي، ط٣، مصر دار المعارف. (ج٣/ص٣٦٠)

٣ ينظر ابن عاشورالتحرير والتنوير (ج١٨/ص ٢١٧)

وتكشف الآية حقيقة رفضهم لحكم الله، فليس المانع الحقيقي هو قلوبهم المريضة بالنفاق والكفر، أو خوفهم أنّ يميل الرسول –صلى الله عليه وسلم عن الحكم العدل، إنما هو الظلم الذي ألحقوه بأنفسهم؛ بحرمانها من نور الله أن يلج قلوبهم، فتركوا أنفسهم تتخبط في ظلمات الظنون والأحكام الوضعية المريبة. وفي هذه الآيات دليل أنّ الإيمان هو تصديق الرسول –صلى الله عليه وسلم– بكل ما جاء به عن الله عزّ وجلّ، والاستسلام لأمره، ولهذا نفت الآيات الإيمان عمن تولى عن الطاعة، ورفض الانقياد لحكم الله ورسوله في كل حال، والذي يظن بها خلاف العدل والحكمة[١].

الانفرادة الرابعة " لواذا" في قوله تعالى﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.[٢]

تميزت السورة بانفرادة "لواذا" التي جاءت في الآية قبل الأخيرة من السورة، في تحريم مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أولا: دلالة مادة"لوذ" في اللغة

لواذ اسم مصدر من "لوذ"، جاء في العين:" اللوَّذُ: مصدرلاذ يَلوُذ لوْذاً،... وهو أن يستَتِر بشيءٍ مخافة أن تراه وتأخُذه، واللاّذةُ واللاّذ: ثُياب من حرير ينسج بالصين تسميه العرب والعجم اللاّذ،والملاذُ: الملجأ ويجمع الملاّوِذ، وألوادُ المكان: نواحيه والواحِدُ لوْذٌ..."[٣]

لكن أبو عبيدة في مجاز القرآن–(ه٢٢٤)– يرى أنها مصدر " لاوذته " من الملاوذة [٤].

وجاء في التهذيب: "–مَعْنى (اللِّواذ): الخِلاف، أي يُخالفون خِلافاً. عن ابن السكيت–(ت٢٤٤ه)–: خَيْرُ بَني فُلاَنٍ مُلاَوِذٌ؛ أيه لا يَجيء إلاّ بَعد كَدّ. يُلاوذ، يَعْني بَقَر الوَحْش، أي تَلجأ إلى كُنَّسِها.يُقال: لي عِشْرون مِن الإبِل أو لِوَادُها. يُريد: أو قُرَابَتُها.ويُقال: ألاذ الطَّريقُ بالدِّيار إلاذَةً، والطَّريقُ: يُلِيذ بالدَّار، إذا أحَاط بها.وألاذت الدّارُ بالطَّريق، إذا أحاطَتْ به.

وعن الأصمعي–(ت٢١٦ه)–: الألوَادُ، واحدُها: لوْذٌ، وهو حِضْن الجَبَل وما يُطِيف به[٥].

---

١ ينظر السعدي، تيسير الكريم المنان. (٥٧١ص)
٢ سورة النور، (٦٣).
٣ الفراهيدي، كتاب العين (ج٨/ص ١٩٩)
٤ ينظر أبو عبيدة، مجاز القرآن (ص: ٨٥)
٥ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (ج١٥/ص ١٣)

وفي المقاييس:" هي أصلٌ صحيح يدلُّ على إطاقةِ الإنسان بالشيء مستعيذاً به ومتستِّراً. يقال: لاذ به يلوذ لَوْذاً ولاذَ لِياذاً، وذلك إذا عاذَ به من خَوْفٍ أو طَمَع ولاوَذَ لِوَاذاً... وكان المنافقون إذا أراد الواحدُ منهم مفارَقة مجلس رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لاذ بغيره متستِّراً، ثم نهض. وقال تعالى " لواذاً" لأنه من لاوَذَ وجعل مصدره صحيحاً، ولو كان من لاذ لقال لِياذاً، واللَّوْذ: ما يُطِيف بالجبل، والجمع ألواذ.[١]" وكذا قال الراغب الأصفهاني-(ت٥٠٢ه)- في المفردات[٢].

وفي لسان العرب لابن منظور-(ت٧١١ه)-: "لُذْت به لِواذاً احتَضَنْتُ، و لاوَذَ القومُ مُلاوَذَةً و لِواذاً أي لاذَ بَعْضُهُم ببعض، ومنه قوله تعالى: { يتسللون منكم لواذاً } وفي حديث الدعاء: اللهم بك أعوذ وبك أَلوذُ لاذ به التجأ إليه وانضم واستغاث. و المَلاذُ و المَلْوَذُ: الحِصن.[٣]"

ويظهر من دلالة المادة في المعاجم أنّ اللفظ يجمع عدة معان، فهو يدل على التستر عن الأنظار عبر الإطاقة بشيء قريب، واحتضانه لغاية الالتجاء به خوفا أو طمعا في مراوغة شيئ ما. وأريد به في الاية كشف تصرفات المنافقين وتهربهم من مجلس رسول الله فهم يستترون فيلتجئون بغيرهم فانسحبوا واحدا بعد الآخر.

ثانيا: دلالة الصيغة "لواذا" في السياق

جاءت اللفظة في صيغة "فعال" مصدر من "لاذَ به يَلوذ لَوْذاً و لواذاً و لُواذاً و لِياذاً: لَجَأ إليه وعاذ به. ولاوَذَ مُلاوَذَةً و لِواذاً و لِياذاً: استتر.[٤]"

قال أبو حيان"انتصب {لِوَاذًا } على أنه مصدر في موضع الحال أي متلاوذين، و{لِوَاذًا } مصدر لاوذ صحت العين في الفعل فصحت في المصدر.[٥]"

وجاء اللفظ في صيغة المصدرية لتدل على ثبوت حالهم على اللواذ كلما دعت الدواعي ذاتها ، أي ينسلون واحداً بعد واحد يستر بعضهم بعضاً حتى يخرجوا خفية كلما كانوا في مجلس ذكر أو ساحة معركة أو عمل في خدمة صالح المسلمين. ويقال "لاوذه، إذا لاذ به الآخر. شبه تستر بعضهم ببعض عن اتفاق وتآمر عند الانصراف خفية بلوذ بعضهم ببعض لأن الذي ستر

---

١ ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٩٤٣)
٢ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٣٤٦)
٣ ابن منظور، لسان العرب، (ج١٣/ص٢٥٢).
٤ المصدر السابق.
٥ أبو حيان، البحر المحيط ــ (ج٦/ص ٣٤٧)

الخارج حتى يخرج هو بمنزلة من لاذ به أيضا فجعل حصول فعله مع فعل اللائذ كأنه مفاعلة من اللوذ.وانتصب {لِوَاذاً} على الحال لأنه في تأويل اسم الفاعل.[١]"

يظهر من صيغة اللفظ أنه يعبر عن حدث الملاوذة؛ وهو التستر ومحاولة الهرب من شيء بخفاء، ووقتها؛ وذلك في مجالس الذكر والقتال وأعمال الإصلاح الخاصة بالمسلمين، وفاعلها؛ المنافقون، وفيها دلالة المكر والخديعة، والعمل في الخفية.

ثالثا: علاقة الانفرادة "لواذا" بالوحدة الموضوعية للسورة

اعتنت السورة بتقديم جملة من الأحكام والتشريعات والآداب التي تنظم المجتمع المسلم، وتضبطه، وهي بذلك تربي أفراد المجتمع على الطهارة وتزكية المسلمين، وجاء اللفظ في سياق إرشاد للمسلمين إلى قاعدة هامة في ترسيخ الأرضية القانونية للمجتمعات وهي طاعة المشرع، واحترام القانون ورأي جماعة الشورى.

كشفت الآيات الطريقة المثلى للتعامل مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم – حيث حصرت الآية الإيمان على الذين يوقرونه، ودلالة ذلك التوقير أنهم يعلون شأنه بينهم، وينصاعون لأمره، فكان هذا هو الفرق الظاهر بينهم وبين المخالفين له من المنافقين والفساق، الذين يعبثون في الظلام ويستترون من النور الذي أنزل على النبي– صلى الله عليه وسلم–، فينصرفون مستترين ببعضهم، منسلين واحدا تلو الآخرملتفين حول أنفسهم، مخادعين يمكرون بالمسلمين[٢].

ولأن السورة اهتمت ببيان أثر التشريع الإلهي في تنوير المجتمع المسلم وتطهيره، تميزت السورة بثلاث انفرادات من أربعة تعلقت بالمنافقين "مذعنين، يحيف، لواذا" الأولى تدل على انقيادهم وإسراعهم لطلب حكم دنيوي، الثانية تدل على معنى الميل والنقصان في الحكم، والأخيرة تدل على تلحفهم بغيرهم للهروب من مجلس رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وفي كل ذلك علامة تدل أن أكثرالرافضين لتحكيم شرع الله في المجتمع المسلم هم المنافقون، وحرصهم على الدنيا لمرض قلوبهم، وانعدام الانتفاع بنور الله في حياتهم.

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج١٨/ص ٢٤٩)
٢ السعدي، تيسير الكريم المنان، (ص: ٥٧٦)

الفصل الثاني

الانفرادات اللفظية دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، دراسة تطبيقية من أول سورة الفرقان إلى نهاية سورة القصص

يتضمن الفصل أربعة مباحث:

المبحث الأول: الانفرادات اللفظية في سورة الفرقان وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الشعراء وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورة النمل وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة القصص وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الأول

الانفرادات اللفظية في سورة الفرقان وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة

سورة الفرقان من السور المكية[١]،وعرفت السورة باسم "الفرقان" في المصاحف والسنن وكتب التفسير، ونقل في الأثر الصحيح عن الصحابة اشتهارها بهذا الاسم[٢]، وعدد آياتها سبع وسبعون دون خلاف، وهي الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف[٣]، جاءت في الجزء الثامن والتاسع عشر، بعد سورة النور وقبل سورة الشعراء.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الفرقان، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

لاسم السورة "الفرقان" دلالة تحفز السامع لحسن الإنصات لآياتها، لمعرفة ماهية الفرقان، والتعرف عليه، والفرقان المذكور في السورة هو القرآن الكريم، المنزل على رسول الله–صلى الله عليه وسلم– الموصوف في الآية بأعظم صفة للمؤمن وهي العبودية لله وحده، وربط عدد من الباحثين بين اسم السورة ومحورها الأعظم الذي تدور حوله مواضيع الآيات وأهم مقاصدها.

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (٢٤٢/٤) واستدل من قال بمكيتها بالرواية التي جاءت في صحيح البخاري:"عن القاسم بن أبي بزة: أنّه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: **{ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق }**. فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي فقال: هذه **مكية** نسختها آية مدنية التي في سورة النساء." كتاب التفسير، باب تفسير سورة الفرقان، رقم الحديث(٤٤٨٤).

٢ روى البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم(٤٩٩٢)، عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ؛ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ فَلَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ، فَقُلْتُ: مَنْ أَقْرَأَكَ هَذِهِ السُّورَةَ الَّتِي سَمِعْتُكَ تَقْرَأُ؟ قَالَ: أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَقُلْتُ:– كَذَبْتَ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَقْرَأَنِيهَا عَلَى غَيْرِ مَا قَرَأْتَ فَانْطَلَقْتُ بِهِ أَقُودُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقُلْتُ:إِنِّي سَمِعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْفُرْقَانِ عَلَى حُرُوفٍ لَمْ تُقْرِئْنِيهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– :– أَرْسِلْهُ، اقْرَأْ يَا هِشَامُ. فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ يَا عُمَرُ. فَقَرَأْتُ الْقِرَاءَةَ الَّتِي أَقْرَأَنِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: كَذَلِكَ أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ.

٣ ينظر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (ج١/ص٢٣٣).

يرى الإمام البقاعي أنّ الإنذار هو مقصد السورة، وظهر في كلامه مقصد آخر ألمح أليه، وهو حجية القرآن على الخلق كلهم في الدنيا والآخرة، بما يحويه من أدلة وبراهين تفرق بين الحق والباطل، وتزيل أي لبس بينهما[١].

وأما صاحب الظلال فربط وحدة السورة بملمحين، أولهما؛ تعظيم شأن الرسول–صلى الله عليه وسلم– بأبلغ وأدق وصف يعبرعن عظيم شانه عند ربه[٢]؛ والآخر يبين المعركة العنيفة بين الحق والباطل[٣].

وابن عاشور يرى أنّ السورة قائمة على تحميد الله والثناء عليه، وذلك من خلال التنويه بالقرآن وجلال منزله، وما فيه من الهدى،والامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن الرسول–صلى الله عليه وسلم – فأقام السورة على ثلاث دعائم:"الأولى: إثبات أنّ القرآن منزل من عند الله، والتنويه بالرسول –صلى الله عليه وسلم–، ودلائل صدقه، ورفعة شأنه.....الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء...الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله.....وافتتحت آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة "تبارك الذي" الخ."[٤]

وبعد عرض الأقوال والتعرف على السورة ظهر للباحثة أنّ الوحدة الموضوعية للسورة **تقوم على الانتصار للرسول–صلى الله عليه وسلم– وتسليته لتطيب نفسه– والدعاة من بعده– ويَرفع عنه الضيق من هجرة الناس للقرآن، وتقرير نبوته للعالمين، نذيرا ومبشرا، وأنّه سبحانه يستحق الثناء والتعظيم لإرساله النبي– صلى الله عليه وسلم– للناس، وإنزاله سبحانه فرقانا للناس؛ يفرق بين الحق والباطل.**

قال الغزالي– في تقديم السورة–: "من حق الله أن نعرفه ولو لم يبعث لنا رسلا! فآثاره تدل عليه، وفطرتنا تتجه إليه، ومع ذلك فقد شاء– رحمة منه وفضلا– أن يبعث إلينا من أنفسنا من نأنس بهم ونتعلم منهم.. ونحن لا نعرف أعداد المرسلين الذين جاؤونا ولا أسماءهم، ولكنا نعلم أنّ جماعتهم ختمت برسول جمع كتابه زبدة تعاليمهم، وقدر الله له أن يصحب الحياة فى مسيرتها الباقية حتى يرث الأرض ومن عليها، ذلكم هو محمد بن عبد الله."[٥]

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر ــ (ج٥/ص ٢٩١)

٢ وبمثل هذا قال شرف الدين صاحب الموسوعة القرآنية (ج٦/ص١٠٥)، وينظر أصحاب موسوعة التفسير الموضوعي، سورة الفرقان، ص٢٦٤.

٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص١٣٢)

٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٨/ص٣١٤)

٥ الغزالي، نحو تفسير موضوعي (ج١/ص ٢٧٠)

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى:بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

بيَّن مطلع السورة أهم ملامحها، وأشار إلى أهم موضوعاتها، فجاءت السورة بمقدمة وثلاثة مقاطع مترابطة وخاتمة موجزة. **مقدمة السورة، بيان مهمة الرسول–صلى الله عليه وسلم– الآيات من (١–٣):** افتتحت السورة بحمد الله تعالى و الثناء عليه[١]، ووصفه بصفات الألوهية والوحدانية، بإثبات الملك له وحده، ونفي الشريك والولد عنه، وأنه خالق كل شيء، وأن ما يعبدون من دونه لا يملكون لهم نفعا ولا ضرا، والتنويه بالقرآن، وجلال منزلته وعظيم أثره على الخلق، وبالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي –صلى الله عليه وسلم– بوصفه بالعبودية لله وحده، وخصه بأنّه نذير العالمين[٢]. والآيات(٤–٣٤) في المقطع الأول بينت مزاعم الكافرين في إبطال النبوة، ودوافعهم، والرد عليهم[٣]، و الآيات (٣٥–٥٩) في المقطع الثاني جاءت في تثبيت النبي–صلى الله عليه وسلم– فذكر سلفه من الرسل، وتكذيب أقوامهم لهم وهلاكهم، وأخبره سنة من سنن الحياة، وهي؛ كفر كثير من الناس واتباعهم هوى أنفسهم، فأمره –والدعاة من بعده– بمجاهدتهم، وأن يتوكل عليه ويسبح بحمده، وأنّ وظيفته تنحصر في التبشير والإنذار[٤]. **وآيات المقطع الثالث (٦٠–٧٦) تُعرّف الله الرحمن و تثني على عباده،** فبعد أنّ رفض الكافرون السجود للرحمن، فرق الله بين الرسول والمؤمنين معه وبينهم، حيث أخبرت الآيات عن صفات المفلحين و صحة عقيدتهم ورفعة أخلاقهم[٥]. وخاتمة[٦] –الآية الآية (٧٧)– تؤكد هوان البشرية على الله لولا المتضرعين إليه؛وتناسبت مع المقدمة حيث استعرضت الايات السابقة صفات عباد الرحمن، وكان من خواصهم كثرة الدعاء والتضرع لله، فجاءت هذه الخاتمة مناسبة للسورة كلها، وجاء في مطلع سورة الفرقان الثناء على الله المعبود

---

١ ومن دلالات اللألفاظ في الآية الأولى من السورة "لفظ تبارك من تفاعل، يدل على البركة الثابتة المستقرة، ولفظ "نزّل" بالتضعيف ليدل على تكرر النزول، ووصفه النبي–صلى الله عليه وسلم – بالعبودية، وهي صفة مدح وثناء؛ لأنه أضافه إلى عبوديته، كما وصفه بها في أشرف أحواله، وهي ليلة الإسراء،(الإسراء: ١)، وكما وصفه بذلك في مقام الدعوة إليه،(الجن: ١٩)، وكذلك وصفه عند إنزال الكتاب عليه ونزول الملك إليه.. قاله ابن كثير في تفسيره، (ج ٣/ص٤١١).

٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٩/ص٣١٦).

٣ ينظر سورة الفرقان الآيات، (٤–٥–٦–٧–٢١–٣٢).

٤ ينظر السعدي تفسيره، (٥٨٣–٥٨٥).

٥ ينظر ابن كثير تفسيره، (ج٣/ص٤٣٢–٤٤٠).

٦ قال سيد قطب–رحمه الله–: " هذا ختام يناسب موضوع السورة كلها؛ ومساقها للتسرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه؛ ولكنهم في سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون، فما قومه؟ وما هذه البشرية كلها، لولا القلة المؤمنة التي تدعو الله، وتتضرع إليه" قطب في ظلال القرآن، (ج٦/ص١٨٨)

بحق، المستحق لهذه العبادة لأنه مالك كل شيء وخالقه، ومن نعمه على الناس نزول الوحي بالقرآن، على بشر متصف بأجل الصفات وأكملها – محمد صلى الله عليه وسلم– منذرا به الناس البعث والحساب[١]، وفي خاتمة السورة بعدما تضمنت آياتها أغراض التنويه بالرسالة والقرآن، وتقرير وحدانية الله، وعرض شبهات الكافرين وتعلّلاتهم، و بيان أحوال المؤمنين، مع إقامة الحجج الدامغة للمكذبين، فختمت بأمر من الله لرسوله –عليه الصلاة والسلام– أن يخاطب المشركين بكلمة جامعة وهي قوله تعالى ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ الفرقان(٧٧)، يُزال بها غرورهم وإعجابهم بأنفسهم، وحسبانهم أنهم قد شَفوا غليلهم من الرسول بالإعراض عن دعوته، وتورّكهم في مجادلته؛ فبيّن لهم حقارتهم عند الله تعالى وأنه ما بعث إليهم رسوله وخاطبهم بكتابه إلا رحمةً منه بهم لإصلاح حالهم وقطعاً لعذرهم فإذْ كذّبوا فسوف يحلّ بهم العذاب[٢].

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

سميت السورة ب"الفرقان"، وقد ورد لفظ" الفرقان" في القرآن الكريم في مواضع عدة، منها ما أنزل على موسى عليه السلام، في قوله تعالى:" ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣]، وقوله تعالى:" ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴾[٤]، وقصد به جنس الكتب السماوية كافة– ومن ضمنها القرآن الكريم– التي فرقت بين الحق والباطل كما في سورة آل عمران:" ﴿ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾[٥]، وفي سورة الأنفال جاء في موضعين ليدل على سبيل النجاة وعلى النصر، في قوله تعالى:" ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾، وقوله تعالى﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴾[٦].وظهر[٦].وظهر في هذه السورة دلالة واضحة أن الفرقان المقصود فيه هو الذي أنزل على رسول الله

---

١ ينظر سورة الفرقان الآيات(١–٣)
٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٣٨)
٣ سورة البقرة آية (٥٣)
٤ سورة الأنبياء آية (٤٨)
٥ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٢/ص٣٩٤)
٦ سورة الأنفال الآيات (٢٩)و(٤١)

– صلى الله عليه وسلم–، وتجلى المعنى في دلالة اللفظ في جميع مواضعه، وأنه هداية ربانية منزلة للتفريق بين الهدى والضلال، وبين الحق والباطل[١].

فكان اسم السورة من أكبر الدلائل على مقاصدها، ووحدة موضوعاتها، فهو يبين أن السورة كلها سورة تبين عظم منزلة النبي–صلى الله عليه وسلم– وتعظم ما أنزل عليه من وحي فرّق بين الحق والباطل، وبين عباد الرحمن وعباد الشيطان، وبين المشككين والمؤمنين، وأنّ الله تعالى هو صاحب الفضل على عباده أن أنزل عليهم فرقانا يتمايزون به، ويهتدون به، ويتعلمون منه ما ينفعهم ويزكيهم.

العلاقة الثالثة: بين سورة الفرقان والسورة المجاورة لها" الشعراء"

في المقطع الأخير من سورة الفرقان جاءت صفات وسمات عباد الرحمن، خلقا وعملا وعقيدة، وفي آخر آية منها[٢] خلاصة موجزة تبين الغاية من بعث النبي–صلى الله عليه وسلم–' و حقيقة أنّ الخاسر الوحيد في الإعراض عن الدعوة هوالمعرض نفسه[٣].

وفي مطلع سورة الشعراء [٤]كان الوصف للقرآن الفرقان بالمبين، وهي صفة من صفات الكمال للقرآن، فهو كتاب فارق بين الحق والباطل، ليس فيه تشويش او تلبيس، اعتنت آيات سورة الفرقان بالانتصار للنبي–صلى الله عليه وسلم – وتفنيد شبهات المنكرين للوحي، وجاءت آيات سورة الشعراء تبين عظم بيان القرآن، وصدق النبي– صلى الله عليه وسلم– بما أنزل عليه بشهادة عجز بلغائهم من الشعراء الذي أنزل بلسانهم عن مجاراته، واشتملت سورة الشعراء تفصيلا لبعض ما أجمل في الفرقان[٥].

ووجه اتصال خاتمة سورة الفرقان بمقدمة سورة الشعراء؛ قوله تعالى في آخر سورة الفرقان" ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾ الفرقان(٧٧)، وفيه إنذار لمن تكبر وكذب بدعوة النبي– صلى الله عليه وسلم– بملازمة العذاب له، وقال تعالى في بداية الشعراء بعد أن مدح القرآن وخاطب رسوله–صلى الله عليه وسلم– أن لا يهلك نفسه بدعوتهم﴿

فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ

---

١ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٣/ص٧٣).
٢ ينظرسورة الفرقان، (٧٧)
٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٢٠/ص٨٥)
٤ ينظر سورة الشعراء الآيات (٢–٦)
٥ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٠/ص٥٨)

﴿ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء: (٦– ٨)، فأعادت تأكيد تكذيبهم للقرآن، وأنبأتهم بالعقوبات التي ستحل عليهم، وسيأتيهم مصداق ما كانوا به يستهزئون[١].

ثانيا: خصائص سورة الفرقان مضمونا وأسلوبا:

القسم الأول: خصائص سورة "الفرقان" مضمونا.

حوت سورة "الفرقان" بعض المضامين التي ميزتها عن غيرها من السور، وكان لها دور واضح في بيان ملامح السورة الخاصة، وإبراز وحدتها الموضوعية، ومنها:

١– وجدت في السورة أكثر شبهات الكافرين حول مصدر القرآن الكريم منذ البعثة وحتى يومنا هذا[٢]، فقالوا كذب شنيع ألفه، أو قالوا يمليه عليه غيره، وجمعت السورة معظم مزاعمهم حول النبوة، كاعتراضهم على بشريته وفقره، واتهامهم له بالسحر، واعتراضهم على نزول القرآن متفرقا[٣].

٢– سردت السورة عددا من الظواهر الكونية، مثل " امتداد الظل"[٤]، والظل هو ضوء شُعاع الشمس دون الشعاع[٥]، وهومن أهم وسائل الإدراك بالوقت ومعرفة الزمن في النهار[٦]، وفي التركيب "مد الظل" دلالة على كروية الأرض، وفي قوله تعالى عنه "..قبضا يسيرا" في دلالة لفظ "يسيرا"احتمال معنى السريع والبطيء بما يهيئ الوضع الأنسب للحالة، فهو يقبض بسرعة في المناطق المدارية، وببطء في المناطق القطبية[٧]، وتبعتها ظاهرة الليل والنوم والنهار والنشور[٨]، والتي تعد آثارا لظل الشمس على الأرض أثناء حركتها حول نفسها، و ظاهرة الرياح الرياح المبعوثة بالخير، وإنزال المطر من السماء[٩]، وفي كل ما سبق آثار لرحمة الله بعباده[١٠]، ومن الظواهر الكونية التي تضمنتها السورة آيات مرج البحرين[١١]، ففي التقائهما يحافظ البحران

---

١ ينظر المصدر السابق (ج١٠/ص٦١)

٢ للمزيد ينظر كتاب المفكر الإسلامي المصري عوض،إبراهيم، ١٩٩٢م، مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين والمبشرين.، وهو بحث نشر في مجلة مجمع الفقه الإسلامي،العدد السابع، الجزء الرابع.

٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص١٣٢).

٤ سورة الفرقان آية (٤٥)

٥ الرازي، مختار الصحاح (ص٤٠٧)

٦ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٤٢)

٧ ينظر د. يحي وزيري مقال بعنوان "إعجاز القرآن الكريم في وصف حركة الظلال"، http://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Medicine-and-Life-Sciences/٢٤٥-Ijaz-Quran-to-describe-the-movement-of-shadows-(-shadow-static(-

٨ ينظر سورة الفرقان، آية (٤٧)

٩ ينظر سورة الفرقان، الآيات (٤٨–٤٩)

١٠ ينظرحسب النبي، منصور، الكون والإعجاز العلمي في القرآن، دار الفكر العربي، ص١٩٠.

١١ ينظر سورة الفرقان، آية (٥٣)

-الحلو والمالح- على خصائصهما- رغم أنهما من مركب واحد- لتكون آية للناس[١]، وزاد عن آيات سورة الرحمن[٢] أنها ميزت بين البحرين في أهم خصائصهما وهي العذوبة والملوحة، وبيان سبب عدم بغيهما على بعضهما.

٣- انفردت السورة بشكاية الرسول- صلى الله عليه وسلم- قومه لله، لهجرهم القرآن[٣]، ويدل لفظ "اتخذوا" على إمعانهم التام في الهجر، ولهجرهم القرآن أشكال عدة منها: إعراضهم التام عنه، أو قولهم القبيح فيه، أو أنهم جعلوه هجرا من الكلام[٤]؛ أي الذي لا ينفع ولا يستفاد منه.[٥]

٤- تشابهت سورة الفرقان مع سورتي "المؤمنون"و "المعارج" بعرض أعمال وصفات الفائزين بالجنة، ففي سورة "المؤمنون"[٦] جاءت بشراهم من الله في مطلعها؛ بشرى نصرهم وفوزهم بأعظم جائزة استحقوها لتلبسهم بأعمال إيمانية؛ أولها خشوع قلوبهم لله في الصلاة، وآخرها محافظتهم على صلواتهم، وفي سورة المعارج[٧] جاءت أعمالهم في سياق تقديم علاج النفس البشرية وما يعتريها من اضطراب وتخبط، فكان العلاج هو الصلاة الخالصة لله وحده والمحافظة عليها دائما[٨]، وفي سورة الفرقان [٩]وصفت الفائزين بعباد الرحمن، ودلالة وصفهم بالعبودية -التي وصف بها النبيصلى الله عليه وسلم – في مطلع السورة تشريفا لهم لنصرهم

---

١ ينظر المراغي، أحمد بن مصطفى (ت ١٣٧١هـ)، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م تفسير المراغي، ط١،مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، (ج١٩/ص٢٦)

٢ ينظر سورة الرحمن آيات(١٩-٢٠)

٣ ينظر سورة الفرقان، آية (٣٠)

٤ ينظر الماوردي، النكت والعيون، (٤ج/ص١٤٣).

٥ وانفردت السورة بآية استدل به بعض مفسري السلف على أنّ الحساب يوم القيامة ينقضي في نصف النهار لقوله تعالى في سورة الفرقان" {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً} " عن ابن عباس: إنما هي ضحوة فيقيل أولياء الله
على الأسرة مع الحور العين، ويقيل أعداء الله مع الشياطين مقرنين،وقال سعيد بن جبير: يفرغ الله من الحساب نصف النهار، فيقيل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار....وقال عكرمة: إني لأعرف الساعة التي يدخل فيها أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وهي الساعة التي تكون في الدنيا عند ارتفاع الضحى الأكبر إذا انقلب الناس إلى أهليهم للقيلولة، فينصرف أهل النار إلى النار، وأما أهل الجنة فينطلق بهم إلى الجنة فكانت قيلولتهم في الجنة، وأطعموا كبد حوت فأشبعهم كلهم، وذلك قوله {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً}... وعن عبد الله بن مسعود قال: لا ينتصف النهار حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء، ثم قرأ {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرّاً وَأَحْسَنُ مَقِيلاً}...فيقيل أهل الجنة في الجنة." ينظر ابن كثير، تفسيرالقرآن العظيم،(ج٣/ص٣٨٣).

٦ ينظر سورة "المؤمنون"، الآيات(٢-١١).

٧ ينظر سورة المعارج، (٢٢-٣٥).

٨ بينت الباحثة العلاقة بين السورتين في المطلب الأول من المبحث الثالث"العلاقة بين سورة المؤمنون والسور المشابه لها.

٩ ينظر سورة "الفرقان"٦٣-٧٧"

دعوة الحق، فكانوا أنموذجا لعباده المخلصين الذين اهتدوا بآثار رحمته في السماء والأرض[١]، وعرضت أعمالهم لبيان الفرق الواضح بينهم وبين من أنكر الرحمن، فمدح سمتهم وهديهم وحسن خلقهم والتجاءهم إلى الله، وهم في كل ذلك يخالفون الكافرين، ثم كان وسمهم بالإحسان في الصلاة في سورة المؤمنون والمعارج والإشارة لها بفعل السجود للرحمن في سورة الفرقان، من أعظم الروابط بين أعمال الفائزين. وهذا الوصف جاء عقب اعتراض المشركين على السجود للرحمن- فأعظم فرية ابتدعوها أنهم أنكروا معرفتهم بالرحمن ! ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴾ الفرقان(٦٠).

القسم الثاني: الخصائص الأسلوبية التي امتازت بها السورة

١- امتازت السورة بمطلع بديع ندر الافتتاح به في كلام العرب -لأن غالب فواتحهم أن تكون بالأسماء مجردة أو مقترنة بحرف غير منفصل عنه، والندرة في المطلع براعة؛ لأن الندرة من العزة، والعزّةُ من محاسن الألفاظ وضدها الابتذال[٢]، وشاركتها سورة الملك بمثل هذه الافتتاحية[٣]، ولكن سورة "الفرقان" تميزت بتكرر لفظ الافتتاح "تبارك" ثلاث مرات، وهو لفظ قصد منه الإخبار عن عظمة الله وتوفر صفات الكمال له سبحانه، في كل مرة بدأت بدعم قضية من قضايا العقيدة الكبرى، الأولى بينت قضية تقرير نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، والثانية إثبات البعث والجزاء، والثالثة الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق وتنزيهه عن الشريك والولد[٤].

٢- أكثر الفاصلة القرآنية للسورة لصوت النون، و ختمت بعض آياتها بلفظين من اشتقاق واحد، مثل " فقدره تقديرا"،"حجرا محجورا"، ورتلناه ترتيلا"، "فدمرنهم تدميرا"،" تبرنا

---

١ ينظر أبو زيد، نايل، ٢٠٠٦م، آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، دراسة بلاغية، بحث محكم نشر في مجلة الدراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٣، العدد٢، ص٤٥٥-٤٥٦

٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٣١٥)

٣ افتتحت السورتان المكيتان بلفظ "تبارك"، والافتتاح بهذا اللفظ له دلالات عدة، حيث يدل اللفظ على منتهى الكمال لله تعالى، وتنزيه سبحانه عن النقائص وبيان فضله ونعمه على عباده، ومنها القرآن المنزل على سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-، وهو من أعظم النعم على الخلق كلهم."وفي سورة الملك تستعرض الآيات عظيم خلق الله في الكون وحقارة الإنسان أمام هذا المخلوقات العظيمة، ولطفه سبحانه وتعالى بخلقه، كما يلطف بالطير في السماء، وتدبيره شؤونهم رغم كفرهم به وجحدهم نعمه. وفي آياتها تعجبٌ من حال الكافرين المكذبين لعذاب الله؛ أيعجز خالق هذا الخلق كله أن يخلق نارا يعذب فيها المكذبون للرسل؟ ينظر ابن عاشور، التحريرو التنوير، (ج٢٩/ص٨).

٤ ينظر المصدر السابق، (ج١٩-ص٣١٤)

تتبيرا"[١]،وذكر لفظ "سبيل" مرة[٢] و"سبيلا"خمس مرات[٣]، وفي استخدم مادة "سبل" التي تدل على امتداد الطريق بسهولة[٤]ناسب موضعه بطريقة معجزة، ليدل على سهولة طريق الحق والتعرف عليه.

٣- امتازت السورة بانفرادها بعدد من الأبنية الصرفية، والأفعال، منها:" تستطيعون، أضللتم، أضلني، ليضلنا، اصرف، صهرا، زفيرا، أنسجد، رتلناه، رأتهم، رأوك، دعاؤكم، دليلا، يخروا، حجرا محجورا، تحسب، تبرنا، تأمرنا، أثاما، يأتونك، مهجورا، هاديا، نشورا، موتا، مردا، أمطرت، يلقَ، كذبوكم، قواما، مقيلا، مستقرا.[٥] وامتازت بتكرر بعض الأبنية فيها أكثر من غيرها من السور، مثل" أضل" وردت ثلاث مرات من عشر،" ثبورا" وردت ثلاث مرات من أصل أربع، و"تبارك" ثلاث مرات من أصل تسع، و"يملكون" وردت مرتين من أصل عشر مرات، "ليتني" وردت مرتين من ثمان مرات[٦].

٤- وتميزت السورة بعدد من الانفرادات اللفظية وهي" فلانا، تفسيرا، يعبأ " وهي موضوع البحث في المطلب الثاني من المبحث.

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة "الفرقان"، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

من مميزات سورة "الفرقان" انفرادها بثلاثة ألفاظ "وهي فلانا، تفسيرا، يعبأ"، وتختلف دلالة كل لفظ بتنوع مادته وبنائه الصرفي وموقعه في تركيب الجملة وسياق الآيات، لتظهر بعد دراسة هذه الدلالات علاقة اللفظ بوحدة السورة وتناسب موضوعاتها.

الانفراده الأولى: " فلانا" في قوله تعالى" ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴾ الفرقان (٢٨).

جاءت الانفرادة في سياق استعراض شبهات الكافرين حول النبوة، وبيان حسرتهم يوم القيامة على عدم اتباعهم النبي–صلى الله عليه وسلم – واتخاذهم غيره خلا.

أولا:دلالة مادة" فلن" في اللغة

انفردت السورة بلفظة "فلانا" وهي من مادة فلن، ولم يرد عن دلالة مادة المعجمية معنى محدد لأصل اللفظ، إنما لما وضع، فقال عنها الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: "وفلان وفلانة: كناية عن أسماء الناس معرفة لا يَحْسُنُ فيه الألف واللام، ويُقال: هذا فلان آخر لأنه لا نكرة له ولكن

---

١ ينظر سورة الفرقان الآيات،(٢–٢٢،٥٣– ٣٢–٣٦–٣٩).
٢ ينظر سورة الفرقان الآية، (١٧)
٣ ينظر سورة الفرقان الآيات، (٩– ٢٧–٣٤–٤٢–٤٤–٥٧).
٤ ينظر الفراهيدي،العين، (ج٧/ص٢٣٦)
٥ ينظر سورة الفرقان، الآيات، "١٩–١٧–٢٩–٤٢–٦٥–٥٤–١٢– ٦٠–٣٢–١٢–٤١–٧٧–٤٥–٧٣–(٢٢–٥٣)–٤٤–٣٩–٦٠–٦٨–٣٣–٣٠–(٣–٤٠–٤٧)–٣–٧٢–٤٠–٦٨–١٩–٦٧–٢٤–(٦٤–٦٦–٧٦).
٦ ينظر سورة الفرقان، الآيات (٣٤–٤٢–٤٤)–(١٣–١٤–١٤)–(١–١٠–٦١)–(٣–٣)–(٢٧–٢٨).

العرب إذا سمّوا به الإبل قالوا: هذا الفلان وهذه الفلانة فإذا نسبت قلت: فلان الفُلاني لأن كل اسم يُنْسب إليه فإنّ الياء تلحقه تُصيِّرُهُ نكرة وبالألف واللام يصير معرفة في كل شيء.[١]"

وكذا قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه): " الفاء واللام والنون كناية عن كلِّ أحد....هذا في الناس، فإنْ كان في غيرهم قيل: ركبتُ الفلانة والفرس الفلان.[٢]"

وكذا جاءت في غيرها من المعاجم[٣]، ويظهر من دلالة المادة للفظ أنها من مادة لها دلالة صوتية، من الكنايات فليس لها معنى معين، إنما هي أصوات للحروف اشتهرت عند العرب استخدامها كناية عن أحد من البشر بغير ال التعريف، والداعي لهذه الكناية "فلان" إخفاء الاسم. إما خيفة عليه من التشهير به أو أهله، أو للجهل به، أو لعدم فائدة ترجى من ذكره، أو لقصد نوع من له اسم علم، والأخيران هما المحتملان في هذه الآية والأنسب لسياقها[٤].

ثانيا: دلالة الصيغة "فلانا" في السياق

جاء اللفظ في سياق التندم والتحسر، على وزن "فعال"، وتَصغيُره فُلَيْنٌ، وقيل هو في الأصل: فُعْلان، وتصغيره في هذا القول فُلَيّان[٥]"، "ويقال في النداء يا فُلُ فتحذف منه الألف والنون لغير ترخيم ولو كان ترخيماً لقالوا يا فُلا، وقال الأصمعي–(ت٢١٦ه)–: يقال قم يا فُلُ ويا فُلاه، فمن قال: يا فُلُ، فمضى فرفع بغير تنوين، فقال: قم يا فُلُ، وقال المبرد–(ت٢٨٦ه)–: قولهم يا فُلُ ليس بترخيم، ولكنها كلمة على حِدَةٍ.

وبعض بني تميم يقول يا فُلانَةُ أقبلي، وبعضهم يقول يا فُلاةَ أقبلي، وقال غيرهم: يقال: للرجل يا فُلُ أقبل، وللاثنين يا فُلان، ويا فُلُونَ للجمع، وللمرأة يا فُلَ،ويا فُلَتان ويا فُلاتُ.وقال ابن بري–(ت٥٨٢ه)–: فلانٌ لا يثنى ولا يجمع[٦]."

وفُعال مصدر من معانيه:" ما كان مُسْتَطيراً أو مُرْفَضَّاً أو متقطّعاً من شيء وبالجملة التي هي أعْلى طبقةٌ من هذه في باب الجِنْسِيَّة والاستحقاق لاسم العُموم فإنَّ الفُعال يكونُ على الأجزاء المتَّسِعة عن البناء[٧]."

وقع لفظ " فلانا" في محل نصب مفعول به لفعل "اتخذ"،وقصد من هذا التمني التحسر والندم، وجملة { ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً } بدل من جملة { ليتني اتّخذتُ مع الرسول سبيلاً }،

---

١ الفراهيدي، العين (ج٨/ ص٣٢٦)
٢ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص ٨٢٥.
٣ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، ص٢٩١، وابن منظور، لسان العرب، (ج١١/ص٢٢٤)والرازي، مختار الصحاح، ص٥١٧.
٤ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٥)
٥ الفراهيدي، العين، (ج٨/ ص٣٢٦)
٦ ابن منظور، لسان العرب، (ج١١/ص٢٢٤)
٧ ابن سيده، المخصص،(ج٤/ص ٢٨٤)

بدل اشتمال؛ لأن اتباع سبيل الرسول يشتمل على نبذ خُلّة الذين يصدون عن سبيله فتمني وقوع أولهما يشتمل على تمني وقوع الثاني. وأتبَع التحسّرَ بتمني أن لا يكون { اتّخذ فلاناً خليلاً }.[١]

ويظهر من دلالة الصيغة للفظ، أنها مفردة تستعمل كناية عن اسم علم لا يراد تعريفه، ودل التركيب الذي جاء فيه على حالة من التحسر والندم لاتخاذ شخصية ما خليلا، واستخدم الكناية بفلان له أكثر من دلالة، منها اخفاء الاسم لعموم الحالة بين الكثيرين، أو لحقارة المتخذ.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "فلانا" والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفراده في سياق يصور مشهد من مشاهد الآخرة، مشهد نقله القرآن بأكثر من صورة في أكثر من سورة، وهو مشهد التحسر والندم على اختيار أهل الباطل لسبل الشيطان وأهله[٢]." ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[٣]، الانفراده جاءت تحمل دلالات في مادتها وصيغتها تنتصر لرسول الله–صلى الله عليه وسلم– وتسليه مما يلقاه من قومه، فذلك الفلان الذي اتخذ الباطل صاحبا ورفيقا دائما له لا يفارقه عوضا عن تصديق الحق الذي جاء به النبي–صلى الله عليه وسلم – سيندم ولن ينفعه ندمه يومئذ.

ودلالة فلان عامة شاملة لأي شخص يستبدل طاعة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كان أبا أو صديقا أو أخا أو زوجا، أو زعيما أو إماما، ذكرا أو أنثى، جماعة أو فردا.

وجاء لفظ "خليلا" يحمل معنى الثقة المعروفة بين الأخلاء وما بينهم من تشارو ونصيحة، ليبين العلاقة بين أفراد الفريقين من أهل الحق والباطل، هم أخلاء؛ فعلاقة أهل الحق قائمة على التواصي بالحق والصبر عليه، وعلاقة أهل الباطل قائمة على التواصي بالباطل والصبر عليه!

وفي الاية مقارنة بين رسول الله وفلان من الناس، فناسب لفظ فلان وما يحمله من دلالة التهميش وعدم الاكتراث بذكر وصف له تحقيرا لشأنه، وارتقاء بمنزلة الرسول–صلى الله عليه وسلم– بوصفه بصفة تدل على صدقه بما يقول وهي؛ الرسول، وفي كل هذا تسلية له –صلى الله عليه وسلم– وانتصار لدعوته.

---

١ ينظر ابن عاشور، (ج١٩/ص١٣).
٢ ينظر الطبري، جامع البيان، (ج١٩/ص ٢٦٢)
٣ سورة الفرقان، الآيات(٢٧ج–ص٢٩)

الانفرادة الثانية: "تفسيرا" في قوله تعالى" ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾[١].

جاء اللفظ "تفسيرا" مرة واحدة في القرآن، في سورة الفرقان، في سياق تمجيد لله، ولهذه اللفظة أهمية خاصة في العلم الشرعي، لإطلاقها على العلم المعني ببيان معاني القرآن الكريم، وتوضيح ما أشكل منه، ويعد اشرف علوم الشريعة و أرفعها شأنا لارتباطها بكتاب الله عزّ وجل.

أولا: – دلالة مادة "فسر" في اللغة

تفسير أصلها من مادة "فسر" وقال عنها الخليل بن أحمد–(ت١٧٥ه)– في معجمه: "الفَسْرُ التفسير وهو بيان وتفصيل للكِتاب، وفَسَره يفِسره فَسْراً وفَسَّرَه تفسيراً، والتَّفْسِرةُ؛ اسمٌ للبُول الذي ينظُر فيه الأطباء، يُسْتدل به على مَرَض البدن، وكل شيءٍ يُعْرَف به تفسيرُ الشيءِ فهو التَّفْسِرةُ.[٢]"

ونقل الأزهري–(ت٣٧٠ه)– أقوال عدد من اللغويين في المادة، فقال:عن ابن الأعرابي – (٢٣١ه)–: الفَسْرُ: كشفُ ما غُطِّيَ، وقال الليث: الفَسْر: التفسير، وهو بيانٌ وتفصيلٌ للكتاب. وقال: التفسير والتأويل، والمعنى واحد. وأضاف الأزهري قوله عز وجل: الفَسرُ: كشف المغطَّى...وقال بعضهم: التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل. والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر[٣]."

وكذا قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–:" الفاء والسين والراء كلمة واحدة، تدلُّ على بيانِ شيءٍ وإيضاحِه، من ذلك الفَسْرُ، يقال: فَسَرْتُ الشَّيءَ وفسَّرتُه. والفَسْر والتَّفسِرَة: نظَر الطَّبيب إلى الماء وحُكمهُ فيه[٤]."...وبمثل هذا قال صاحب المفردات واللسان[٥].

خلاصة دلالة المادة في المعاجم أنها تأتي بمعنى البيان والتوضيح والتفصيل، ودلالة استخدامه في الاستدلال على ما يستنبطه الطبيب من بول المريض من خفايا، يدل أنّ التفسير يحمل معنى الاستنباط والتحليل والكشف، وإظهار خفايا الشيء وما يستره.

---

١ سورة الفرقان، آية (٣٣)
٢ الفراهيدي، العين، (٧/ ٢٤٨)
٣ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (١٢/ ٢٨٣–٢٨٢)
٤ ابن فارس، المقاييس، (٨٤٧)
٥ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن (٢٨٧)، وابن منظور، لسان العرب' (١٨٠/١١)

ثانيا: دلالة صيغة "تفسيرا" في السياق.

جاءت الانفرادة مصدر على وزن "تفعيل" للفعل المزيد "فسّر" بتشديد عين الحرف[١]. التفسير مصدر فسر –بتشديد السين– الذي هو مضاعف فسر بالتخفيف، وصيغة الفعل المضاعف إن لم تكن للتعدية كان المقصود منها الدلالة على التكثير، وقد يكون التكثير مجازيا أو اعتباريا[٢].

وجاء اللفظ تمييزا، والتمييز ما هو إلا اسم منصوبُ، جاء مفَسِّرا لما ابهم من الذوات[٣]، فجاء اللفظ يبين بأي شيء يفضل ما جاء به الله عن مثلهم؟ الجواب: بأنه أحسن من مثلهم بيانا ووضوحا.

التركيب الذي تضمن الانفرادة "تفسيرا" كان جملة عطف على "جئناك بالحق" جملة حالية من "لا يأتونك بمثل"، جاءت استثناءً من أحوال عامة يقتضيها عموم الأمثال لأن عموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال[٤].

قال ابن عاشور: "ومعنى كونه (أحسَن)، أنه أحق في الاستدلال، فالتفضيل للمبالغة، إذ ليس في حجتهم حُسن، أو يراد بالحسن ما يبدو من بَهرجة سفسطتهم وشبههم فيجيء الكشف عن الحق أحسن وقعاً في نفوس السامعين من مغالطاتهم، فيكون التفضيل بهذا الوجه على حقيقته، فهذه نكتة من دقائق الاستعمال ودقائق التنزيل.[٥]"

ومعنى السياق أنه تعالى يخبر نبيه– صلى الله عليه وسلم– أنّ الكافرين كلما أتوا بشبهات وأكاذيب حول دعوته، إلا جاءه من الله الحق الذي يدفعها ويكشف زيفها، ولما كان ما يأتون به يعتريه التشويش والتخبط وينقصه الوضوح بيَّن أنّ الذي يأتي به سبحانه أحسن تفسيراً لأجل ما فيه من مزية البيان والوضوح[٦].

أما قولهم أن التفسير والتأويل بمعنى واحد فليس بالراجح، فالتأويل لغة من أوّل الكلام وتأوَّله:

---

١ المصدر هواسم الحدث الجاري على الفعل، سمي المصدر مصدرا لأن فعله صدر عنه؛ ولأنه أصل المشتقات كلها على الصحيح."ينظر حاشية الصبان(ج٢/ ص١١٢).

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١/ص١٠)

٣ محيى الدين، محمد، التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية (ص: ١١٣)

٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٢٢).

٥ المصدر السابق، (ج١٩/ص٢٣)

٦ الرازي، مفاتيح الغيب،(ج٢٤/ص ٧٠).

الرجوع إلى الأصل، ومنه: الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه، علما كان أو فعلا[١]". وقيل التأويل من الإيالة وهي: السِّيَاسَة التي تُرَاعِي مآلها، فكأن المؤّول للكلام ساسه ووضع المعنى في موضعه.[٢] "

فيكون معنى التأويل هو إرجاع الكلام إلى المراد منه، وفيه يدخل تأويل الرؤى لأنّ المقصود من تعبيرها هو إرجاع الرؤى إلى دلالات تفهم منها في الواقع، وتأويل القرآن، يقصد منه الحقيقة التي يرجع إليها الكلام، ويأتي بمعنى إعمال وتطبيق ما أمر به.

وفصل الباحثون بين التفسير والتأويل بعدة أقوال[٣]، والراجح أنّ التفسير أعم من التأويل.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة"تفسيرا" والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق آيات تُعد من أعظم آيات تسلية النبي–صلى الله عليه وسلم وتشجيعه على الدعوة، استنفد المشركون كل المزاعم والأكاذيب التي نشروها حول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومصدر الوحي، وكانت حججهم –رغم بطلانها– مصحوبة بضجة وبهرجة لتفتن الناس عن الإسلام، وهذه هي حال الباطل دائما في معركته مع الحق التشويش والتدليس، ولهذا نبأ الله عزّ وجلّ رسوله–صلى الله عليه وسلم– بنصره، وأنهم كلما جاؤوا بزعم أو مثل له، سيأتي الرد عليهم واضحا جليا بينا.

فهم يجادلون الحق بالباطل، والله سبحانه يدفع الباطل ليظهر الحق. فإن إظهار الحق هو المراد وليس دفع أباطليهم فقط، فإعلاء الحق وأهله وتجليته للناس، هو الغاية الهامة، والله سبحانه وعد رسوله –صلى الله عليه وسلم– واضحا بينا، وقد جاء ليفرق بين الحق والباطل دون لبس أو خلط، فمعانيه كلها حق وصدق لا يشوبها باطل أو شبهة حقيقية، وألفاظه بينة واضحة وأحكامه وشرائعه دقيقة بينة بأوضح الألفاظ وأحسنها تفسيرا[٤].

وهذه الانفرادةتتعلق بعلم الكشف عن معاني القرآن وتدبره، وهو علم التفسير، وانفراد سورة الفرقان ب"مادة وصيغة تفسير" دلالة على أنّ هذا العلم هو العلم الفارق بين أهل الحق وأهل الباطل فهو علم إعجاز القرآن بكل صوره، وإثبات مصدريته، وأنّ أهل التفسير هم الأقدر على صدّ شبهات المنكرين حول مصدرية القرآن، والانتصار للرسول –صلى الله عليه وسلم.

قال السعدي:" وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي للمتكلم في العلم من محدث ومعلم وواعظ أنّ يقتدي بربه في تدبيره كحال رسوله، كذلك العالم يدبر أمر الخلق فكلما حدث موجب

---

١ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٢٧).
٢ ينظر ابن منظور لسان العرب، (ج١/ص١٩٣).
٣ ينظر الزركشي، البرهان، (ج٢/ص١٥٠–١٥١)
٤ ينظر السعدي،تفسيره، (ص: ٥٨٢)

أو حصل موسم، أتى بما يناسب ذلك من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ الموافقة لذلك[١]".

الانفرادة الثالثة (يعبأ) في قوله تعالى " ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴾[٢].

انفردت سورة الفرقان بكلمة "يعبأ" فعل مضارع في آخر آية من السورة، في خاتمة مميزة، لوحدة السورة وأهم مضامينها.

أولا: دلالة مادة "عبء" في اللغة

يعبأ مضارع مشتق من "عبء"، قال عنه الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: كل حِمْلٍ من غُرْمٍ أو حَمالةٍ،والجميع الأعْباء، وما عَبَأْت به شيئاً: أيْ لم أُبَالِه ولم ارتفع، وما أعبَأُ بهذا الأمر: أيْ ما أصنع به، كأنَّك تستقلُّه وتَستَحقِرهُ.[٣]"

قال الزجاج-(ت٣١١ه)-:" أصل العِبْء في اللغَةِ الثقلُ، ومن ذلك عَبأتُ المتاعَ؛ جَعَلتُ بعضَه على بعض.[٤]"

في دلالة المادة معنى الثقل والجمع، الذي عبر عنه ابن فارس-(ت٣٩٥ه): بقوله " أصل واحد يدل على اجتماع في ثقل... ومن الباب ما عبأت به شيئا، إذا لم تباله، كأنك لم تجد به ثقلا،...والعباءة ضرب من الأكسية، وقياسه صحيح، لأنه يشتمل على لابسه ويجمعه[٥]."

قال الأصفهاني-(ت٥٠٢ه)-:" أصله من عبأت الطيب، كأنه قيل -يقصد في معنى الآية – مايبقيكم لولا دعاؤكم، ويقال عبَأتُ الجيش وعبّأته هيّأته، وعبأة الجاهلية ما هي مدخرة ً في أنفسهم من حميتهم. ".[٦]

العبء هو الحمل الثقيل في معناه الحقيقي، ويدل على اجتماع الأشياء على بعضها لتصبح ثقلا، كما أشاروا في المعاجم لجمع الطيب،، ومن معاني المادة قولهم عبأت الجيش، فالمراد هو الثقل في العدة والعداد الذي يجعل للجيش مهابة وقيمة في عين عدوه، وإلا فإنه لن يعبأ به[٧]، وقولهم ما عبأت بفلان أو بشيء يعني لا وزن له عندي ولا قيمة، ولا اكثرت له.

---

١ المصدر السابق.
٢ سورة الفرقان، آية (٧٧).
٣، الفراهيدي، العين (ج٢/ص ٢٦٣)
٤ الزجاج، معان القرآن،(ج٤/ص٧٨).
٥ ابن فارس، المقاييس، ص٧٣٢.
٦ الأصفهاني، مفردات القرآن،ص٢٤٠.
٧ ينظر ابن فارس، المقايسس، ص٧٣٢.

ثانيا: دلالة صيغة "يعبأ" في السياق

جاءت الانفرادة بصيغة المضارعة، والصيغة الفعلية لها دلالة تجدد الحدث مع تجدد دواعيه وأسبابه، ولصيغة المضارعة أيضا دلالة وصف؛ فمن دلالة الأفعال وصف الفاعل، فيكون المعنى وصف الله عزوجل بأنه يعبأ بمن يدعوه، ولا يكثرث إلا به، وله دلالة حقيقة من حيث هي غير مقيدة بزمان، وهذا ناسب اللفظ وسياقه، فهو يخبر عن حقيقة عناية الله ونصرته لعباده المخلصين له بالسؤال دون غيرهم من خلقه[١]، والفعل منفي ب"ما" نفيا صريحا- عند من اعتبر "ما" نافية- وأما إذا اعتبرت استفهامية كانت بمعنى النفي البلاغي، بمعنى أنّ الله سبحانه لا يعتد بأحد لا يعبده ولايدعوه وحده ولا يلجأ إليه، فلولا دعاء الناس وحرصهم على مرضاة الله لما كان هذا الاعتداد[٢].

وفي إسناد العبء لله عزّ وجلّ دلالة العناية والاكتراث، بمعنى أيُّ وَزْنٍ أو قدر يكون لكم عنده إن لم تعبدوه[٣]. وقيل: لولا دعاؤكم إيّاه، وقيل: لولا دعاؤه إيّاكم. فإن المصدر يضاف إلى الفاعل تارة، وإلى المفعول تارة، ولكن إضافته إلى الفاعل أقوى؛ لأنه لابد له من فاعل؛ فلهذا كان هذا أقوى القولين؛ أي: ما يعبأ بكم لولا أنكم تدعونه فتعبدونه، وتسألونه، ولفظ الصلاة في اللغة: أصله الدعاء، وسميت الصلاة دعاء لتضمنها معنى الدعاء[٤]."

لولا حرف امتناع لوجود، وجوابه هو " ما يعبأ بكم ربي.." فيكون التقدير لولا دعاؤكم ما يعبأ بكم ربي" أو كما قال الآلوسي "جواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه أي لولا دعاؤكم لما اعتد بكم، وهذا بيان لحال المؤمنين من المخاطبين.وقوله سبحانه :" فَقَدْ كَذَّبْتُمْ " بيان لحال الكفرة منهم"[٥].

والفعل بهذه الصيغة يفيد معنى الرعاية والاهتمام المتجدد مع تجدد الإخلاص في الدعاء، ومقصود الدعاء هنا يحتمل السؤال، ويحتمل العبادة ذلك؛ أن إخلاص السؤال لله هو لب العبادة، ويحتمل الإيمان، وكل ذلك ورد له دليل من آيات القرآن[٦].

---

١ ينظر السامرائي، معاني النحو، (ج٣/ص٢٨٩-٢٩٠).
٢ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٦/ص٣٧٩).
٣ ينظر الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص٧٨).
٤ ينظر ابن القيم، الجوزية، ١٤٠٨ه، جلاء الأفهام، دار ابن كثير، (ج٤/ص١١٤)
٥ الآلوسي، روح المعاني، (ج١٩/ص٥٥)
٦ ينظر الشنقيطي، أضواء البيان،(ج٦/ص٨٣).، وقد أرود أقوال المفسرين في قوله تعالى" لولا دعاؤكم"، فالأول على معنى دعاؤه على أياكم على ألسنة الرسل، أو معنى إخلاصكم الدعاء أيه الكفار في الشدائد، أو ما يصنع بعذابكم لولا دعؤكم معه آلهة أخرى.، والقول الأول هو أشهر الأقوال وأرجحها، للمزيد ينظر(ج٦/ص٨٣).

وناسب الفعل مقام الربوبية الذي أصله الاعتناء بالخلق، ويندرج إرسال الرسل ونصرتهم تحت هذا المقام،وفيه دلالة مدح لعباد الله، وذم للمتكبرين عن دعائه الجاحدين لنعمه عليهم، فكان تكذيبهم للرسل سببا لهلاكهم في الدنيا والآخرة.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "يعبأ" والوحدة الموضوعية للسورة.

بعد أنّ بيّن الله تعالى في الآيات السابقة صفات عباده وبشرهم بالجنان، ختم السورة بالإخبار أنّه سبحانه –عزّ وجلّ– لا يبالي ولا يعبأ بالناس، لولا دعاؤهم إيّاه دعاء العبادة ودعاء المسألة، وأنّ العذاب لازم من لوازم الغريم لغريمه[١]، وهو حق لله على من كذب رسله وكفر بحقه تعالى في أن يعبد وحده، فحقَّ عليهم الهلاك في الدنيا والآخرة.

دلالة اللفظ ترفع وزن وقيمة العابدين الموحدين لله، وتسفِّه الجاحدين المنكرين لنعمه ويقلل من شأنهم، ويعدهم العذاب أيضا، فإنّ الاعتبار الحقيقي لقيمة الفرد لا يكون إلا باتباع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.فالعبء يكون لشيء له قيمة وثقل، وأنّ نفيها يدل على الاستخفاف والاحتقار للشيء، وتبين الانفرداة عظيم رعايته للناس وتكرمه عليهم بهذه العناية، وأنه تعالى من تمام رعايته وعنايته بخلقه أرسل لهم رسولا منهم يهديهم إلى ربهم؛ فيعبدوه استحقاقا بالوجه الذي يرضى ويحب، وأنه لا اعتبار لأي أحد من الناس عند الله إلا من عبده مخلصا، فمن كذب رسوله–صلى الله عليه وسلم– فلا قيمة له ولا وزن يعتد به، وأنه استحق العذاب لزوما؛ فكان هذا انتصارا وسندا للرسول– صلى الله عليه وسلم – ومن معه، فهو في جوار الله وحماه، وما قيمة الكافرين بما أنزل عليه في الميزان؟ لا شيء[٢].

---

١ ينظر السعدي، تفسيره(٦٢٦ص)

٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص١٨٩)

المبحث الثاني

الانفرادات اللفظية في سورة "الشعراء" وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة تقديم السورة:

سورة الشعراء من السور المكية[١]، وآياتها سبع وعشرون ومئتان[٢]، نزلت بعد الواقعة[٣]، وترتيبها السادسة والعشرون في المصحف بعد سورة الفرقان وقبل سورة النمل، وتقع في الجزء التاسع عشر.

اشتهرت السورة باسم الشعراء، وورد تسميتها ب"الجامعة" في تفسير الإمام مالك[٤]، لأنها جمعت ثماني قصص لأنبياء الله ورسله عليهم السلام.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

حرص الباحثون في وحدة السورة ومقاصدها على استخلاصها وإبرازها للمتدبرين في آيات السورة فالبقاعي يرى أنّ مقصدها الأهم بيان إعجاز القرآن، فقال:"مقصودها أن هذا الكتاب بيّن في نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس.."[٥]

وفي ظلال القرآن يرى أن مقصودها العقيدة بكل ما تشمله من عناصر."[٦] وابن عاشور-(ت١٣٩٣ه)- قال في عرضه لأغراض السورة:" أولها التنويه بالقرآن، والتعريض بعجزهم عن معارضته، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من إعراض قومه عن التوحيد الذي دعاهم إليه القرآن..وفي ضمنه تهديدهم على تعرضهم لغضب الله تعالى، وضرب المثل لهم بما حل بالأمم المكذبة رسلها والمعرضة عن آيات الله[٧]."

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٢٧١).
٢ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج١٣/ص٧٥).
٣ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٩٠).
٤ ينظر ابن كثير، تفسيره، (ج٣/ص٤٤١).
٥ البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٣٤٤).
٦ قال قطب في تقديم السورة:" موضوع هذه السورة الرئيسي هو موضوع السور المكية جميعاً.. العقيدة.. ملخصة في عناصرها الأساسية: توحيد الله... والخوف من الآخرة... والتصديق بالوحي المنزل على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم... ثم التخويف من عاقبة التكذيب، إما بعذاب الدنيا الذي يدمر المكذبين؛ وإما بعذاب الآخرة الذي ينتظر الكافرين..إلى تسلية الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتعزيته عن تكذيب المشركين له وللقرآن...و طمأنة قلوب المؤمنين وتصبيرهم على ما يلقون من عنت المشركين؛ وتثبيتهم على العقيدة مهما أوذوا في سبيلها من الظالمين؛ كما ثبت من قبلهم من المؤمنين،"ينظر في ظلال القرآن، (ج٦/ص١٨٩).
٧ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٩٠)

ويظهر مما سبق اختلاف الآراء حول مقاصد السورة عند الباحثين، ولكن مقصد السورة الذي تدعمه العلاقات التي تربط السورة وخصائصها، **أنّ الوحدة الموضوعية للسورة هي إظهار عظم معجزة القرآن وبيانه، ودوره في التصدي لانحرافات البشر العقائدية والأخلاقية والفكرية، وأنّ الكفر به رغم الإبلاس أمامه لا يقدح في عظمّه وبيانه، إنما هي سنة أهل الباطل بإنكار آيات الله مهما خضعت لها أعناقهم، بينما آية واحدة في كونه كفيلة بالدلالة عليه.**

يقول الغزالي في تقديم السورة:" فأنزل الله على نبيه–صلى الله عليه وسلم– أعظم آية؛ كلام الله يوحى له، وفيه آيات معجزة مكانية وزمانية، وبينت السورة أنّ حال الكافرين مع الرسل واحد، رغم طهارة المرسلين وعفتهم وترفعهم عن الدنيا وزخرفها... وظهرت فيهم جميعا وحدة العرض الحسن المنزه عن كل غرض، يقابله وحدة الرد السيء المشوب بالعناد والغدر.[١]"

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها..

تناسبت مقاطع السورة في بيان أهم مقاصد السورة، فكانت المقدمة في عظم المعجزة مع قلة مؤمنة، الآيات(١–٩)، فبدأت السورة بالثناء على آيات الكتاب، ثم تسلية الرسوله صلى الله عليه وسلم– وإخباره حقيقة أن أكثر الناس لن يؤمنوا، وأن قلة قليلة هي المؤمنة (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ) سورة الشعراء(٨) فلا يحزن ولا يهلك نفسه من أجلهم، وقال تعالى في آخر هذه المقدمة جملة: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ) سورة الشعراء(٩) تعقيبا لهذا الخبر، فالعزة هي تمام القدرة فهو سبحانه قادر على جعلهم جميعا يؤمنون، أو يعجل لهم عذابا يستحقونه فهم لا يعجزونه، وهو الرحيم أيضا، ففي إمهالهم رحمة بهم، ورحمة برسوله–صلى الله عليه وسلم– ذلك بتأييده ونصره [٢].، ثم جاءت الآيات منتظمة في مقطعين، الأول يقص على

---

١ ينظر الإمام الغزالي، نحو تفسير موضوعي (ج١/ص ٢٧٨)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٠١)

النبي–صلى الله عليه وسلم– وأمته قصة موسى عليها السلام، والثاني في أحوال السابقين من الأنبياء مع أقوامهم.

المقطع الأول: الآيات(١٠– ٦٨)قصة موسى عليه السلام. بدأت السورة بتسلية النبي – صلى الله عليه وسلم– وتثبيته في دعوته بسرد قصص من سبقه من الرسل، وذكر صنيع أقوامهم معهم، وكفر أكثرهم بهم، وبدأت السورة بقصة موسى–عليه السلام– وذلك لأنه أكثر الرسل معجزات، ولأنه أرسل لأعظم طاغية في الأرض، وعرضت السورة الجزء الذي يتعلق بتحديه السحرة، وتصديقهم معجزته، لأنهم أهل الصنعة وأعلم بفنونها وحدودها، وكذلك البلغاء من الشعراء العرب، هم أهل اللسان والأعلم بحدود البشر به، وكذلك لكثرة أذى قومه له قبل إيمانهم وبعده، فسردت آيات القصص على منهجية واحدة لأن المراد واحد، وهو بيان الشدائد التي تعرضوا لها مع أقوامهم الكافرة.

المقطع الثاني (٦٩–١٩١) قصص السابقين مع أبيائهم، وتبعت قصة موسى–عليه والسلام– قصة إبراهيم –عليه السلام– وذلك لتشابه حجج المكذبين بالقرآن مع حجج قوم إبراهيم، عندما تعجب من عبادتهم أوثان لا تضر ولا تنفع فقالوا له:(**قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ**) الشعراء(٧٤)، فبينت الآيات بعدها منهج نبي الله إبراهيم في عقيدتهم، فقال تعالى على لسانه: (**أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**)(الشعراء: ٧٥ – ٧٧)، فبينت الآيات حقيقة معتقد أبيهم إبراهيم، الذي يزعمون أنهم على ملته، ويفتخرون بالبيت الذي بناه[١]. ثم عرضت قصة الأقوام السابقة بفاتحة واحدة" تكذيب الأنبياء" قال تعالى: (**كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٠٥ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**)الشعراء(١٠٥–١٠٦) وكذلك الآيات (**كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٢٣ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ**) الشعراء(١٢٣–١٢٤) الآيات :(**كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٤١ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ**) "الشعراء: (١٤١–١٤٢)و □□□□□□ (**كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٦٠ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ**) الشعراء(١٦٠–١٦١) و (**كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧٦ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ**)الشعراء(١٧٦–١٧٧) ثم بين منهجهم الواحد في الدعوة، وهو الأمانة وتبليغ الرسالة بالتقوى والطاعة لله، خالصة لوجه الله تعالى. وقوله تعالى:

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢١٥)

(إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٠٧ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٠٨ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ) [١].

ثم خاتمة واحدة تبين حقيقة أن أكثر الناس كافرون رغم وضوح الآيات وبيانها، وأنّ الله عزيز قادر على العقاب، ورحيم بعباده بتأخير العقاب، ورحيم برسله ومن معهم بنصرهم على عدوهم[٢]، وهي قوله تعالى: **(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٢١ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)** [٣]. وبين فاتحة كل قصة وخاتمتها، عرضت الآيات انحرافات الأقوام السابقة، وشبهاتهم، وردهم على دعوة الأنبياء، ثم هلاكهم ونصرة الله لرسله. وفي كل ذلك تثبيتٌ للرسول–صلى الله عليه وسلم– وتوضيحٌ لطريق الرسالة، وللدعاة من بعده، وبيانٌ بعظم المعجزة القرآنية رغم كفر الكثير بها جحودا واستكبارا. ثم الخاتمة: معجزة القرآن الكريم، الآيات(١٩٢–٢٢٧)عاد سياق الآيات يثني على القرآن الكريم، ويؤكد مصدره و بيانه وماجاء به من قصص السابقين، ويُصدق دعوة النبي–صلى الله عليه وسلم– فالشعراء يشهدون بعظيم بيانه بعجزهم عن الإتيان بمثله، ويعلمون أنه ليس إفكا ولا تنزيلا من الشياطين، ويشهد علماء بني إسرائيل بصدق القرآن المنزل عليه من عند الله لما جاء فيه من أخبار يعلمون أنها حق، وذلك في قوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ١٩٦ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ)** الشعراء(١٩٦–١٩٧)، وبينت الآيات أن نظم القرآن يتميز عن غيره، فهو منهج واحد مستقيم، لا يطلب أجرا عليه أجرا، ولا تتناقض موضوعاته أو تفقد أهميته مع تقدم الزمان، فكل ما فيه مقصود معمول به أنزل لغاية الهداية (الإنذار والبشارة)، فمن تنكر له هلك، ومَن شهد بصدقه وأتبع إيمانه بالعمل الصالح، وذكر الله كثيرا، وانتصر لدينه فاز[٤].

وتناسبت مقدمة السورة مع خاتمتها فيهما كان الثناء على القرآن بكلمة "المبين" في المطلع، الدالة على جميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، بحيث لا يبقى عند الناظر فيه شك ولا شبهة فيما أخبر به، أو حكم به، لوضوحه، ودلالته على أشرف المعاني، وارتباط الأحكام بحكمها، وتعليقها بمناسباتها، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينذر به الناس، فيهتدي به القليل، ويكفر به كثير، فكان ذلك يحزنه حزنا شديدا؛ حرصا منه على الخير[٥]، وفي الخاتمة الثناء على القرآن، وبيان مصدره ودفع شبهات الكافرين حول بيانه، وذم الشعراء، وفي دلالة

---

١ " سورة الشعراء: ١٠٥ – ١٠٩] [١٢٣ – ١٢٧] [١٤١ – ١٤٥] [١٦٠ – ١٦٤] [١٧٦ – ١٨٠]،
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٠١)
٣ [الشعراء: ١٢١، ١٢٢– ١٣٩–١٤٠–١٥٩–١٦٠–١٧٥–١٧٦– ١٩٠–١٩١
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢٤٦)
٥ ينظر السعدي، تفسيره، (ص: ٥٨٩)

ذمهم حثهم على تكذيب القرآن إن استطاعوا، فكان سكوته عن ذمهم تصديقا آخر لعظيم بيانه، قال تعالى:(**نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ**) الشعراء(١٩٣ – ١٩٥)، وختمت بوعد للمؤمنين ووعيد للكافرين المكذبين، وفي ذلك نصرة للنبي–صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده.

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

سميت بذلك لذكر الشعراء فيها، أصحاب اللسان العربي، فهم مفخرة العرب، وعلماء عصرهم بفنون لغتهم، وسحر البيان العربي، بعد أن وصلوا لأعلى درجات التطوراللغوي، وأصبح للشعراء منزلة العظماء في قبائلهم، وقد ذكر عن منزلتهم عند العرب" أنّه كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنَّأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبْن بالمزَاهر كما يصنعن في الأعراس وتتباشر الرجال والولْدَان لأنه حماية لأعراضهم، وذبٌّ عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادَةٌ لذكْرهمْ، وكانوا لاَ يهنئون إلاّ بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تُنتج. وقال محمد بن سلام الجمحي[١] في طبقات الشعراء: لا يُحاط بشعر قبيلة واحدة من القبائل العرب، وعن عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قال: كان الشّعْرُ علم قوم لم يكن لهم علم أصحُّ منه ٢"، (**بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ**) الشعراء: (١٩٥) يتلوه رجل منهم لم ينطق الشعر أبدا، " **وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ**) **يس:** (٦٩). فكان الشعراء هم سحرة فرعون الذين عجزوا أمام حقيقة ما جاء به الرسول– صلى الله عليه وسلم–، وكان عجزهم من دلائل صدق ما جاء به.

---

١ أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم البصري؛ فكان من جملة أهل الأدب، وألف كتاباً في طبقات الشعراء.وأخذ عن حماد بن سلمة، وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل، وأبو العباس ثعلب توفي –(٢٣٢ه)– ينظرالبغدادي، تاريخ بغداد،(ج٥/ص٢٢٧).

٢ السيوطي، المزهر في علوم اللغة (ج٢/ص ٤٠١)

العلاقة الثالثة: بين سورة الشعراء والسور المجاورة لها" سورة النمل"

تشابهت السورتان(الشعراء والنمل) في المطلع مع سورة القصص[١]، و تشابهت السورتان بتناسب الموضوعات، فقد بدأتا بالحروف المقطعة المتشابهة تقريبا، وبالثناء على القرآن، والتنويه بشأنه، وفيها من أخبار الأمم السابقة ما يثري عقيدة المؤمن، ويقيم الحجج على الكافرين، ففي سورة الشعراء عرضت قصص حال الأنبياء مع أقوامهم، فبدأت السورتان بقصة موسى عليه السلام مع فرعون، ففي الشعراء بدأ بخبر موسى عليه السلام مع قوم فرعون الظالمين[٢]، قال تعالى:" ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الشعراء(١٠)، وبدأت سورة النمل فبينت بعث موسى قبل المناداة التي بدات بها سورة الشعراء، قال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا

---

١ تشابهت سورة الشعراء وسورة القصص في المطلع، فقال تعالى في مطلع سورة الشعراء" **{طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ }**، وفي مطلع سورة القصص " **{طسم (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}**، وبدأت سورة النمل التي بينهما بقوله تعالى: **{ طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ}**، بدأت السور الثلاث بالحروف المقطعة١، ومن أحسن ما قيل في الحروف المقطعة أنها دلالة على بيان القرآن وعجز أهل البيان والفصاحة عن الإتيان بمثله، فكان الاستفتاح بها لقرع أسماعهم ولفت انتباههم لما بعدها، قال ابن عاشور بعد سرد أكثر من عشرين قول في الحروف المقطعة أن الراجح هو:" كون تلك الحروف لتبكيت المعاندين وتسجيلٍ لعجزهم عن المعارضة١.، أما عن التشابه بين السور الثلاث، فإن السور الثلاثة يجمعها رابط في وحدة موضوعاتها، فالسور الثلاثة افتتحت بالثناء على القرآن الكريم، والإشارة إلى مصدره، وفي السور الثلاثة آيات تثبيت النبي –صلى الله عليه وسلم– وفيها تتمة من قصص الأنبياء المرسلين، ويظهر الرابط في قصة موسى– عليه السلام واضحا، ذلك أنه في سورة الشعراء ففيها تربية موسى وليدا في بيت فرعون، يقول تعالى حكاية على لسان فرعون" **{قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ = فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٨) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ }** الشعراء (١٨، ١٩)، وفي سورة النمل بدأت حكاية موسى ببعثه لفرعون، في قوله تعالى " **{إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٧) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}** النمل(٧، ٨)، وفي سورة القصص جاء تفصيل ما أجمل في سورة الشعراء من تربية الوليد– موسى عليه السلام – في بيت فرعون، وفعلته التي عيره بها فرعون في سورة الشعراء٤١ وفرّ بسببها من بلده.١

جاءت آيات السور الثلاث المتلاحقة تخاطب الرسول – صلى الله عليه وسلم– وأمته من بعده، وتثبتهم في طريق الدعوة، وتعرض حقيقة الكافرين وشبهاتهم، وإعراضهم عن الإيمان مهما عظمت الآيات التي يأتي بها المرسلون، ودعت آيات السور النبي –صلى الله عليه وسلم– ألا يشق على نفسه ويهلكها بالحزن عليهم، فإنما عليه البلاغ والله يهدي من يريد، قال تعالى في = =سورة الشعراء **{لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤)}**، وقال تعالى في سورة النمل في موضع آخر:**{ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠) }** وفي قوله تعالى **{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٢) }** وقال في سورة القصص**{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) }**، وفي السور مدح للقرآن وتأكيدا لمصدره، ففي سورة الشعراء جاء قوله تعالى **{وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٤) }** وفي سورة النمل جاء قوله تعالى: **{وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٦) }** وفي سورة القصص قوله تعالى **{ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨٥) }**، هذا وعرضت السور الثلاثة مشاهد من ندم وحسرة الكافرين على تكذيبهم الرسل.

٢ ينظر عباس، فضل، القصص القرآني، (٤٨٣ص)

وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ النمل(٧ -١٤).

وفي هذا ارتباط بالآية المكررة في سورة الشعراء، قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء(٨)، فتكرر الآيات المبصرة المعجزة للقوم الظالمين تكرر معها كفرهم بها.

وبين خاتمة سورة الشعراء ومقدمة سورة النمل ظهرالتناسب في الآية الأخيرة -سورة الشعراء- حيث استثنت الآية الصالحين من الشعراء، وأثنت عليهم ثم بينت منقلب الظالمين في قوله تعالى: {﴿ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ الشعراء(٢٢٧)، ففي مقدمة سورة النمل بعد الثناء على القرآن ببيانه وهدايته للمؤمنين، جاءت الآيات تبين صالح أعمالهم، وتوعد الكافرين بسوء العذاب الذي ينتظرهم، في قوله تعالى﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ (النمل: ٢، ٥).

ثانيا: خصائص سورة الشعراء مضمونا وأسلوبا

وهي مميزات السورة التي ساهمت في إبراز وحدتها الموضوعية.

أولا: المضامين التي امتازت بها سورة الشعراء

١- تضمنت سورة الشعراء معظم انحرافات البشرية المتسببة بطغيان الأمم وهلاكها، و أعظمها جرما هي إدعاء الألوهية واستعباد الناس كمثل فرعون، ثم عبادة الأوثان والاعتكاف عليها وزعمهم أنها لله شريكٌ؛ كحال قوم إبراهيم وقوم نوح عليهما السلام، وتقديم إبراهيم على نوح ناسب دعوى قوم النبي-صلى الله عليه وسلم- أنّ آباءهم كانوا مشركين فنفى الشرك عن أبيهم إبراهيم الذي يفتخرون بنسبهم إليه، ولأنّ قوم إبراهيم لم يسلّط عليهم من عذاب الدنيا مثل

ما سلط على قوم نوح وعلى عاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين فاشبهوا قريشاً في إمهالهم. واتبع قصة نوح وقومه بعدها أيضا لدعوى قوم إبراهيم أن آباءهم كانوا مشركين[١]، وذلك في قوله تعالى، ﴿ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ الشعراء(٧٤)، ثم جاء انحراف آخر؛ وهو إنكار البعث، والتجبر في الأرض، كمثل قوم هود، وآخر في بيان أثرمعصية الله والتعدي على حدوده كمثل قوم صالح عندما نحروا الناقة، وآخر في الإسراف ونشر الفاحشة ومحاربة المصلحين عند قوم لوط، وفي الغش والظلم وإعثاء الفساد في الأرض عند قوم شعيب، جميع هذه الأسباب أو أحداها أو بعضها كان سببا في هلاك الأمم. وتناسبت مع مقاصد السورة في إعراض الناس عن الذكر، وطغيانهم بإنكارها وجحدها.

٢- تضمنت السورة آيات عَرّفت القرآن الكريم بأعظم الفضائل؛ فبعد وصف الله تعالى له بالمبين في مطلع السورة، عرف به في آخرها بقوله تعالى﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴾} الشعراء(١٩٣-١٩٦)،"اجتمعت هذه الفضائل الفاخرة في هذا الكتاب الكريم، فإنه أفضل الكتب، نزل به أفضل الملائكة، على أفضل الخلق، على أفضل بضعة فيه وهي قلبه، على أفضل أمة أخرجت للناس، بأفضل الألسنة وأفصحها، وأوسعها، وهو: اللسان العربي المبين، بشرت به كتب الأولين وصدقته، وجاء بالحق، وصدق المرسلين.[٢]

٣- تضمنت سورة الشعراء سردا لعدد من الأنبياء ذكروا في سورة هود[٣]؛ حيث تشابهت السورتان بالبدء بالحروف المقطعة في مطلعها، وبالثناء على معجزة النبي-صلى الله عليه وسلم- القرآن الكريم. كما تعرض السورتان موقف المكذبين من دعوة النبي-صلى الله عليهم وسلم – واستهزائهم به، واستعالجهم العذاب، وبما أنّ مقصد الشعراء في تقرير صدق الآيات التي نزلت على النبي-صلى الله عليه وسلم وبيان معاندة قومه لدعوته، سردت السورة قصص الأنبياء[٤] متناسبة مع الشدة والإنكار التي واجهتم في دعوتهم[٥].

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٣٧)
٢ السعدي، تفسيره (ص: ٥٩٧).
٣ السورتان مكيتان، ابن عطية، المحرر الوجيز ــ (ج٢/ص ٤٣٥)،و(ج٣/ص ١٦٤).
٤ ذكرت السورتان قصص"موسى- إبراهيم- نوح- هود- صالح- لوط- وشعيب"
٥ ينظر عباس، فضل، قصص القرآن الكريم، ص٧٦.

ثانيا: الخصائص الأسلوبية للسورة

١- امتازت السورة بذكر بعض الآيات والجمل ذاتها أكثر من مرة، كقوله تعالى" ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾، وردت في السورة ثمانيَ مرات[١]، ومقولة ومقولة الأنبياء لأقوامهم:" ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾، التي وردت خمس مرات[٢]، وقد تكرر اسمه (العزيز) فى هذه السورة على نحو لم يتكرر فى غيرها، فقد جاء مقرونا باسمه (الرحيم) تسع مرات[٣]، وجمال هذا الميزة أنها وضحت أغراض القصة القرآنية في السورة من إثبات وحدة الإله، ووحدة الدين، ووحدة الرسل، ووحدة طرائق الدعوة، ووحدة المصير الذي يلقاه المكذبون، وتثبيت المؤمنين، وتحذير المنكرين من عاقبة الإعراض، قال السيوطي في الإتقان عن تكرر ذكر بعض الآيات في السور:" وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافا لبعض من غلط[٤]."

٢- تميزت فاصلة السورة بذكر بعض الجمل أكثر من مرة، كأسماء الله الحسنى " العزيزالرحيم" وناسبت هذه الفاصلة مضامين السورة القائمة على بيان عزته تعالى وقوته ومقدرته على الكافرين، ورحمته بعباده بإرسال الرسل إليهم وقبول التوبة منهم، ونصر المؤمنين، وانتهت أغلب فواصل السورة بصفة من صفات البشر، أو فعل يدل على وصف- ودليله فواصل السورة الكثيرة-، ومن صفات السلب في الفاصلة؛ "الإعراض، والاستهزاء، والظلم، والكذب، والكفر، والضلال، والجنون الخ" ومن صفات الإيجاب والتقوى، والإيمان، والخضوع، اليقين، والعقل، الخ "[٥] ومع تتبع الصفات في السورة تغلب صفات السلب على الإيجاب في البشر، وهذا ناسب الآية التي تردد قوله تعالى " ﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء (٨) أكثر من مرة.

٣- وانفردت السورة بعدد من المشتقات والأبنية من أسماء وأفعال، وهي" الأقدمون، فقرأه، ينقلبون، تقلبك، منقلب، قليلون، القالين، كبكبوا، يمتعون، تمُنُّها، يُمِيتُنِي، منذرون،

---

١ ينظر سورة الشعراء الآيات،(٨-٩)، (٦٧-٦٨)،(١٠٣-١٠٤)، (١٢١-١٢٢)، (١٣٩-١٤٠)، (١٥٨-١٥٩)،(١٧٤-١٧٥)، (١٩٠-١٩١).

٢ ينظر سورة الشعراء الآيات، (١٠٧-١٠٩)، (١٢٥-١٢٧)، (١٤٣-١٤٥)، (١٦٢-١٦٤)، (١٧٨-١٨٠)

٣ ينظر سورة الشعراء الآيات::٩، ٦٨،١٠٤،١٢٢،١٤٠،١٥٩،١٧٥،١٩١،٢١٧

٤ السيوطي،الإتقان في علوم القرآن (ج٣/ص ١٧٠)

٥ ينظر سورة الشعراء الايات، (٥-٦-١٠-١٢-١٩-٢٠-٢٧-٢٩)،(١١-٣-٢٤-٢٨)

انتصروا، ينفعونكم، هضيم، أخوهم، بطشتم، يتبعهم، أتتركون، الجبلة، حاذرون، فأخرجناهم، المخسرين، خاضعين،خَطِيئَتِي، خلقني، خفتكم، يراك، ترآى، نريك، المرجومين، الأرذلون، المسجونين، سحّار، فأسقط، يسقين، سلكناه، سليم، تستمعون، مستمعون، شرذمة، صديق، مصانع، أضلنا، ضير، يطعمني، ينطلق، أطمع، فظلت، المسحرين[١]".

١- وتتميزت السورة بورد بعض المشتقات فيها أكثر من غيرها من سور القرآن، وهي" أكثرهم" تسع من خمس وأربعين مرة، "نَجِّنِي" مرتين من خمس، "تنته" مرتين من ثلاث، " هل" جاءت خمس من سبع وستين، و "ائتِ" ثلاث من ست،"مؤمنين" خمس عشرة من خمس وثلاثين،"آية " اثنتي عشرة من أربع وثمانين، وكلمة حاشرين مرتين من خمس، و"المرسلين"ست من أربع وعشرين، والسحرة أربع من ثمان، "السمع "مرتين من ثمان، والضآلين جاءت مرتين من ثمان، وأطيعون ثمان من إحدى عشرة مرة[٢]. وتميزت السورة بخمس انفرادات للألفاظ لم تتكرر في القرآن إلا في سورة الشعراء، وهي، (ريع-شرذمة – ضير- طود- فارهين)[٣] وهي موضوع البحث في المطلب القادم.

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الشعراء، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

من مميزات سورة الشعراء انفرادها بخمسة ألفاظ لم تتكرر في سور القرآن، وهي" (ريع- شرذمة – ضير- طود- فارهين)"، وهي خمسة اسماء، لم تنفرد السورة بصيغة فعليه، وناسب هذا مقاصد السورة التي تروي سننا تاريخية ثابتة لا تغير فيها.

الانفرادة الأولى: "ضير" في قوله تعالى ﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴾ الشعراء(٥٠)

جاء اللفظ في جملة قول السحرة لفرعون بعد إيمانهم بموسى –عليه السلام–، وسيظهر في دراسة دلالة المادة والصيغة علاقتها بالوحدة الموضعية للسورة. وتعد هذه اللفظة من انفردات بعض القراء ومنهم قراءة حفص، ذلك أنّ القراء " نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، ووافقهم ابن محيصن، واليزيدي." قرؤوا "يَضُركم" في قوله تعالى في سورة آل عمران" ﴿وَإِن

---

١ ينظر سورة الشعراء الآيات" ٧٦-١٩٩-٢٢٧-٢١٩-٥-٢٢٧-٥٤-١٦٨-٩٤-٢٠٧-٢٢-٨١-٢٠٨-٢٢٧-٧٣-١٤٨-١٣٠-(لفظ أخوهم أربع مرات تكرر في الآيات١٠٦-١٢٤-١٤٢-١٦١) -٢٢٤-١٤٦-١٨٤-٥٦-٥٧-١٨١-٤-٨٢-٧٨-٢١-٢١٨-٦١--٣٧-١٨٧-٧٩-٢٠٠-٨٩-٢٥-١٥-٥٤-١٠١-١٢٩-٩٩-٥٠-٧٩-١٣-٨٢- -٤-١٥٣"

٢ ينظر عبد الباقي، فؤاد، المعجم المفهرس للألفاظ القرآن، الكلمات.

٣ سورة الشعراء الايات(١٢٨-٥٤-٥٠-٦٣-١٤٩).

﴿ وَتَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ آل عمران (١٢٠) " يَضِركم"[١] من الضير، وعلى هذا لن تكون من الانفردات في تلك القراءات، قال مكي بن أبي طالب- (ت٤٣٧ه)- في الكشف هما لغتان[٢].

أولا: دلالة مادة "ضير" في اللغة

جاء اللفظ في صيغته المجردة، وهو في المعاجم تحت مادة "ضيرٌ[٣]" فسرها الفراهيدي- (ت١٧٥ه)- بالمضرة، فقال:" الضَّيْرُ المَضَرَّةُ، ولا ضَيْرَ؛ أي لا حَرَجَ ولا مَضَرَّةَ[٤]"، وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه): " الضاد والياء والراء كلمةٌ واحدةٌ، وهو من الضَّير والمضَرَّة.، ولا يَضِيرني كذا، أي لا يُضرُّني[٥]." وبمثل هذا قال الأصفهاني [٦]، وجاء في لسان العرب "يقال لا ضَيْرَ ولا ضَوْرَ ولا ضَرَّ ولا ضَرَرَ ولا ضَارُورَةَ بمعنى واحد.[٧]"

وجاء في الأثر الشريف " أَنَّ أُنَاسًا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَعَمْ هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ضَوْءٌ لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ قَالُوا لَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا....[٨]"، وضير مصدر ضار يضير، ويظهر من الدلالة المعجمية للفظ يظهر أنّ معنى الضير هو كل ما كان فيه فوق الوسع فيرهق النفس ويضعفها، ويأتي الضير بمعنى أقل أنواع الأذى، ونفي مقدرة فرعون أن يتسبب لهم بأقل أذى ممكن يلزم إيمانهم بعجزه أن يتسبب بأذى عظيم، فأعظم الأذى الموت؛ وفيه خيرا لهم.

---

١ ينظر خاروف، محمد فهد و راجح، محمد كريم، ١٤٢٧ه-٢٠٠٦م، الميسر، في القراءات الأربع عشرة، دمشق، دار ابن كثير، ص٦٥.

٢ ينظر مكي، بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة. (ج٢/ص٣٥٥).

٣، ينظرالأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٢/ص٤٢)

٤ ينظر االفراهيدي، كتاب العين،(ج٧/ ص٥٤)

٥ ابن فارس، المقاييس، ص ٦٠٦.

٦ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن ص٢٢٥.

٧ ابن منظور، لسان العرب (ج٩/ص٧٥)

٨ أخرجه البخاري في صحيح، كتاب التفسير، بَاب قَوْلِهِ {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} يَعْنِي زِنَةَ ذَرَّةٍ "حديث رقم (٤٥٨١)، " (ج١١/ ص١٦٨).

ثانيا: دلالة الصيغة " ضير" في السياق

ضير مصدرمن ضاره يضير، وهو على وزن "فَعلٌ" ويدل على المعنى المجرد من العمل، وهو أكثر الأبنية شيوعا ووقوعا في القرآن وكلام العرب؛ لأنه أخف الأبنية وأعدلها.[١]"

وجاء الفعل مسبوقا بلا النافية لجنس لأي احتمال من حدوث الضير، المحذوف خبرها وتقديره: لا ضير علينا، بدليل قولهم وإنّا إلى ربنا لمنقلبون[٢]، وجاء نفي الضير في جملة قول السحرة لفرعون بعد توعدهم الذبح والتنكيل بهم، قال ابن عاشور: فكان معنى لا "ضير" لا يضرنا وعيدك. ومعنى نفي ضره في الآية، أنه ضر لحظة يحصل عقبه النعيم الدائم فهو بالنسبة لما تعقبه بمنزلة العدم، وهذه طريقة في النفي إذا قامت عليها قرينة، ومنها قولهم: هذا ليسَ بشيء، أي ليس بموجود، وإنما المقصود أن وجوده كالعدم.وجملة: { إنا إلى ربنا منقلبون } تعليل لنفي الضير، وهي القرينة على المراد من النفي[٣].

وجاءت تتمة بلاغة التركيب في تعليل سبب نفي الضرر المتحصل من القتل، وذلك قولهم إنا إلى ربنا لمنقلبون، فيكون المعنى بالإثبات أن تمام النفع في قتلنا ليغفر لنا ربنا ذنوبنا عند رجوعنا إليه ونحن أول المؤمنين[٤].

وفي دلالة الصيغة ظهر واضحا أنّ اللفظ ناسب إبراز ما في نفس السحرة من عدم الاكتراث بما يتوعدهم فرعون من أصناف العذاب، وتظهر ما امتلأ به جوفهم من الطمأنينة؛ الناتجة عن إيمانهم بالله وحده وأجر الموت في سبيل الله، والبعث والحساب.

ثالثا: العلاقة بين دلالة الانفرادة "ضير" والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق قصة موسى عليه السلام وبعثه لفرعون منذرا له، ومخلصا لبني إسرائيل من استعباده لهم، فجاءت الانفردة في مقولة السحرة الذين جمعهم فرعون ليكذبوا موسى ويتحدوه في صنعتهم وحرفتهم، فكانوا شهداء الله على صدقه، ذلك أنّ أعينهم عرفت حقيقة ما ألقوا وما ألقى موسى عليه السلام، فكان الحق واضحا، وكانوا للحق شهودا، فلما صرخ فيهم الطاغية لما سببوه من حيرة في عقول المشاهدين، توعدهم بالعذاب، والقتل والصلب، ناسبت الانفرادة المشهد، وعبرت عن خوالج أنفسهم، لا ضير، لاضير في قتلنا، لا ضير في تعذيبنا، لا ضير بعد أن ظهر لنا الحق أن هناك أي أذى قد يلحق بنا بما تتوعدنا[٥].

---

١ ينظر ابن جني، الخصائص، (ج١/ص٩٥)
٢ ينظر الصبان، حاشية على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك (ص: ٦١٠)
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٢٨).
٤ ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم (٢٤٣/٦)
٥ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٢٠٩/٦-٢١٠)

فأشبع اللفظ النفس بكل المعاني المحتملة لمحذوفه، وشغل التفكير بمقدرة الإيمان على غلبة فطرة الخوف على النفس، وجاءت قصة موسى علية السلام- في كثير من سورة القرآن تبين مشهدا من القصة أو جزءا من الخطاب الذي دار بين السحرة وفرعون بعد أن خروا سجدا لله، فقالوا في سورة الأعراف ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف:١٢٤- ١٢٦) " وفي سورة الشعراء" ﴿ قَالُواْ لَا ضَيْرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الشعراء(٥٠ - ٥١) وفي سورة طه " ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَاۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ مَن تَزَكَّىٰ ﴾ (طه: ٧٢ - ٧٦)، كان هذا جملة ما قاله السحرة لفرعون حينما هددهم وتوعدهم بأنه سوف يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، ولم تأتِ لفظ لا ضير إلا في مشهد سورة الشعراء، السورة التي تبين عظمة معجزة النبي- صلى الله عليه وسلم، فجاءت بلفظة واحدة تحمل المعاني والدلائل العظيمة التي توجز كل ما سبق من خطابهم مع فرعون، وتعرض بمن علم بصدق القرآن من شعراء وبلغاء العرب فكتم شهادته خوفا من أذى قريش، وتضرب مثلا للمؤمنين الذين واجهوا القتل والتنكيل فصبروا ولم يضيرهم ذلك.

الانفرادة الثانية: "شرذمة " في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشعراء(٥٤)

جاءت الانفرادة الثانية في قصة موسى أيضا، في سياق حشر فرعون جيوشه لملاحقة موسى- عليه السلام- ومن معه، وكانت من خطاب فرعون التحريضي لحشر الناس ضد المؤمنين.

أولا: دلالة مادة "شرذمة " في اللغة

أصل كلمة "شرذمة" في اللغة القطعة من الشيء، قال الخليل الفراهيدي-(ت١٧٥ه)- :الشِّرْذِمةُ: القِطْعَةُ من السَّفَرْجلة ونحوها، والشِّرذِمة، الجماعة القليلة،وثيابٌ شَراذم أي: أخْلاق مُتَقطِّعة.[١]"

---

١ الفراهيدي، العين (ج٦/ص ٣٠٢).

وفي لسان العرب لابن منظور–(ت٧١١ه)–:" الشِّرْذِمةُ القِطْعة من الشيء والجمع شَراذِمُ..والشِّرْذِمةُ القليل من الناس، وقيل الجماعةُ من الناس القليلة، والشِّرْذمة في كلام العرب القليل.[١]"

وقولهم الجماعة القليلة فيه نظر، ذلك أنّ وصف الشرذمة جاء بكلمة قليلون، فيكون معنى شرذمة على قوله الجماعة وليس القليلة، ففرق ابن هلال العسكري بين الشرذمة والجماعة فقال" الشرذمة البقية من البقية والقطف منه قال الله عزوجل " **لشرذمة قليلون** " أي قطعة وبقية لأن فرعون أضل منهم الكثير فبقيت منهم شرذمة أي قطعة.[٢]"

في معجم لغة القبائل للبغدادي–(ت٢٢٤ه)–، قال شرذمة معناها العصابة في لغة جرهم[٣]، وهذا أنسب للمعنى العام ولا يتعارض مع المعنى الذي ورد في المعاجم، والظاهر من دلالة المادة أنّ الشرذمة لا تستعمل إلا إن أريد تحقير جماعة معينة منقسمة عن أصل جماعة أكبر، والتقليل من شأنها.

ولهذا وصف شعراء العرب القطعة البالية الحقيرة من الثوب أو النعل بالشرذمة، أنشد الفراء[٤]

جاء الشتاءُ وقميصي أخلاقْ ... شراذم تُضْحك مني التواقْ[٥]

ثانيا: دلالة الصيغة "شرذمة" في السياق

شرذمة صفة مشبهة لهؤلاء، والمقصود بهؤلاء هم المؤمنون مع موسى عليه السلام، والصفة المشبهة تطلق ويراد بها صفة اتصف صاحبها بها على الثبوت أو على وجه قريب منه، خلافا لاسم الفاعل الذي قد يقصد به اتصاف صاحبه به مستقبلا[٦]." فوصفهم فرعون بهذا اللفظ ليدل أن الشرذمة وهو التقطع والتخبط والتفرق هو وصف ثابت لهم، حادث مع بدء دعوتهم، وليس المقصود أنه يعتقد حدوثه لهم لاحقا، وأنهم على خلاف ذلك الآن.

وسبق اللفظ بلام التوكيد، وبحرف"إنّ" الذي أفاد التوكيد" وبوصف "قليلون" الذي أكد معنى القلة المتضمن في لفظ شرذمة، وكل ذلك التأكيد يدل على حرص فرعون على إثبات الوصف على المؤمنين مع موسى–عليه السلام– لوجود وصف مغاير في نفوس الناس من أهل المدائن.

---

١ ابن منظور، لسان العرب، (ج٨/ص٥٣)

٢ العسكري، الفروق اللغوي، (ص: ٢٩٨).

٣ البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم، (ج١/ص٩)

٤ الإمام أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن مروان الأسلمي الديلمي الكوفي، مولى بني أسد، المعروف بالفراء، وهو لقبه "لأنه كان يفري الكلام" أي:يصلحه. ولد الفراء في الكوفة سنة ١٤٤ هجري ثم انتقل إلى بغداد وجعل أكثر مقامه فيها. توفي الفراء سنة ٢٠٧ هجرية وقيل في ٢١٥ هـ

٥ ينظر ابن دريد، الجمهرة، (ص٣٢٧)

٦ ينظر المالكي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك (٢/ ٨٧٥)

"ذكرهم بالاسم الدال على القلة "الشرذمة". ثم جعلهم قليلاً بالوصف، ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً، واختار جمع السلامة الذي هو للقلة..والمعنى: أنهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم، ولكنهم يفعلون أفعالاً تغيظنا وتضيق صدورنا، ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الأمور، فإذا خرج علينا خارج، سارعنا إلى حسم فساده؛ وهذه معاذير اعتذر بها فرعون إلى أهل المدائن، لئلا يظنّ به ما يكسر من قهره وسلطانه."[١]

وفي استخدام اسم الإشارة هؤلاء دلالة على تحقير شأنهم، وفيها دلالة انتشار خبرهم ومعرفة أهل الأمصار بهم، وأتبعه وصف الشرذمة ب" قليلون" للتأكيد ودفع احتمال أن المراد غير العدد، أي لا يظن أحد أنّ قصد فرعون هو حالهم وليس عددهم، وجملة "إنّ هؤلاء لشرذمة قليلون" مقول لقول محذوف، لأنّ الآيات السابقة تضمن معنى النداء للحاشرين أن يقولوا " إن هؤلاء لشرذمة قليلون. [٢]" فجاءت الانفرادة في جملة من ثلاثة جمل تمثل رسالة من فرعون لقومه على لسان رسله،" قال تعالى على لسان فرعون ﴿ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢ فَأَرۡسَلَ فِرۡعَوۡنُ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ الشعراء(٥٢ – ٦٠)، فتضمنت رسالته تحقيرا لشأن المؤمنين، وبينت شدة غيظ فرعون من موسى–عليه السلام– ومن معه، وترهب الناس من اتباعهم.

وقد جاءت الانفرادة في جملة تصف موسى ومن معه بالشرذمة، وهي القطعة القليلة من الجماعة، تقال لمجموعة من الناس لا يؤبه لهم ولا يخشى خطر منهم، ليضع من شأنهم أمام أهل المدائن، ويستخدمها في مشهد الحشد لهم، مما يكشف عظيم خوفه ورهبته منهم، وتبين التخبط في شخصية الفرعون، فإن كانوا شرذمة حقيرة لا قيمة لهم لمَ هذا الحشد والتعبئة؟ وهذا يقاس على خطب الطغاة في كل عصر، وحرصهم على التقليل من قيمة المصلحين، وتحقيرهم بين الناس، ومع هذا يعدون العدة العظمى لأقل نشاط منهم في توعية الناس[٣].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "شرذمة" والوحدة الموضوعية للسورة.

ويظهر مما سبق أن اللفظ الذي استخدمه فرعون ليحتقر الجموع المسلمة التي آمنت مع موسى –عليه السلام– يدل على التخويف والترهيب، فأراد فرعون أن يزرع في قلوب الناس الخوف من زعزعة استقرار بلادهم من عصابة قليلة تسعى لإبدال دينهم الباطل، ولكن التأكيدات

---

١ الزمخشري، تفسير الكشاف ــ (ج٣/ص ٣٢٠)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٢٠)
٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢١١)

التي أحاطت بالجملة التي فيها للفظ مع احتوائها كل دلائل التحقير، بينت أنّ فرعون يعلم أن أهل الأمصار يعتقدون خلاف ما يدعوهم إليه، ويصدقون موسى- عليه السلام- ومن معه.

ويظهر عظيم الحقد والتكذيب الذي لقيه موسى- عليه السلام- من قومه رغم الآية المبصرة التي جاء بها، فتتناسب مع وحدة السورة التي تظهرعظمة معجزة القرآن وتثبت فؤاد النبي-صلى الله عليه وسلم- بقصص من سبقه من الرسل، وتعبر عن حقيقةٍ تناولتها آيات السورة، وهي أن أكثر الناس لن يؤمنوا مهما سطعت آيات الله وضوحا وتبصرة، وأن الجماعة المؤمنة ستكون دائما الجماعة القليلة مقارنة مع جماعة الكافرين، وستكون بعينهم دائما شرذمة قليلة.

الانفرادة الثالثة: " الطود" في قوله تعالى ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الشعراء(٦٣)، مازالت الانفرادات تتوالى في مشاهد قصة موسى وفرعون، فانفردت السورة بكلمة "طود" في المشهد الأخير من القصة في بيان المعجزة المنقذة للمؤمنين المهلكة للمجرمين، وهي انفلاق البحر بضرب العصا.

أولا: - دلالة مادة "طود" في اللغة

الطود في أصل اللغة هو الجبل العظيم، قال الخليل-(ت١٧٥ه)-:الطَّوْد: الجَبَلُ العظيمُ وجَمْعُهُ، أطْوادٌ[١]".

وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه)-: "الطاء والواو والدال أصلٌ صحيح، وفيه كلمةٌ واحدةٌ، فالطَّود: الجَبَل العظيم...ويقولون: "طوَّدَ في الجبل، إذا طوَّف، كأنه فعل مشتقٌّ من الطود.[٢]".

قال الزمخشري-(ت٥٣٨ه)-:" طود من الأطواد، وهو الجبل المنطاد في السماء الذاهب صعداً،وطوَّده الله تطويداً، طوَّله.[٣]"

الطود كلمة تطلق على الجبل العظيم الشاهق في طوله، وشبه الرجل العظيم الخُلق بالطود، وذلك في قول السيدة عائشة عن أبيها:"...طَوْد منيف وظِل مديد...[٤]"، ونقل ابن منظور في اللسان-(ت٧١١ه): الطَّوْدُ الهَضْبَةُ... والجمع أطْوادٌ، ونقل قول الشاعر:

يا مَنْ رأى هامَةً تَزْقُو على جَدَثٍ ... تُجِيبُها خَلِفاتٌ ذاتُ أطْوادِ

---

١ الفراهيدي، العين (ج٧/ص ٤٤٣)
٢ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص٦٢٧.
٣ الزمخشري، أساس البلاغة، (ج٢/ص٧٧)
٤ ابن قتيبة، غريب الحديث، (ج٢/ص٤٧٥)

فسره فقال: الأطوادُ هنا الأسْنِمَة شبهها في ارتفاعها بالأطواد التي هي الجبال يصف إبلاً أُخِذَت في الدية فَعَيَّرَ صاحِبَها بها، والتَّطْوادُ التَّطْوافُ؛ طَوَّدَ إذا طَوَّفَ بالبلادِ لطلب المعاش.[١]"

ويظهر من دلالة المادة في المعاجم أنّ "طود" هو اسم يطلق على الجبل الشاهق الطويل."

ثانيا: دلالة صيغة "كالطود" في السياق

جاء اللفظ المسبوق بأداة التشبيه"ك" متعلقا بخبر كان، موصوفا بالعظيم، في جملة معطوفة على انفلق، في قوله تعالى " ﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ الشعراء(٦٣)، فشبه الله تعالى الأمواج التي تراكمت فوق بعضها البعض بجبلين عظيمين متلاصقين بينهما فج يسير السائر فيه ليقطعهما، نقلت التفاسير مرويات عن ابن عباس حول انقسام البحر لاثني عشر طريقا لكل سبط فج يسلكه، وزاد السدي أن بين الطرق طاقات ينطر بعضهم لبعض[٢]، ولم يصح عن ابن عباس شيءٌ منها، وفي معنى انفلاق البحر لفرقين وتشبيه كل فرق بالطود ما يغني عن غيره من التفاصيل، فالفلق يدل على الفرجة الواضحة البينة العظيمة في الشيء[٣]، ولفظ فرق يعني الفلقة من الشيء المنفلق، أوالقطعة منه[٤]، فكانت كل فلقة منه في عظمها وتراكم الأمواج فوق بعضها كأنها أعلى جبال الأرض الثابتة الشاهقة.

وفي دلالة الصيغة في تشبيه كل فرق منها بالطود عدة دلائل أهمها، تعظيم المشهد في عين السامع، وتشخيص الصورة له كأنه يراها فيعلم عظم الحدث، ثانيا في التشبيه بجبل الطود دلالة على الفخامة في الارتفاع والطول، وعلى الثبات المترسخ في الذهن من صورة الجبل، فيدل على طمأنينة المؤمنين وهم يعبرونه، وسر دخول فرعون للبحر أنه أطمأن أيضا لثباته، وفيها معنى نقل حالة الماء إلى الجمود التي تناسب معنى الثبات وتزيد من تشابه الأمواج المتراكمة بالجبل، وقد وصف الطود بالعظيم، فإن كان لفظ طود وحده يقصد به الجبل العظيم، فإن وصفه بالعظيم يدل على عظم متزايد في صورته[٥].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة" الطود" والوحدة الموضعية للسورة

انتهت قصة موسى–عليه السلام– في السورة مع الانفرادة الثالثة، الطود، وجاءت الانفرادة التي تدل على الجبل العالي، في موضع تشبيه لأمواج البحر التي تحولت بضرب العصا من حال وطبيعة إلى حالة أخرى، في مشهد يدل على اليأس التام من النصر، فقد أدركهم

---

١ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج٩/ص١٥٦)
٢ ينظر ابن كثير، (٣٣٧/٣).
٣ ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، (٨٢٧).
٤ ينظر الفراهيدي، العين (١٤٧/٥)
٥ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (١٢٠/٢٤)

فرعون، ثم جاءت كلمة اليقين من نبي الله موسى- ﴿ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾ الشعراء(٦٢)، فجاءت المعجزة المنجية لمن آمن معه، المهلكة لمن كفر به، بنفس العصا التي أبهرت السحرة وأعجزتهم عن تكذيبها، بها كان الأخذ بالسبب "اضرب" فانفلق كل فرق (كالطود) أي الجبل في إشراقه وطوله وصلابته بعدم السيلان، العظيم؛ المتطاول في السماء الثابت لا يتزلزل، لأن الماء كان منبسطاً في أرض البحر، ثم انفرق وتراكم كما تتراكم الصخور والتراب مكونة الجبال العظيمة.[١]"

والرابط بين الانفرادة ومقاصد السور العظيمة، هي كشف عظم البيان القرآني الذي صاغ المشهدبأدق الكلمات وأبلغها، وبيَّن عظم معجزة موسى- عليه السلام- وجعلها مرئية في عين السامع ومخيلته، وبيَّن إعجاز القرآن القصصي في سرد أخبار الغيب عن الأمم السابقة، التي يعلمها علماء بني إسرائيل ويكتمونها، وساهم معنى اللفظ في طمأنينة قلب النبي- صلى الله عليه وسلم- وتثبيته، فإن كان الماء تغير حاله السيولة إلى الجمود فثبت بأمر الله وسكن طاعة له، فإن المؤمن أولى أن يسكن ويثبت كالطود في طريق الدعوة [٢].

الانفرادة الرابعة: "ريع" في قوله تعالى ﴿ أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ﴾ الشعراء(١٢٨)

الانفرادة الرابعة في السورة جاءت على لسان هود عليه السلام لقومه، وسيظهر بعد دراسة دلالات الانفرادة، علاقتها بوحدة السورة ومقاصدها.

أولا: دلالة مادة "ريع" في اللغة

الأصل في الريع هو النماء والزيادة ورجوع الشيء على بعضه، وهذا ما تضمنته أقوال أصحاب المعاجم، فقال الخليل -(ت١٧٥ه)- في معجمه: "الرَّيْع: فضل كلّ شَيْء على أصلهِ نحو الدّقيق وهو فضلُهُ على كَيْل البُرِّ ورَيْعُ البَدْر: فضل ما يَخْرُجُ من النُّزْل على أصل البَدْر، والرَّيْع: رَيْع الدّرع أيْ؛ فضل كُمَتِها على أطرافِ الأنامل، وراع يَريعُ رَيْعاً أيْ: رجع في كلّ شَيْء، والإبل إذا تفرّقت فصاح بها الرّاعي راعت إليهِ، ورَيْعان كلِّ شَيْء أوّله وأفضلُه، ورَيْعانُ الشَّباب صدرُه، ورَيْعانُ المطر أوّلُهُ. والرِّيعُ: هو السّبيل سُلِكَ أو لم يُسْلَكْ..[٣]"

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر (ج٥/ص ٣٦٥)
٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢١٣)
٣- الفراهيدي، كتاب العين. (ج٢/ص٢٣٤)

قال الزجاج-(ت٣١١ه)-: يقرأ ريع وريَْع - بكسر الراء وفتحها - وهو في اللغة الموضعُ المرتفع من الأرض، ومن ذلك كَمْ رَيْعُ أرْضِكَ، أي كم ارتفاع أرْضِكَ، جاء في التفسير: (بِكُلِّ رِيعٍ) كل فجٍّ والفَجُّ الطريق المُنْفَرِجُ في، الجبل، وجاء أيضاً بكل طريق[١]."

ونقل الأزهري -(ت٣٧٠ه)-عن ابن الأعرابي-(ت٢٣١ه)- في معجمه:": راع القيء عليه وراه عليه أي رجع، وتَريَّع السرابُ وتريَّه إذا ذهب وجاء، وتريَّعت الإهالةُ[٢] في الإناء إذا ترقرقت، وتريَّعت يده بالجود إذا فاضت، وناقة لها رَيْع إذا جاءت بسير بعد سير[٣]."

وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه)-:الراء والياء والعين أصلان: أحدهما الارتفاع والعلُوّ، والآخَر الرُّجوع؛ فالأوَّل الرِّيع، وهو الارتفاع من الأرض. ويقال بل الرِّيع جمعٌ، والواحدة ريعة، والجمع رياعٌ، ومن الباب الرِّيع: الطريق... ومن الباب الرَّيْع، وهو النَّماء والزيادة. ويقال إنّ رَيْع الدُّروع: فضول أكمامها وأراعَت الإبلُ: نمَتْ وكثُر أولادُها وراَعت الحِنطةُ: زكَت. ويقولون إنّ ريع البئر ما ارتفع من حَواليها. وريَْعانُ كلِّ شيء: أفضلُه وأوّلُه، وأما الأصل الآخر فالرَّيع: الرُّجوع إلى الشيء. وفي الحديث: "أن رجلاً سأل الحسنَ عن القَيء للصائم، فقال: هل راعَ مِنه شيءٌ" أراد: رجع.[٤]"

قال الراغب الأصفهاني -(ت٥١٠ه)- المكان المرتفع الذي يبدو من بعيد، الواحدة ريعة. قال: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ الشعراء(١٢٨)، أي: بكل مكان مرتفع، وللارتفاع قيل: ريع البئر: للجثوة المرتفعة حواليها، وريعان كل شيء: أوائله التي تبدو منه، ومنه استعير الريع للزيادة والارتفاع الحاصل، ومنه: تريع السراب (يقال: تريع السراب: إذا جاء وذهب).

ومما سبق يظهر من معاني الريع، فضل الشيء؛ أي زيادته عن غيره و تفضله عليه، و رجع الشيء على بعضه يدخل في معنى الزيادة، فعند رجعه على الشيء يعيد ما نقص منه، ومعنى الطريق مأخوذ من الرجوع، فالطريق لا يسلك إلا من كثر رجوع الناس فيه وسيرهم عليه، وقول الأصفهاني من استعارته للارتفاع والعلو هو الراجح الدال عليه كثرة استخدامات المادة وتوسع دلالتها المعجمية،ويكون المعنى المراد في الآية هو المكان الشريف المرتفع الذي يطل على ما حوله، ويزيد فضله عن غيره.

---

١ الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص٩٦)

٢ الإهالة: الشحم والزيت، ينظر الكفومى أبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة -، تح: عدنان درويش و محمد المصري.ص٣٠٥.

٣ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (ج٣/ص ١١٥)

٤ ينظر ابن فارس، المقاييس، ص ٤٣٤.

ثانيا: دلالة الصيغة "ريع" في السياق

جاءت الانفرادة اسما على صيغة "فِعلٌ"، لتدل على مكان يبنى به، بدليل الاية " أتبنون"، وسبقت "بكل" لتدل على الكثرة، يقول حبر الأمة ابن عباس في تفسير الآية -(ت٦٧ه)-: بكل ريع؛ بكل شرفٍ[١]."، والشرف في اللغة، يدلُّ على علوٍّ وارتفاع. فالشَّرَف: *العُلُوّ. والشريف: الرجل العالي. ورجلٌ شريفٌ من قوم أشراف.[٢]" وهذا يدل أنهم كانوا يختارون لأبنيتهم أشرف الأماكن وأفضلها، ووصفت الآية أن بناءهم هذا كان للعبث، وعليه تعدد الغاية من هذا البناء عند المفسرين، ونقل الرازي في تفسيره هذه الأقوال وهي: أنها أعلام للتربص بما يأتي لهود- عليه السلام – فكان عبثهم بمنع الناس عنه، والثاني: أنهم كانوا يبنون في أماكن مختلفة شريفة ليعرف غناهم وتفاخرهم، فسمي التباهي بالبنيان عبثا، والثالث أنهم بنوا بروجا عالية ليهتدوا بالنجوم في حياتهم، فكان عبثهم انحرافهم عن الاستقامة، والرابع أنهم كانوا يبنون بروجا لتربية الحمام ويعبثون به تسلية[٣]".

والراجح من هذه الأقوال هو الثاني لدلالة السياق عليه، فالظاهر من خطاب هود لهم حرصهم على الدنيا، ولا يحرص على الدنيا إلا المترفون المرفهون، و فيه دلالة الإسراف والخيلاء المنهي عنهما.

ثالثا: – العلاقة بين الانفرادة"ريع" والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفرادة في مشهد القصص القرآني لقصة "هود " -عليه السلام- في محاجة قومه، وتقريع أفعالهم، في قوله تعالى:"﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ الشعراء(١٢٨-١٣٠)ظاهرهذه الآيات أنّ الغالب على قوم هود:اللذات الخيالية من طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، فقوم عاد أنعم -الله عليهم وجعلهم مستخلفين في الأرض بعد قوم نوح عليه السلام، فطال عليهم الأمد، فبرعوا في إلهاء النفس، وأقبلوا على الملذّات واشتد الغرور بأنفسهم فأستكبروا وتجبروا، وبطشوا بالناس[٤]، فشغلتهم الدنيا عن الآخرة كأنهم فيها خالدون، وسعوا للرئاسة والسمعة، وانحرفوا عن عقيدة التوحيد فعبدوا الأصنام، واستحمقوا الناصحين، فأرسل الله إليهم هوداً ففاتحهم بالتوبيخ على ما فُتِنوا بالإعجاب به، وذمهم عن ملاهيهم التي حرفتهم عن التوحيد، فجاءت الانفرادة في سياق تعجبه من

---

١ الرجال، تفسير ابن عباس، (ص٣٨٦)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص٥٦٥)
٣ الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٤/ص١٣٥)
٤ ينظر أبي حيان، تفسير البحر المحيط، (ج٧/ ص٣٤)

صنيعهم، وجعلهم في كل مرتفع آية، والآية هي العلامة العجيبة الظاهرة، دلالة على انشغالهم بالدنيا عن الآخرة[١].

وترتبط دلالة اللفظة مع الوحدة الموضوعية للسورة في بلاغة الكلمة القرآنية لكلمة "ريع" أولا حيث يظهر التوسع الدلالي في المعاني المحتملة للفظ، والتي تتناسب مع سياق الآيات ولا تعارضه، فالريع يصلح لمعنى الهضبة المرتفعة الشريفة، فيكون المعنى تبنون بكل مرتفع شريف تفاخرا وتعاظما، أو معنى الفج بين الجبلين فيدل على تربصهم بمداخل الجبال وتعقبهم للناس فيها عبثا وتجبرا، ويكون معناها الطريق أي تبنون آية بكل طريق أو فجا ترجعون به[٢]، والمعاني الثلاثة لا تعارض بينها، ولا مانع من اتخاذ كل ما سبق.

وتظهر دلالة الصيغة الكثرة في استخدام "كل" وحرصهم على اختيار المناطق المشرفة تفاخرا وتعاظما، وذلك توافقا مع أهم مقاصد القصص القرآني في السورة وهو علاقة الاستكبار بتكذيب الرسل، وكي لا يظن ظانٌ أن تطور البلدان وتحضرها يقيها من الهلاك إن لم يؤمنوا بالله، فيعتبر بهلاك عاد ودفنهم تحت أبنيتهم المتعالية، ويثبت فؤاد النبي–صلى الله عليه وسلم– ويظهر عظمة الإعجاز الغيبي في القصص القرآني، الذي فصّل في خبر قومٍ أصبحوا تحت الثرى، وعلى حرصهم

الانفرادة الخامسة: "فارهين"في قوله تعالى ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ الشعراء(١٤٩)

انفردت السورة بلفظ "فارهين" في مشهد القصص القرآني، في محاجة نبي الله صالح – عليه السلام– لقومه، فجاء اللفظ أيضا متعلقا بالبيوت ونحتها، ويظهر عند دراسة دلالة اللفظ، علاقة الانفرادة بقصة قوم صالح، وبالوحدة الموضوعية للسورة.

أولا: دلالة مادة "فارهين " في اللغة

فارهين أصلها من "فره" على الشره والحذاقة؛ قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: فَرُهَ الشّيءُ يَفْرُهُ فَراهَةً فهو فارهٌ بيِّنُ الفَراهِةِ والفَراهِيَةِ،وقوله (فارهين) أي: حاذقين، ومن قرأها[٣] (فَرهين)

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص١٦٥)

٢ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٩/ص١٠٩).

٣ قرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف العاشر، (فارهين) بإثبات ألف بعد الفاء، على أنه اسم فاعل، وقرأ الباقون (فرهين)، بحذف الألف، على أنه صفة مشبهة، بمعنى أشرين أي بطرين" ينظر ابن الجزري، شمس الدين، محمد بن محمد بن يوسف أبو الخير، النشر في القراءات العشر، تح: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.(ج٣/ص٢٢٣)، والمحيسني، محمد سالم،٢٠١٣م، المغني في توجيه القراءات العشر، ط١، مصر، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، (ج٣/ص١٠٦)

فمعناه: أشرينَ بَطِرِينَ....والجمعُ: الفَوارهُ والفُرُهُ.[١]" ففرق صاحب العين في معنى اللفظ بناء على صيغته،فجعل الفاره "حذقا" والفره" أشرا بطرا، وتابعه بذلك جماعة من اللغويين نقل أقوالهم الأزهري –(ت٣٧٠ه)– في تهذيب اللغة[٢].

وبمثل هذا قال ابن فارس –(ت٣٩٥ه) –أيضا: كلمةٌ تدلُّ على أشَرٍ وحِذْق. من ذلك الفاره الحاذِقُ بالشيء. والفَرِه: الأشِر. والفارهة: القينة. وناقةٌ مُفْرِهٌ ومُفْرِهَةٌ، إذا كانت تُنتَجُ الفُرْه.[٣]"، وكذلك قال صاحب المفردات واللسان[٤].

المتعارف عليه أنّ دلالة المادة تعطي المعنى للجذر بغض النظر عن الصيغة، وعليه الأصل أنّ يكون "فره" له معنى واحد، فالأشر في اللغة هو البطر المرح، والحذق الماهر في الشيء[٥]، وعليه يطلق الفره على من جمع المعنيين، البطر والحذق، ويميز بينهما بتفضل معنى على آخر تبعا للصيغة.

ثانيا: دلالة صيغة الانفرادة في القراءتين "فارهين" وفرهين" في السياق

قُرئت الانفرادة بقراءتين متواترتين "فارهين " بصيغة اسم الفاعل، و" فرهين" بصيغة الصفة المشبهة مشتقة من الفراهة، والفارهون هم الماهرون الحاذقون في النحت، أي بارعون فى فعل الشيء ومعرفة غوامضه ودقائقه، قال القرطبى:(فَارِهِينَ)و(فرهين) بمعنى واحد.... وفرق بينهما قوم فقالوا: { فَارِهِينَ } حاذقين بنحتها... و" فارهين " متجبرين[٦].

وصيغة اسم الفاعل تدل على دوام الفعل؛ أي تدل على المصدر من جهة "الفراهة" وعلى ملازمة الحدث لفاعله، فالمصدر الفراهة لا يدل على الملازمة لصاحبها ك"فاره"، ويدل على ذات الفاعل أي صاحب الفراهة، فيكون المعنى أنهم تلبسوا بفعل الفراهة في نحتهم لبيوتهم فهم دائمون عليه، والفرق بين صيغة "فاره" و"فره" أن الصفة المشبهة أدوم وأثبت ولا انفكاك لصاحبها عنها، ولا تعارض بين الصيغتين، ذلك أنهما لغتان عند العرب[٧].

قال أبو علي الفارسي–(ت ٣٧٧ه)–: فارهين يكون لما يأتي في الأمر العام، وليس للحال.... فدل جمعهم له مثل صاحب وصحبة أن الفاعل يستعمل للحال والآتي والماضي [٨]."

---

١ الفراهيدي، العين (ج٤/ص ٤٦)
٢ ينظر الأزهري، تهذيب اللغة، (ج٦/ص١٥٠)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص٨٤٤).
٤ ينظرالأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٢٨٦) وابن منظور، اللسان، (ج١١/ص١٧٥)
٥ ينظر الفراهيدي، العين (ج٦/ص٢٤٨) و(ج٣/ص٤٢)
٦ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (ج١٣/ص١٠٦)
٧ ينظر الفراء، لغات القرآن، ص١١١
٨ ينظر الفارسي، أبي علي الحسن بن عبد الغفار، ١٩٩٩م، الحجة للقراء السبعة، تح، بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، ودققه عبد العزيز رباح، ط١، دمشق، دار المأمون للتراث، ص٣٦٧.

ويظهر اختلاف الصيغة في القراءتين أنّ القوم ثبت عندهم صفة الحذاقة والكياسة، فهم بارعون في عملهم نشطون، يتعجب الرائي من دقة عملهم، وفي دلالة الفره بالصفة المشبه أنّ الفعل ثبت لهم وأصبح صفة ملازمة لهم، فدل على الشره وهو البطر والاستكبار، والإسراف في الشيء، فجمعت القراءتان بين دلالات عدة ليصبح المعنى أنهم برعوا في أمر وتحاذقوا فيه لحد أصبح مذموما لما فيه من الإسراف والتعلق بالدنيا.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "فارهين" والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفرادة في سياق محاجة ثمود من مناصحة نبي الله صالح –عليه السلام– لهم وقبل آية الناقة وهلاكهم، في مشهد إنذارهم والتعجب من طغيانهم وإسرافهم في حياتهم، فقال تعالى على لسان صالح –عليه السلام–:" ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ [الشعراء(١٤٦ – ١٥٢)، وظاهر الآيات أنّ الغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية، وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة، وتدل الآيات على الثراء الذي كانوا فيه، ففتنوا بكثرة العطايا، وتبارزوا في النحت بالجبال والتحصن بها، ودلت الآيات أنّهم يتبعون المسرفين، الذين يفسدون، ولا أثر لصلاح في أعمالهم[١].

فناسبت الانفرادة السياق في كشف حذاقتهم من جانب، وبطرهم واستكبارهم من جانب آخر، وناسبت سياق السورة التي تبين عظم معجزة النبي–صلى الله عليه وسلم– القرآن الكريم وبيان آياته التي دل لفظ واحد فيها على معان ودلالات عدة؛ تصف حال قوم، فجمع اللفظ معنى النشاط والحذاقة و الكياسة وكل هذه نعم من الله عليهم، وفيها دليل القوة التي انشغلوا بها بلذات الدنيا عن الآخرة، وجمع بقراءته الأخرى معنى البطر والاستكبار والإسراف في البنيان، وهو دلالة على انفتاح نعم الدنيا عليهم، وانغماسهم فيها حتى انحرفوا.

وترتبط اللفظة بمقاصد السورة بقياس حال القوم أصحاب الحذاقة والكياسة الذين نحروا الناقة، الآية العجيبة التي جاءتهم، وبين حال البلغاء من شعراء العرب وفصحائهم الذين عرفوا بلاغة القرآن، فعادوه وكفروا به، فلا قوم صالح–عليه السلام– أفادهم حذقهم وكياستهم، ولا قوم النبي–صلى الله عليه وسلم– أفادتهم بلاغتهم وفصاحة لسانهم، فمنقلبهم واحد.

---

١ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٤/ص١٣٦).

المبحث الثالث

الانفرادات اللفظية في سورة النمل، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة

سورة النمل من سور القرآن المكية[١]،عدد آياتها ثلاث وتسعون آية[٢]، أشهر أسمائها سورة النمل،[٣] وتسمى أيضا سورة سليمان[٤]،وذكر أنها تسمى سورة الهدهد[٥]. قال ابن عاشور:" ووجه الأسماء الثلاثة أنّ لفظ النمل، ولفظ الهدهد لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، وأما تسميتها سورة سليمان فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلا لم يذكر مثله في غيرها.[٦]" وستظهر العلاقة بين اسم السورة ومقاصدها في المطلب الأول من المبحث.

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة النمل، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

سورة النمل من السور المكية التي تهتم بقضايا العقيدة الكبرى،وأهمها التوحيد، و الإيمان بالرسل والكتب والملائكة، واليوم الآخر، والحساب، وربط الباحثون بين القصص التي وردت فيها وأثر العظة والعبر فيها في ثراء الاعتقاد الإيماني لسلوك الفرد والجماعات.

قال البقاعي-(ت٨٨٥ه)- في مقصود السورة: " مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم...فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة كما كان مقصود التي قبلها إظهار البطش والنقمة، وأدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير، وسداد المذاهب في العيش، ولا سيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبيرعن ذلك القصد[٧]."

وقال سيد قطب -(ت١٣٨٥ه)-: موضوع السورة الرئيسي كسائر السور المكية هو العقيدة: الإيمان بالله، وعبادته وحده، والإيمان بالآخرة، وما فيها من ثواب وعقاب، والإيمان بالوحي، وأنّ الغيب كله لله، لا يعلمه سواه، والإيمان بأنّ الله هو الخالق الرازق واهب النعم؛

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٢٩٥).
٢ ينظر القرطبي،تفسيره، (ج١٣/ص١٥٤)
٣ ورد في صحيح البخاري، في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النمل، وفي الترمذي في سننه، باب تفسير سورة النمل.
٤ ينظرالسيوطي، الإتقان، (ج١/ص١٧٩)
٥ ينظر ابن العربي، أحكام القرآن، (ج٣/ص١٤٨).
٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٢١٥)
٧ البقاعي، نظم الدرر،(ج٥/ص٤٠٥)

وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر، والإيمان بأنّ الحول والقوة كلها لله، وأنّ لا حول ولا قوة إلا بالله،ويأتي القصص لتثبيت هذه المعاني؛ وتصوير عاقبة المكذبين بها، وعاقبة المؤمنين.[١]"

وقال ابن عاشور-(ت١٣٩٣ه)-: أول أغراض هذه السورة افتتاحها بما يشير إلى إعجاز القرآن ببلاغة نظمه وعلو معانيه.. والتنويه بشأن القرآن وأنه هدى...والتحدي بعلم ما فيه من أخبار الأنبياء، والاعتبار بملك أعظم ملك أوتيه نبي، وهو ملك داود وملك سليمان عليهما السلام...وأشهر أمة في العرب أوتيت قوة وهي أمة ثمود، والإشارة إلى ملك عظيم من العرب وهو ملك سبأ،وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة تقارنها سياسة الأمة ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الشريعة المحمدية سيقام بها ملك للأمة عتيد كما أقيم لبني إسرائيل ملك سليمان، ومحاجة المشركين في بطلان دينهم.. وإثبات البعث وما يتقدمه من أهوال القيامة وأشراطها، وأن القرآن مهيمن على الكتب السابقة... وإنذارهم بأن آيات الصدق سيشاهدونها والله مطلع على أعمالهم[٢]."

ويظهر مما سبق أنّ الباحثين تنوعت آراؤهم، فمنهم من يرى أنّها تستمر على نهج السورة السابقة "الشعراء"في بيان إعجاز القرآن والتنويه بشأنه، ومنهم من يرى أنّ مقصد آياتها الأهم هو تقريرالتوحيد والنبوة، ومسائل العقيدة المختلفة، ومنهم من يرى أنها في الهدايات و مصائر الناس والمنقلب الذي سيكون عليه كل فريق في الآخرة.

وتجمع السورة في وحدتها الموضوعية كل ذلك، **فهي تبين عظمة معجزة القرآن، المنزل من لدن حكيم عليم في هداية الناس للحق، وتبين أثر الإيمان في فكر الفرد؛ فيزيده علما، وفي سلوكه؛ فيزيده حكمة**، حيث عرضت السورة قصص أمم وممالك من مخلوقات الله، ظهر أثر العلم والحكمة في اهتدائها للحق أو هلاكها بطغيانها.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

تضمنت السورة مقدمة ومقطعين وخاتمة، دلّت المقدمة على مقاصد السورة بإيجاز، ولمحت لوحدتها الموضوعية، ومقطعين، مقطع يقص علينا قصص السابقين، ومقطع فيه محاجة المنكرين والمشركين بالله، وخاتمة تؤكد ما مضى.

---

١ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢٤٩).
٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٢١٥-٢١٦)

مقدمة السورة (١-٦): القرآن هدى وبشرى من لدن حكيم عليم: لما ختم الله تعالى سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن وإثبات مصدره الرباني، ونفى عنه الشك والافتراءات التي حاكها الكافرون حوله، ابتدأ سورة النمل بالثناء على آياته، فالقرآن هداية للحق، وبشرى لمن آمن به واتبعه[١]، ثم بين صفات المؤمنين، وبين عاقبة السوء للمنكرين، وأتبع القول بالثناء على نفسه عزّ وجلّ بالحكمة والعلم[٢]".

وجاءت **آيات المقطع الأول(٧-٥٨)** هداية الأمم باتباعهم الكتاب وهلاكها بالطغيان عليه، يتكون المقطع من مجموعة من القصص، تعرض كل قصة أثر العلم والحكم المتمثلة بالكتاب والآيات الربانية في الاهتداء إلى الله، **القصة الأولى:** بعث موسى-عليه السلام- لفرعون، الآيات (٧-١٤)، جاء نبأ موسى-عليه السلام- وفرعون في السورة بإيجاز بليغ يناسب مقاصد السورة، ويناسب خاتمة المقدمة التي بينت مصدر القرآن، فافتتحت قصة موسى بتلقيه الرسالة من ربه[٣]، فبدأ الوحي بإيناسه نارا، ثم يكلم الله تعالى موسى- عليه السلام- "{يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } النمل(٩)، قال ابن كثير: أعلمه أنّ الذي يخاطبه وينجيه هو ربه، الله العزيز الذي عزّ كل شيء وقهره وغلبه، الحكيم في أقواله وأفعاله.[٤]"، ثم أراه آية تدل على عزته وحكمته، ودلت القصة على وضوح الآيات التي أتاها الله لموسى عليه السلام، ولكن فرعون كان طاغية، والطغاة مهما بلغوا من العلم تنعدم الحكمة في قراراتهم، فقالوا سحرا، فبينت الآيات الموجزة لفتة توثق للعالمين أنّ فرعون وقومه علموا صدق موسى وذلك في قوله تعالى"﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ النمل(١٤)، فجاءت الجملة تبين بالمؤكدات اللفظية "السين والتاء" في "استيقن" للمبالغة في التصديق، لكنهم جحدوا، سبق الفعل جحدوا اليقين، لأنهم ضمروا جحودها قبل رؤيتها وإن صدقت[٥]، ثم بين الله السبب في هذه الجحود، اعتيادهم ظلم الغير، والعلو هو الاستكبار الذي يتسم به كل طاغية، ولا تجتمع صفات الظلم والكبر مع الحكمة مطلقا.

القصة الثانية: قصة سليمان -عليه السلام، الآيات (١٥-٤٤) لما بينت القصة السابقة كيف لم ينتفع فرعون من الآيات المبصرة؛ فهلك وقومه، تأتي الآيات بقصة انتفاع ملكة سبأ بعد

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٤٠٦)

٢قال قطب:- في تخصيص المؤمنين بالهدى والبشرى تكمن حقيقة ضخمة عميقة.. إن القرآن ليس كتاب علم نظري أو تطبيقي ينتفع به كل من يقرؤه ويستوعب ما فيه." قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٥٢٥)

٣ ينظر النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل،(ج٣/ص٢٠٤)

٤ ابن كثير، تفسير، (ج٣/ص٤٧٥)

٥ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج١٩/ص٢٣٢).

أن استيقنت الآيات على صدق النبي فآمنت، وقد فصلت سورة النمل قصة سليمان عليه السلام، وبدأت ببيان شرف العلم، وتقدم حملته وأهله على العالمين، وفي قوله تعالى ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ النمل(١٦)، والوراثة هنا هي وراثة النبوة والعلم[١]، وهي أصل حكم سليمان عليه السلام، وفي القصة لفتات تبين مقاصد السورة، فهي تبين حال المَلك وصفته إذا اجتمع فيه العلم والحكمة، فهو حامد متقين لفضل الله عليه، يسخَّر ما أتاه الله في نشر دين الله، ويظهر العلم والحكمة في قرار النمل أن يستمعوا لتحذير نملة منهم واعتذارها لسليمان وجنده، ويظهر حكمة هدهد في التأخر عن أمر قائده لنقل خبر عن قوم يشركون بالله، وتظهر حكمة امرأة نجت وقومها من الهلاك بإيمانها بالله[٢]، وفي قصة سليمان عظات وعبر للحاكمين، فهي تظهر رحمته بمخلوقات الله[٣]، في قوله تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾ النمل(١٩)، وتظهر حزمه في تفقده أمر الهدهد[٤]، وغيرته على دين الله بسرعة إرساله لملكة سبأ، وتظهر عظيم تطور الإمكانات في مملكته في نقل عرشها بلمح البصر[٥].

القصة الثالثة:قصتا قومي صالح ولوط – عليهما السلام– الآيات(٤٥–٥٨)، جاءت قصة قوم صالح في سورة النمل تفصل بين فريقين يختصمان، فريق يصدق صالحا، وفريق يتطير به، والتطير هو دليل انعدام الحكمة في قومه، وهو توكيل علم الغيب للحوادث، قال قطب– رحمه الله–: " النفس البشرية لا تستطيع أن تعيش بلا مجهول مغيب تكل إليه ما لا تعرفه وما لا تقدر عليه، فإذا لم تكل المجهول المغيب إلى الإيمان بعلام الغيوب وكلته إلى مثل هذه الأوهام والخرافات التي لا تقف عند حد، ولا تخضع لعقل، ولا تنتهي إلى اطمئنان ويقين[٦]."

---

١ بنظر الطبري، تفسيره، (ج١٩/ ص٤٧٣).
٢ ينظر عباس، القصص القرآني، (ص٦٦٠)
٣ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم، حديث رقم (٣١٤١). كيف فعل نبي من الأنبياء في عقاب نملة، أن رسول –الله صلى الله عليه وسلم– قال: "نزل نبي من الأنبياء تحت شجرة فلدغته نملة فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ثم أمر ببيتها فأحرق بالنار فأوحى الله إليه فهلا نملة واحدة.
٤ ينظر آيات سورة النمل(٢٠–٢٧).
٥ ينظر سورة النمل آيات(٤٠)
٦ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص١٧٨).

وكان قوم صالح لانعدام الحكمة في قرارتهم يفتنون، أي يستدرجون في ضلالهم[١]، وكان فيهم تسعة من المفسدين اتفقوا على حيلة مجرمة، لقتل صالح–عليه السلام– قال تعالى: ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ النمل(٤٩)، فأهلكهم بمكرهم. أما قوم لوط فظهر انعدام الحكمة والخلق عندهم، فاخترعوا فاحشة تناقض الفطرة، وجهروا بها، وعادوا من ينكر عليهم صنيعهم هذا، واتهموه بالتطهر، فهلكوا منذَرين.

ثم جاء **المقطع الثاني** البشرى – في بعث الرسل– وحكمته في إنزال القرآن. الآيات (٥٩–٩٣)، تحدثت الآيات في المقطع الأول عن قصص أنبياء الله المصطفين في معرض إلقاء القرآن على النبي–صلى الله عليه وسلم– من لدن حكيم عليم– فبدأ هذا المقطع بحمد على الله وبالسلام على عباده الذين اصطفى، ودلالة الحمد تعني وجود أمر فائدة عظيمة حصل للناس في إرسال الرسل عليهم، ومصاب عظيم صرف عن من تبعهم[٢]، فبدأ المقطع في بيان فضل الله على عباده، وإفاضته بالنعم عليهم،ثم شرع الله تعالى يبيّن آيات ملكه وانفراده بالخلق دون غيره، وإظهار الحقائق الدالة على حقيقة البعث والحساب، وبينت الآيات البراهين الساطعة والدلائل القاطعة على إحكام صنعه، وحكمة أمره كله[٣]، كما تضمنت الايات عرضا لمشاهد الآخرة، وحساب الناس في الآخرة المتعلق بتصديقهم لرسل الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النمل(٨٤)، وتضمنت الآيات بيانا لحدود علم الإنسان في الآخرة، والتأكيد على استمرار آيات الله الدالة على وجوده، يراها العبد كل يوم وكل حين في نفسه والآفاق، فمن غفل عنها لجهله فالله لا يغفل عن خلقه٤: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل: ٩٣]. وارتبط مطلع السورة بخاتمتها؛ ففي مطلع السورة جاء القرآن بهداية وبشرى، وفي الخاتمة ظهرت أثر الهداية على من رغب بالانتفاع بها، وتحصلت البشرى لمن اتبع الهدى فقط[٥].

---

١ ينظر ابن كثير، تفسيره، (ج٣/ص٤٨٨)
٢ ينظرقطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢٨٩)
٣ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٤٤٣)
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣١٣)
٥ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٤٥٨)

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية

سميت السورة بسورة النمل لذكر قصة سليمان –عليه السلام– وجنده في وادي النمل، وكيف عجلت النملة بتحذير قومها أن يحطمهن سليمان وجنده، وعذرت لهم أنهم لا يشعرون بهن، ومن عجائب القصة بيان عجيب خلق الله، وعظيم الملك الذي أتاه الله لسليمان –عليه السلام–، والعلاقة بين اسم السورة والوحدة الموضوعية للسورة هو علاقة التمثيل، ذلك أنّ قصة النملة مع سليمان عليه السلام مثلت أهم مقاصد السورة من حيث تصوير أثر الهداية والانتفاع بها في تحقيق البشرى وكانت في نجاة مملكة النمل، وكان الأثر ظاهرا في اهتداء النمل واستماعهم لنذيرهم فاختبؤوا في مساكنهن، وحكمتهن في تعذرهن لنبي الله وجنده أنهم إن حطموهن فسيكون فناؤهن وهم لا يشعرون بهن، و ظهر أثر الهديات الربانية في تفاعل أعظم ملك لأعظم مملكة على الأرض لهذا الحدث، أن حمد الله على هذا الفضل، فلم يتجبر ويبطش ويسرف كما فعلت الأمم الهالكة[١].

ثانيا: خصائص سورة النمل مضمونا وأسلوبا

القسم الأول: خصائص سورة النمل مضمونا

١– تضمنت السورة آية صرحت بعلم الله الشامل حتى لما يجري في نفوس الناس، وتكشف حقيقة تصديق قوم فرعون لموسى التام مع جحدهم لآياته، والسبب هو الظلم والاستكبار. في قوله تعالى:" ﴿ **وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾ النمل(١٤)، وهي تنبيء الرسول–صلى الله عليه وسلم – أن حال الكافرين بدعوته، هو كحال قوم فرعون.

٢– بينت آيات السورة علامات جديدة لملك سليمان– عليه السلام–، ومنها منطق الطير، والمقدرة العجيبة لمن عنده علم من الكتاب في نقل جسم من مكان لآخر يبعده عنها آلاف الكيلومترات، رغم اختلاف المفسرين في شخصية صاحب العلم، ولكن تبقى الآية العجيبة في مقدرة جندي من جنود سليمان على امتلاك قدرةلم يجد العلم الحديث حتى اليوم تفسيرا لها[٢].

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٤١٥–٤١٧)

٢ تنوعت أقوال المفسرين في هوية صاحب العلم، فنقل الطبري في تفسيره، أنه من الأنس يعلم اسم الله الأعظم،(ج١٩/ص٤٦٠) وقال آخرون هو سليمان عليه السلام نفسه، وقال آخر هو عفريت من الجن لدية قوة هائلة، والقوة تناسب عكسيا مع الزمان فكلما زادت القوة قل الزمن اللازم في حمل الشيء، وقال غيرهم: هو صاحب علم تمكن من اكتشاف طريقة لنقل الأجسام المادية، ينظر الشعراوي، تفسيره(ص٣١٣٢)

٣- احتوت السورة أمثلة على شخصيات الملوك، فبينت شخصية الملك الطاغية المتكبر الظاهرة في فرعون، فانعدام الحكمة عنده ليحل مكانها التكبر والظلم، أورثته وقومه الفسق، فهلكوا، وشخصية ملكة سبأ، التي تُظهر الملكة الحكيمة التي بهرتها آيات الله فأسلمت، وشخصية الملك سليمان-عليه السلام- الذي آتاه الله العلم فأحسن استخدامه فنال به الحكمة التي هي أصل نهضة الأمم والحفاظ على إنسانيتها[١]، فلم يمنعه عظيم ملكه وعجائب ما سخر الله له من عبادته تعالى والعمل في نشر دين الله، وكان مثالا للقائد الحامد العابد الحازم الغيور على دين الله، الشاكر لنعم الله عليه.

٤- تضمنت السورة خبرا عن قدرة الطيور والحشرات على النطق والتواصل، وذلك في نقل حوار الهدهد مع سليمان-عليه السلام- الذي علمه الله منطقهم- وفي تحذير النملة لقومها، قال ابن العربي: ولا خلاف عند العلماء في أن الحيوانات كلها لها أفهام وعقول، وقد قال الشافعي: "الحمام أعقل الطير. وقد قال علماء: انظروا إلى النملة كيف تقسم كل حبة تدخرها نصفين لئلا ينبت الحب، إلا حب الكزبرة فإنها تقسم الحبة منه على أربع؛ لأنها إذا قسمت لنصفين تنبت، وإذا قسمت بأربعة أنصاف لم تنبت، وهذه من غوامض العلوم عندنا، وأدركتها النمل بخلق الله ذلك لها.[٢]"

٥- تضمنت السورة أبلغ وأوجز خطاب دعوي تحذيري، في قوله تعالى على لسان بلقيس: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ النمل (٢٩ – ٣١). قال الرازي: "وهذا الكتاب مشتمل على تمام المقصود؛ لأن المطلوب من الخلق إما العلم أو العمل، والعلم مقدم على العمل فقوله (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، مشتمل على إثبات الصانع سبحانه وتعالى وإثبات كونه عالماً قادراً حياً مريداً حكيماً رحيماً، وأما قوله (أَلاَّ تَعْلُواْ عَلَىَّ)فهو نهي عن الانقياد لطاعة النفس والهوى والتكبر، وأما قوله (وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) فالمراد بالمسلم إما المنقاد أو المؤمن، فثبت أن هذا الكتاب على وجازته يحوي كل ما لا بد منه في الدين والدنيا.[٣]"

٦- تضمنت السورة آية تبين علو القرآن على سائر الكتب المنزلة، بسلامته من التغيير أوالتحريف الذي طال غيره من الكتب، وأنّ فيه الفصل في قضايا اختلف فيها، فقال تعالى ﴿ إِنَّ

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (٢٦٣ص).
٢ ابن العربي، محمد بن عبد الله الأندلسي، أحكام القرآن لابن العربي، دار الكتب العلمية، (ج٦/ص١٩٨)
٣ الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٤/ص ١٦٧)

﴿ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ النمل(٧٦)، ومن ذلك ما اشتمل عليه القرآن من تحقيق أمور الشرائع الماضية والأمم الغابرة مما خبطت فيه كتب بني إسرائيل خبطاً من جراء ما طرأ على كتبهم من التشتت والتلاشي وسوء النقل من لغة إلى لغة في عصور انحطاط الأمة الإسرائيلية[١]، ويظهر علو منزلة المصطفين من الأنبياء ومنزلتهم، ويبرئهم من الأباطيل التي قيلت في حقهم في كتب اليهود والنصارى.

ثانيا: الخصائص الأسلوبية في سورة النمل

١- تشابهت سورة النمل مع سورة الحجر في المطلع ولكن اختلف في تقديم وتأخير لفظ "الكتاب" و"القرآن"، قال تعالى سورة النمل: ﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ النمل(١)، وفي سورة الحجر﴿ الٓرٰ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾ الحجر(١)، حيث قدم لفظ الكتاب في سورة الحجر، وجاء بصيغة التنكير ووصف القرآن بالمبين، وقدم لفظ القرآن في سورة النمل، وعرف ووصف الكتاب بالمبين، قال النسفي:" قيل إنما نكر الكتاب هنا وعرفه في الحجر وعرف القرآن هنا ونكرهُ، لأنّ القرآن والكتاب اسمان علمان للمنزل على محمد -صلى الله عليه و سلم- ووصفان له؛ لأنّه يُقرأ ويُكتب فحيث جاء بلفظ التعريف فهو العلم وحيث جاء بلفظ التنكير فهو الوصف[٢]." فكان القرآن في سورة النمل كتاب علم، وصفته أنه مبين.

٢- تضمنت السورة خبرا في قصة موسى وهو قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ النمل (٧)، وجاء الخبر نفسه في سورة القصص، ولكن بصيغة الترجي، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص (٢٩)، قال صاحب الكشاف: " لأن أحدهما ترج، والآخر تيقن. قلت: قد يقول الراجي إذا قوى رجاؤه: سأفعل كذا، وسيكون كذا، مع تجويزه الخيبة.فإن قلت: كيف جاء بسين التسويف – هنا –؟ قلت: عدة لأهله أنه يأتيهم وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة[٣]."

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٣٠)
٢ النسفي، تفسيره (ج٣/ص ٢٠٣)
٣ الزمخشري، الكشاف، ص٧٧٦.

قال السامرائي في سر التعبير بلفظ القطع في سورة النمل والترجي في سورة القصص:" المقام كله في سورة النمل مبني على القطع والقوة والتمكين أما سورة القصص فهي مبنيّة على الخوف من قبل ولادة موسى.....لكن القول المهم أنّ موسى قال التعبيرين لكن اختار كل تعبير في مقامه، متناسبا مع السياق الذي ورد فيه التعبيران."[١]وبين آيات سورة النمل والقصص اختلاف درسه علماء البيان، يظهر إعجاز القرآن في سرد الأحداث بما يناسب وحدة السورة والجو العام لآياتها[٢].

٣- وتضمنت السورة عددا من النداءات المختلفة، والتي بدأت جميعها بحرف النداء"يا" دون غيره، في الآيات كالتالي" {يَا مُوسَى}النمل (٩-١٠)، للقريب،{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ } النمل (١٦)للقريب والبعيد والمتوسط، والناس هنا لأهل العلم٣، {يَا أَيُّهَا النَّمْلُ} النمل (١٨) للقريب، { أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ }النمل (٢٥)، والتقدير يا قوم أو يا هؤلاء٤، {يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ}النمل(٢٩-٣٢-٣٨)، { يَا قَوْمِ } النمل(٤٦).

ويدل كثرة استخدامها للقريب على قوة العلاقة بين المتحدث والمخاطب، كما يدل مجي المنادى حقيقيا في عدة مواضع أنّ أغلب الخطاب كان لأصحاب العقل والتكليف، فظهرت مناسبة أسلوب النداء سياق الآيات وموضوعها[٥].

٤- انفردت السورة بعدد من الأبنية التي لم تتكرر بهذه الصيغة في سور القرآن، وهي:" مستقرا، قوارير، فكّبت، أكفر، لتُلقى، فألقه، تمر، مكرنا، الملوك، بهادي، بهديّه، استيقنتها، يأتوني، وأوتيت، تأمرين، فتبسم، ويجعلكم، يجيب، حرمّها، حسبته، تحسبها، يحطمنكم، تحيطوا، أدّرك، مرسلة، رهط، يسجدوا، ليسكنوا، شجرها، وصدّها، صنع، ضاحكا، طرفك، طيّرنا، نملة[٦]" وورد في السورة عدد من الأبنية تكررت في سورة النمل أكثر من غيرها، وهي" القرآن جاء أربع مرات في السورة في المرتية الثانية بعد سورة الاسراء، و"النمل" تكررت مرتين في السورة، و"الحمد لله " جاء ثلاث مرات من أصل أربع وعشرين مرة، و"الرياح" معرفة ب" أل"

---

١ السامرائي، أسرار البيان في التعبير القرآني (ص: ٩٨)

٢ ينظر الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم أعجاز القرآن، دار المعارف – القاهرة،تح:السيد أحمد صقر، ص١٨٩، والسامرائي المصدر السابق.

٣ السيوطي، الدرر المنثور، (ج٥/ص١٩٣)

٤ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٢٥٦)

٥ ينظر أبو جزر، حسين موسى، ٢٠١٥م، أسلوب النداء في الحوار القرآني، سورة النمل، سورة النمل أنموذجا، دراسة نحوية ودلالية، مجلة جامعة الأقصى،المجلد التاسع عشر، العدد الأول، ص١١.

٦ ينظر آيات سورة النمل، (٤٠-٤٤-٩٠-٤٠-٦-٢٨-٨٨-٥٠-٣٤-٨١-٣٥-١٤-٣٨-٢٣-٣٣-١٩-٦٢-٦٢-٩١-٤٤-٨٨-١٨-٨٤-٦٦-٣٥-٤٨-٢٥-٨٦-٦٠-٤٣-٨٨-١٩-٤٠-٤٧-١٨).

جاءت مرتين من أصل عشر، و"مسلمين" جاءت أربع مرات من أصل إحدى وعشرين مرة، و"الطيّر" جاءت ثلاث من أصل ست عشر مرة.[١]"

٥- وتميزت السورة بعدد من الانفرادات التي لم تكرر في سور القرآن، وهي:" تبسم، جامدة، عفريت، الخبء، أتقن" وهي موضع البحث في المطلب القادم.

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة النمل وعلاقتها بالوحدة الموضوعية.

انفردت السورة بعدد من الألفاظ التي لم تتكرر إلا في السورة، وهي الألفاظ" " فتبسم، جامدة، عفريت، الخبء، أتقن".

الانفرادة الأولى: "تبسم" في قوله تعالى:﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ النمل (١٩).

جاءت الانفرادة في سياق قصة ملك سليمان عليه السلام- في معرض الحدث العجيب لوادي النمل.

أولا: دلالة مادة "تبسم " في اللغة

وردت لفظ تبسم في اللغة تحت مادة "بسم"، وهي في الأصل أول الضحك، قال الزجاج- (ت٣١١ه)-: التَّبَسُّم أكثرُ ضَحِك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-[٢]، "قال ابن فارس: (ت٣٩٥ه):الباء والسين والميم أصلٌ واحد، وهو إبداء مُقَدَّم الفَم لمسَرّة؛ وهو دون الضَّحِك يقال بَسَم يَبْسِم وتَبَسَّم وابْتَسَم.[٣]" وقال ابن منظور-(ت٧١١ه): " التَبَسَّم أقلُّ الضَّحِك وأحَسنُه،.... بَسَمَ يَبْسم بَسْماً إذا فَتَح شَفَتَيه كالمُكاشِر وامرأة بَسَّامةٌ ورجل بَسَّامٌ، وفي صفته- صلى الله عليه وسلم- أنه كان جلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّم وابْتَسَمَ السحابُ عن البَرْق انْكَلَّ عنه.[٤]"

الفرق بين التبسم والضحك، أن التبسم قد يكون أول الضحك، كما في الأثر عن أنس بن مالك في حديث وفاة النبي-صلى الله عليه وسلم-:"...فَكَشَفَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ يَنْظُرُ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ..[٥]" وقد يراد به غير الضحك الدال على السرور، كما جاء في الأثر في قصة كعب بن مالك مع رسول الله -صلى الله

---

١ ينظر آيات سورة النمل،(١٨)، (١٥-٥٩-٩٣)، (٤٦-٤٨)، (٣-٣٨-٤٢-٩١)، (١٦-١٧-٢٠)
٢ الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص١١٢)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص١٣٣).
٤ ابن منظور، لسان العرب، (ج٢/ص٨٩)
٥ أخرجه البخاري في صحيحه، باب أهل العلم والفضل أحق بالخلافة، حديث رقم(٦٨٠)

عليه وسلم- في التخلف عن تبوك:"..فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ..[١]"، ودلالته مفردا على بداية الضحك.

ثانيا: دلالة الصيغة "بسم" في السياق

جاء اللفظ في صيغة االماضي المسبوق بفاء استئنافية، ودلالة الماضي تناسب حكاية القصة، في قوله تعالى:" ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ النمل(١٧ – ١٩)، جاء الفعل مؤكدا بحال بعده توكيدا معنويا[٢]، ليؤكد أنّ تبسمه كان فرحا وتعجبا من مقولتها، وقال تبسم بالماضي، لأن الماضي أنسب الصيغ التي تعبر عن الحدث في القصص، ولأن التبسم حالة عابرة فلا يناسبها ثبوت الاسم، وقال تعالى "تبسم ضاحكا ولم يقل ضحك أو تبسم فقط، لأن التبسم وحده قد يكون لأمر غير ذي بال، والضحك وحده يكون للاستهزاء وعدم التصديق، ولم يقدم الضحك على التبسم، لأن التبسم أول الضحك، فيكون المعنى فشرع يضحك، بمعنى أنه تجاوز حد التبسم إلى الضحك[٣]، وبيان سبب التبسم في "من قولها" أي تبسم ضاحكا تعجبا من قولها، فمن عادة الإنسان إن تعجب من شيء فسرَّهُ أن يتبسم، وإن زاد تعجبه فزاد تبسمه حتى شرع في الضحك، فما كان من نبي الله سليمان عندما زاد تعجبه من قول النملة تذكر الله الذي انعم عليه بهذه النعمة، فحمد سليمان ربَّه على ما أنعم عليه[٤].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "فتبسم" والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق قصة سليمان، فسبقت الانفرادةَ آيةٌ فيها كلام مخلوق ضعيف – نملة- تنادي قومها محذرة من هلاكهم متحطمين من قِبل جيش سليمان-عليه السلام-، معذرةَ إياهم أنهم لا يشعرون، فجمعت الفطنة والغيرة وحسن الظن، وكل هذا من مظان الحكمة

---

١ أخرجه البخاري في صحيحه، بَاب حَدِيثُ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا}، حديث رقم (٤٤١٨)

٢ ينظر ابن هاشم، شرح شذور الذهب، (ص٣١٦)

٣ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٧/ص٦١)

٤ ينظر البغوي، معالم التنزيل، (ج٦/ص ١٥٢)

ودواعيها، وجاءت الانفرادة تصف موقف سليمان –عليه السلام – من قولها، فدلالة التبسم المصاحب للضحك تعني رضاه عن مقولتها، وتدل رحمته برعيته، وتواضعه، وعدله.

قال قطب–رحمه الله:"فأدرك سليمان ما قالت النملة.. وانشرح صدره له لأنه عجيبة من العجائب أن يكون للنملة هذا الإدراك، وأن يفهم عنها النمل فيطيع! أدرك سليمان هذا { فتبسم ضاحكاً من قولها }.. وسرعان ما هزته هذه المشاهدة، وردت قلبه إلى ربه الذي أنعم عليه بنعمة المعرفة الخارقة؛ وفتح بينه وبين تلك العوالم المحجوبة المعزولة من خلقه؛ واتجه إلى ربه في إنابة يتوسل إليه[١]."

و التبسم يدل على الحكمة ورجحان العقل، بخلاف القهقهة التي تدل على التخلف وسوء الأدب[٢]، وهذا يناسب وحدة السورة التي تظهر إعجاز القرآن وبلاغته في نظم الألفاظ والتراكيب في أحسن المعاني وأنسب المباني، وتبين الحكمة في قول النملة، وفي رد سليمان– عليه السلام – على هذه المقوله من عظيم الصنع والامتنان لله عزّ وجلّ.

الانفرادة الثانية: "الخبء" في قوله تعالى " أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ" النمل(٢٥)

جاءت الانفرادة في سياق قصة سليمان–عليه السلام– مع الهدهد، وفي تعجبه من عبادة قوم سبأ لغير الله.

أولا: دلالة مادة "خبء" في اللغة

الخبء أصله من الستر والخفاء، قال الزجاج–(ت٣١١ه)–: كل ما خبأته فهو خبء، وجاء في التفسير أن الخبء ههنا القَطْرُمن السمَاءِ، والنبات من الأرْض، ويجوز وهو الوجه أنْ يكون الخبء كل ما غاب، فيكون المعنى" يعلم الغيب في السَّمَاوَات والأرْض.[٣]"، والقطر غاب في الغيم فهو مخبأ.

وقال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–: يدلُّ على سَتْرِ الشّيء. فمن ذلك خبأت الشيء أخبَؤه خَبْأً. والخُبَأَةُ: الجارية تُخْبَأ. ومن الباب الخِباء؛ تقول أخبَيْتُ إخباءً، وخَبَّيْتُ، وتخبَّيْت، كلُّ ذلك إذا اتخذْتَ خِباءً[٤].

قال ابن منظور–(ت٧١١ه): خَبَأَ الشيءَ يَخْبَؤُه خَبْأً سَتَرَه.. والصحيح والله أعلم أنَّ الخَبْءَ كلُّ ما غاب.. وفي حديث ابن صَيَّادٍ خَبَأْتُ لك خَبْأً الخَبْءُ كُلُّ شيء غائِبٍ مستور يقال

---

١ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢٦٧)
٢ ينظر السعدي، تفسيره، (ص٦٠٢)
٣ الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص١١٦)
٤ ابن فارس، المقاييس، (ص٣٤١)

خَبَأْتُ الشيءَ خَبْأً إذا أخفَيْتَه والخَبْءُ والخَبيءُ والخَبيئةُ الشيءُ المَخْبُوءُ و.. والخَبْءُ ما خَبَأْتَ من ذَخيرة ليومٍ ما.. والخُبْأةُ والخَبيئةُ جميعاً ما خُبِئَ،وفي الحديث اطْلُبوا الرِّزقَ في خَبايا الأرض قيل معناه الحَرْثُ وإثارةُ الأرضِ للزراعة..وواحد الخَبايا خَبيئةٌ مثل خَطِيئة وخَطايا وأراد بالخَبايا الزَّرعَ لأنه إذا ألقَى البذر في الأرض،.. والجمع أخبِئَةٌ مهموز وقد خَبِئَت النارُ وأخْبَأها المُخْبِئُ إذا أخْمَدَها،.. والخَبيءُ ما عُمِّيَ من شيء ثم حُوجِيَ به وقد اخْتَبَأه [١].

فالخبء في اللغة مصدر يطلق على ما ستر وغاب عن العين، فالبذر تخبأ في التراب، والمطر يخبأ بالغيم، والمعادن تخبأ بباطن الأرض، والمرأة تختبىء وتستتر بحجابها عن أعين الرجال.

وإيثار القرآن الكريم لهذه المفردة دون المفردات الأخرى القريبة منها في دلالتها ك"الخفاء، الدّس، الستر، التورية، التغيب" ذلك أن الخفاء يراد به عدم الظهور، فهو نقيض العلانية[٢]، وليس المعنى المراد هنا، فالخبء يكون لفترة ويخرج، ولا يمنع تخبأت الشيء أن يعلم بوجوده، والستر يراد به التغطية[٣]، وليس هذا المراد هنا أيضا؛ فليس الهدف تغطية المخبأ وحجبه عن الرائي، والدّس يدل على دخول شيء بخفاء وسرّ[٤]، ولا يشترط السرّ في الخبء، وليس كالتورية، لأنّ التورية فيها معنى التلبيس، أي يستر شيء بشيء، فيلتبس بغيره[٥]، وليس هذا من دلالة الخبء، وليس من التغيب؛ لأن الغيب من ترك الشيء وقتا لفترة، وكل ما ستر عن حواس الإنسان[٦]، إنما دل إيثار استخدام الخبء على معنى أدق يناسب السياق، فهو ما غاب وخفي عن العين وستر بشيء لأجل.

ثانيا: دلالة الصيغة (الخبء) في السياق

مصدر أريد به اسم المفعول، أي المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر، ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله {الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ} لحالة خبر الهدهد ظاهرة؛ لأن فيها اطلاع على أمر خفي، وإخراج الخبء: إبرازه للناس، أي إعطاؤه، أي إعطاء ما هو غير معلوم لهم من المطر وإخراج النبات وإعطاء الأرزاق، وهذا مؤذن بصفة القدرة. وقوله {وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ} مؤذن بعموم صفة العلم."[٧]

---

١ ابن منظور، لسان العرب، (ج٥/ص٥-٦)
٢ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، ١١٧ص
٣ ينظر ابن فارس، المقاييس، ص٥٠٥. والأصفهاني، المفردات، ص١٦٨.
٤ ينظر ابن فارس، المقاييس، (ص٣٤٧).
٥ ينظر الأصفهاني، المفردات، (٤٠٤ص)
٦ ينظر ابن فارس، المقاييس،(٧٩٨ص).
٧ ابن عاشور، التحرير والتنوير،(ج١٩/ص٢٥١)

والخَبْءُ مصدرُ خَبَأْتُ الشَيءَ أخبَؤُه خَبْئاً أي: سَتَرْتُهُ، ثم أُطْلِقَ على الشيءِ المَخْبوء[١].

" قال بعض أهل العلم: {الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ}: المطر، والخبء في الأرض: النبات، والمعادن، والكنوز، وهذا المعنى ملائم لقوله: {يُخْرِجُ الْخَبْءَ}، وقال بعض أهل العلم: الْخَبْءَ: السرّ والغيب، أي: يعلم ما غاب في السماوات والأرض[٢]."

دلت الصيغة على المبالغة في وصف التخبئة، ووقعها بصيغة الموصول لتناسب الصيغة الفعلية التي تدل على تجدد الإخراج كلما حدث الخفاء.

جاءت الانفرادة في سياق خبر جاء به الهدهد عن قوم سبأ أنهم يعبدون الشمس، وزين لهم الشيطان أن يسجدوا لغير الله، وفي السياق تعظيم مقدرة الله وعلمه بأدق الأمور التي يتعجب منها الطير،كإخراجه المخفي المستتر وإظهاره، ومن السفه أن يُسجد لشيء بلا حول ولا قوة كسائر مخلوقات الله.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة" الخبء" والوحدة الموضوعية للسورة.

تحمل دلالة اللفظ معنى الخفاء والستر للشيء، جاءت في سياق الثناء على الله، العالم بخفايا كل شيء، مهما كان حرزه وإن بلغ أعماق النفس، أو ظلمات الكون، وفي سياق تعجب من أن يسجد مخلوق لغير الله، فناسب اللفظ وحدة السورة في بيان حكمة الله وواسع علمه، في معرفته لكل ما هو مدفون ومستتر في أرجاء الكون وحتى معرفته ما هو في باطن الأرض وخفاياها[٣].

وتظهر أن آيات الله في كونه تدل عليه سبحانه، فيتدرج المؤمن في اعتقاده بربه ليصل إلى يقين تام أنّه سبحانه لا يخفى عليه شيء مهما ذر، وهذه العقيدة كفيلة بردعه عن الشرك، وتدعو صاحب الفطرة السليمة إلى إنكار أنّ يكون السجود والخضوع إلا لله، كما ظهر في حكمة طير وغيرته على دين الله، حيث يقف الهدهد مبررا لسليمان –عليه السلام– أن تخلفه عن الصفوف كان لهدف أنبل وأعظم وهو إنكار الشرك بالله، وهذا هو لب الحكمة؛ تعظيم الله ونبذ الشرك[٤].

١السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (ص: ٤٥٢٢)
٢ الشنقيطي، أضواء البيان (ج٦/ص١١٠-١٠٩)

٣ ينظر السعدي، تفسيره، ص٦٠٤
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٢٧١)

الانفرادة الثالثة: "**عفريت** " في قوله تعالى **(قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ)** النمل (٣٩). جاءت الانفرادة في سياق قصة سليمان–عليه السلام– في طلبه عرش ملكة سبأ، حيث أجابه لطلبه شخصان، أولهما كان عفريتا من الجن، وهو موضوع الدراسة التالية.

أولا: دلالة مادة "عفريت" في اللغة

أصل مادة "عفريت في اللغة هي:"عفر" والعفر في اللغة هو اختلاط الشيء بالتراب فيتغير لونه أو شكله السطحي فقط، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: العفر التراب[١].

وفصل ابن فارس–(ن٣٩٥ه)– في شرح أصل مادة اللفظ؛ فقال:العفر؛ أصلٌ صحيح، وله معانٍ. فالأول لون من الألوان، والثاني نبت، والثالث شدّة وقُوّة، والرابع زَمان، والخامس شيءٌ من خَلْق الحيوان؛ فالأول: العُفرة في الألوان، وهو أن يَضرب إلى غُبْرَة في حمرة؛ ولذلك سمّي التراب العَفَر. يقال: عفَّرت الشيءَ في التُّراب تعفيراً. واعتَفَر الشيء: سقَط في العَفَر، قال ابن دريد–(ت٣٢١ه)–: العَفْر ظاهر تراب الأرض، بفتح الفاء، وتسكينها. قال: "والفتح اللُّغة العالية"، ويقال للظّبي أعفَرُ للونهِ، قال: وإنما ينسب إلى اسم التُّراب. وكذلك الرَّمْل الأعفر. قال: واليَعْفُور الخِشْف، سمِّي بذلك لكثرة لُزوقه بالأرض.

فأمَّا الذي قاله ابن الأعرابيّ–(٢٣١ه)–: من قولهم: "وقعوا في عافور شرّ" مثل عاثور، فممكن أن يكون من العَفَر، وهو التُّراب، وممكن أن يكون الفاء مبدلة من ثاء. وقد قال ابنُ الأعرابيّ: إنّ ذلك مشتقٌّ من عَفّرَه، أي صرعه ومرَّغه في التراب.[٢]"

ويدل ما سبق أن العفر أصله من التراب، كما أشار صاحب العين، فاللون يدل على تغيره لون ما يختلط بتراب الأرض، والنبت لخروجها على وجهها، والشدة والقوة، تطلق على من كثر تعفره بالأرض في مصارعة الغير، ودلالة الزمن في كثرة تغبر الشيء لمرور الوقت عليه، والخامس من الحيوان، ويطلق على الحيوانات التي تتموه لتناسب طبيعة الأرض التي حولها.

ثانيا: دلالة صيغة "عفريت" في السياق

جاء اللفظ في صيغة "فعليت" الياء والتاء زائدتان، يُقال عِفْريتٌ وعِفْرِيَة.. فعِفْريت فِعْليت من العَفَر: وهو التراب كأنّه شديد التَّعْفير لغيره أي التَّمْريغ.[٣]"، وعفريت في الجمع ثلاثة أوجه: إن شاء قال عفاريت، وإن شاء قال عفار لأن التاء زائدة كما يقال طواغ في جمع طاغوت، وإن

---

١ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٢/ص١٢٢)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص٦٦٩–٦٧٠)
٣ ابن سيده، المخصص، (ج٤/ص ٢٢٠)

شاء عوض من التاء فقال عفاري[١]، ودلالة الصيغة تفيد المبالغة، فالعفريت في اللغة هو الفائق البالغ الرئيس من الإنس والجن[٢]، وفيه دلالة الشدة والتوثيق[٣]، قال عنه الزجاج-(ت٣١١ه)-:هو النافذ في الأمر المبالغ فيه مع الدهاء والخبث[٤]، وقال ابن جني-(ت ٣٩٢ه)-: قالوا عفريت لشدته، ومثاله فعليت منه، ويشهد لهذا قولهم وقعنا في عفرة؛ أي اختلاط وشدة.[٥]"

ويظهر من تتبع أقوال أهل اللغة أنّ العفريت لا يأتي لوصف حسن، إنما أريد به صفة القوة المصحوبة بالحيلة والدهاء، ومن هنا تعلق بالتراب، فمعنى الدهاء في التمويه الحاصل من التمرمغ في التراب، والقوة من الحركة والسرعة كأنه شديد التعفير في التراب، قال ابن عاشور:" حسبما يستخلص من مختلف كلمات أهل اللغة أنه اسم للشديد الذي لا يصاب ولا ينال، فهو يُتَّقى لشَره. وأصله اسم لعُتاة الجن، ويوصف به الناس على معنى التشبيه[٦]." ودل التركيب "عفريت من الجن" على وجود عفاريت من الإنس[٧].

ثالثا: علاقة دلالة الانفرادة" عفريت" والوحدة الموضوعية للسورة.

جاء اللفظ في سياق حبك سليمان-عليه السلام- لخطة تبهر ملكة سبأ، لتعلم عظيم ملك سليمان،وما أتاه الله من آيات ليهدي به الناس إلى عبادته، فلما مدح الهدهد في الآيات السابقة عرش الملكة، ووصفه بالعظيم، فكان إحضار عرشها من قصرها المحكم الحماية إلى سليمان قبل وصولها من الآيات العظيمة على صدق دعوته، وجاء اللفظ في سياق وصف المتطوع الأول لعملية الجلب،" عفريت من الجن" وإيراد القرآن لقصة تطوع العفريت للقيام بالعملية، فيه دلالة على أنّ ملك سليمان-عليه السلام- لم يقوى بالجنّ وحدهم، قال تعالى في(سورة ص)**{وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ(٣٨) }** فعفريت الجنّ هذا كان قويا وقادرا، وهو أفضل خدم سليمان من الجن، ولكن في ملك سليمان من هو أقدر منه- الذي معه علم من كتاب-، وناسب هذا وحدة السورة في قياس أن لفظ عفريت يدل على الخبث والدهاء والقوة، وأن هذه الصفات لم تتفوق على صاحب العلم، فكان العلم هو الأصل الذي يقوم عليه دعوة الرسل، وتبنى به الحضارات، وليس بالقوة والدهاء[٨].

---

١ النحاس، إعراب القرآن (ج٣/ص ٢١٢)
٢ ينظر أبو عبيدة، مجاز القرآن، (ج٢/ص٩٤)
٣ ينظر ابن قتيبة، زاد المسير، (ج٦/ص١٧٤)
٤ الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص١١٩)
٥ ابن جني، أبي عبد الفتاح، عثمان، ١٩٨٥م، سر صناعة الإعراب، ط١، دار القلم – دمشق،، تح: د.حسن هنداوي (ج١/ص ٢٤٩).
٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٢٧٠)
٧ ينظر ابن الجوزي، زاد المسير، (ج٦/ص١٧٤)
٨ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص٢٧).

الانفرادة الرابعة: "جامدة "في قوله تعالى **{ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ. }** النمل (٨٨)، جاءت الانفرادة في سياق تصوير مشهد من مشاهد الآخرة، وزوال الدنيا، وبيان تبدل الأحوال وزوال الثوابت من هول المصاب.

أولا: دلالة مادة "جمد" في اللغة

أصل اللفظ من مادة "جمد"، وهو ما يقابل الذائب، وهو المتصلب الشديد من برد أو غيره[١]، قال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: جَمَدَ الماءُ يجْمُدُ جُمُوداً، ويقال: لكَ جامِدُ هذا المالِ وذائِبُهُ والذائبُ الظاهِرُ والجامِدُ الغائِبُ الباطِنُ، ويقال: ذابَ لفلانٍ عليكَ حَقٌّ أي وَجَبَ وظَهَرَ، ومُخَّةٌ جامدةٌ أي صُلْبَةٌ، ورجلٌ جامِدِ العَيْن: قَلَّ دَمْعُه، وسنة جَمادٌ: جامدةٌ لا كَلأَ فيها ولا خِصْبَ، وعَيْنٌ جَمادٌ: لا دَمْعَ فيها، والجَمَدُ: الماءُ الجامِدُ، وأجْمَدَ القَومُ: قَلَّ خيرُهُم وبَخِلُوا، والجُمُدُ من أعلامِ الأرضِ كالنَّشَزِ المُرْتَفِعِ ويُجْمَعُ على أجماد وجِماد، والجُمادَيان: اسْمانِ معرفة لشَهْرَيْن فإذا أُضَفْتَ قُلْتَ: شَهْرا جُمَادَى وشَهْرِ جُمادَى.[٢]"، وقيل سمي جمادى لتجمد الماء فيه.[٣]"، دلالة المادة تستخدم لما تصلب وشدّ وثبت على مكانه او حاله، واستعيرت للتعبير عن التصلب في الطبائع.

ثانيا:دلالة الصيغة "جامدة" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة اسم الفاعل، الدال على حدث الجمود، وحدوث الجمود-التغيير-، وفاعله[٤]، {تَحْسَبُهَا جَامِدَةً}: هذه الجملةُ حاليةٌ مِنْ فاعلِ "تَرَى"، أو مِنْ مفعولهِ؛ لأنَّ الرؤيةَ بَصَريةٌ[٥].

وقوله تعالى "تحسبها جامدة" يعني أن الرائي للجبال يظن، والتحسب هو الظن الذي قوي بمقدمات معدودة، وليس أي ظن، وفي هذا دلالة على أنّ الجبال يومها ليست جامدة، ولكنها متكاثفة بطريقة تدل على ذلك، وفيها دلالة أنها تتحرك من مكانها كالسحب، مع بقائها في عين الرائي متماسكة على هيئتها[٦]، تناسب قوله تعالى " **{ ويوم نسير الجبال }** الكهف (٤٧)، قال ابن عاشور:"فلما أشكل أن هذه الأحوال تكون قبل يوم الحشر لأن الآيات التي ورد فيها ذكر دك الجبال ونسفها تشير إلى أن ذلك في انتهاء الدنيا عند القارعة وهي النفخة الأولى أو قبيلها، فأجابوا بأنها تندك حينئذ ثم تسير يوم الحشر، وقال بعض المفسري:"هذا عطف الجملة على

---

١ ينظر ابن فارس، المقاييس، (٢٢٣ص)
٢ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٦/ص ٩٠)
٣ ينظر الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٠/ص٣٥٨)
٤ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، ص٤١.
٥ السمين الحلبي، الدر المصون في علم الكتاب المكنون (ص: ٤٥٥٩)
٦ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج٢٠/ص٣٤)

الجملة، والواو لا تقتضي ترتيب المعطوف بها مع المعطوف عليه، فهو عطف عبرة على عبرة وإن كانت المذكورة أولى حاصلة ثانياً.[١]"

ثالثا:العلاقة بين الانفرادة "جامدة" والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق يصور مشهدا من مشاهد يوم القيامة، يمثل حالة الرعب والخوف التي تعصف بكائنات الله في الآخرة، واختيار هذه الآية وما قبلها في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ النمل(٨٦)، فيه دلالة مرور الأيام، وقضاء الآجال، وتنبيه لسرعة اقتراب الآخرة، والتفكر في قدرة الله تعالى، الذي ثبت له الخلق، ومن لوازم الخلق الرجوع والحساب، يقول قطب–رحمه الله –:ومشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع، ويتجلى الفزع فيه؛ وكأنما الجبال مذعورة مع المذعورين، مفزوعة مع المفزوعين، هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا وجهة ولا قرار! [٢]"، فهيام الجبال الجامدة يشبه تخبط المفتونين بنعم الله، المتعالين عليه، يحسبه الرائي شديدا صلبا، وهو في الحقيقة هباء يسير إلى فناء.

وتظهر حكمة الله تعالى في خلق الكون وإظهاره لخلقه بما يناسب قدراتهم وعقولهم، فهناك حقائق يعجز الإنسان أن يدركها إلا بالخبر اليقين، ومن حكمة المؤمن أنّ يعلم أن حقيقة الكون أكبر من تصوره، لعظم خالقه، فتكون عقيدته متصلبة مثل الصخر، ثابتة لا تتغير بتغير الأحوال والوقائع من حولها.

الانفرادة الخامسة: "أتقن" في قوله تعالى:"... ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ النمل(٨٨)، جاءت الانفرادة في الآية نفسها للانفرادة التي سبقتها، في سياق مشهد من مشاهد الآخرة.

أولا: دلالة مادة"تقن" في اللغة

أصل اللفظ من مادة " تقن" وهو من إحكام الشيء، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)– الإتقان الإحكام[٣].وعن ابن فارس–(ت٣٩٥ه)– هو إحكام الشيء[٤]، ويقال رجل تقن أي حاذق بعمله[٥]،

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٤٧).
٢ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣١٠).
٣ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٥/ص١٢٩).
٤ ينظر ابن فارس، المقاييس، ص١٧٠.
٥ ينظر ابن سيده، المحكم المحيط، (ج٣/ص٤٣)

وقال ابن منظور–(ت ٧١١ه)– في اللسان " تِقْنٌ اسم رجل كان جيِّدَ الرَّمي يُضْرَب به المثل، ولم يكن يَسْقُط له سَهْم،.. قال أبو منصور الأصل في التِّقْن ابنُ تِقْنٍ هذا ثم قيل لكل حاذق بالأشياء تِقْنٌ، ومنه يقال أَتْقَنَ فلانٌ عملَه إذا أَحْكَمَه.[١]" والأولى في اللغة أن يحدث العكس، فيكون الفرد اشتهر باسم يدل عليه اللفظ، ودلالة المادة عند ابن فارس له أصل ثانٍ، وهو الطين والحمأة، فيقال تقنوا أرضهم، إذا أصلحوها[٢]. ويظهر فيها معنى الحذاقة وإحكام الصنع، وهو أصل دلالة المادة.

ثانيا: دلالة الصيغة" أتقن" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة الفعل الماضي، وفاعله الله عزّ وجلّ، ودلالة الماضي في التعبير عن حالة مرور الجبال كالسحاب، تبين عظيم إحكام صنعه تعالى، ومفعول اللفظ جاء بصيغة الشمول "كل شيء"، بمعنى أحكم خلق كل شيء، وكل ما خلق كان بديعا موثقَ الصنع، دل اللفظ أن الله أتقن إحكام كل شيء، الإحكام الأوثق الأكمل [٣]، ويدخل في إحكامه لخلقه، تدبير شؤونهم وإرسال الرسل، والبعث والحساب، والثواب والجزاء[٤]، فكل مصنوعات الكون تعود لله أو لخلق الله، فله الفضل كله، ولفظ الصنع أدق وأنسب للتركيب من العمل والفعل؛ لما يدل عليه من إرادة العمل المتقن[٥].

ودلالة إتقان الله –عزّوجلّ –لكل شيء أن لكل مخلوق حكمة وغاية من صنعه، وأنّ الحوادث التي تمر بها هي من تمام صنعه وأسباب تكامل الكون فيما بينه، والإتقان في الخلق من أعظم الأدلة على وجود خالق واحد لا غير، فمن تمام الإتقان أن لا يخلق الله معه شريكا.

ثالثا: علاقة الانفرادة "أتقن " بالوحدة الموضوعية للسورة.

للانفرادة "أتقن" دلالة على الهداية والبشرى وإعجاز القرآن وحبكه، وهذا من أهم مقاصد السورة، فظهر في القرآن آيات تحث الناس على التفكر في الكون وآثاره الدالة على الله عزّ وجلّ، وتظهر عظيم إتقان الله في صناعة الكون، فمن دلائل الإتقان التوحيد المطلق لله إثبات الخلق والبعث يوم القيامة، ولا يكون الكون متقنا في صنعه، إذا لم يكن هناك هدايات تدل على صانعه، وغاية يسعى لتحصيلها، ومن الإتقان إثبات البعث والحساب يُقضى بين الناس، فيكون

---

١ ابن منظور، اسان العرب، (ج٢/ص٢٢٩)
٢ ابن فارس، المقاييس، ص١٠٧.
٣ ينظر الطبري، تفسيره، (ج٢٠/ص٢١)،
٤ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٧/ص٩٥)
٥ ينظر شحادة، نايف، لمسات بيانية، ص٢٣١.

للمحسن ثوابه، وللمسيء عقابه، وأكبر دلائل إتقان الله هو القرآن الكريم، الكتاب المعجز في كلماته ومضامينه، وأخباره، فهو كلام الله تعالى.

يقول صاحب الظلال:" يتجلى إتقان صنعته في كل شيء في هذا الوجود. فلا فلتة ولا مصادفة، ولا ثغرة ولا نقص، ولا تفاوت ولا نسيان....وهذا يوم الحساب عما تفعلون. قدره الله الذي أتقن كل شيء.، وجاء به في موعده لا يستقدم ساعة ولا يستأخر؛ ليؤدي دوره في سنة الخلق عن حكمة وتدبير؛ وليحقق التناسق بين العمل والجزاء في الحياتين المتصلتين المتكاملتين.[١]"

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣١١)

المبحث الرابع

الانفرادات اللفظية في سورة القصص، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة

سورة القصص من السورة المكية[١]، مكملة الطواسين الثلاثة، وهي السورة الثامنة والعشرون في ترتيب المصحف، وكان نزولها بعد الشعراء وقبل النمل[٢]، عدد آياتها مئتان وسبع وعشرون[٣]، "نزلت في مكة والمسلمون قلة مستضعفة، فنزلت تضبط قيمة الإنسان بإيمانه، فكل مظاهر القوة لا تساوي شيئا مع انعدام القوة الإيمانية التي هي النفع كله.[٤]"

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة القصص، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

تعالج سورة القصص موضوع العقيدة كسائر السور المكية، وبرزت في سورة القصص مناح جديدة لقصة موسى عليه السلام، وأطالت السورة في عرض تفاصيل ميلاده، ونشأته وبعثه، فسجل أكثر الباحثين وحدة السورة وتناسب موضوعاتها في مقاصد السورة من ملامح قصة موسى –عليه السلام، فقال البقاعي–: "مقصودها التواضع لله، المستلزم لرد الأمر كله إليه....[٥]"

وقال القاسمي–(ت١٣٣٢ه)–: "بدأت سورة القصص بطمأنة المؤمنين على مستقبلهم مؤكدة أن عاقبة الظلم مظلمة، وأنّ عاقبة الصبر جميلة، وأنّ المستضعفين فى الأرض ستتكسر قيودهم ويستردون حرياتهم. وقد ساقت ما وقع لموسى وقومه مثالا على أن التاريخ يعيد نفسه.[٦]"

تظهر الوحدة الموضوعية في سورة القصص في امتنان الله على المستضعفين بالتمكين لهم وقهر ظواهر الطغيان الثلاثة التي برزت في السورة: أولها طغيان السلطة؛ المتمثلة بالظاهرة الفرعونية، القائمة على الاستعلاء على الله ومنازعته في ملكه والتعدي على خلقه وتضخيم الذات، والثانية بطغيان الغواية؛ المتمثلة بظاهرة الأمم المترفة، الباطرة في عيشها،

---

١ قال ابن عطية:" هذه السورة مكية إلا قوله عز وجل " إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد " نزلت هذه بالجحفة في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قاله ابن سلام وغيره وقال مقاتل فيها من المدني " الذين آتيناهم الكتاب " إلى قوله " لا نبتغي الجاهلين ". المحرر الوجيز ــ (٤/ ٣٢٥)

٢ ينظر الزركشي، البرهان، (ج١/ص١٩٣)

٣ وفي العد البصري، مئتين وستا وعشرين. ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٦١)

٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣١٧)

٥ البقاعي، نظم الدرر،(ج٥/ص ٤٦٠)

٦ الغزالي، نحو تفسير موضوعي (ج١/ص ٢٨٩).

الحريصة على لذاتها الحسية والمادية، الزاهدة في الآخرة، والثالثة: طغيان الكنز، المتمثل بالظاهرة القارونية، القائمة على الاستعلاء على الله ومنازعته في ربوبيته، وهدم اقتصاد الأمة بمداولة المال بين الأغنياء فقط.

قال قطب– رحمه الله – عن جو نزول السورة:" نزلت والمسلمون في مكة قلة مستضعفة...، نزلت تضع الموازين الحقيقية للقوى والقيم، نزلت تقرر أنّ هناك قوة واحدة في هذا الوجود، هي قوة الله؛ وأنّ هناك قيمة واحدة في هذا الكون، هي قيمة الإيمان...ومن كانت له قيمة الإيمان فله الخير كله، ومن فقد هذه القيمة فليس بنافعه شيء أصلاً.."[١]

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى: بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

تآلفت السورة من مقدمة ومقطع قصة موسى، ومقطع محاجة النبي–صلى الله عليه وسلم– للمشركين، ثم مقطع فتنة قارون، وخاتمة.

المقدمة: وعد الله بنصر المستضعفين من المؤمنين، الآيات(١–٥)، وفيها أهم مقاصد السورة، ففيها الثناء على الكتاب بوصف المبين، الواضح الجلي الكاشف، وفيها نبأ استعلاء فرعون على الناس، ووعد الله بنصرة المستضعفين، ليظهر نفاد هذا الوعد من خلال آيات السورة، ثم تتبع مقاطع السورة في شرح ظاهر الاستعلاء على المستضعفين في الأرض.

المقطع الأول الآيات (٦–٥٥)، وفيها التأله على الله، وطغيان السلطة المتمثلة بالظاهرة الفرعونية " المتمثلة بالاستكبار على الله وتشيع الناس لطوائف متفرقة متناحرة، فبدأت بميلاد إمام المستضعفين من بني إسرائيل –موسى عليه السلام– بدأت بتربص فرعون به قبل ميلاده ونجاته منه، إلى هلاك فرعون وقومه، وفي قصة موسى–عليه السلام– ظهرت حكمة الله وواسع علمه في تسخير الكون كله بما فيه لتحقيق أمره، وتحقيق التمكين لموسى وقومه، فنصر الله المستضعفين، وهلك فرعون المستعلي على الله وجنده.

المقطع الثاني الآيات(٥٦–٧٥) ظهر فيه طغيان الغواية، وانغماس القرى بالنعم ولذات الدنيا والركون إليها عن الآخرة، المتمثل بظاهرة "الأمم المترفة "، فجاءت آيات هذا المقطع تبين جحدهم لنعم الله عليهم باتخاذ شريكا على هواهم، فكذبوا المنذرين حرصا على ما هم فيه من نعم وترف، وتظهر الآيات عاقبة الأمم المترفة في الدنيا والآخرة [٢]، وتأكيد أن أمر الله واقع لا راد

---

١ قطب، في ظلال القرآن (ج٦/ص٣١٧)
٢ ينظر السعدي، تفسيره، (ص٦٢٠–٦٢٣)

له إلا من تاب وأناب، وأنّهم وشركاءهم المزعومين لا يملكون من أمرهم شيئا يوم يشهد عليهم الشهداء ويعدمون البرهان على جريمة الشرك بالله وتكذيبهم المرسلين.

وجاءت آيات **المقطع الثالث** (٧٦-٨٤) تبين طغيان كنز الأموال وتكاثرها في "الظاهرة القارونية"، وتقرر قواعد الثبات في فتنة المال، المتمثلة في فتنة قارون، وقارون هو رجل من قوم موسى، من بني إسرائيل[١]، زاده الله من نعمه فكفر، وأشرك بالله شرك ربوبية حين زعم أنّه رازق نفسه ما عنده من مال، ولم يكن من الشاكرين، فاستدرج بكثرة المال، ولم تكن الفتنة له وحده؛ إنما سجلت مواقف القوم منه، فمنهم من نصح له، وحذره من الفرح وكفران النعم، ومنهم من تمنى ما عنده، وعيب على هذا التمني، أنّ قارون فتن فكفر وجحد، وفي الآيات تقرير قواعد قرآنية في استخدام نعم الله على عباده[٢]، ملخصة في قوله تعالى: " لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ " القصص(٧٦-٧٧)، وفي بيان أنّ الإيمان بقدر الله وقضائه ينافي الفرح والاستعلاء، ويربي النفس على التواضع والخشية، ويجعل في القلوب صفاء وطمأنينة، بحيث إن المؤمن لا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه الله عزّ وجلّ، وختمت السورة[٣] ببشرى النبي-صلى الله عليه وسلم- وتثبيته؛ فبعد أن أكدت المقاطع السابقة نفاذ أمر الله -عزّوجلّ- ونصرته للمستضعفين، واستدراجه للمفسدين، جاء المقطع الأخير بوعد من رب العالمين لرسوله-صلى الله عليه وسلم- بالعودة لمكة منتصرا، فكان أذاهم له سببا في هجرته-صلى الله عليه وسلم- وعودته فاتحا منتصرا[٤]، والترابط بين مقدمة السورة وخاتمتها واضحٌ جليّ، حيث قص الله على نبيه قصة تحقق وعده للمستضعفين من بني إسرائيل، وتحقيق التمكين لهم، فكان في الخاتمة وعد للنبي-صلى الله عليه وسلم- بنصره و التمكين له وللمسلمين المستضعفين في مكة، وأنه سيعود فاتحا منتصرا، وأنه سيكون له أمة وشريعة كما كان لموسى عليه السلام[٥].

---

١ ينظر الطبري، تفسيره، (ج١٩/ص٦١٧)

٢ ينظر الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م، مع قصص السابقين في القرآن، دروس في الإيمان ولادعوة والجهاد، ط٥، دمشق- دار القلم. (ص٥٨٤-٦٠٠)

٣ ينظر سورة القصص الآيات(٨٥-٨٨)

٤ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص١٩٣)

٥ ينظر خلة، محمود عبد الخالق، سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية، بحث تكميلي لنيل درجة الماجسترمن الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف د. محمود أبو زور، ص٥٧

العلاقة الثانية: بين اسم السورة ووحدتها الموضوعية.

سميت السورة باسم القصص في المصاحف، ولم يطلق عليها اسم آخر، ووجه تسميتها بهذا الاسم أنّ الله تلا فيها على نبيه –صلى الله عليه وسلم – قصة موسى وفرعون فقال تعالى: ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص(٣)، وفيها قص موسى –عليه السلام– على الشيخ الكبير قصته مع قومه وخروجه منها، ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص (٢٥)، فكانت قصص لحكاية قصص، فكانت القصص متوغلة فيها[١]، وتظهر العلاقة بين اسم السورة ومقاصدها في دور تلك القصص في بيان ظواهر الطغيان الثلاث التي تهلك بها الأمم في الدنيا والآخرة، وفي تحقق أمر الله بهلاك المستعلين، وذلك أول درجات التمكين للمستضعفين الوارثين الأرض من بعد الطغاة.

العلاقة الثالثة: بين سورة القصص والسورة المجاورة لها"سورة "العنكبوت"

ظهر التناسب بين السورتين في ترابط الموضوعات ومناسبة خاتمة سورة القصص مع مقدمة سورة العنكبوت، فلما قصت سورة القصص ما كان من خبر موسى مع فرعون وهامان وجندهم، وفتنة قارون وهلاكهم جميعا، جاءت سورة العنكبوت تعرض بإيجاز قصص السابقين من الرسل، وتبين عاقبة الكافرين، وهلاك فرعون وهامان وقارون، في قوله تعالى:" ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ﴾ العنكبوت (٣٩)، وتمثل لبنيانهم في الدنيا ببيت العنكبوت في الوهن والضعف، وختمت سورة القصص بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ القصص (٨٨)، فأكدت الخاتمة وحدانية الله، وهلاك كل ما يعبد سواه، وانفراد الله المطلق في الحكم على خلقه وتدبير شؤونهم، وتؤكد البعث والحساب[٢]، وفي مطلع سورة العنكبوت جاءت الآيات تؤكد ذلك المعنى، ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٦١)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص١٩٣)

﴿ يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ العنكبوت (٥، ٦)، وتحث المؤمنين على الاجتهاد في طاعة الله والاستعداد للقائه، وتبين حاجة الناس لله وغناه عنهم عزّ وجلّ[١].

والعلاقة بين وحدتي السورتين علاقة تكامل، فالقصص تحدثت عن عواقب الطغيان، وأكدت نفاذ أمر الله وتحقق وعده بنصر المؤمنين، بإن يكون إهلاك عدوهم بداية التمكين لهم، وأما سورة العنكبوت فبينت الدرجة التالية في التمكين، درجة التمحيص بالفتن، فالتمكين لا يكون إلا بعد البلاء، الذي بدأت به سورة العنكبوت.

ثانيا: خصائص سورة القصص مضمونا وأسلوبا.

في سورة القصص موضوعات وقضايا قرآنية متنوعة، اختصت السورة بطرحها وبيانها بطريقة تناسب وحدتها الموضوعية وجوها العام.

اولا: المضامين التي اختصت بها سورة القصص

١- في السورة ظهر وجه من وجوه الإعجاز الغيبي في سرد قصص السابقين، حيث تضمنت السورة في عدة مواطن، أخبارا للسابقين لا علم للنبي- صلى الله عليه وسلم – بها، وإنما علمها بعد أن أوحاها الله تعالى إليه، وهي دليل صدق فيما يبلغه عن ربه، وتكامل هذه الوجه مع الإعجاز البياني في تناسب هذه الأخبار في سردها مع مقاصد السورة، ووحدتها، ففي كل مرة ذكرت القصة حصل اختلاف في بيانها وجمالها، من زيادة ونقصان، أو تقديم وتأخير [٢]، حيث خُصّت السورة بذكر تفاصيل في قصة موسى عليه السلام لم ترد من قبل، كذكر رعاية آل فرعون له، وقتل القبطي، وشيخ مدين، وفي كل مرة كانت تبين خوف موسى –عليه السلام- ثم النصر والتمكين له، وتشريفه بإمامة المستضعفين من بني إسرائيل.

٢- امتازت السورة بذكر الظاهرة القارونية، قصة طغيان الكنز الذي يقصم صاحبه، ويدمر اقتصاد الأمم، فذكرت قصة قارون بالتفصيل، وقد جاءت في سور القرآن موجزة في سورتين[٣]، فكان فيها نسبه، وعظم الكنوز التي أوتي، وافتتانه وافتتان كثير من حوله بما أوتي، وعاقبة كفره وجحده حيث خسفت به الأرض،:"

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر(ج٥/ص٥٣٥)

٢ ينظر باشا، أمين محمد عطية، التكرار في قصص القرآن، دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام، ص١١

٣ ينظر سورة العنكبوت، الآيات(٣٩-٤٠)، وغافر الآيات(٢٣-٢٤)

٣- ظهر في السورة أساليب الطاغية في استعباد شعبه، في قوله تعالى:" ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ القصص(٤)، فالطريق لاستعباد الشعوب هو تفريقهم لطوائف متشيعة، فيقوم بزرع الخلاف بين هذه الطوائف ويشغل بعضها ببعض، فلا تستقر بينهم الأمور، ولا يتفرغون للتفكير فيما يقلقه ويهزّ عرشه من تحته، فيظل هو مطلوباً من الجميع، وفي ذلك دليل على بطلان ألوهيته، لأن الإله لا يفرق بين عباده بل يجمعهم[١]، ودلت الآية أنه لم يكتف بتفريقهم بل استضعف طائفة منهم، فذبح أبناءهم، واسترق نساءهم، وقد حدث الذبح قبل ميلاد موسى وبعد بعثه، كما جاء في سورة الأعراف:" **(وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ..)** الأعراف(١٢٧)، والغاية من ذلك الذبح، كان تقليلهم خشية أن يكثروا فيتعاظموا وتقوى شوكتهم فيسلبوا ملكه[٢]، وتضمنت السورة أن الطاغية المستبد لابد له من جند ظلمة ينقادون خلفه، ويتبعون أمره، لذلك قال تعالى في حق فرعون، ﴿ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ القصص (٦).

٤- تضمنت السورة آيات تستنبط منها عدة تشريعات، كجواز اخذ الأجرة على الكفالة والإرضاع، وعقد الأجرة على منفعة من المنافع، كعقد موسى والشيخ الكبير، وجواز عقد الأجرة بلا شهود، وجواز طلب الرجل للنكاح، كما فعل الشيخ الكبير عندما طلب من موسى أن ينكح إحدى ابنتيه، وفيها جواز العقد على التخيير للبائع، كقوله بعتك إحدى الأرضيين، فأيهما باعه فقد استوفى شرطه[٣].

ثانيا: الخصائص الأسلوبية في سورة القصص

١- جاءت كلمة " القصص" في القرآن الكريم أربع مرات، في "آل عمران- الأعراف- يوسف- القصص[٤]"، وتشابهت سورة القصص مع سورة يوسف[٥]، حيث أن نهاية سورة يوسف كانت بداية حكاية بني إسرائيل في مصر، وسبب استضعاف فرعون وقومه لهم، وتشابهتا في إظهار وجه من وجوه

---

١ ينظر الشعرواي، تفسيره، (٣١٤٨ص)
٢ ينظر السعدي، تفسيره، (٦١١ص)
٣ ينظر حوى، الأساس، (ج٧/ص٤٠٧٦)
٤ ينظر السور، "٦٢-١٧٦-٣-٢٥"
٥ من السور المكية ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٣/ص٢٣٠).

الإعجاز البياني في القصص القرآني، حيث حدث في السورتين الأطناب المعجز في سرد قصص السابقين في مكة وقبل اختلاطه باليهود بلسان العرب المبين، دليل صدق مصدرية القرآن وعلوه على غيره من الكتب السابقة[١]، وفي السورتين افترقا عن والديهما، وابتليا في شبابهما؛ الأول بزوجة العزيز تراوده عن عفته، فسجن ظلما، والثاني- موسى عليه السلام- بقتله المصري وتآمر القوم عليه، وخروجه من بلده وأهله هاربا، وظهر توكلهما واستعانتهما بالله في حياتهما حتى قبل بعثهما.

٢- تشابهت سورة "طه"[٢]، مع سورة القصص في المطلع، الذي بدأ بالحروف المقطعة المعجزة ثم الثناء على القرآن، وتشابهت السورتان في تكامل القصص المعجز في حكاية موسى- عليه السلام- ميلاده وبعثه، فذكر مفصلا في سورة القصص، ومجملا في سورة "طه" وفيها جاء جانب من حياته وبعثه لفرعون، وحكايته مع بني إسرائيل، واختلفت مع سورة القصص أنّ قصة موسى-عليه السلام- في القصص انتهت بهلاك فرعون، فناسب قوله تعالى:" ﴿ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ القصص (٣)، بينما سورة "طه" ذكرت خبرا من حديثه مع بني إسرائيل، فناسب مقدمة القصة في السورة **{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}** طه [٩]،و ذكر ميلاده -عليه السلام- في سورة "طه" كان في سياق تعدد النعم عليه، عندما سأله أن يشرح له صدره، في قوله تعالى:" ﴿ **قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ** ﴾ طه (٣٦، ٣٧، ٣٨)، بينما مقصد القصة في سورة القصص في هو

---

١ من التشابه بين السورتين أيضا:"أن السورتان افتتحتا بالحروف المقطعة؛ التي تليها الثناء على القرآن الكريم، وذكر في سورة يوسف أن فيها أحسن القصص، قال تعالى:" **{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢) نَحْنُ نَقُصُّ= =عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ.. }** (يوسف: ١ – ٣)، وتشابهت مع سورة القصص في إظهار حكمة الله تعالى وعظيم مقدرته و نفاد أمره، وذلك في تحقق رؤيا يوسف-عليه السلام- رغم كيد أخوته، وكان الابتلاء الذي تعرض له طريقا نحو تحقيق تلك الرؤيا، كما كان نفاد أمر الله في موسى رغم تربص فرعون له منذ ولادته، فكلاهما ألقيا والتقطا، الأول في الجب، والثاني في اليم.

ويظهر التشابه بينهما في الايتين التاليتين: قوله تعالى:-**و(لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)**يوسف(٢٢)، **(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)**القصص(١٤)، وشهد الغير لهما بحسن الخلق، في قوله تعالى على لسان الملك:- **(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)** يوسف(٥٤)، وفي قول بنات الشيخ الكبير عن سيدنا موسى في قوله تعالى:-**)قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ)** القصص (٢٦)، وفيهما توجيه النبي-صلى الله عليه وسلم- في دعوته يقول تعالى في سورة يوسف **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** وفي سورة القصص **(وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** القصص (٨٧)." فكانت سورة يوسف أحسن القصص لأنها انتهت بتوبة وندم الذين كادوا له، بينما قصة موسى-عليه السلام- انتهت بإصرار فرعون على الكفر وهلاكه وقومه، و في كل ذلك تأكيد تمكين الله لعباده المستضعفين في الأرض ينظر البقاعي، نظم الدرر،(ج٤/ص٣)، وابن عاشور، التحرير، (ج١٢/ص١٩٨)

٢ من السور المكية، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٤٥)

بيان عاقبة استعلاء فرعون، وظلمه للناس واستعبادهم، وكان فيه بشارات النصر والتمكين لدعوة النبي –صلى الله عليه وسلم، وفي سورة "طه" كان في بيان نعم الله على موسى–عليه السلام– وقومه، وفيه تثبيت النبي–صلى الله عليه وسلم– والتمنن عليه بنعمة القرآن[١].

٣– أكثر فواصل سورة القصص لأسماء وأفعال جمع، فتضمنت الفاصلة اسماء وأفعال لأهل الثبات في الدنيا، أو الطاغين من أهل النار، وذلك أنّ الصراع كان بين مريدي الآخرة ومريدي الدنيا ظاهر واضح في قصص السورة وموضوعاتها، وأكثر صفات الثابتين جاءت بصيغة الاسم لتدل على ثباتهم عليها (المتقين، المنتصرين، المرسلين، المؤمنين، الناصحون، المحسنين، المصلحين، الناصحين، الأمنين، الغالبون،المسلمين، الصادقين، الشاهدين، المهتدين، الوراثين، المفلحين، الصابرون" وتضمنت أفعالا لهم: " يؤمنون، يتذكرون، ينفقون، يهتدون"، وتضمنت الفواصل جلّ صفات أهل النار، وجاءت تارة بالصيغة الاسمية وتارة بالصيغة الفعلية لتبين تذبذب أحوالهم، وعدم استقرار نفوسهم،وهي (المفسدين، خاطئين، مجرمين، الظالمين، فاسقين، الكاذبين، المقبوحين، الجاهلين، المُحضرين، الفرحين، الكافرون، المشركين" ومن الأفعال التي دلت عليهم في فاصلة السورة (يحذرون، لا يشعرون، لا يعلمون، يقتلون، يكذبون، لا ينصرون، أفلا تعقلون، تزعمون، لا يتساءلون، يشركون، ما كانوا إيانّا يعبدون، أفلا تسمعون، أفلا تبصرون، يفترون"[٢].

٤– تضمنت آية في السورة لمحة بلاغية عجيبة، في قوله تعالى:" ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ القصص(٧)، قال ابن عاشور:" كانت هذه الآية مثالاً من أمثلة دقائق الإعجاز القرآني فعن الأصمعي: أنه سمع جارية أعرابية تنشد:

أستغفر الله لأمري كله قتلت إنساناً بغير حله

مثل غزال ناعماً في دله انتصف الليل ولم أصـــلّه

وهي تريد التورية بالقرآن، فقال لها: قاتلك الله ما أفصحك!–..فقالت له: أو يعد هذا فصاحة مع قوله تعالى { وأوحينا إلى أم موسى..)فجمع في آية واحدة خبرين، وأمرين، ونهيين،

---

١ ينظر عباس، فضل، قصص القرآن الكريم، ص٤٧٨–٤٨٨

٢جاءت الفواصل المختلفة لتتضمن صفات حسنة أيضا "كتاب مبين، من خير فقير، الأمين، شيخ كبير" وصفات سيئة" مضل مبين، لغوي مبين، ذو حظ عظيم"، ومن أسماء الله وصفاته جاءت أربع فواصل " الغفور الرحيم، وكيل، رب العالمين" للمزيد الإطلاع حول التناسب بين الفواصل والايات التي وردت فيها، ينظر الشرافي، ريم، ٢٠١٠م المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، (دراسة تطبيقية للسور، القصص والعنكبوت، والروم) رسالة ماجستر مقدمة للجامعة الإسلامية في غزة قسم التفسير وعلوم القرآن، إشراف د.زهدي أبو نعمة.

وبشارتين"، فالخبران هما { وأوحينا إلى أم موسى } وقوله { فإذا خفت عليه } لأنه يشعر بأنها ستخاف عليه، والأمران هما: { أرضعيه } و (ألقيه)، والنهيان: { ولا تخافي } و { لا تحزني }، والبشارتان:{ إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين }[١]"

٥- انفردت السورة بعدد من الأبنية التي لم تذكر في القرآن الكريم وهي " لاقيه، متعناه، امرأتين، تمُنّ، تمنوا، فنبذناهم، نجوتَ، نادينا، تنس، استنصره، منتصرين، لتنوّأ، يهديني، هالك، توجه، ورد، فأوقد، فوكزه،ءاتاك، يؤتون، بأخيك، لأخته، أيّما، لتبدي، تبرأنا، برهنان، بطرت، يبطش، تبغ، البقعة، وأتبعناهم، ثاويّا، ليجزيك، جاعلوه، أجبتم، حجج، وأحسِن، استحياء، نتخطّف، يختار، وبداره، يذبّح، فذانك، ترجوا، ردءا، رددناه، لرادّك، الرعاء، ركبوا، الرهب، مراضع، فسقى، سقيت، يسكن، فأسكنه، أشق، يصدنك، يُصدقني، يستضعف، فتطاول[٢]"

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

انفردت السورة بثماني انفرادات لفظية لم تتكرر في القرآن الكريم وهي " البقعة، جذوة، تذودان، ردءا، أفصح، المقبوحين، لتنوء، فوكزه[٣]"، ويتضمن هذا المطلب دراسة لهذه الدلالات وربطها بالوحدة الموضوعية للسورة.

الانفرادة الأولى:"فوكزه" في قوله تعالى ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القصص (١٥).

جاءت الانفرادة في سياق قصة موسى-ليه السلام- في مرحلة شبابه، وتعرضه لمحنة قتل نفس، وتداعيات هذه المحنة وأثرها في حياة موسى-عليه السلام.

أولا: دلالة مادة " وكز" في اللغة

أصل اللفظ من "وكز" وهو من الضرب أو الطعن أو الدفع بجمع الكف[٤]، قال ابن منظور--(ت٧١١ه)- في اللسان: وكَزَهُ وَكْزاً دفعه وضربه مثل نَكَزَه، والوَكْزُ الطعن، ووكَزَه أيضاً طعنه بجُمْع كفه،... وقيل وكَزَه أي ضربه بجُمْع يده على ذقنِه، وفي حديث موسى عليه السلام فَوَكَزَ الفِرْعَوْنِيَّ فقتله؛ أي نَخَسه، وفي حديث المعراج إذ جاء جبريل عليه السلام فَوَكَزَ

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٧٤-٧٥)

٢ ينظر سورة القصص الآيات(٦١-٦١-٢٣-٥-٨٢-٤٠-٢٥-٤٦-٧٧-١٨-٨١-٧٦-٢٢-٨٨-٢٢-٢٣-٣٨-١٥-٧٧-٥٤-٣٥-١١-٢٨-١٠-٦٣-٣٢-٥٨-١٩-٧٧-٣٠-٤٢-٤٥-٢٥-٧-٦٥-٢٧-٧٧-٢٥-٥٧-٦٨-٨١-٤-٣٢-٨٦-٣٤-١٣-٨٥-٢٣-٦٥-٣٢-١٢-٢٤-٢٥-٥٨-١٨-٢٧-٨٧-٣٤-٤-٤٥).

٣ ينظر سورة القصص الآيات (٣٠، ٢٩، ٢٣، ٣٤، ٣٤، ٤٢،٧٦، ١٥).

٤ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٥/ص٣٧٤)، الزجاج، معاني القرآن، (ج٢/ص٥٣١)، وابن فارس، المقاييس، (ص١١٠٣)، الزمخشري، الأساس،(ج٢/ص٢٩٩) الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٤١٣).

بين كَتِفَيَّ[١].... وقيل وكَزَه بالعصا وروى عن بعضهم رمح مَرْكُوزٌ ومَوْكوزٌ بمعنى واحد،.. ويقال وكَزْتُ أنفه أكِزُه إذا كسرت أنفه ووكَعْت أنفَه فأنا أكَعُه،....وكَزْتُه ونكَزْتُه ونَهَزْتُه ولَهَزْتُه بمعنى واحد، ووكَزْتُهُ الحية لدغته، ووكَزَ وكْزاً ووكَزَ في عَدْوِه من فَزَع أو نحوه[٢].

ويظهر من دلالة مادة الانفرادة أنها تدل على نوع من أنواع الدفع، وهيئته بقبض اليد، وليس في دلالة المادة ما يدل على قوة هذه الدفعة، وقد يقصد منها التنبيه فقط، وقصد بجمع الكف، ونقل بعض المفسرين[٣]عن الفراء–(ت٢٠٧ه)–: أنّ الوكز هو بأطراف الأصابع، ولم تجد الباحثة هذا التفصيل عند الفراء، إنما قال الفراء:" قوله: {فَوَكَزَهُ مُوسَى} يريد: فَلَكزه. وفى قراءة عبد الله {فَنكَزَهُ} ووَهَزه أيضاً لغة، كلٌّ سَوَاء.[٤]" قاله الزمخشري في تفسيره، ورجحه على الدفع بجمع الكف[٥].

ثانيا: دلالة الصيغة "فوكزه" في السياق.

جاءت الانفرادة بصيغة الماضي المسبوقه بفاء التعقيب والترتيب، في جملة معطوفة على ما قبلها، في قوله تعالى: "**فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ.**" دل اللفظ القرآني أن موسى عليه السلام أراد الدفع ولم يرد القتل، وإلا لكان اللفظ "فقتله" عوضا عن وكزه، فبين لفظ الوكز مقصد موسى؛ فإنّ الوكز لا يدل على مقصد القتل، فهو من أشكال الضرب باليد على الصدر، والمفهوم من التعبير أنها وكزة واحدة كان فيها حتف القبطي، ودل لفظ "فقضى عليه" المسبوق بفاء السببية أن موته حدث بسبب تلك الوكزة، مما يشير إلى قوة موسى وفتوته، ويدل على قوله بعدها: ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ القصص(١٥–١٦)، "، فما رأه جثة هامدة حتى استرجع وندم على فعلته، وعزاها إلى الشيطان وغوايته؛ فقد كانت من الغضب، والغضب شيطان، أو نفخ من الشيطان...ثم استطرد في فزع

---

١ الحديث ضعفه الألباني، في سلسلة الضعفاء، رقم الحديث (٥٤٤٤)
٢ ابن منظور، لسان العرب، (ج١٥/ص٢٦٩).
٣ ينظر ابن عجيبة، البحر المديد، (ج٥/ص ٣٨٩)، والثعالبي، الكشف والبيان، (ج٧/ص٢٤١).
٤ الفراء، معانى القرآن (ج٣/ ص٢٧٣).
٥ ينظر الزمخشري، الكشاف، (ص٧٩٦)

مما دفعه الغضب إلى فعله، فأعترف بظلمه لنفسه أن حمّلها هذا الوزر، ويتوجه إلى ربه، طالباً مغفرته وعفوه[١].

ثالثا: العلاقة بين الانفراد"فوكزه" والوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفرادة في سياق الحديث عن فترة شباب موسى –عليه السلام– وبلوغه القوة والعقل واللب، ثم كانت حادثة قتل القبطي، وفيها دلالات على عدة أمور، أولا: أنّ موسى رغم تربيته في بيت فرعون إلا أنه كان يميز أصله وقومه، ويعلم من هم شيعته، ثانيا: دلت الحادثة على أنه كان مصلحا وإلا ما استغاثه به الرجل، ثالثا: دلت الآيات أن موسى –عليه السلام– كان ذا قوة وبطش، رابعا: أنه كان صحيح العقيدة يميز أنّ الشيطان عدو له يوسوس للناس بالشر ويحثهم عليه، وأنّ الله يغفر الذنب ويصفح عن المذنب، والرابط بين الانفرادة ووحدة السورة، أنّ اللفظ كشف نية موسى–عليه السلام– فهو لم يكن يريد القضاء عليه، ولكن قضاء الله تم، فكانت تلك الوكزة سببا في خروجه لمدين لتكمل صناعته وتحضيره لحمل الرسالة[٢].

وتبين الانفرادة وجود معيار الاستعلاء عند موسى–عليه السلام– فهو صاحب قوة وبطش، وله شيعة يأتمرون بأمره، ولكنه استخدم تلك المعايير في نصر المستضعفين لا الطغيان عليهم.

الانفرادة الثانية: "تذودان" في قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص (٢٣)

تحكي الآيات السابقة هروب موسى –عليه السلام– من قوم فرعون، الذين يتربصون به، بعد حادثة مقتل القبطي، فانتهى به الأمر في أرض مدين، فجلس بيستريح عند بئر، وهنا جاءت الانفرادة في سياق الحديث عن امرأتين تحاولان أن تسقيا لدوابهما.

أولا: دلالة مادة" ذود" في اللغة

أصل الذود في اللغة، الدفع والحبس، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–:الذَّوْد من الإبل من الثلاث إلى العشر، وذُدْتُه أذودُه عن كذا أي دَفَعْتُه.[٣]". وقال الفراء–(ت٢١٥ه)–: لا يجوز أنّ تقول ذُدت الرجل حبسته، وإنما كان الذِّياد حَبْساً للغنم لأن الغنم والإبل إذا أراد شيء منها أن

---

١ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٣٠)و الآلوسي، روح المعاني، (ج٢٠/ص٥٤).
٢ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٤/ص٢٠٠–٢٠١)، وابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٩٩–١٠٠)
٣ الفراهيدي، كتاب العين (ج٨/ص ٥٥).

يَشِدّ ويذهب فرددته فذلك ذَوْد؛ الذود الحبس.[١]"، وفي مقاييس اللغة:" الذال والواو والدال أصلان: أحدهما تنْحِية الشّيء عن الشيء، والآخَر جماعةُ الإبل، ومحتملٌ أن يكون البابان راجعَين إلى أصل واحد.فالأوّل قولهم: ذُدْت فلاناً عن الشيء أذُودُه ذَوْداً، وذُدْت إبِلي أذودُها ذَوداً وذِيادا، ويقال أذَدْتُ فلاناً: أعنتُه على ذِياد إبِلِه، والأصل الآخر الذَّوْد من النَّعَم. قال أبو زيد: الذَّود من الثلاثة إلى العشرة[٢]." وبمثل هذا قال أصحاب المعاجم[٣]، وقد جاء ذكر الذَّود في حديث الحوض (إني لَبِعُقْر حَوْض أذُودُ الناسَ عنه لأهل اليَمن)[٤] أي أطْرُدهم وأدْفَعُهم.

– وفي حديث عليّ (وأمَّا إخوانُنَا بنو أُمَية فقَادَةٌ ذَادَةٌ) [٥] الذَّادَةُ جمعُ ذَائد: وهو الحَامِي الدَّافعُ. قيل أرَادَ أنهم يَذُودُون عن الحَرَم. – ومنه الحديث (فَلَيُذَادَنَّ رجالٌ عن حَوضي) [٦] أي لَيُطْرَدَنَّ ويُروى: فلا تُذَادُنَّ: أي لا تَفْعلوا فِعلاً يُوجب طَرْدَكم عنه والأوّلُ أشْبَه.[٧]" وفي كل ذلك دلالة الطرد والدفع.

ظهر من تتبع دلالة المادة أن فيها معنى الحبس والطرد، وليس فيه معنى التصادم، وناسبت السياق لأن الامرأتين كانتا معها دواب وهي تستعمل أيضا في حبس ودفع الدواب، ودل أيضا على ضعف ابنتي الشيخ الكبير، ودل على وجود ما يحبسهما عن السقي.

ثانيا: دلالة الصيغة "تذودان" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة المضارع من الأفعال الخمسة، وحذف مفعوله، وفي استخدام المضارع في قصة دخول موسى–عليه السلام– مدين، دلائل منها؛ سياق القصة للماضي ولكن الحدث يصور للمخاطب أحداث المشهد، فقال تعالى"وجد" أي أن الامرأتين كانتا تقومان بهذا الفعل لحظة إيجاد موسى لهما، ودل اللفظ أن موسى عليه السلام لم يلتفت لهما إلا لوجود خطب، وهذا الخطب كان في فعلهما "تذودان"، وقد استعير لفظ الذود للبنتين لأنه يدل على الضعف والهوان، ويدل على خطبهما؛ وهو حبسهما ودفعهما وطردهما عن الماء، ويدل على حيائهما فلا تزاحمان الرجال، وحرصهما على غنمهما من الاختلاط بغيرها من الأغنام [٨].

---

١ الفراء، معانى القرآن (ج٣/ص ٢٧٥)
٢ ابن فارس المقاييس، (٣٩١ص)
٣ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن،(ص ١٣٨)، وابن منظور في لسان العرب، (ج٦/ص٥١).
٤ أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم (٦٠٥)
٥ ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، النهاية في غريب الحديث والأثر، المكتبة العلمية، بيروت، تح:طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، (ج٢/ص٤٢٦)
٦ أخرجه مسلم في صحيحه، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، حديث رقم (٦٠٧)
٧ ابن الجزري، النهاي في غريب الحديث والأثر، (ج٢/ص٤٢٦).
٨ ينظر أبي السعود، تفسيره،(ج٧/ص ٨)، وأبي حيان، البحر المحيط، (ج٧/ص١٠٨)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣ج/ص٤٦٦).

وحذف مفعول الفعل لم يكن لفعل تذودان فقط، إنما حذف المفاعيل الأربعة من السياق للأفعال" يسقون- تذودان- لانسقي- فسقى لهما" لأن الغرض الأصلي هو الاهتمام بالفعل، وتوفير العناية بإثبات الفعل المطلق، يقول عبد القاهر الجرجاني-(ت٤٧١ه)- عن الآية:" فيها حذفُ مفعولٍ في أربعةِ مواضعَ إذ المعنى: وجدَ عليه أمة منَ الناس يسقون أغنامَهم أو مواشِيهم وامرأتين تَذودانِ غنمهما وقالتا: لا نَسقي غَنمنا فسقى لهما غنمهما، ثم إنه لا يَخفى على ذي بَصَرٍ أنه ليس في ذلك كلّه إلا أن يُتركَ ذكرُه ويُؤتى بالفعل مُطلقاً، وما ذاك إلاّ أنَّ الغرضَ في أن يعلمَ أنه كان منَ الناس في تلك الحال سَقْيُ ومن المرأتين ذوْدٌ وأنهما قالتا: لا يكون مِنَّا سَقْيٌ حتى يُصدِرَ الرِّعاء وأنه كان مِن موسى عليه السلام من بَعْدِ ذلك سَقيٌ. فأمّا ما كان المسقيُّ غنماً أم إبلاً أم غيرَ ذلك فخارجٌ عن الغرضِ ومُوْهِمُ خلافِه[١]."

ثالثا: علاقة الانفرادة "تذودان" بالوحدة الموضوعية للسورة.

أظهرت الانفرادة بلاغة القرآن وبيان إعجازه في استخدام مفردة قرآنية تحمل دلالات ومعاني عديدة تصور الحدث، وتبين دقائق المشهد وتفصيله في مادتها وصيغتها ونظمها، فعبرت الانفرادة "تذودان" عن حالة ضعف ابنتي الشيخ الكبير، وعن حرصهما على أنفسهما وعلى ما يرعيانه من الغنم من الاختلاط، وناسب اللفظ -دون غيره من المعاني المقاربة؛كالطرد والحبس والدفع- السياق لأنّه حمل معاني هذه الألفاظ وزاد عنها بخصوصية التنحية، وعدم التصادم، وفيه ظهرت صفات بنات الشيخ- فأحدهما ستكون من آل موسى -عليه السلام- أولا: حياء البنتين، وضعفهما، وتسلط الرعاء عليهما، ودل على على فقرهما، فلو كانتا تملكان المال لاستأجرتا من يسقي لهما، وأمانتهما في حرصهما على ما ترعيان.

وناسبت هذه الدلالات وحدة السورة التي ظهر فيها تمكين الله لموسى عليه السلام بعد خوفه وهربه من قوم فرعون، ويظهر فيها طغيان أقوياء الرعاء على المستضعفين منهم، وسلبهم حقهم في السقي، فيحبسون الضعفاء ويطرودنهم عن ملكهم، بينما استخدم موسى-عليه السلام- تلك القوة في نصرة المستضعفين ومساعدتهم[٢].

---

١ الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، ١٤١٣ه-١٩٩٢م، كتاب دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه:محمود محمد شاكر، ط٣، مصر، مطبعة المدني. شركة القدس للنشر والتوزيع. (ص١٣٢)

٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص٣٣٧-٣٣٨-٣٣٩)

الانفرادة الثالثة " **جذوة**" في قوله تعالى ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ القصص(٢٩).

مازالت الانفرادات تتوالى في سياق قصة موسى –عليه السلام– بعد مشهد وكز القبطي، وخروجه لمدين ولقائه بابنتي الشيخ تذودان، ثم تأتي الانفرادة الثالثة في سياق الحدث الأهم في قصة موسى –عليه السلام– ألا وهو بعثه.

أولا: دلالة مادة" جذو" في اللغة.

جذوة أصلها من "جذو" وهو الانتصاب، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–:والجُذُوُّ: اللّزومُ للمَوْضِعِ وهو في كلِّ شيءٍ يقال: جذا القُرادُ في جَنْب البعير لشدّة التزامه[١]."

قال أبو عبيدة–(ت٢٢٤ه)– في مجاز القرآن" جَذْوَةٍ مِنَ النَّار " أي قطعة غليظة من الحطب ليس فيها لهبٌ وهي مثل الجذمة من أصل الشجرة وجماعها الجذاء.[٢]" وفي المقاييس "الجيم والذال والواو أصلٌ يدلّ على الانتصاب. يقال جَذَوْتُ على أطراف أصابعي، إذا قمت.[٣]"

قال الأصفهاني–(ت٥٠٢ه): :الجذو والجذوة: الذي يبقى من الحطب بعد الالتهاب، والجمع: جذى.. ويقال: جذا القراد في جنب البعير: إذا شد التزامه به، وأجذت الشجرة: صارت ذات جذوة، وفي الحديث: (كمثل الأرزة المجذية)، أي الثابتة.[٤]".

وفي الأساس:" جذا القراد في جنب البعير.. إذا ثبت وارتكز، ومنه جذوة الشجرة: أصلها،.. وأتى بجذوة من نار وهي عود في رأسه نار، و" مثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على الأرض " أي الثابتة.... ومن المجاز: فلان جذوة شر.[٥]"

ويظهر من دلالة المادة في المعاجم، أنها تعبر عن بقايا حطام منتصب فيه آثر اشتعال من غير لهب، وقد جاء في قصة إيناس موسى للنار لفظان يحملان دلالات قريبة." قبس– شهاب قبس" في قوله تعالى:" ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴾طه (١٠)، ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾

---

١ الفراهيدي، كتاب العين (ج٦/ص ١٧١)
٢ أبو عبيدة مجاز القرآن (ص: ٩٢)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص٢٠٨)
٤ الأصفهاني، مفردات القرآن، ص٧٠.
٥ الزمخشري، أساس البلاغة، (ج١/ص١٠٨)

النمل (٧)، ويظهر من اختلاف المفردات التي تدل على ما سيأتي به موسى من النار التي آنسها تدل أنّه حوار متعدد بين موسى –عليه السلام وأهله، فإن وجد قوما أتى بخبر، وإن وجد نارا أتى بشهاب قبس منها، أي نار مشتعلة، أو يأتي بقبس أي عود مشتعل، أو حتى جذوة وهي بقايا النار، من الجمر لعل أهله يصطلون بها [١].

ثانيا: دلالة الصيغة" جذوة " في السياق

لما قضى –موسى –عليه السلام– مدة عقده، وسار بأهله إلى "مصر" أبصر من جانب الطور نارًا، قال موسى لأهله: اصبروا إني آنست نارًا؛ لعلي آتيكم منها بنبأ، أو آتيكم بشعلة من النار لعلكم تستدفئون بها[٢].

وجاءت الانفرادة على صيغة "فَعلة"، اسم المرة، وأريد بها بيان حصول الجذو للعود مرة واحدة، وأراد موسى عليه السلام طمأنة أهله أن أقل ما يمكن كسبه من النار التي رآها هو عود متجمر يصلح لإنارة نار لهم يصطلون بها، ودلالة استخدام الجذوة أنّ العود المتجمر يدل أنّ النار التي يراها هي نارٌ شديدة التوقد، وأن أعوادها متجمرة، وأكد شدتها بقوله "من النار" للمبالغة في تأكيد عظم ما رأى، وأنّها من قوتها تُرى في ظلمات الليل، فوافق استعمال الجذوة أماني أهله بالدفء والأمن[٣].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "جذوة " والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق مشهد يصور الجو العام الذي أحاط بعودة موسى– عليه السلام – إلى مصر مع أهله، فالطريق مظلم موحش، وبرد صحراوي قارس، وهوعائد إلى مسقط رأسه ووطنه، تلفه الشكوك والمخاوف حول ما ينتظره هناك، ووسط كل هذه الظلمات يرى من بعيد نارا فتكون له أنسا، وتظهر الآية أن موسى وحده رأى تلك النار، وإلا ما احتاج لإقناع أهله بضرورة ذهابه لها، وتظهر الانفرادة حاجة موسى –عليه السلام وأهله إلى تلك النار بشدة، ودلت الانفرادة على عظم النار التي رأى، وأنسه بها وشعوره أن ثمة خيرا قادما منها[٤]، وناسب هذا وحدة السورة ومقاصدها، في بيان رعاية الله لرسوله والتمكين له، وفي نفاذ أمر الله في موسى–عليه السلام– حين وعد أمه برده إليها وجعله من المرسلين، فتحقق الرد مرة آخرى لكن

---

١ ينظر الخطيب، عبد الكريم، ١٣٩٥ه– ١٩٧٥م، القصص القرآني، في منطوقه ومفهومه، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ص٥٧–٥٨.

٢ ينظر السعدي، تفسيره، ص٦١٤.

٣ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٣/ص٧٠١)، القرطبي، تفسيره، (ج١٣/ص٢٨١)، ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص١١١).

٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٤٦)

مع كرامة الاصطفاء برسالة من الله، فخرج موسى ليحصل على خبرٍ أو جذوة، فحصل على خبر من السماء، وجذوة حق ستنير طريق بني إسرائيل وتعلو بهم.

الانفرادة الرابعة" البقعة " في قوله تعالى" ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ القصص(٣٠).

مازالت الانفرادات تتوالى في قصة موسى –عليه السلام–، فلما وكز فر ودخل مدين فوجد امرأتين تذودان، فتم الاتفاق والعقد فقضى الأجل فأنطلق عائدا لوطنه، فاستأنس بنار فانطلق إليها لعله يجد جذوة منها، حتى نودي من الشاطىء الأيمن من البقعة المباركة "يا موسى أني أنا الله ربّ العالمين".

أولا: دلالة مادة "بقع" في اللغة

الأصل في البقعة تخالف اللون، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–:"لَوْنٌ يُخالِفُ بَعْضُه بَعضاً مثلُ الغُرابِ الأَسْوَدِ في صَدْرِه بيَاضٌ غُرابٌ أَبْقَعُ وكَلْبٌ أَبْقَعُ، والبُقْعَةُ: قِطعةٌ من أرضٍ على غَير هَيْئَة التي على جَنْبِها، كُلُّ واحِدةٍ منها بُقْعةٌ وجمعُها بقاعٌ وبُقَعٌ، والبَقيعُ: مَوْضِعٌ من الأرض فيه أَرُومُ شَجَرٍ من ضُرُوبٍ شَتَّى؛ والباقِعَةُ: الدّاهِيةُ من الرِّجال، وبَقَعَتْهُمْ باقِعَةٌ من البَواقِع: أي داهِيَةٌ مِن الدَّواهي، وفِي الحديث: (يُوشِكُ أَن يَعْمَلَ عَلَيْكُمْ بُقعانُ أَهْلِ الشّام) يُرِيدُ خَدَمُهُم لبَياضِهِم وشَبَّهَهُمْ بالشَّيْءِ الأَبْقَعِ الذي فيه بَياضٌ يَعنِي بذلكَ الرُّومَ والسُّودانَ.[١]"

قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–:" أصلٌ واحدٌ ترجع إليه فروعُها كلُّها، وإنْ كان في بعضِها بُعْدٌ فالجنسُ واحد، وهو مخالفةُ الألوانِ بعضِها بعضاً،.... وقال بعضُهم للحجَّاج في خيلِ ابنِ الأشْعَث: رأيتُ قوماً بُقْعاً. قال: ما البقع؟ قال: رقَعوا ثيابَهم من سوء الحال، قال الخليل: البُقْعة قِطعةٌ من الأرضِ على غير هيئةِ التي إلى جَنْبها، وجمعها بِقاعٌ وبُقَعٌ... الأبقع من الخيل الذي يكون في جَسَده بُقَعٌ متفرِّقة مخالفةٌ للونه... البَقْعاء من الأرَضِينَ التي يُصيبُ بعضَها المطرُ ولم يُصب البَعْضَ. وكذلك مُبَقَّعَةٌ، يقال أرضٌ بَقِعَةٌ إذا كان فيها بُقَعٌ من نبتٍ، وقيل هي الجَرِدَة التي لا شَيء فيها، والأوّلُ أصحّ.وعن ابنُ الأعرابيّ–(٢٣١ه)–: البَقْعاء من الأرض المَعْزَاءُ ذاتُ الحَصَى والحِجارة[٢]." وبمثل هذا قال من خلفهم من أصحاب المعاجم[٣].

---

١ الفراهيدي، كتاب العين، (ج١/ص ١٨٤)

٢ ابن فارس، المقاييس، (ص١٤٥–١٤٦)

٣ ينظر الأزهري، تهذيب اللغة،(ج١/ص١٨٨)، وابن سيده، المحكم والمحيط، (ج١/ص٨٦)، ابن منظور، لسان العرب، (ج٢/ص٢٥).

دلالة المادة "بقع في اللغة تدل على اختلاف اللون، فالشيء المبقع، هو الشيء الذي ظهر فيه اختلاف اللون. والبقعة من الأرض، هي التي اختلفت عن غيرها، وقيل الجرداء، والراجح أنها خالفت الصحراء التي يمشي فيها موسى- عليه السلام-، فستكون ذات بقع من نبات، أو خالفته بشيء آخر ظهر فيها.

ثانيا: دلالة الصيغة " البُقعة" في السياق.

البقعة في الآية جاءت اسما مجرورا، على وزن "الفُعلة"، والفُعلة تأتي لموضع الفعل في الأعضاء كثيرا كالقطعة والجذمة، والصلعة، ويكون الفعلة بضم الفاء وسكون العين للفضلة أيضا كالفُلفة والغرلة[١]، فالبقعة من الأرض، جزء اقتطع منها لاختلافه عنها بميزة ما.

ودل اللفظ على اختلاف هذا الجزء من الأرض عن غيره، ودلالة وصفه بالبركة لما خصت به من آيات الله -عزّ وجلّ-[٢]، ففيها كلم الله موسى عليه السلام، واصطفي بحمل الرسالة، ورأى آيات الله ومعجزاته، ودل تعريف البقعة على العهد الكنائي، فقط تقدم عليه ما يدل عليه كناية، قي قوله تعالى " **مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ)**، فهي ليست أي بقعة إنما البقعة التي تقع في شاطىء الوادي الأيمن قرب الشجرة، وجاءت المفردة تؤكد خصيصة معينة في الآية، وهي أنّ الأرض التي نودي عليها موسى ليست كسائر الأرض، فهي خصصت لتكون مكان الإيحاء وبدء الدعوة[٣].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "البقعة " والوحدة الموضوعية للسورة.

دلت الانفرادة على اختلافٍ ظاهرٍ في الشيء، وليس في دلالة اللفظ معنى المعيب، إنما هي دلالة الاختلاف، ووصفت بالمباركة حتى لا يلتبس على القارئ أي تلميح لقصد إلحاق العيب بالبقعة، ولتعظيم المكان الذي خصصه الله ليشهد تكليم الله لموسى عليه السلام، فكانت مختلفة بإنزال البركة عليها[٤]، ويظهر تكريم الله لهذه البقعة في إيراده تفصيل مكانها، وليس من عادة القرآن أن يورد من التفصيل إلا ما كان له شأن في تسوية عقيدة المسلم وتهذيب أخلاقه، فالله عزوجل يصطفي مما خلق حتى الأرضين ويفضل بعضها على بعض.

---

١ ركن الدين، ابن الحاجب حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأستراباذي، ١٤٢٥ هـ- ٢٠٠٤م، شرح شافية ابن الحاجب (ت ٧١٥هـ) تح: د. عبد المقصود محمد، ط١،مكتبة الثقافة الدينية، (ج١/ص ١٦١).

٢ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٣/ص٧٠٣)

٣ ينظر الطبري، تفسيره، (ج١١/ص٩٠)، والقرطبي، تفسيره، (ج٧/ص١٨٦).

٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٤٢).

ويظهر الرابط بين الوحدة الموضوعية للسورة والانفرادة في بيان حقيقة اختلاف عقيدة الموحد عن عقائد المشركين والكافرين، ولا يعني البقع العيب، ولا يعني البقع الهزيمة، فالبقع الاختلاف الظاهر عن ما حوله، وليس في الكثرة والتشابه دلالة الصواب والتوفيق في الغالب. بل فيه بشارات للقلة القليلة المستضعفة في مكة؛ التي خالفت واختلفت عن المشركين، بأنهم على الحق.

الانفرادة الخامسة والسادسة " أفصح- ردءا" في قوله تعالى" ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ القصص(٣٤)، الانفرادة السابقة دلت على المكان الذي نودي فيه موسى- عليه السلام، وعلى اختلافه وعلى قدسيته، ثم أمره تعالى أن يذهب بآياته إلى فرعون يبلغه رسالة ربه، فما كان من موسى-عليه السلام- إلا أنّ طلب أن يعينه الله بأخيه هارون، لفصاحته، فيصدق كلامه إن كذبه فرعون وقومه.

أولا: دلالة مادة " فصح " في اللغة.

الفصح في اللغة خلوص الشيء مما يشوبه، قال الفراهيدي-(١٧٥ه)-: " الفِصْح: فِطْر النَصارَى....وتَفصيحُ اللَّبَن: ذَهابُ اللَّبأ عنه وكَثرةُ مَحْضه وذَهابُ رَغْوته فَصَّحَ اللَّبَنَ تَفصيحاً. ورجلٌ فصيحٌ فَصُحَ فَصاحة وأفصَحَ الرجلُ القَوْلَ. فلما كَثُرَ وعُرِفَ أضمَروا القَولَ واكتَفَوا بالفِعل كقَولهم: أحسَنَ وأسْرَعَ وأبْطأ.[١]"

وعن الأزهري-(ت٣٧٠ه)-:" يقال أفصح الصبيُّ في منطقه إفْصَاحاً إذا فهمتَ ما يقول في أول ما يتكلم: وأفصح الأعْتَمُ إذا فهمتَ كلامه بعد غُثْمَتِه[٢]"، وفي مقاييس اللغة:" أصلٌ يدلُّ على خُلوصٍ في شيءٍ ونقاء من الشَّوب؛ من ذلك: اللِّسان الفصيح: الطَّليق. والكلام الفصيح: العربيّ. والأصلُ أفْصَحَ اللّبَنُ: سكنت رَغوثُه. وأفْصَحَ الرّجل: تكلَّم بالعربيَّة. وفَصُح: جادت لغتُه حتَّى لا يلحَنُ. في كتاب ابن دريد: "أفصح العربيُّ إفصاحاً، وفَصُح العجميُّ فَصاحةً، إذا تكلَّم بالعربية". وأراه غلطاً، والقول هو الأوّل. وحكَى: فَصُحَ اللبنُ فهو فصيح، إذا أُخذت عنه الرِّغوة، ويقولون: أفصَحَ الصُّبح، إذا بدا ضوؤُه، قالوا: وكلُّ واضح مُفْصِحٌ، ويقال إنَّ الأعجم: ما لا ينطق، والفصيحَ: ما ينطق، ومما ليس من هذا الباب الفِصْح:عيدُ النصارى، يقال: أفصحوا: جاء فِصحُهم[٣]."

---

١ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ص ١٢١)
٢ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج٤/ص ١٤٩)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص ٨٤٨)

أصل المادة تدل على الصفاء التام للشيء، الخالص من كل ما يشوبه، واستخدمت في لغة الإنسان للدلالة على البيان والوضوح؛ وهي مشتقة من سلامة النطق، وجودته، وخلوه مما يعيبه، وكشفه عن المراد بلا لبس[١]، وتعني فصاحة الكلمة خلوصها من تنافر الحروف والغرابة ومخالفة القياس اللغوي فالتنافر منه ما تكون الكلمة بسببه متناهية في الثقل على اللسان وعسرة النطق بها، أما فصاحة الكلام فهي خلوصه من ضعف التأليف وتنافر الكلمات والتعقيد مع فصاحة مفرداته[٢]"

ثانيا: دلالة الصيغة "أفصح " في السياق.

جاء اللفظ في صيغة اسم التفضيل، وهو أكثر صيغ المادة شهرة واستعمالا[٣]، ومعناها:أحسن بيانا مني، فدلالة الصيغة أن هارون كان يتمتع بفصاحة لسان، وقوة بيان، ولسان طلق، وجودة في التعبير عن المراد أكثر من موسى–عليه السلام، وتعني أنّ موسى –عليه السلام– كان فصيحا ولكن هارون كان أفصح، وفي هذا دفع لمقولة أنّ موسى كان في لسانه تلعثم[٤]، وتفضيل موسى لهارون عليه بالفصاحة له عدة دلائل، منها أهمية البيان الخطابي الداعي إلى الله تعالى، وأهمية علم آلة اللسان في التأثير في الجماهير للوصول إلى أقصى درجات التبليغ كما تدل على وعي موسى –عليه السلام– بالحاشية التي تحيط بفرعون وقدرتها على تغييب عقول الجماهير، ومن دلالة اللفظ أيضا أنّ هارون كان أفصح من موسى–عليهما السلام– ولا تدل على أنه كان أفصح الأنبياء على الإطلاق.

ثالثا: دلالة مادة "ردء" في اللغة

الأصل في الردء التابع لغيره المعين له، جاء في العين:"رَدَأْتُ فلاناً بكذا أو كذا أي جَعَلْتُه قوَّة له وعماداً كالحائِط تَرْدَؤُه بردْءٍ من بناء تُلزِقُه به، وأرْدَأْتُه أي أعَنْتُه، وصِرْتُ له ردْءاً أي مُعيناً، والرُّدُوءُ: الأعوانُ وتَرادَأوا أي تَعاوَنوا[٥]."

وقال الأزهري–(ت ٣٧٠ه)–: رَدَأْتُ الحائط أرْدَؤُه إذا دَعَمْتَه بخشَبٍ أو كَبْسٍ يَدْفَعُه أن يَسْقُط.

---

١ ينظر ابن منظور لسان العرب، (ج١٢/ص٧)
٢ القزويني، جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة– ط، ٤بيروت، دار إحياء العلوم، (ص: ٧).
٣ ينظر الفراهيدي، العين، (ج٣/ص١٢١)
٤ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١٦/ص١٣٣)
٥ الفراهيدي،كتاب العين (ج٨/ ص٦٧)

وقال يونس: أردَأتُ الحائط بهذا المعنى، قال: والأرْداءُ الأعدالُ الثَّقيلةُ؛ كل عِدْل منها ردْءٌ وقد اعْتَكَمْنَا أرداء لنا ثقالاً أي أعْدالاً، وفلان ردْءٌ لِفلان أي يَنْصرُه ويشدُّ ظَهْرَه.[١]" وبمثل هذا قال أصحاب المعاجم[٢].

ويظهر من دلالة المادة معنى الإعانة والمؤازرة بشيء قوي، ومنه يكون طلب موسى أن يكون هارون معينا له في دعوته، ثقلا يدعم به نفسه في مواجهة فرعون وقومه.

رابعا: دلالة الصيغة "ردءا " في السياق.

الردء اسم ما يستعان به، فعل بمعنى مفعول، بمعنى: يبين لهم عني ما أكلمهم به، فإنّه يفهم ما لا يفهمون.[٣]"، فاختار موسى أخاه هارون ليكون معين له ليصدقه، قال الرازي:" المقصود بتصديقه هو أن يلخص هارون بلسانه الفصيح وجوه الدلائل، ويُردّ ببيانه الواضح الشبهات، ويجادل الكفار[٤].

وقال ابن عاشور: "ومعنى أن يكون سببا في تصديق فرعون وملئه إياه بإبانته عن الأدلة التي يلقيها موسى في مقام مجادلة فرعون كما يقتضيه قوله **{هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي}**[٥]، قال ابن عاشور:" فإنه فرع طلب إرساله معه على كونه أفصح لسانا، وجعل تصديقه جواب ذلك الطلب أو حالا من المطلوب فهو تفريع على تفريع، فلا جرم أن يكون معناه مناسبا لمعنى المفرع عنه وهو أنّه أفصح لسانا، وليس للفصاحة أثر في التصديق إلا بهذا المعنى[٦]."

فيكون هارون بفصاحة لسانه عونا لموسى- عليهما السلام- في تبليغ دعوته، فيصدق القول الذي يريد موسى أن يوصله بأتم معنى وأفضل صياغة، ويجادل معه بحلمٍ، وبهذا يكون تصديقه له.

خامسا: علاقة الانفراداتين "أفصح – ردءا " في الوحدة الموضوعية للسورة.

ظهر من الانفرادتين ميزتان لهارون عليه السلام دعت موسى –عليه السلام – أن يطلب من الله عزّ وجلّ أن يكرمه بالرسالة معه، وهي الفصاحة والردء، فكلام هارون أفصح من

---

١ الأزهري، تهذيب اللغة ــ (ج١٤/ ص١١٨)

٢ الأصفهاني،مفردات القرآن، ص١٤٧، وابن منظور، لسان العرب، (١٣١/٦)

٣ الطبري، تفسيره، (ج٢/ص٧٤).

٤ الرازي، تفسيره،(ج٢٤/ص٢١٣).

٥ قرأ نافع وأبو جعفر"رداً يصدقني" (بسكون القاف)، إلا أن أبا جعفر أبدل التنوين في (ردا) ألفا في الحالين، كنافع في الوقف.، وحجة من رفع (يصدقني)أنها جعلها صفة ل(ردءا)- صفة لنكرة؛ بمعنى ردءا مصدقا لي، وحجة من جزم أنه جعلها جواب للطلب وهو (فأرسله)؛ كانه قال: إن ترسله معي يصدقني، وهو الاختيار- عند مكي-، لأن الأكثر عليه."القول لمكي، الكشف عن وجوه القراءات، (ج٢/ص١٧٤).

٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص١١٦)

موسى، وهذه كانت ميزة هارون الوحيدة على موسى- عليهما السلام- وليس له ميزة أخرى عليه، فموسى هو المختار، وهو المخلص لقومه من عذاب فرعون، وهذا مادلت عليه انفرادة "ردءا" وهو المعين التابع الأمين القوي، الذي لا يخالف من يتبع، فكان أول من صدق موسى واتبعه، فكان ردءا له، وكان عونه وتصديقه له بفصاحة لسانه، واستجاب الله دعوته، وجعل هارون رسولا معه يشدُّ به عضده، فقال تعالى " ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾ القصص(٣٥)، فأعطى الله موسى ما سأل وزيادة أن جعل له سلطانا وقوة في المجادلة والبراهين[١]،

وتظهر علاقة هذه الانفرادات بوحدة السورة ومقاصدها في بيان أثر البيان القرآني في هداية الناس، فالقرآن بفصاحته كان ردءا للرسول -صلى الله عليه وسلم- ولأمته يُصدّقهم فيما ينقلون عن ربهم، و يدحض الشبهات والأقاويل، ويبني عقيدة التوحيد بأسس متينة، ويظهر أثر الفرد الواحد في دعم القضية، وحمل الأمانة، فإن كان موسى-عليه السلام- وجد هارون ردءا له، فإن أتباع محمد- صلى الله عليه وسلم- من المستضعفين هم ردء له.

الانفرادة السابعة " المقبوحين" في وقوله تعالى ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ القصص(٤٢). جاءت الانفرادة في السياق الأخير من قصة موسى-عليه السلام مع فرعون وجنده، تبين هلاك الأخيروجنده في اليم، ولعنة تتبعهم حتى يوم القيامة، ومصيرهم في القيامة القبح.

أولا: دلالة المادة "قبح" في اللغة.

القبح -بضم القاف- أصله نقيض الحسن، فيقال قبح يقبح فهو مقبوح وقبيح، وجمعت على التكسير ب"قِباح وقباحَى، والأنثى قبيحة، قال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: "نَقيضُ الحُسْن عامٌّ في كلِّ شيء،وقَبَحه الله: نَحّاه عن كلّ خير، وقوله تعالى: "هُم من المَقْبوحِين " أي المُنَحَين عن كلّ خَيْرٍ، والمقْبُوحُ الممقُوت، والقَبيح طَرَفُ عَظْم المِرْفق ويُجْمَع: قبائح[٢]."

وأورد ابن فارس-(ت٣٩٥ه)- قول بصيغة الزعم، مما يدل على أنكاره له، بأن القبح- بفتح القاف- غير القبح -بضم القاف، ذلك أنهم قالوا أنها بالفتح بمعنى الإبعاد[٣]، بينما

---

١ ينظر المصدر السابق، (ج٢٠/ص١١٧)
٢ الفراهيدي، كتاب العين (ج٣/ص ٥٤)
٣ ينظر ابن فارس، المقاييس، (ص٨٤٨)

الأصفهاني-(ت٥٠٢ه)-صاغ من معنى البعد ما يناسب نقض الحسن، فقال:"ما ينبو عنه البصر من الأعيان، وما تنبو عنه النفس من الأعمال والأحوال...ونحو ذلك. يقال: قبحه الله عن الخير، أي: نحاه.."[١] وينبو بصره، أي يبعده تحقيرا لسوء منظره.

أصل مادة "قبح" تدل على كل ما يخالف الحسن، وفيه دلالة حصول المقت من الشيء المقبوح، ودلالة البعد ترتبط باللفظ من حيث آثاره واستخدامه، فإن قلت قبح فلان فلانا، قصدت أبعده أو بين عيوبه وخفاياه المقيته، كقول أم زرع في الأثر:أقول فلا أقبح [٢]"بمعنى لا يرد على قوله لميله لها وكرامتها، فلا ينقض قولها ويظهر عيوبها[٣].

والفرق بين القبح والفحش، أن الفاحش شديد القبح، ولا يستعمل في الصور، فلا يقال فلان فاحش الصورة، إنما يقال للأفعال، فاحش القول، فاحش الطول، أي شديد، ويقال أيضا فاحش القبح، أي شديد القبح، فكل شيء جاوز الاعتدال فاحش[٤]."

ثانيا: دلالة الصيغة" المقبوحين" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة جمع السالم لاسم المفعول" مقبوح"، واسم المفعول يدل على الحدث والحدوث وذات المفعول، ويدل على الثبوت إذا ما قيس بالفعل، ويدل على الحدوث إذا ما قيس بالصفة المشبهة[٥]، كما في اللفظ المدروس، فهو يدل أن صفة القبح تمت وثبتت لهم، فأصبحوا مقبوحين، ولاسم المفعول عدة دلالات، ناسب اللفظ فيها دلالة المستقبل بدليل أن الحدث يوم القيامة، فيكون المعنى يوم القيامة سيُقبحون.

ودلالة الجملة الاسمية على دوام التقبيح وثبوته لهم يوم القيامة، ودلالة الضمير (هم) ليست للقصر إنما هو ضمير مبتدأ لتكون الجملة الاسمية أثبت في الدلالة[٦]، ودلالة حرف"من " قبلها قد يقصد به البيان أي هم المقبوحون، فيقصر صفة القبح عليهم، وقد يقصد منها التبعيض، أي قوم فرعون وجنده بعض المقبوحين يوم القيامة، مما يدل على دخول غيرهم من الكفار تحت هذه الصفة، والأول أنسب لانفراد السورة والقصة بهذه اللفظ.

---

١ الأصفهاني مفردات القرآن، (ص٢٤٩)

٢ أخرجه الشيخان، البخاري في صحيحه، باب حسن معاشرة الأهل، حديث رقم(٤٨٣٩)، ومسلم في صحيحه، في فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع حديث رقم ٢٤٤٨.

٣ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج١٢/ص٧).

٤ العسكري، الفروق اللغوية، ص٢٦٠.

٥ ينظر السامرائي، معاني الأبنية، ص٥٢.

٦ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص١٢٧)

وفي مفردات القرآن:" أي: من الموسومين بحالة منكرة، وذلك إشارة إلى ما وصف الله تعالى به الكفار من الرجاسة والنجاسة إلى غير ذلك من الصفات، وما وصفهم به يوم القيامة من سواد الوجوه، وزرقة العيون، وسحبهم بالأغلال والسلاسل ونحو ذلك[١].

قال الزمخشري:" أي من المطرودين المبعدين، ولا يخفى أنّ المقبوحين اسم مفعول، قبحه إذا صيره قبيحًا[٢].

دلّ اللفظ على وصف ممقوت لهم، يناسب عظيم فعلهم وتألههم على الله، وناسب صفة التكبر التي اتسموا بها في الدنيا، ومقتهم لعباد الله وتعذيبهم، فكان القبح بدلالته وصيغته أبلغ الألفاظ في التعبير عن حالهم يوم القيامة.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "المقبوحين" والوحدة الموضوعية للسورة.

تحمل هذه الفريدة في طياتها كثيرا من المعاني والصور التي تناسب مشاهد العذاب، فدلت على كل ما هو ضد الحسن، وكل ما فيه تشنيع في صورة فرعون وقومه، وليس المقصود باللفظ أنّ أقوالهم كانت فاحشة قبيحة في الدنيا، إنما قصد بيان صورهم على الحقيقة وما يعتريهم من شحوب وسواد وتغير في خلقتهم تشمئز منه الأنفس المؤمنة، وقد عبَّر القرآن عن هذا التشويه بصور مختلفة؛ في قوله تعالى:**{ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ }** عبس(٤٠-٤١)وقال سبحانه**{ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ... }** آل عمران(١٠٦) وقال:**{ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً }**طه(١٠٢)، وتحمل أيضا دلالات البعد والطرد، التي لا يلزم منها قبح الشكل، فهم مطردون مبعدون بسبب كفرهم، واستكبارهم على الله-عزّ وجلّ- وكل ذلك يدل على سوء العاقبة.

وترتبط دلالة المفردة بوحدة السورة ومقاصدها في بيان أثر إنكار التوحيد في الهلاك يوم القيامة، فالانفرادة كما يقول قطب-رحمه الله -: ترسم بذاتها صورة القبح والفضيحة والتشنيع، وجو التقزز والاشمئزاز ذلك في مقابل الاستعلاء والاستكبار في الأرض، وفتنة الناس بالمظهر والجاه والتطاول على الله وعلى عباد الله[٣]"، وناسبت الانفرادة بكل ما تحمله من دلالات خاتمة قصة موسى -عليه السلام- مع فرعون، لتبين عاقبة كل فرعون علا واستكبر واستضعف الناس وجعلهم شيعا، وكل من استباح دماء الناس وأعراضهم، وأموالهم، فكانت الانفرادة الوحيدة التي تتعلق بفرعون وقومه في السورة تصفهم بالمقبوحين.

---

١ الأصفهاني، مفردات القرآن، (ص٢٤٩).
٢ الزمخشري، الكشاف، (ص٨٠٣)
٣ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٥٠)

الانفرادة الثامنة: " **لتنوء**" في قوله تعالى:" ﴿ ۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴾ القصص(٧٦)،جاءت الانفرادة في سياق قصة قارون، وهو من قوم موسى-عليه السلام- في الحديث عن شدة ثرائه، وعن فرحه بكنوزه.

أولا: دلالة مادة " نوء" في اللغة.

النوء في اللغة هو النهوض، قال عنه الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-:" الشيء إذا مال إلى السُّقوط تقول: ناء ينوء نوءاً بوزن ناع وإذا نهض في تَثاقُلٍ يقال ناء ينوء به نَوْءا إذا أطاقه..[١].وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه)- " كلمةٌ تدلُّ على النُّهُوض وناءَ ينوءُ نوءاً: نَهَضَ...أي نهوضها ضعيف والنَّوْءُ من أنواءِ المطَر كأنَّه ينهَض بالمطر. وكلُّ ناهض[٢]."وبمثل هذا قال من بعدهم[٣].

ودلالته تدل على النهوض بالشيء بصعوبة وثقل، فليس النوء النهوض فقط، إنما هو نهوض بمشقة وجهد.

ثانيا: دلالة الصيغة " تنوء" في السياق.

جاء اللفظ بصيغة المضارع، في سياق المبالغة التي تحيط في الآية كلها بما حوت من ألفاظ بجمع الكثرة، (الكنوز- المفاتيح- العصبة أولى القوة)، يقول البقاعي:" وفي المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على أنه أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو في عداده، وكل ذلك مما تستبعده العقول، فلذلك وقع التأكيد {أولي قوة} أي تميلهم من أثقالها إياهم[٤].

ودلالة المضارع تدل على تجدد النوء كلما حاولت العصبة حمل مفاتيح الكنوز من فرط ثقلها، وفي معنى النهوض بها يكون في إسناد النوء إلى المفاتيح لا إلى العصبة هو من القلب الذي يفيد المبالغة، إذ الأصل أن العصبة تنوء بها، أي تنهض بها، وهذا يدل أنها لا تحمل إلا من العصبة لفرط ثقلها، وأنّ هذه العصبة لا تقدر على حملها بسهولة إنما هو نوء[٥].

---

١ الفراهيدي، كتاب العين (ج٨/ص ٣٩١)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص١٠٠٢)
٣ ينظر الأصفهاني، مفردات القرآن، (٣٨٤ص)، وابن منظور، لسان العرب، (ج٦/ص٥١)
٤ البقاعي، نظم الدرر- (ج٥/ص ٨٣٦)
٥ينظر ابن عجيبة البحر المديد، (ج٥/ص٤٦٣).

ولكن ابن عاشور رد هذا القول وفسر التركيب بالآتي" وتنوء: تثقل. ويظهر أن الباء في قوله {بِالْعُصْبَةِ} باء الملابسة أن تثقل مع العصبة الذين يحملونها فهي لشدة ثقلها تثقل مع أن حملتها عصبة أولو قوة وليست هذه الباء باء السببية، وأما قول أبي عبيدة بأن تركيب الآية فيه قلب، فلا نقبله..."[١].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "لتنوء"، والوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق الحديث عن ظاهرة عظيمة تعصف بالأفراد والأمم، وهي طغيان الكنز، فبعد أن كان طغيان فرعون بالاستكبار والاستهزاء والتجبر في الأرض، جاء طغيان قارون في الكنز والجحد، وجاءت الانفرادة تدل على مدى ثراء قارون[٢]، فإن كانت العصبة من الرجال، وقيل في كتب التفسير العصبة أربعون رجلا[٣]، فإن كان هذه العصبة تحمل المفاتيح فتميل من ثقلها وتنهض متمايلة من شدة الثقل، فكيف بالكنوز نفسها، وجاءت في سياق يضرب مثلا عجيبا للكافرين، أثرفحش الغنى، وفتنة الناس به، فجاء المثل يبين أنّ هذه الكنوز العظيمة لم تغن عن الكافرمن الله شيئا، فتحقق الوعد وخسف به وبداره المكنوزة.

وليس في القصة ما يدل أنّ الغنى يعارض الإيمان، ولكن فيها أنّ الكنز يطغى على الفرد والأمم فيثقلها ويعطل تقدمها، كما عطلت ثقل المفاتيح العصبة، لذلك دعا الإسلام إلى محاربة الكنز بالزكاة والصدقات، وحذر من تعلق النفوس بالأموال، وأثرها في شرك الربوبية، ذلك أنّ الإنسان يعتقد مع كثرة مع حاز منها أنّه سبب النعم التي هو فيها ووهبها؛ فيكفر ويخسر.

---

١ ابن عاشور، التحرير والتوير، (ج٢٠/ص١٧٧).

٢ أورد ابن الأثير في الكامل في التاريخ،، في (ج١/ ٦٧ص) قصة قارون، "أن قارون بن يصهر بن قاهث، وهو ابن عمّ موسى بن عمران بن قاهث، وقيل: كان عمّ موسى؛ والأوّل أصحّ، وكان عظيم المال كثير الكنوز، قيل: إن مفاتيح خزائنه كانت تحمل على أربعين بغلاً، فبغى على قومه بكثرة ماله، فوعظوه ونهوه وقالوا له ما قصّ الله تعالى...فأجابهم جواب مغترّ لحلم الله عنه فقال: إنما أوتيته، يعني المال والخزائن، على علم عندي، قيل على خبر ومعرفة مني، وقيل: لولا رضى الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا، فلم يرجع عن غيّه ولكنّه تمادى في طغيانه حتى (خرج على قومه في زينته) القصص: ٧٩، وهي أنه ركب برذوناً أبيض بمراكب الأرجوان المذهبّة وعليه الثياب المعصفرة وقد حمل معه ثلاثمائة جارية على مثل برذونه وأربعة آلاف من أصحابه، وبنى داره وضرب عليها صفائح الذهب وعمل لهاباباً من ذهب، فتمنى أهل الغفلة والجهل مثل ماله، فنهاهم أهل العلم بالله، وأمره الله تعالى بالزكاة، فجاء إي موسى من كلّ ألف دينار دينار، وعلى هذا من كلّ ألف شيء شيء، فلمّا عاد الى بيته وجده كثيراً، فجمع نفراً يثق بهم من بني اسرائيل فقال: إنّ موسى أمركم بكلّ شيء فأطعتموه، وهو الآن يريد أخذ أموالكم، فقالوا: أنت كبيرنا وسيّدنا فمرنا بما شئت، فقال: آمركم أن تحضروا فلانة البغيّ فتجعلوا لها جُعلاً فتقذفه بنفسها، ففعلوا ذلك، فأجابتهم إليه، ثمّ أتى موسى فقال: إنّ قومك قد اجتمعوا لك لتأمرهم وتنهاهم، فخرج إليهم فقال: من سرق قطعناه، ومن افترى جلدناه، ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة، وإن كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون: وإن كنت أنت؟ فقال: نعم، قال: فإنّ بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة، فقال: ادعوها فإن قالت فهو كما قالت...فلما جاءت قال لها موسى: أقسمت عليك بالذي أنزل التوراة إلا صدقت: أنا فعلتُ بك ما يقول هؤلاء؟ قالت: لا، كذبوا، ولكن جعلوا لي جعلاً على أن أقذفك، فسجد ودعا عليهم، فأوحى الله إليه: مُر الأرض بما شئت تطعك، فقال: يا أرض خذيهم....وقيل: إنّ هذا الأمر بلغ موسى، فدعا الله تعالى عليه، فأوحى الله إليه: مُر الأرض بما شئت تطعك، فجاء موسى الى قارون، فلما دخل عليه عرف الشر في وجهه فقال له: يا موسى ارحمني، فقال موسى: يا أرض خذيهم، فاضطربت داره وساحت بقارون وأصحابه إلى الكعبين،....، وعرف الذين تمنّوا مكانه بالأمس خطأ أنفسهم واستغفروا وتابوا."

٣ السمرقندي، السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، أبو الليث، بحر العلوم، تح: د.محمود مطرجي، بيروت، دار الفكر.،(ج٢/ص٦١٩)

الفصل الثالث

الانفرادات اللفظية دلالاتها وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، دراسة تطبيقية من أول سورة العنكبوت إلى نهاية سورة السجدة

يتضمن الفصل أربعة مباحث:

المبحث الاول: الانفرادات اللفظية في سورة العنكبوت وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الروم وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الثالث: الانفرادات اللفظية في سورة لقمان وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الرابع: الانفرادات اللفظية في سورة السجدة وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

المبحث الأول

الانفرادات اللفظية في سورة العنكبوت، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة.

من السور المكية على قول الجمهور[١]، عدد آياتها تسع وستون آية باتفاق أصحاب العدد من أهل الأمصار[٢].

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية للسورة وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

عالجت سورة العنكبوت قضايا العقيدة الكبرى- كسائر السور المكية-، وتميزت عن السور المكية ببيان كيف يصل هذا التوحيد إلى القلب ويثبت بداخله فلا يتزعزع أبدا.

قال البقاعي: "مقصودها الحث على الاجتهاد بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى الله تعالى وحمده على غير فترة[٣]."ويظهر أن الإمام البقاعي خلص إلى طريقة النجاة من الفتن، وتثبيت القلب في المحن بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويرى سيد قطب أن محور السورة هو الحديث عن الإيمان والفتنة، وعن تكاليف الإيمان الحقة التي تكشف معدنه في النفوس، فليس الإيمان كلمة تقال باللسان، إنما هو الصبر على المكاره والتكاليف في طريق هذه الكلمة المحفوفة بالمكاره والتكاليف"[٤].

وعند عرض ابن عاشور لأغراض السورة قال: أول أغراض هذه السورة تثبيت المسلمين الذين فتنهم المشركون وصدوهم عن الإسلام أو عن الهجرة مع من هاجروا. "[٥]

وكذا قال الزحيلي في تفسيره:محور السورة يدور حول الإيمان وتثبيته في القلوب في جميع الأحوال وبخاصة وقت الفتنة التي هي سنة من سنن الله في الحياة لتمحيص المؤمنين... "[٦]

اهتمت سورة العنكبوت ببيان كمال عقيدة التوحيد بالثبات في المحن والابتلاءات، **فوحدتها الموضوعية في ابتلاء الناس وفتنتهم في الدنيا، وغايتها تمحيص القائلين بالإيمان**

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٣٥٧).
٢ ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٢٠٠).
٣ البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٥٣٣)
٤ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٨٤)
٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٢٠١)
٦ ينظر الزحيلي، وهبة بن مصطفى، ١٤١٨ه- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج، ط٢، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر،(ج٢٠/ص١٨١)

حتى يتجلى المصدقون حقا بلقاء الله من الزاعمين، وهو بداية التمكين للمؤمنين المجاهدين – في الله– وهدايتهم لسبل الله؛ لما يسبقها من إعداد وتربية للنفوس على الصبر والإحسان.

وقد تخلل السورة تصحيح لأصول التوحيد، وتأكيدا لسنن كونية دالة على قدرة الله ووحدانيته.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

القسم الأول: تناسق علاقات البناء الداخلي للسورة.

العلاقة الأولى:بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

جاءت موضوعات السورة متآلفة في المقدمة والمقطعين،والخاتمة التي جاءت مؤكدةً ما سبق من المقاصد التي تضمنتها السورة. **فمقدمة السورة** بينت أن الفتنة سنة من سنن الله في الأرض، الآيات(١–٧)، وجاءت آيات **المقطع الأول**، تبين فتنة الناس ببعضهم، الآيات (٨–٤٠): ظهر في المقطع أعظم الفتن التي تعرّض لها الناس، هي فتنة بعضهم البعض، فبدأ بفتنة أقرب الناس، الوالدين، لعظم هذه الفتنة على النفوس الطاهرة، فهي أشد الروابط بين البشر، وواجب المؤمن التصدي للجهود المبذولة التي تجذبه نحو الشرك[١]، وانتقل السياق بعدها لعرض قصصي[٢] يؤكد إصرار أهل الباطل على باطلهم، مع بيان نصرة الله لأهل الحق، والمقطع الثاني بين وهن عقيدة المشركين،وسبل النجاة من الفتن، وجاء **المقطع الثاني** يعرض سبل النجاة – الآيات(٤١–٦٨) –، بعد أنّ ختم المقطع السابق ببيان كذبهم على أنفسهم، فذلك انهم يعلمون أن الله هو الخالق الرازق المنعم المدبر شؤون حياتهم النافع الضار، تخلل المقطع سبل النجاة من الفتن، وهي " الاعتبار بهلاك السابقين– وإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و مجادلة المبطلين بالحسنى، وتصديق القرآن، والإعراض عن المشركين، واليقين بهلاك المستعجلين بعذاب الله، تذكر الموت، والصبر والتوكل على الله، اليقين بأن الرزق بيد الله وحده.

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢٠/ص٢١٢–٢١٣).

٢ بدات السورة بقصة نوح بإيجاز بليغ أضافت له السورة بيانا لم يسبق في السور التي ذكرت بها من قبل،وهو المدة التي قضاها نوح يدعو قومه مما يشير إلى الشدة التي لقيها، في قوله تعالى"..**فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**..(العنكبوت(١٤)، ثم أطنبت السورة بذكر قصة –إبراهيم عليه السلام– بما يناسب مقاصد السورة، فتخبرنا عن صموده في الدعوة لله في وجه أهل الباطل رغم قدرتهم على البطش به، ومحاجتهم بالبراهين والأدلة على صحة المعتقد، وفي هذا لفتة تظهر في مجادلة أهل الباطل، إذا يجب على الدعاة أنّ يصدعوا بالحق ويدحضوا الباطل مهما بلغت سلطانهم عليهم، وختمت بنجاته من النار وإيمان فردا واحد به (لوط عليه السلام) الناجي الوحيد وأهله من هلاك قومه، وهجرته لله، فليس الولاء للأرض، إنما الولاء للعقيدة أولا، وبإيجاز عن شعيب وصالح، وهو هلاك عاد وثمود، وتبهعا آية واحدة فتنة السلطان والقوة والمال في فتنة"فرعون وهامان وقارون"، بما ناسب وحدة السورة وأهم مقاصدها عن الفتنة وأصحابها والناجين منها" للمزيد ينظر عباس، فضل، قصص القرآن الكريم، ص٩٣وص١٩٧.

ثم خاتمة بينت عون الله للمجاهدين في سبيله؛ الآية (٦٩)، بعد أن بَيّن الله تعالى سنته في فتنة الناس ليتمايزوا إلى فريق الحق وإلى فريق الباطل، أعلن أن النجاة لمن اجتهد وجاهد في تثبيت عقيدة التوحيد في نفسه ومجتمعه وثوابه معية الله له لأنّه من المحسنين[١].

وارتبطت مقدمة السورة بخاتمتها، ففي مطلعها سنة الله في فتنة الناس امتحانا وتمحيصا لصدقهم، وبينت أنّ المجاهدة هي الثبات، قال تعالى: ﴿ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ العنكبوت (٦)، وفي خاتمة السورة ظهرت عناية الله بالمجاهدين لأنفسهم وعدوهم، فهم في معية الله، وهم مع المحسنين من الأنبياء والصالحين، ممن فتنوا فصبروا وثبتوا وجاهدوا في مرضاة الله[٢].

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية.

سميت السورة"بسورة العنكبوت"، وجاء لفظ العنكبوت في السورة مرتين[٣]، في ضرب الله المثل لأولياء المشركين ببيت العنكبوت في ضعفه ووهنه:" ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ العنكبوت(٤١)، وعلاقة اسم السورة بموضوعاتها قد ارتبط بفتنة الناس بالباطل رغم زيفه ووهنه، وهوانه وأهله على الله، فهلاك الأمم كان لانعدام عقولهم وسفاهتها بتوليهم غير الله.

العلاقة الثالثة: بين سورة "العنكبوت" والسورة المجاورة لها[٤] "سورة الروم"

تشابهت سورة العنكبوت مع سورة الروم[٥] في المطلع– البدء بالحروف المقطعة المعجزة– وبمخالفة عادة القرآن بقرن هذه الحروف بالثناء على الكتاب[٦]، حيث ذكر في الروم خبرا من أخبار الغيب، فقدمت الحروف لتنبيه السامع وحثه على الإقبال على الخبر، وفي سورة العنكبوت قُصِدِ التنبيه لسنة من سنن الله في الأرض، وهي اختبار الناس وابتلاؤهم بالمحن، وقد بدأت

---

١ ينظر السعدي، تفسيره، (٦٣٥ص)

٢ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٥٨١).

٣ لفظ "العنكبوت" من انفرادات السورة، وسيأتي علاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة مفصلا في المطلب الثاني من المبحث.

٤ درست الباحثة في المبحث السابق من الأطروحة العلاقة بين سورة القصص وسورة العنكبوت.

٥ من السور المكية، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٣٨٠).

٦ تشابهت سورة القلم مع هاتين السورتين بهذه النقطة.

سورة العنكبوت بالحث على جهاد النفس[١]، وفي الروم يُوعد المجاهدون بالغلبة والنصر[٢]، جاء الرابط بين مقصد السورتين على لسان الإمام الشافعي – رضي الله عنه – حين سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يُمكن أو يبتلى؟ فقال الإمام الشافعي: لا يُمَكّن حتى يُبتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحًا وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم، فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة."[٣]

فيظن المذبذب بين الحق والباطل أنّ الحق يُهزم، بينما حقيقة ما يظهر كهزيمة للحق هو اختبار وابتلاء لأهل الحق ليعلم الله الصادقين من المكذبين، فالعاقبة للحق ولو بعد حين[٤].

ثانيا: خصائص السورة مضمونا وأسلوبا وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

القسم الأول: المضامين التي اختصت بها السورة.

اختصت سورة العنكبوت بعدد من الخصائص والمضامين ساهمت في كشف وحدتها الموضوعية، ومن المضامين التي تميزت بها السورة:

١– تأصيل سنة الابتلاء الحاكمة بين الناس، قال السعدي–رحمه الله–:"اقتضت حكمة الله الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب من أنواع الابتلاء والامتحان....ليظهر عدله وفضله وحكمته لخلقه[٥]."

٢– تضمنت السورة في سردها قصص الأنبياء بيانا للفتن التي تعرضوا لها، فلما نبأت عن نوح جاءت تنبئ بطول مدة التبليغ، وبهلاك قومه بعدها، ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت (١٤)، وهذا من أعظم الكروبات على الداعية أنّ يطول عليه الأمد ولا يؤمن معه إلا قليل.

٣– تضمنت السورة ذكرا عن مخطط قوم إبراهيم الإجرامي في حقه، فكانوا يختارون بين قتله أو إحراقه، ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت (٢٤)، ولم تتطرق سور القرآن الكريم التي تحدثت عن نار

---

١ ينظر سور العنكبوت، الآية رقم (٦)
٢ ينظر سورة الروم الآيات (٢–٥)
٣ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب، أبو عبد الله، ١٣٩٣ه – ١٩٧٣م. كتاب الفوائد، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية.ص ٢٠٨
٤ ينظر الزحيلي، المنير، (ج٢٠/ص١٨٣)
٥ السعدي، تفسيره، (ص١٥٨)

إبراهيم المسالمة عن حيرتهم في نوع القتل[١]، وناسب ذكر هذا التفصيل؛ ليظهر فتنة الداعي إلى الله، فبعد أن أقام إبراهيم- عليه السلام- عليهم الحجج وأبطل عقيدتهم الشركية، ودل على الواحد دلالة عقلية منطقية، لم يأتِ منهم الجواب المنطقي، بل جاءت ردة فعل كل مفلس من برهان أنّ التجأ للعنف والتنكيل، وتظهر الآيات فجورهم وسكرة عقولهم، فرغم تنجية الله له من النار أمامهم، لم يؤمنوا به، وآمن معه رجل واحد فقط" لوط " عليه السلام-، لتكون العبرة في زمن الفتن ليس بكثرة السالكين، فعن النبي -صلى الله عليه و سلم- قال:" عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد... "[٢] و نقل عن الفضيل بن عياض[٣] قوله" اتبع طرق الهدى، ولا يضرك قلة السالكين، وإيّاك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين." [٤]

٤- ومن مضامينها بيانها للمنهجية الواضحة في مجادلة أهل الكتاب "بالتي هي أحسن"، قال الثعالبي:" أن تدعوه إلى الله تعالى برفق ولين، وتبين له الحجج والآيات، من غير مغالبة ولا قهر. وأصل المجادلة: فتلُ الخصم عن مذهبه بطريق الحجج"[٥].

٥- من السور المشابهة لسورة العنكبوت - في أهم المقاصد- سورة الكهف، حيث بينت أثر الفتنة على عقيدة المرء، وأحوال الناس فيها، وظهر التشابه بينهما في المحور العام والمقاصد العظمى، فالكهف تدور حول النجاة من فتنة الكبر والعلم، والمال والسلطة[٦]، وسورة العنكبوت تبين أثر الفتن في تمكن العقيدة في القلوب أو زوالها، وتشابهت السورتان أيضا، في سرد القصص التي تمثل وقوع الناس في الفتن، مع اختلاف القصص، فسورة الكهف بينت أحوال الصالحين في الفتن، ونجاتهم منها، لذلك كان حفظ بعض آياتها نجاة من الدجال، وفي سورة العنكبوت مثلت وقوع أقوام الرسل والأنبياء في الفتن وهلاكهم بسببها.

---

١ ينظر سورة الأنبياء، الآية (٦٨)-وسورة الصافات (٩٧).

٢ أخرجه البخاري في صحيحه، باب من لم يرق، حديث رقم (٥٤٢٠)

٣ أحد أعلام القرن الثاني الهجري، لقب بـــ "عابد الحرمين(١٠٧هـ- ١٨٧هـ)

٤ الشاطبى، الاعتصام ـــ أبو إسحاق الشاطبي، دار النشر: مصر،المكتبة التجارية الكبرى، (ج١/ص ٨٣).

٥ الثعالبي، البحر المديد، (ج٥/ص ٤٨١).

٦ وتدليل على ذلك ما ذكر في فضلها من الوقاية من أعظم فتنة تصيب الناس وهي فتنة الدجال حيث جاء ذلك في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داوود في سننه حديث رقم -(٤٣٢٥) باب خروج الدجال -وغيره- "عَنْ حَدِيثِ أَبِى الدَّرْدَاءِ يَرْوِيهِ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ." عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ وَكَذَا قَالَ هِشَامٌ الدَّسْتَوَائِىُّ عَنْ قَتَادَةَ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ « مَنْ حَفِظَ مِنْ خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْكَهْفِ ». وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ قَتَادَةَ « مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ ». وعلق عليه الألباني-رحمه الله- وقال "حديث صحيح، وكذا علق عليه شعيب الأرناؤوط في مسند أحمد.

القسم الثاني: الأساليب التي اختصت بها السورة

١- انفردت السورة بضرب المثل ببيت العنكبوت في آية (٤١) من السورة، وقد تناسب المثل مع موضوعات السورة، وسياق الآيات التي جاء فيها، حيث جاء بعد عرض قصصي انتهى بهلاك المكذبين، فالحكمة من اختيار ضرب المثل ببيت العنكبوت[١]، هو بيان حقارة المتخذ من دون الله، فالشبه بين اتخاذ المشرك ولياً من دون الله، كاتخاذ العنكبوت شبكتها بيتا لا تقيها بردا ولا حرا، فكما اختارت العنكبوت زاوية ميتة مهجورة تصنع بها بيتا حقيقته أنه مصيدة لخداع غيرها من الحشرات، اتخذ المشركون شيئا ضعيفا مهجورا لا يملك لهم أي نفعٍ أو تعزيزٍ أو قوةٍ، أو نصرٍ، اتخذوه وسيلة لفتن الناس وأنفسهم[٢].

٣- وقد تضمنت السورة آية انفردت بوصف الدار الآخرة بالحيوان، في آية رقم (٦٤) من السورة، وجاءت كلمة (الحيوان) فيها: مصدرا على وزن فعلان، والحيوان: صيغة في المصادر تدلّ على الحركة المستمرة والحدوث وهي أعلى أنواع الحياة لأن من أهم صفات الحياة الحركة، فالحياة الدنيا عبارة عن نوم وسُبات بالنسبة للآخرة وهي ليست حياة إذا ما قورنت بالآخرة من حيث الحركة المستمرة، والآخرة كلها حركة وفيها سعي وتفكر وانتقال وليس فيها نوم، ولو استعملت كلمة الحياة لدلّت على التقلب فقط، ولم تدل على الحركة والحدوث فناسب استعمال كلمة الحيوان مع الحركة والحدوث الذي يكون في الآخرة"[٣].

٤- تميزت سورة العنكبوت بورود بعض الألفاظ والأبنية فيها أكثرمن غيرها من السور،فكلمة " تأتون؛ ذكرت ثلاث مرات من أصل عشر،وكلمة (يجحد؛ تكررت مرتين من أصل ثلاث،أما كلمة حَسِبَ؛ ذكرت مرتين من خمس." [٤] و تميزت بورود أبنية ومشتقات للألفاظ للألفاظ لم تذكر في السور الأخرى. وهي" تُقلبون- لنُكفِّرَنَّ- يَكْفِهِمْ- تَنْهَى- مُهَاجِرٌ-لَنَهْدِيَنَّهُمْ- مُهْلِكُو- لَهِيَ- أوْثَانًا- أوْهَنَ-لَيَأْتِيَنَّهُمْ- مُسْتَبْصِرِينَ- يُتركوا- أثْقَالَهُمْ- أثْقَالًا- تُجَادِلُوا- ليحملنَّ- بِحَامِلِينَ- الحيوان- خطاياهم-وَيُتَخَطَّفُ- لَنُدْخِلَنَّهُمْ- وَارْجُوا-وَيَرْحَمُ- لَيُسْأَلُنَّ- تَصْنَعُونَ." [٥]

---

١ الآية فيها تشبيه تمثيلي، "شبه الكفار في عبادتهم للأصنام بالعنكبوت في بنائها بيتا ضعيف النسج قابلا للاختراق والزوال، بنفخة هواء، والتشبيه التمثيلي هو ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من متعدد، " ينظر ابن عاشور، (ج٢٠/ص٢٥٢)

٢ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٠/ص٦٠)، والحلبي، الدر المصون، (ج٩/ص٢٢)، والسعدي، تفسيره، (٦٣١ص)

٣ السامرائي، فاضل صالح، لمسات بيانية في نصوص التنزيل، ص٦٣٩.

٤ ينظر سورة العنكبوت، الآيات، (٢٨-٢٩-٢٩)- (٤٧-٤٩)-(٢-٤)

٥ ينظر سورة العنكبوت، الآيات(٢١-٧-٥١-٤٥-٢٦-٦٩-٣١-٦٤-(١٧-٢٥)- ٤١-٥٣-٣٨-٢-١٣-٤٦-١٣-١٢-٦٤-١٢-٦٧-٩-٣٦-٢١-١٣-٤٥.)

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة العنكبوت، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

انفردت السورة بلفظين {العنكبوت- تَخُطُّهُ }[١]، الأول سميت به السورة، والثاني في إثبات مصدرية القرآن.

الانفرادة الأولى: "**العنكبوت**" في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ العنكبوت (٤١).

جاءت الانفرادة في تشبيه اتخاذ المشركين أولياء من دون الله باتخاذ العنكبوت بيتا، ووجه الشبه يكمن في وهن بيت العنكبوت.

أولا:دلالة مادة "عنكب" في اللغة:

جاء اللفظ تحت مادة "عنكب" رباعي الجذر، قال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: العَنْكَبوتُ بلغةِ أَهْل اليَمَن العَنْكَبوه والعَنْكباه والجمعُ العَناكِب، وهي دُوَيبَّةٌ تَنْسِجُ نَسْجا بَيْنَ الهواء وعلى رأْس البئر وغيرهِا رقيقاً مُتَهلْهلاً." [٢]ونقل الأزهري-(ت٣٧٠ه)- تباين أقوال اللغويين في تأنيثها وتذكيرها، فنقل عن الفراء-(ت ٢١٥ه)-: قوله:" التأنيث في العنكبوت أكثر.. ويجمع عناكب وعناكيب وعنكبوتات، قال ويصغر عُنَيْكباً وعُنَيْكيبا"[٣]

دلالة المادة يقصد بها تعيين جنس حشرة من الحشرات، أشهر ما تقوم به، هو نسج النسيج في الهواء. جمعه عناكب وعناكيب، يذكّر ويؤنّث، وقد يقع عنكبوت على المفرد والجمع.

ثانيا دلالة الصيغة "عنكبوت" في السياق: -

العنكبوت اسم جنس للحيوان المعروف وزنه فعللوت، فالواو والتاء مزيدتان[٤]، وهي ذات بطون وأرجل وهي ثلاثة أصناف، منها صنف يسمى ليث العناكب وهوالذي يفترس الذباب، وكلها تتخذ لأنفسها نسيجاً تنسجه من لُعابها يكون خيوطاً مشدودة بين طرفين من الشجر أو

---

١ ينظر سورة العنكبوت، الآيتين رقم -(٤١-٤٦).
٢ الفراهيدي، العين (ج٢/ص ٣٠٩)
٣ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج٣/ص١٩٨).
٤ الرصافي، الجدول، (ج٢٠/ص٣٤١).

الجدران، وتتخذ في وسط تلك الخيوط جانباً أغلظ وأكثر اتصالاً خيوطا تحتجب فيه وتفرّخ فيه، وسمي بيتاً لشبهه بالخيمة في أنه منسوج ومشدود من أطرافه فهو كبيت الشعر[١].

جاءت الانفرادة في موضعين من الآية، الأول" تشبيه " والثاني في جملة معترضة تبين وجه الشبه، في الأول، يقول الزمخشري:"الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم وتولوه من دون الله، بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوّة، وهو نسج العنبكوت." [٢]

ويقول ابن عاشور:"هذه الهيئة المشبه بها مع الهيئة المشبهة قابلة لتفريق التشبيه على أجزائها فالمشركون أشبهوا العنكبوت في الغرور بما أعدوه، وأولياؤهم أشبهوا بيت العنكبوت في عدم الغناء عمن اتخذوها وقت الحاجة إليها وتزول بأقل تحريك، وأقصى ما ينتفعون به منها نفع ضعيف وهو السكنى فيها وتوهم أنّ تدفع عنهم كما ينتفع المشركون بأوهامهم في أصنامهم، وهو تمثيل بديع من مبتكرات القرآن." [٣]

فالآية تصور العباد السذج المغيبين الذين يحتمون بغير الله ويدعونهم لقضاء حوائجهم بالعنكبوت الضئيلة اتخذت من شباك صيدها المعلقة بالهواء ملجأ، فالغرض من التشبيه هو الذم والتحقير والتسفيه لعقولهم لتلبسهم بمقاصد الأمور، فليس شباك العنكبوت بالبيت، كما ليست معبوداتهم بأولياء من دون الله، وذيل المثل بجملة معترضة تؤكد هذا الغرض وتوضح وجه الشبه، وهو الوهن؛ في قوله تعالى" **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ**" وكلمة أوهن- بصيغة التفضيل- أي ليس بيتا في الوهن يسبق بيت العنكبوت؛ والوهن يدل على الضُعف في العمل وفي الأشياء وكذا في العظم[٤]، والوهن كما جاء في الفروق اللغوية هو فعل ما يدل على ضعف[٥]، واستخدام القرآن لمادة وهن دون ضعف، لأن الوهن أخص من الضعف فهو في دخول الضعف في الشيء لم يكن قبلا؛ فلا يقصد في السورة وهن النسيج وهو ليس أهلا لذلك.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "العنكبوت " الوحدة الموضوعية للسورة

العنكبوت حشرة من مخلوقات الله، من المفصليات، ضرب بها مثلا للمشرك الذي اتخذ من دون الله وليا، وبيَّن في الآية وهن بيتها من بين البيوت، ولم يرد ذكر العنكبوت إلا في هذه السورة، والعنكبوت عجيبة من عجائب المخلوقات، فأكثر أنواعها تفترس الذكر منها بعد اللقاح، أو تتركه لصغارها فيفترسونه، وكثيرٌ من صغار العنكبوت تفترس أحد الوالدين بعد فقسها، أو

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٢٥٢)
٢ الزمخشري، الكشاف ــ (٨١٩ص)
٣ ابن عاشور، التحرير، (ج٢٠/ص٢٥٢)
٤ ينظر الفراهيدي، العين،(ج٤/ص٩٢)
٥ ينظر العسكري، الفروق اللغوية، ص٣٣٠.

أخواتها، وهي حشرة وحيدة لا تعيش في جماعات، إنما هي منفردة في حياتها، ووجّه البعض معنى وهن بيتها بهذا، وأنّ المقصود بالوهن هو وهن العلاقة الأسرية في بيتها[١].

للآية دلالات أعمق من ذلك تظهر من خلالها الرابط بين المفردة وموضوعات السورة، فبيت العنكبوت في الحقيقة هو خدعة ووهم، تبنيه العنكبوت لجذب الذكر ثم تقتله بعد التلقيح، فهو جذاب متين الصنع، وحقيقته أنه فخ وليس بيتا، فيسمى بغير ما هو عليه كحال الحياة الدنيا يفتن الناس بزينتها، وزخرفها ودقة صنعها، ولكنها هشة زائلة ليست مستقرا ولا قرارا لأحد من خلق الله، وكل ما فيها زخرف زائل، فمن سكن لها واتخذها بيتا لانبهاره بما فيها من نعم خاب وهلك، كما يهلك بيت العنكبوت.

الانفرادة الثانية: "**تُخطه**" في قوله تعالى﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾ العنكبوت (٤٨). جاء اللفظ في سياق مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، ومن الإحسان تقديم البرهان الدال على صدق النبي–صلى الله عليه وسلم– بما يقول، والرد على المشككين بمصدره.

أولا: دلالة مادة "خطّ" في اللغة.

أصل مادة "خط" وهو في اللغة الأثر الممتد، يقول الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: الخُطَّة من الخَطّ كالنُّقْطة من النَّقْط، والخَطُوط: من بَقَر الوَحْش الّذي يَخُطُّ الأرض بأظلافه وكلُّ دابّةٍ تَخُطُّ الأرضَ بأظْافِرها فكذاك، والخَطُّ: ضربٌ من البَضْع تقول: خَطّ بها أي: نكحها ويقال: خطّ بها قساحاً، الخَطُّ: الكتابة ونحوها مما يُخَطُّ، والخِطَّة: أرضٌ يختطُّها الرّجلُ إذا لم تكنْ لأحَدٍ قبْلَهُ[٢]."

قال ابن فارس–(ت٣٩٥ه)–:" الخاء والطاء أصلٌ واحد؛ وهو أثرٌ يمتدُّ امتداداً، فمن ذلك الخطُّ الذي يخطُّه الكاتب، ومنه الخطّ الذي يخطُّه الزَّاجر.[٣]"، قال الأصفهاني–(ت٥٠٢ه): الخط كالمد، ويقال لما له طول، والخطوط أضرب فيما يذكره أهل الهندسة من مسطوح، ومستدير، ومقوس، وممال..[٤]"

مادة اللفظ تدل الأثر الممتد بين نقطتين، واستخدم الخط لدلالة على الكتابة، وذلك أنّ الكتابة ما هي إلا التقاء نقاط متقاربة لتشكل حرفا فكلمة.

---

١ ينظر خليل، نظمي، بيت المسلم وبيت العنكبوت معجزة علمية، http://www.٥٥a.net
٢ الفراهيدي، العين (ج٤/ص ١٣٧)
٣ ابن فارس، المقاييس، (ص٣٤٠)
٤ مفردات القرآن، الأصفهاني، (ص١٠٩)

ثانيا: دلالة الصيغة "تخطه" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة المضارع المنفي، المعطوف على "ما كنت تتلوا"، والمقصود هو نفي وسيلتي التعلم (القراءة والكتابة)عن النبي–صلى الله عليه وسلم– القراءة والكتابة، لتحقيق أقصى درجات النفي، فبدأ بالقراءة وهي أولى بالنفي إذ يستحيل بمن لا يعرف القراءة أن يكتب، ولكنه زاد التأكيد بنفي الكتابة أيضا[١].

وبعد نفيهما قُدر شرط محذوف، وهو "لو كنت تتلو كتابا أوتخط بيمينك مكتوبا" جوابه " إذا لارتاب المبطلون" [٢]، والتعبير بالخط أبلغ من لفظ الكتابة لأنّ فيها نفي استخدام النبي–صلى الله عليه وسلم– للقلم بأي أشكال الخط، فلا يكتب كلمات أو يخط خطوطا وأشكالا، ونفت عنه شبهة عظيمة وهي "أنه لا يحسن التعلم"، فنفي الخط أثبت أنّ النبي–صلى الله عليه وسلم– لم يتعلم الخط والكتابة قط، بدلالة عدم خطه أي شيء من قبل، وأكد هذا المعنى ما سبقه من نفي التلاوة "القراءة " لجنس الكتاب، فلم يسبق له تلاوة أي كتاب من قبله، فنفى عنه شبهة التعلم من اليهود أيضا، وإضافة "بيمينك" للخط فيها تأكيد على نفي فعل الكتابة عنه، كقولنا "نظرت بعيني" والمعروف أن العين هي وسيلة البصر الوحيدة، ولكن لتأكيد الرؤية[٣].

وفي الآية دليل أنّ المشركين ليس عندهم ارتياب أنّ القرآن من عند النبي –صلى الله عليه وسلم–، لعلمهم أنّه كان بينهم قبل نزول القرآن لا يعلم جنس القراءة والكتابة، وفيها لطيفة أنه حتى لو كان يقرأ ويكتب فإنه سيحصل عندهم "ريب" وليس اعتقادا أو يقينًا بمصدرية القرآن، وذلك لعجز الخلق مجتمعين على الإتيان بمثله[٤].

ثالثا: علاقة الانفرادة " تخطه" بالوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفرادة في السورة، بمعنى الوصل بين النقطتين "خط"، في مخاطبة النبي–صلى الله عليه وسلم– والمقصود حقيقةً بالخطاب هم المبطلون لرسالته، فالانفرادة في السورة تتعلق بتأكيد مصدرية القرآن، وصدق النبي–صلى الله عليه وسلم، وتؤكد أنّ حاله مع القرآن كان حال المتلقي، ولم يكن له فيه من عمل بعد ذلك إلا الوعي والحفظ، فكان القرآن صريحا أن لا صنعة لمحمد –صلى الله عليه وسلم– فيه، ولا لأحد من خلقه، إنما هو من عند الله لفظا ومعنى[٥].

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢١/ص١٠)
٢ينظر الحلبي، الدرر المصون،(ج٩/ص٢٣)
٣ ينظر الآلوسي، روح المعاني، (ج١١/ص٥).
٤ ينظر الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٥/ص٦٧)
٥ ينظر دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، الدوحة، دار الثقافة، ص١٩–٢٠.

ويظهر سر تميز السورة بهذه الانفرادة في بيان أنّ الإيمان الذي يكون فيه النجاة من الفتن هو إيمان الاتباع لا الابتداع، وأنّ المنهجية التي يتحصل معها التمكين في الفتن هي المنهجية القائمة على إعلاء كلمة الله في النفس والكون، فيكون الثبات في الفتن بتتبع ما خطّه النبي–صلى الله عليه وسلم – لأمته، فإن كان لم يخط الخطوط في الألواح، فإنه خطّ منهجية حياة كاملة تضمنت الثبات في الدنيا وما يعصف بها من محن وفتن.

فكانت النجاة الحقيقية في اتباع ما يتلوه عن ربه وفي تتبع خطاه –صلى الله عليه وسلم–. [١]" ونفت عنه الآية أيضا الخط الذي اشتهر به العرب قديما أيضا وهو خط الرمال، وهو من صنيع الكهان، حيث اشتهر قديما عند العرب، وفي الأثر الذي أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الكهانة"عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ أنه قال للنبي –صلى الله عليه وسلم–:"... وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ، قَالَ: كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَا"وصورة ذلك عند العرب هو أن يأتي الشخص يطلب معرفة الخير في شيء، يجعل له الحازي–الذي يخط– يرسم سريعا خطوطا كثيرة متلاصقة، ثم يمحوها سريعا خطين خطين، فإن بقي خطان فيفرح، وأن بقي خط خاب "، وقد اختلفوا الشراح في معناها في حق نبيٍ من الأنبياء، فقيل هي خاصية لذاك النبي بوحي لا تحل لغيره، وإلا كانت ضرب من الكهانة، وقال بعضهم:هو علم يقوم على الفراسة والحساب استخدمه بعضهم لغير ما أريد.[٢]

---

١ صح عن النبي–صلى الله عليه وسلم– أنه خط في المدينة، بمعنى رسم شكلا يوضح به طول الأمل عند الإنسان، ولا يتعارض هذا مع الآية؛ ذلك أنّ النفي تضمن نفي الخط عنه من قبل الوحي، وأن النفي في الاية يدل على الكتابة، فجاء في الأثر خط النبي –صلى الله عليه وسلم– خطا مربعا، وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط، وقال:" هذا الإنسان وهذا أجله محيط به – أو قد أحاط به – وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأعراض فإن أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا"أخرجه البخاري في صحيحه، باب في الأمل وطوله، حديث رقمه(٦٠٥٤).

٢ ينظر المبارك، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد الحريملي النجدي،١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢ م، تطريز رياض الصالحين، تح:عبد العزيز بن عبد الله، ط١،الرياض دار العاصمة، (ج٢/ص٤٠٠).

المبحث الثاني

الانفرادات اللفظية في سورة الروم، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

توطئة: تقديم السورة

سورة الروم من السورة المكية[١]، وعدد آياتها عد أهل المدينة وأهل مكة تسع وخمسون، وفي عدد أهل الشام والبصرة والكوفة ستون[٢]، تقع في الجزء الحادي والعشرين من المصحف الشريف، وجاءت في كتب أسباب النزول رواية ارتبطت بنزول السورة، وفيها "عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت **{ الم * غلبت الروم...)** كان الفرس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم وإياهم أهل كتاب، بينما كانت قريش تحب ظهور فارس؛ لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة **{ الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين }** قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بينا وبينكم زعم صاحبكم أنّ الروم ستغلب فارسا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال: بلى.- وذلك قبل تحريم الرهان- فارتهن أبو بكر والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر: كم تجعل البضع ثلاث سنين إلى تسع سنين فسم بيننا وبينك وسطا تنتهي إليه؟ قال: فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين لأن الله تعالى قال في بضع سنين...[٣]." [٤]

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (٤ج/٣٨٠ص)، وابن عاشور، التحرير والتنوير(ج٢١/ص٤٠).

٢ ينظر القرطبي، الجامع أحكام القرآن، (١٤ج/١ص).

٣ أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير باب سورة الروم، حديث رقم(٣١٩٤)، وقال صاحب السنن عنه: هذا حديث صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال الشيخ الألباني: حسن، ينظر طبعة دار أحياء التراث، (٥ج/٣٤٤ص).

٤ قال القاسمي في محاسن التأويل:" اتفق المؤرخون من المسلمين وأهل الكتاب على أن ملك فارس كان غزا بلاد الشام، وفتح دمشق، وبيت المقدس، الأولى سنة ٦١٣م، والثانية سنة ٦١٤م؛ أي: قبل الهجرة النبوية بسبع سنين – فحدث أن بلغ الخبر مكة، ففرح المشركون، وشمتوا بالمسلمين، وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن وفارس وثنيون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرنّ عليكم، فنزلت الآية، فتليت على المشركين، فأحال وقوع ذلك بعضهم، وتراهن مع الصديق رضي الله عنه على مائة قلوص، إن وقع مصداقها، فلم يمض من البضع – وهو ما بين الثلاث إلى التسع – سبع سنين إلا وقد نظم هرقل جنود الروم وغزا بهم بلاد فارس سنة ٦٢١م؛ أي: قبل الهجرة بسنة، فدوّخها، واضطر ملكها للهرب، وعاد هرقل بالغنائم الوافرة." القاسمي، محاسن التأويل، (٨ج/٤ص)

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة الروم، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

تنوعت موضوعات سورة الروم، وتشاركت في مقاصدها العامة مع كثير من السور المكية، من دحض الشرك وإثبات البعث، والجزاء، قال عنها البقاعي-(ت٨٨٥ه): " مقصودها إثبات الأمر كله، فتأتي الوحدانية والقدرة على كل شيء، فيأتي البعث ونصر أوليائه، وخذلان أعدائه، وهذا هو المقصود بالذات[١]."

وقال قطب-رحمه الله -: " جو السورة وسياقها معاً يتعاونان في تصوير موضوعها الرئيسي، وهو الكشف عن الارتباطات الوثيقة بين أحوال الناس، وأحداث الحياة وماضي البشرية وحاضرها ومستقبلها، وسنن الكون ونواميس الوجود....وأن مرد الأمر فيها كله لله: {لله الأمر من قبل ومن بعد} وهذه هي الحقيقةالأولى التي يؤكدها القرآن كله، بوصفها الحقيقة الموجهة في هذه العقيدة، الحقيقة التي تنشأ عنها جميع التصورات والمشاعر والقيم والتقديرات؛ والتي بدونها لا يستقيم تصور ولا تقدير."[٢]

الوحدة الموضوعية للسورة تكمن في إظهار الرابط بين تحقق وعد النصر- نصر عقيدة التوحيد على عقيدة الشرك- واليقين التام بالبعث ولقاء الله، وفي التفكر في آيات الله؛ فترتفع تصورات النفس المؤمنة في تدبرها لترابط هذه الحلقات الثلاثة لتصل إلى اليقين بأن تطورات الأحداث وتقلب أحوال البشر قائم على ناموس دقيق فطره الله عليه، فتتحدد أهداف النصر بما يتناسب وموقف الإنسان من هذا الكون ودوره في النهوض بأمته بما حصّل من إيمان وعلم وسببٍ فيبصر الناس عن حقيقة هذا الكون، والغاية من خلقه.

ودل على هذه عقيدة جند طالوت في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤٩). ومن أعظم ما اشتملت عليه السورة تصريحها بأنّ التوحيد هو دين الفطرة، وأنّ غيره

---

١ البقاعي، نظم الدرر ــ (ج٥/ص ٥٨٢).
٢ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٣٦).

طارئ عليه، وأنّ محاولة تبديله ما هو إلا خرق لقانون الفطرة، فنجم عنه العلل والعواقب الهالكة[١].

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى:بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

جاءت موضوعات السورة متآلفة في المقدمة والمقطعين والخاتمة، لتنسجم في بيان حقيقة ارتباط الكون كله بأمر الله، ولتمكن عقيدة التوحيد والبعث والجزاء، فكانت **المقدمة** بشرى النصر من الله، الآيات(١-٦)، وجاءت المقاطع التالية تبين أسباب تمكن عقيدة التمكين والثبات في القلب التي لا يكون النصر إلا بها. **فالمقطع الأول** بين حقائق وسننا كونية تدعو إلى دين الله القيم، الآيات(٧-٣٣)، وكشف حقيقة علم الناس، وأنّ غفلتهم عن آيات الله الدالة على الآخرة أحبطت من قيمة هذا العلم، وبينت الآيات سنة تفرق الجماعة الكافرة يوم القيامة، ونصر الجماعة المؤمنة، وفيه استحقاق الله للحمد على عظيم ما خلق وقدّر ودبرفي كونه، وفيها دعوة إلى التفكر في هزيمة الأمم الغابرة التي استقوت وتجبرت في الارض، وفي إحياء الأرض بعد موتها آية على قيام الناس وبعثهم، وفي بدء الخلق وتنظيم معاشهم وتسخير الكون لهم؛ كلها آيات تحيي عقيدة التوحيد والتمكين في القلب، وختم المقطع ببيان أنّ النصرعلى النفس يكون بإقامة دين الله، وهو الدين القيم –المنتصر المقبول الذي لا اعوجاج فيه– الذي فطرت عليها النفس، رغم غفلة أكثر الناس عن هذه الحقيقة، وتفرقهم لطوائف وجماعات توالي غير الله، وتفرح بما هي عليه من الباطل.[٢]

المقطع الثاني في تقلب أحوال الناس، وانعدام معيار الثبات في الاستدلال على الحق، الآيات(٣٤-٥٧)، تبدأ آيات المقطع بتصوير حال الناس في حال ضيق الرزق وسعته، وتبدل عقائدهم تبعا للهوى، وفي بيان عجز ما يعبدون من دون الله، وغفلتهم عن عاقبة من سبقهم من المشركين، وأنّ الثبات لا يكون إلا في التمسك بدين الاستقامة والفطرة، ثم تستعرض الآيات دلائل بديع صنع الله في الأنفس والآفاق[٣].ثم جاءت **خاتمة** فيها تحقق الوعد بالصبر.الآيات(٥٨-٦٠) وتختم السورة بتوجيه النبي–صلى الله عليه وسلم –إلى إلى الصبر على دعوته، وطمأنته أن وعد الله سيتحقق.

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٤١).
٢ ينظر قطب في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٣٥)، والبقاعي، نظم الدرر، (ج٥/ص٦٠١-٦٢٣)،والسعدي، تفسيره، (ص٦٣٦-٦٤١).
٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن.(ج٦/ص٤٣٦).

العلاقة الثانية: علاقة سورة الروم بالسورة المجاورة لها "سورة لقمان".:

سورة لقمان من السور المكية[١]، وقد تناسبت موضوعات السورتين في بيان أثر العقيدة السليمة –المؤمنة بعظيم قدرة الله، وأن الأمر كله له من قبل ومن بعد – وتظهر أثرها على أفعال وحكمة العبد المؤمن، فلما كان القرآن فيه من كل مثل، جاءت سورة لقمان تبين مثل الذي أوتي العلم والإيمان في فهم حقيقة الكون، ودور الإنسان فيه ومسؤوليته الكاملة عن أفعاله في الدنيا، وتظهر السورتان حقيقة اعتقاد الكافر بالله رغم كفره به، وظهور هذا المعتقد دلت عليه أحواله في الشدائد، يقول تعالى في سورة الروم: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ الروم (٣٣) في سورة لقمان:﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ لقمان(٣٢).

وظهر التناسب بين خاتمة سورة الروم مع مقدمة سورة "لقمان" في بيان صدود الكافرين عن آيات الله، فقال تعالى " ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ الروم(٥٨)، في مطلع سورة لقمان بعد مدح آيات الكتاب ظهر سبب صدود الكافرين عن اتباعه في قوله تعالى: " {﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان(٧)، فالرابط بين الخاتمة والمقدمة هو آيات القرآن الكريم وشمولها كل ما يلزم الإنسان من حقائق تستقيم بها حياة الفرد، وتبين عاقبة المعرضين عنها.

ثانيا: خصائص سورة "الروم" مضمونا وأسلوبا.

القسم الأول: خصائص السورة مضمونا:

١– تضمنت السورة خبرا غيبيا في قوله تعالى " ﴿ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾، الروم(٢ – ٤) ويظهر عجيب هذا الخبر بكشفه حقائق غيبية قبل حصولها بسنين، ذلك أن الفرس

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٣٩٩).

دولة منيعة وقد هاجمت من بلاد الروم الجزء العظيم، وازدادت هيمنتها عليها، وكان انهزام الروم ساحقا، لا يتصور أن يقوموا بعدها، فأخبر القرآن بوقوع عكس ما هو متوقع، ويتحقق خبر نصر الروم على الفرس ليكون نصرا من الله للمؤمنين مع ضعفهم وتسلط عدوهم عليهم، فذلك دليل بليغ على أنه نبأ إلهي عظيم ووعد رباني صادق[١].

٢- تظهر وحدة السورة في الربط بين عقيدة التمكين والنصر وعقيدة لقاء الله عبر التفكر في آياته، لهذا جاء فيها عدد من الآيات التي تتضمن حقائق تحض على التفكر، منها:

أ- آية تنطوي تحتها آيات، في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١)، منها تذكير الناس بنظام الأزدواج عند البشر، والغاية من تشكل الأسر والأرحام، وفطرة التناسل التي تقوم عليها البشرية وتستمر. ففي سياق الامتنان جعل الله للناس في الزواج نظاما فطريا عقليا عاطفيا متجانسا قائما على مراعاة الروابط الإنسانية كلها، ففيه الأنس والطمأنينة الحاصلة من خلق الزوجين من أصل واحد، مع اختلاف الجنس، وجعل كل واحد منهما لباسا للآخر يستره ويكمله، وفطر الأنفس على المودة وهي المحبة والرغبة في الآخر وتمني الوصول إليه، والحرص على رضاه، ثم جاء الرابط الذي جعل غريبين عن بعضهما قبل الزواج يتراحمان ويشفقان على بعضهما كالأرحام، وينجبان الأرحام، فكانت الرحمة السور الذي يحمي ما بينهما ويدفع عنها كل جفاء[٢].

ب- وفيها آية تعدد القوميات والأعراق، في قوله تعالى:" ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم: ٢٢)، "وهي من السنن التي فطر عليها الخلق، ومن آيات الامتنان على الناس، التي يفترض بها أن تكون حافزاً للتنافس والتسابق لفعل الخيرات، في ظل عقيدة التوحيد، بينما كان اختلاف اللون- وهو خلقة- واللسان- وهو مكتسب- في ظل انعدام الوعي الصحيح لحقيقة الخلق، سببا في تعصب الأمم لألونهم ولسانهم، وظلمهم لبعضهم تحت مسميات عقيمة قائمة على العصبية الجاهلية."[٣]

---

١ ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/٥١٢)، والآلوسي، روح المعاني، (ج٢١/ص١٩)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٧١).
٣ البنا، جمال، التعددية في مجتمع إسلامي، دار الفكر الإسلامي(ص ١١-١٢)

٣- تضمنت السورة آية تبين أنّ الفساد الحاصل في الأرض سببه الرئيس هو الناس، ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الروم(٤١)، وبيان سبب عموم الفساد، هو اقتراف الناس للمعاصي، وغرقهم في الشهوات، وتفلتهم من القوانين والتشريعات الربانية فانتشر الفساد وعمّ، وانتشاره لا يكون عبثاً أو اعتباطاً، وإنما يتم بسبب إعراض الناس عن طاعة الله، وإصرارهم على معصيته.[١]

٤- تضمنت سورة الروم آيات أكدت حقيقة كفر كثير من الناس رغم وضوح الآيات وظهورها، في قوله تعالى:" { أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}[٢] ذكرت مرتين، وثالثة في قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾ الروم (٨).

ثانيا: الخصائص الأسلوبية للسورة.

١- ولما كانت السورة تدور حول قدرة الله تعالى وتوليه لأمر الكون كله كثرت في السورة آيات القدرة، والتذكير بآيات الله، فبدأت سبع آيات بقوله تعالى: "ومن آياته" من أصل إحدى عشرة مرة في آيات القرآن[٣].في قوله تعالى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ (الروم ٢٠)، ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم ٢١)،

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ (الروم

---

١ ينظر طنطاوي، الوسيط، (٣٣٤٦ص)
٢ ينظر سورة الروم الآيات(٦-٣٠).
٣ ينظر سورة الصافات، الآيات(٣٧-٣٩)، وسورة الشورى الآيات، (٢٩-٣٢).

٢٢-٢٥﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الروم ٤٦).

وقد اتحدت هذه الآيات في غرض التذكير، وانطوت تحت كل آية منها آيات عدة ومعجزات كونية غفلت النفس عن تدبرها والتفكر فيها، فانطوت تحتها عجائب ودقائق عظيمة، تدعو إلى التفكر في عظم القوى التي تدير هذا الميزان الدقيق الذي يسير عليه الكون، وأنّ حقيقة الغفلة عن هذه الآيات هي استكبار الناس عن الاستسلام لنتاج ما خلصت له أفكارهم وعقولهم[١]. "وفي تفنن الآيات في التعبير عن معاني المصدر بأنواع صيغه الواردة في الاستعمال، من تعبير بصيغة صريح المصدر تارة كقوله: "خلق- وابتغاؤكم "، وبالمصدر الذي ينسبك من اقتران (أن) المصدرية بالفعل الماضي: (أن خلق)، واقترانها بالفعل المضارع: "أن تقوم السماء"، وباسم المصدر تارة:" "منامكم"، ومرة بالفعل المجرد المؤوّل بالمصدر:" ومن آياته يريكم البرق."[٢] ودلالة هذا التنوع في التعبير ليناسب تجدد النعم وثبوتها، فمنها ما هو حَدَثٌ ارتبط بالزمان الماضي، ومنها ما ارتبط بالمستقبل، ومنها ما هو دلَّ على الحدث المجرد من الزمان.

٢- اختصت السورة بوصف أحوال للمشركين يوم تقوم الساعة، كالإبلاس، والتفرقة،والإفك، في قوله تعالى:" ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ **الروم(١٢)**، {﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ **الروم(١٤)**، وتناسب تنوع الوصف لأحوالهم مع محور السورة القائم على تقلب أحوال البشر في الدنيا، فكانت أحوالهم متقلبة في الآخرة، فهم مبلسون؛ والمبلس هو الكئيب الحزين المتندم٣، وهم متفرقون عن بعضهم يتميزون[٤]، يؤفكون؛ يكذبون بعلم الساعة وخبرالمنذرين، فيصرفهم أهل العلم ويشهدون على كذبهم في الآخرة، كما صرفوا أنفسهم بترهاتهم عن الإيمان في الدنيا[٥].

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٧٨)
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٧٨)
٣ الفراهيدي، العين، (ج٧/ص٢٦٢)
٤ ابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٨٤٣)
٥ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٦٩).

٣- انفردت السورة بذكر التركيب" يوم البعث" مرتين في آية واحدة، ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الروم(٥٦)، في سياق محاجة المنذرين للمكذبين بلقاء الله، وهذا يدل على الرابط بين عقيدة التمكين والنصر وعقيدة البعث في قلب المؤمن، ذلك أنّ الأمة متى ما ارتبطت بالبعث والجزاء تحصل التمكين والنصر.

٤- تميزت السورة بإيراد آية تظهر أطوار حياة الإنسان من حيث ضعفه وقوته، في قوله تعالى﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ **الروم(٥٤)** ناسبت هذه الآية مقاصد السورة في بيان سنة التقلب في أحوال الناس التي فطرها الله في الحياة، وتقاس عليها حياة الأمم وتطورها.

٥- تميزت السورة بذكرها ثلاث جمل استفهامية في محل التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله باستخدام وسائل الاعتبار " التفكر "- الرؤية – السير المتأمل في آثار من مضى من الأمم"[١]

٦- جاء في السورة لفظ "يفرح وفرحوا في وصف سعادتهم في الدنيا، ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ الروم(٤) - {﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ الروم(٣٦)، وانفردت السورة مع سورة الزخرف٢ بوصف فرحهم الشديد بالجنة بالحبر" ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ الروم(١٥)..، والحبرة الفرح، ولم يرد فعل الحبر إلا في أفعال أهل الجنة، وذلك لأنها مصحوبة بالأثر الحسن والبهاء والطلة المزينة[٣]، فالفرح في الآيتين ارتبط بالحوادث التي تصاحبه ويتغير بتغيرها، وفرح الآخرة "حبر" يرتبط بالمكان وليس بالحدث أو الزمان، فأحوال الآخرة ثابتة لا تغير فيها، فالسعيد فيها لا يشقى، والشقي فيها لا يسعد.

---

١ ينظر سور الروم الآيات"أولم يتفكروا في.." آية ٨، و" أولم يسيروا في الأرض.." آية ٩،و"أولم يروا أن الله يبسط.." آية ٤٢.

٢ ينظر آية سورة الزخرف، {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ } [الزخرف: ٧٠]

٣ ينظر الن فارس،المقاييس، ص٢٩٢.

٧- تميزت السورة بورود أسلوب الطباق في كثير من آياتها، وناسب هذا الأسلوب مقاصد السورة التي توضح سنن التغير في الدنيا وتقلب أحوال الناس فيها، ومنها قوله تعالى" ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾ الروم(٢، ٣)، ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الروم(٤)، ﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ الروم(١١)، ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ﴾ الروم(١٧)، ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ الروم(١٩).

٨- انفردت السورة بذكر أبنية للألفاظ أكثر من غيرها من السورفلفظ " تقوم-تكرر أربع مرات من إحدى عشر مرة، موتها؛ ذكر ثلاث مرات من أصل إحدى عشرة مرة، وجه الله ذكر في السورة مرتين من أصل إحدى عشرة مرة في القرآن، -وكذا في سورة البقرة-، آتَيْتُمْ؛ مرتين من أصل خمس،"البعث" ذكرت مرتين من أصل ثلاث، "تُحيي" ذكر ثلاث مرات من أصل عشرين مرة[١]."

٩- انفردت السورة بعدد من الأبنية التي لم تذكر في سور أخرى" يُقسم- ألوانكم- تنتشرون- ينصر- منامكم- مُبشرات- مُبلسين- أثاروا- روضة يحبرون- شيبة-تصبحون- يصدعون- ضُعف- المضعِفون- تُظهرون[٢]"

١٠- انفردت السورة بلفظين لم يذكرا في غيرها من السور وهم "الروم- تمسون"وهو موضوع البحث في المطلب القادم.

---

١ ينظر سورة الروم الآيات" (١٢-١٤-٢٥-٥٥)-(١٩-٢٤-٥٠)-(٣٨-٣٩)-(٣٩-٣٩)-(٥٦-٥٦)-(١٩-٢٤-٥٠).

٢ ينظر سورة الروم الآيات(٥٥-١٢-٢٠-٥-٢٣-٤٦-٤٩-٩-١٥-٥٥-١٧-٤٣-٥٤-١٩-١٨).

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة الروم، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

تميزت السورة بعدد من الانفرادات لم تتكرر في غيرها من السور، وهي:" الروم – وتمسون" وعمل الباحثة هو البحث عن الرابط بين دلالات الانفرادة وبين الوحدة الموضوعية للسورة.

الانفرادة الأولى: "**الروم**" في قوله تعالى " ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ الروم(٢).

جاءت الانفرادة في مطلع السورة، وسميت السورة بها، وفيها نبأ غلبة فارس على الروم، فأهمل القرآن ذكر فارس –وهم من الوثنين– وذكر الروم وهم من أهل الكتاب، وسيظهر من تتبع دلالات المفردة علاقتها بوحدة السورة وأهم مقاصدها.

أولا: دلالة مادة "روم" في اللغة.

جاءت الانفرادة تحت مادة" روم"، وأصلها: طلب الشيء، قاله الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–في العين وابن فارس–(٣٩٥ه)– في المقاييس[١]، في تهذيب اللغة للأزهري–(ت٣٧٠ه)–: عن ابن الأعرابي –(٢٣١ه)–: الرَّوْمُ: شَحمة الأذن؛ وعن الأصمعيّ–(ت٢١٦ه)–: الرُّومة، بلا همزة: الفِراء الذي يُلْصق به ريشُ السَّهْم، من الظِّباء الآرام، وهي البيض الخالصة البَياض،وهي تَسْكُن الرِّمال.

وعنه: الروميُّ: شِراع السَّفِينة الفارغة، وبئر رُومة: التي –اشتراها– عثمانُ بناحية المَدِينة.

والرُّوم: جِيلٌ يَنْتمون إلى عِيصُو بن إسحاق بن إبراهيم– عليهما السلام–."[٢]

وقال الأصفهاني في مفردات القرآن–(ت٥٠٢ه)–: " الروم يقال مرة للجيل المعروف، وتارة لجمع رومي كالعجم[٣]."

دلالة المادة في اللغة تدل على طلب الشيء، والعلاقة بين دلالة المادة وبين المقصود من اللفظ –وهو جيل من العجم– تظهر فيما قاله الأصمعي عن الظباء الآرام، وهي الخالصة البياض، فالرابط المقبول بين دلالة المادة في المعاجم وبين جيل من الناس الأعاجم، هو البياض الخالص المعروفة به ظباء الرمال، وهي صفة شكلية غالبة عند الروم، والطلب لهذه الظباء والرغبة بصيدها، يربط بين المعنى الأصل للانفرادة وبين الظباء الفريدة الخالصة البياض.

---

١ ينظر الفراهيدي، العين (ج٨/ص ٢٩١)، وابن فارس، مقاييس اللغة، (ص٤٣٢).
٢ الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٥/ص٢٠٢).
٣ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ص١٥٧.

ثانيا: دلالة صيغة "الروم" في السياق.

الروم اسم جنس، الفرق بينه وبين مفرده ياء النسبة، يقال رومي في الواحد[١]. والروم يطلق على جيل مشهور من العجم، يعود نسبهم إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام[٢]، وأصل تسمية الروم نسبة إلى مدينة روما، وقد ورد ذكر المفردة في رسالة النبي–صلى الله عليه وسلم– إلى هرقل عظيم الروم[٣]، وجاء في كتب التاريخ أن روما تأسست عام ٧٥٣ قبل الميلاد، واستمرت عاصمة للدولة الرومية كلها حتى عام ٣٣٠ ميلاديا، عندما اتخذ الإمبراطور قسطنطين بيزنطية عاصمة له بدلا من روما، مطلقا عليها اسم القسطنطينية، وفي عام ٣٩٥م انقسمت دولة الروم إلى قسمين، القسم الأول: القسم الغربي، وهو دولة الروم الغربية، وعاصمتها رومية، والقسم الشرقي وهو دولة الروم الشرقية، وعاصمتها القسطنطينة[٤]."

والمشهور إطلاق اللفظ على أمة من العجم كانوا يسكنون الشام وغيرها، وهم من أهل الكتاب، وجاء اللفظ في السورة ينوب عن الفاعل لفعل غُلب، وهو "الفرس"، وسر المجيء بالنائب دون الفاعل، تحقيرا للفرس أولا، وتأكيدا على أن غلبة الروم كانت بإرادة الله، وأنه سبحانه سيجعل الغلبة لهم في بقعة محددة "أدنى الأرض"في بضع سنين.

ثالثا: علاقة الانفرادة " الروم" بالوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة عنوانا للسورة، لتدل على جيل من العجم سكن الشام –وهم من أهل الكتاب– غُلبوا بأمر الله، وفي الأثر أنّ عدوهم ظهر عليهم ظهورًا قاصما، ولكن الله عزّ وجلّ نبأ بخبر يستحيل لأحد مهما علم من تقلب أحوال الأمم أنّ يخبر به ويؤكد عليه، بل ويحدد موعدا له، إلا إن كان هو من يقدر هذه الحوادث ويقرر حدوثها، وذلك لا يكون إلا لله، فهي كلها مرتبطة بأمره تعالى، ما مضى منها، وما هو كائن في المستقبل، وبعد أنّ أخبر عن هزيمة الروم، اتبعه ببشرى أن نصر الله قادم للمستضعفين من المسلمين يفرحون به، وأن من نصر الروم بعقيدتهم –المنحرفة – حق عليه نصر المؤمنين، الذين نهجوا أعظم سبل النصر وهي الاستقامة على دين الله.

فتستعرض الآيات عظيم مقدرة الله في كونه، وتؤكد أنّ تغير أحوال الكون وتقلبه هو مما فطرت عليه الحياة الدنيا، وضرب مثالا للناس بهزيمة الروم ثم غلبتهم، والروم– وامتدادهم اليوم

---

١ ابن سيده، المخصص ــ (ج٥/ص ٦٩)

٢ ينظر الأزهري، تهذيب اللغة، (ج١٥/ص٢٠٢).

٣ أخرج البخاري في صحيحه، بَاب {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ}، حديث رقم (٤٥٥٣).

٤ ينظر سعيد عند الفتاح، عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ط١، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة، ص١٣.

في أمة الغرب- منذ عقود وهي بهذا التبدل، فتارة يغلبون وتارة يُغلبون، وليس نصرهم يعني صحة عقيدتهم الشركية، إنما هو تبدل لتبدل الأسباب التي فطر الله الكون عليها، يقول تعالى :- ﴿.. **وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاس..** ﴾آل عمران(١٤٠)، فالنصر الحقيقي الذي وعد به المسلمون هو ثباتهم على دين الله القيم، فليس علو الروم أو هبوطهم دلالة أنهم على حق، إنما الحق في الصبر على تقلب أحوال الدنيا والتمسك بالدين القيم، فليست العبرة بكثرة السالكين إنما بثبات القلب على الإيمان.

فالروم من أهل الكتاب، وكتابهم أمرهم باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- عند بعثه، ولكن أكثرهم كفروا به وحاربوا دينه حتى يومنا هذا، فحقيقة النصر تكمن في دوافعه، وأهدافه، فمن حقق نبل الهدف والغاية حقق النصر، فالنصر الحق هو نصر دين الله.

الانفرادة الثانية: "**تمسون**" في قوله تعالى": ﴿ **فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ** ﴾ الروم(١٧).

انفردت السورة بلفظ "تمسون" في سياق تنزيه الله سبحانه عن النقائص وأمر عباده بتسبيحه في المساء والصباح.

أولا: دلالة مادة" مسي" في اللغة

تمسون مضارع من "مسي" والأصل فيه الدلالة على زمان من الأزمنة[١]، قال الفراهيدي- (ت١٧٥)-:" المُسْيُ من المساء، كالصُّبْح من الصّباح، والمُمْسَى كالمُصْبَح، والمساء بعد الظُّهْر إلى صلاةِ المَغْرب، وقال بعضٌ إلى نِصْفِ اللَّيل، وقول الناس: كيف أمسيت؟ أي؛ كيف كنت في وقتِ المَساء؟ وكيف أصبحت؟ أي؛ كيف صرتَ في وقتِ الصُّبْح؟ ومسّيت فلانا؛ قلت له: كيف أمسيت؟ وأمسينا نحن؛ صِرْنا في وقت المساء.[٢]"

ودلالة المادة على زمن الإمساء وهو خلاف الإصباح، وهو وقت الزوال إلى منتصف الليل.

ثانيا: دلالة صيغة "تمسون" في السياق.

جاءت الانفرادة في صيغة المضارعة التي تدل على تجدد الحدوث والاستمرار للفعل، بمعنى تنزيه الله عن النقائص كلما تجدد عليكم زمان المساء والصباح، وأصل الفعل من الإمساء بصيغة الإفعال، وهمزته تدل على دخول مكان، كما في أنجد، وأتهم وأيمن، وأشأم، وهي في

---

١ ينظر ابن فارس، المقاييس، ص٩٨٥.
٢ ينظر الفراهيدي، العين (ج٧/ ص٣٢٣).

حلول الأوقات مثل أصبح وأضحى وأعتم وأشرق و أعشى، وجاء الفعل بصيغة الجمع وفاعله كل المخاطبين، وهو ظرف متعلق ب"سبحان الله"وجاء التسبيح بالصيغة الإنشائية المتضمن معنى الخبرية، فكان المعنى تنزيه الله عما نسبوه إليه من العجز عن إحياء الموتى، وخبرية بمعنى إنشاء تنزيه لله في هذه الأوقات،والمقصود منها التأبيد، والمبالغة في الاستحقاق، أي سبحان الله دائما، وتقديم الإمساء على الإصباح هو تقديم الأصل على الحادث، فالظلمة هي الأصل وضوء الشمس هو الحادث عليها[١]."

ثالثا: علاقة الانفرادة "تمسون" في الوحدة الموضوعية للسورة.

جاءت الانفرادة في سياق الوعد والوعيد، لبيان عاقبة المكذبين بالبعث، تحث على تنزيه الله عزّ وجلّ عن كل قبيح في هذه الأوقات لما يحدث فيها من تجدد النعم، والبدء ب"يمسون" دلالة على المساء؛ فيه دلالة السكون والنوم، وهو الأصل في الكون السكون، ويغلب ذكر الله في الإمساء لما فيه من استقبال نهاية حقبة من الزمن، والإصباح فيه بعث من الموتة الصغرى.

وفي الآية –وما بعدها– دلالة على أوقات الصلوات الخمس، فالتسبيح في المساء والصباح، وإثبات الحمد في العشاء والظهر[٢].

ودلالة اللفظ تحث الإنسان على تجديد التسبيح كلما رأى آية من آيات الله في الأرض، وتناوب المساء والصباح من أكثر الآيات التي يألفها الإنسان، وفيها دلالة البعث والنشور، وعظيم مقدرة الله على تدبير أمور الخلق كلهم.

وناسبت الانفرادة مقاصد السورة من حيث الدلالة على نهاية الزمان اليومي، والسورة في آياتها تدل على نهاية الزمان الدنيوي للناس، وكما أن المساء يتبعه صباح في سنن الكون، فإن الموت يتبعه بعث وحياة في سنة الخلق، والنجاة في البعث تكون للمسبحين.

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢١/ص٦٦)، الآلوسي، روح المعاني، (ج١١/ص٢٨-٢٩)
٢ ينظر الزمخشري،الكشاف، ص٨٢٧.

المبحث الثالث

الانفرادات اللفظية في سورة لقمان، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة

سورة لقمان من السور المكية[١]، وهي الحادية والثلاثون في ترتيب المصحف الشريف، بعد سورة الروم وقبل سورة السجدة، عدد آياتها أربع وثلاثون آية[٢]، ولم يصح في فضلها أو سبب نزولها شيء[٣].

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة لقمان، وعلاقتها بمقاطع السورة ومقاصدها.

سورة لقمان من السور المكية التي اعتنت ببيان أهم جانب من جوانب العقيدة وهو إثبات الألوهيةلله، وأثر هذه العقيدة في حياة المسلم عامة وسلوكه خاصة.

قال البقاعي- (ت٨٨٥هـ)-: " مقصودها إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله، وقصة لقمان المسمى به السورة دليل واضح على ذلك." [٤]

قال قطب رحمه الله-(ت١٣٨٥هـ)-: هذه السورة المكية نموذج آخر من نماذج الخطاب القرآني للقلب البشري بالعقيدة الضخمة التي جاء القرآن ليوقظها في الفطر... وهي القضية التي تعالجها سائر السور المكية، كل منها تعالجها بأسلوب خاص، ومؤثرات خاصة؛ تلتقي كلها في أنها تخاطب القلب البشري خطاب العليم الخبير، المطلع على أسرار هذه القلوب وخفاياها، ومنحنياتها ودروبها، العارف بطبيعتها وتكوينها، وما يستكن فيها من مشاعر، وما يعتريها من تأثرات واستجابات في جميع الأحوال والظروف"[٥].

---

١ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٣٩٩)، وقال عنها:" غير آيتين قال قتادة أولهما " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده " لقمان: ٢٧ إلى آخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث آيات أولهن " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام " لقمان.

٢ ينظر أبي حيان، البحر المحيط، (ج٧/ص١٣٨).

٣ نقلت كتب أسباب النزول مرويات عن سؤال قريش للنبي-صلى الله عليه وسلم عن لقمان وابنه- ورواية عن النضر بن الحارث وأنه كان يشتري أخبار العجم ليرويها للناس فيفتنهم عن سماع القرآن، فالأول ضعيف والثاني: موضوع، ينظر، الهلالي، سليم بن عيد (و) آل نصر، محمد بن موسى، ١٤٢٥هـ، الاستيعاب في بيان الأسباب "أول موسوعة علمية حديثية محققة في أسباب نزول آي القرآن الكريم"، ط١، المملكة العربية السعودية، دار ابن الجوزي، (ج٣/ص٦٠).

٤ البقاعي، نظم الدرر (ج٦/ص ٣).

٥ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٧٠-٤٧١).

وقال الغزالي عن حِكم لقمان في السورة:" والوصية كلها باقة من العقائد الجليلة والأخلاق الكريمة، وقد ذكرها القرآن الكريم لننتفع بما فيها من حكمة، إذ الحكمة ضالة المؤمن، وقد أعقبها بما يؤكد عاطفة الشكر.....وبعد أن شرح حق الله فى تجويد العبادة.... ختمت سورة لقمان بتقرير المسؤولية البشرية المستقلة[١]."

بدأت السور بالثناء على الكتاب الحكيم، وتضمنت قصة لقمان الحكيم، وبينت آيات الله في كونه، التي يستدل بها صاحب كل عقل حكيم على الإله الواحد، **وتظهر الوحدة الموضوعية للسورة في بيان أثر الحكمة، ودورها في تقويم النفس من الشركيات والبدع، وفي زرع اليقين التام بالبعث والجزاء، وفي تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس المؤمنة.**

فالحكمة هي ميراث النبوة؛ العلم النافع، الذي يوجب العمل بإحسانٍ، فيتحكم بالنفس ويلجمها عن الهوى، وهي هبة من الله لأوليائه الصالحين، تحصنهم من السفاهات والحماقات، وتوجب عليهم التبليغ والدعوة ودوام الشكر[٢].

قال ابن كثيرعن الحكمة:" والصحيح أنها لا تختص بالنبوة بل هي أعم منها، وأعلاها النبوة، والرسالة أخص، ولكن لأتباع الأنبياء حظ من الخير على سبيل التبع.."[٣]

ويكفي الحكمة أهمية أنّ الله تعالى سمى بها نفسه ووصف بها ذاته، ووصف بها كتابه المبين، ثم جعلها الله تعالى منية وفضلا يؤتيها لمن شاء من خيرة خلقه، من الرسل وغيرهم من الصالحين[٤].

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى:بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

جاءت موضوعات سورة لقمان في مقدمة ومقطعين،و خاتمة، ترابطت فيما بينها لتبين وحدة السورة وروعة تماسك بنائها.فكانت **المقدمة** في الثناء على كتاب الحكمة "القرآن"،

---

١ الغزالي، نحو تفسير موضوعي (ج١/ص ٣١٢)

٢ ينظر علي، رائد عوض، (٢٠٠٣م) الدعوة إلى الله في سورة لقمان، جامعة آل البيت، قسم أصول الدين، رسالة ماجستر غير منشورة، إشراف، د.حسيب السامرائي، (ص١٩٩-٢٠٠)

٣ ابن كثير، تفسيره، (ج١/ص ٣٩٦)

٤ للمزيد في اهمية الحكمة وعلاقتها بالنبوة،ينظر المشني، مصطفى،(٢٠١٠م) الإعجاز البياني في وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، بحث محكم في مجلة الشارقة للعلوم الشرعية و القانونية، الأمارات، المجلد (٧) العدد(٢).ص٥.

الآيات(١-١١)آيات السورة تدور حول الحكمة وأثرها في هداية الناس للحق والإحسان، الذي يكون بعبادة الله وحده، والخضوع لأمره[١].

ثم جاء **المقطع الأول:** يتضمن وصايا لقمان الحكيم، الآيات(١٢-١٩)؛بعد أن بينت المقدمة حكمة آيات الله، مثلت لرجل من المحسنين -آتاه الله الحكمة- يعظ ولده، فالحكمة تظهر في أقوال الناس وأفعالهم، وتنوعت هذه المواعظ والحكم متدرجة بتقويم انحراف النفس عن أعظم أنواع الظلم-الشرك بالله- فتثبت في القلب عقيدة التوحيد، هذه العقيدة "تنشئ في القلب والعقل حالة من الانضباط لا تتأرجح معها الصور، ولا تهتز معها القيم، ولا يتميّع فيها التصور والسلوك.[٢]"

ولما كان الشرك جحودا لحق الله الخالق المسبب للوجود قرن به الإحسان بالوالدين، فقد جعلهما الله سببا في إيجاد الأنفس للحياة، فمن الحكمة أن يشكر الفرد كل من أعانه على حياته، مع ثباته على عقيدته، ثم تقتضي الحكمة أن يعلم المرء عظيم قدرة علم الله، وأنّه علام الغيوب، فمتى علم لزم طاعته وعبادته، فكانت الصلاة عنوان الخضوع، وكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من آثار قبول الصلاة، وقد أمره بالصبرعليها، وبعد الصبر التمكين فلا يغتر بنصر الله له بل يتواضع لله قلبا وفعلا وصوتا[٣].

والمقطع الثاني: الوصايا الحكيمة في آيات الله في السماوات ولأرض، الايات(٢٠-٣٣) جاءت تبين دليل حكمة الله في خلقه وإسباغ نعمه عليهم، ودلت الآيات على الله الواحد، من ينكر ذلك فلا دليل معه أو برهان إنما هو حجب من عقولهم وتقليدهم لعقائد وافقت أهواءهم وضلالتهم، بينما الحكمة تقتضي الثبات والتوكل على الله، ثم وصى الله نبيه أن لا يحزنه كفر الناس، فإن من الحكمة أن يعذبوا بما اعتقدوا، وبما جحدوا من آيات الله[٤].

ثم جاءت **الخاتمة** تؤكد حكمة الله تعالى في الغيب، الآية (٣٤). و تؤكد علو علم الله سبحانه، وحكمته في ستر علوم الغيب عنهم، منها: وقت الساعة ونزول الغيث وما في الأرحام والأرزاق وأخيرا مكان الموت وموعده، وسماها النبي -صلى الله عليه وسلم- مفاتيح الغيب[٥]، ذلك أن بها يُفتح أبوابٌ من الغيبيات التي خفيت عن الناس في الحياة الدنيا[٦].

---

١ ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص.١٤١)
٢ قطب، سيد، ١٩٩٧م، خصائص التصوير الفني في القرآن، ط٤، بيروت القاهرة، دار الشروق، ص٢٠١.
٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٨٣-٤٨٧).
٤ ينظر السعدي، تفسيره (٦٤٩-٦٥٠).
٥ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، "عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه و سلم:(مفاتيح الغيب خمس ثم قرأ { إن الله عنده علم الساعة.. }، حديث رقم(٤٥٠٠).
٦ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢١/ص١٩٦).

وارتبطت مقدمة السورة بخاتمتها بثناء المطلع على القرآن، ووصفه بالحكمة، ومن حكمته هداية الناس ليكونوا من المحسنين، وفي الخاتمة بيّن الله تمام حكمته سبحانه بإعلام الخلق بما يلزمهم ليستقيموا في دنياهم على الحق، وستر عنهم من الغيب، ما كان ستره خيرا لهم في دينهم ودنياهم[١].

العلاقة الثانية: علاقة سورة لقمان بالسور المجاورة لها

بين سورة "لقمان" والسورة اللاحقة "سورة السجدة[٢]، تتكامل مواضيع السورتين في بناء عقيدة المسلم، فلما جاء في سورة لقمان بيان أثر اتباع الكتاب والحكمة في تقويم الفرد واستقامته، جاءت سورة السجدة تؤكد اليقين بالكتاب المحكم المنزل من الله، واليقين بما ما جاء به والامتثال لكل ما فيه [٣].

وظهر التناسب بين خاتمة سورة لقمان مع مقدمة سورة السجدة؛ حيث ختمت سورة لقمان بتحذير الناس يوم القيامة، وتنبيه عامة الناس جميعا من أحداث ذلك اليوم، وبيان العدل المطلق الذي يدل عليه حساب النفس المفردة، وحذرت الناس من الاغترار بالحياة الدنيا وما فيها من فتن، بينما بينت مقدمة سورة السجدة غاية الكتاب ودوره في هداية الناس وإنذارهم' وقال السيوطي من تناسب السورتين:" أن في السجدة آية شرح لمفاتيح الغيب الخمسة في خاتمة لقمان[٤]."

ثانيا:خصائص السورة مضمونا وأسلوبا،وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

القسم الأول خصائص السورة مضمونا

١- من مضامين السورة انفردها بذكر قصة لقمان الحكيم، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾لقمان (١٢)، وتضمنت السورة توضيحا لحقيقة هذه الحكمة؛ وأهم آثارها الشكر لله، يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ لقمان(١٢). والشكر من صفات الله عزّ وجلّ الحسنى "شاكر- شكورا"، فمن الإحسان بعبادته التقرب إليه بأسمائه وصفاته، فيشكر لله ويشكر كل من أحسن إليه من خلق الله، ومن داوم على

---

١ ينظر السعدي، تفسيره، (ص٦٥٣).

٢ درست الباحثة سابقا، العلاقة بين سورة لقمان والسورة السابقة لها "سورة الروم " في المبحث السابق.

٣ ينظر ابن الزبير، الثقفي، ١٤١٠ه - ١٩٩٠ م البرهان في تناسب سور القرآن،تح: محمد شعباني، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ــ (ص١٥٠).

٤ ينظر السيوطي، الإتقان، (ج٢/ص١٠٨-١٠٩)

الشكر زاده الله من نعمه، يقول تعالى:" ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾إبراهيم(٧)، ومن شكر نعمة الحكمة زاده الله منها.

٢- تضمنت وصايا لقمان في السورة أسس التربية الصحيحة، القائمة على التربية العقدية، فالعقيدة المستقرة هي أصل الشخصية السوية الإيجابية، وأصل التربية الفكرية العقلانية، ويقصد بها ضبط التصورات و المقدمات بما يتوافق مع العقيدة السليمة لتصل إلى النتائج المنطقية الصحيحة، وتضبط نظرة الإنسان للحياة بالتعرف إلى حقيقتها ودوره فيها[١].

٣- تضمنت السورة آية فيها علوم الغيب الخمسة، فالله عند علم الساعة، وعلم نزول الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غدا، وما تدري نفس بأي أرض تموت." وفي غياب هذه العلوم عن الناس أثر بالغ في استقرار الحياة على الأرض، وفي مداومة النفس على الاستعداد الدائم لنهاية دورها في الحياة، كما فيها كف أذى الناس عن بعضهم البعض[٢].

٤- تضمنت السورة آيات كونية تناسبت مع محور السورة ومقاصدها، حيث جاء في المقطع الأول آية تحاج المشركين في قوله تعالى." ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ لقمان (١٠)، وجاء في آخرها آيات كونية أيضا٣، وبين ذلك جاء قوله تعالى مبينا حكمة من حكم الخلق ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴾لقمان(٢٠)، وقد ورد ذكر آيات الله في كونه كالتالي" السماء، الأرض، الجبال، الماء، الليل، النهار، الشمس، القمر، الفلك، البحار." فكل واحدة منها اشتملت على منافع كثيرة لا غنى للناس عنها، ولا تستقيم حياة الناس في الدنيا من غيرها[٤]. وفي هذه الآيات آيات عدة؛ يدعو التفكر بواحدة منها فقط إلى الاستدلال الحكيم على وحدانية الله وحقه

---

١ ينظر القيسي، ماجد أيوب، تموز لسنة (٢٠١٣)، أسس التربية وأساليب الرتبية الوجدانية في سورة لقمان، بحث محكم، مجلة الفتح، العدد (٥٤)، كلية التربية،جامعة ديالي، (ص٢٢٩-٢٣٠).

٢ ينظر، ابن قيم، محمد بن أبي بكر أيوب، أبو عبد الله، الجوزية، ١٣٩٨ – ١٩٧٨، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، تح: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي، بيروت، دار الفكر، (ص٢٩)

٣ ينظر سورة لقمان، الآيات(٢٩-٣١)

٤ ينظر علي، الدعوة إلى الله في سورة لقمان، مصدر سابق، (ص٢٢٨).

سبحانه بالعبادة دون غيره، كما يدعو الآيات إلى التفكر في أصل خلق الإنسان فيكون الشكر الدائم على رعاية الله للكون وتدبيره شؤون خلقه، فيتحصل اليقين بعظيم قدرة الله، وواسع علمه، فيكون التواضع الذي يعبر عنه دوام الشكر، وهو أصل الحكمة.

القسم الثاني: الخصائص الأسلوبية للسورة.

١- تشابهت سورة لقمان مع سورة البقرة في المطلع، حيث جاء في مطلع سورة البقرة" ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ البقرة (٢ – ٥)، وفي مطلع سورة لقمان﴿ الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾لقمان (٢ – ٥). فمطلع البقرة بيَّن أنّ القرآن كتاب هداية لمن اتقى، وأنّ من كان على هدى من ربه فلح، وكذا في سورة لقمان عدا أنّ سورة لقمان بينت أنّ الهداية للمحسنين، فالإحسان من لوازم التقوى ونتاجها، فإن كانت سورة البقرة فيها تفصيل أثر هذه الهداية القرآنية على الفرد والجماعة والأمة كلها، فإن سورة لقمان فيها أثر الهداية القرآنية على الفرد خاصة، وقال تعالى في سورة البقرة ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ البقرة (٢٦٩)، وقد قدّمت سورة لقمان مثالاً لمن آتاه الله الحكمة﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴾لقمان (١٢)، كما أكدت سورة البقرة في كثير من آياتها أنّ ما أنزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الكتاب والحكمة[١]، واختلف في معنى الحكمة بين السلف، فقال بعضهم:هي السنة. وقال غيرهم التفقه في الدين، وقالوا:هي الدين الذي لا يعرفونه إلا به–صلى الله عليه وسلم– يعلمهم إياها.[٢]"

قال ابن القيم: الحكمة حكمتان: علمية وعملية. فالعلمية: الاطلاع على بواطن الأشياء، ومعرفة ارتباط الأسباب بمسبباتها، خلقًا وأمرًا، قدرًا وشرعًا، والعملية – كما قال صاحب المنازل –: وضع الشيء في موضعه. قال: وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: أن تعطي

---

١ ينظر آيات سورة البقرة (١٢٩-١٥١-٢٣١)

٢ ينظر الطبري، تفسيره، (٢ج/٨٢-٨٣ص)

كل شيء حقه، ولا تعديه حده، ولا تعجله عن وقته، ولا تؤخره عنه، الدرجة الثانية: أن تشهد نظر الله في وعده، وتعرف عدله في حكمه، وتلحظ بره في منعه، الدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشاراتك الغاية[١]."

٢- تضمنت وصايا لقمان وجوها من الإعجاز البياني الذي ناسب محاور السورة ومقاصدها، ففي الوصية الأولى ظهر في الآية عظم جرم الشرك، في تنوع المفردات كتنكير "الظلم" وتنوينه تحقيرا أولا، ووصفه بالعظيم ثانيا، ومجيء الفاصلة في جملة اسمية تفيد الاستقرار والثبوت ثم لتوكيد حسن التعليل لما تقدم من النهي على أكمل وجه، ليكون التحذير من أي شرك أبلغ في النفس من الدعوة للتوحيد. ومادة الفعل "ووصينا" بالماضي لتدل على رسوخ هذه القاعدة واستقرارها منذ الأزل، مسندة إلى نون العظمة التي تستدعي سرعة الامتثال والخضوع، فجعل تتمة الوصية الأولى التوصية بالوالدين، وجعل طاعتهم-بما يرضي الله - وشكرهما من طاعته وشكره تعالى، ومن لطيف البيان في الوصية مجيء لفظ "المصاحبة" و"الدنيا" ذلك أن المصاحبة تقتضي الملازمة وطول المكث، مما يعني حرمة المقاطعة، واستمرار التواصل رحمة وحلما، وفي لفظ الدنيا، تعيين لقصر المدة التي يتكسب فيه الشخص أجر البر والطاعة للوالدين. ثم تأتي الوصية لتخبرعن صفة "علم الله"، ودقة هذه العلم وإحاطته بكل ما هو كائن، فالفاصلة انتهت بوصف الله ب" لطيف خبير" متناغمة مع المقصد، فهو خبير بكل شيئ، لطيف في تقديره وتدبيره لأمر الكون. ودور هذه الوصية واضح في تنمية عقيدة المسلم أنها تضبط سلوكه وتجعله رقيبا على نفسه سرا وعلانية، محاسبا لها، ثم ربطت العقيدة بالعبادة لتمكين الصلة بين العبد وربه، وتعلق القلب بخالقه، وانتهت الوصية بالأمر بالصبر والتحمل، والنهي على الخيلاء والتكبر[٢].

٣- من الأمثال التي انفردت بها السورة، تمثيل للإعراض عن آيات الله تعالى و استبدالها باللغو، والاستهزاء بها، بالذي لا يسمع؛ لصمم في أذنيه، في قوله تعالى "﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ لقمان(٧)، فالمقصود بالوقر الحمل الثقيل، استعير للصمم ثم غلب حتى صار حقيقة فيه[٣]، قال الجرجاني:" الواضح البيِّن في هذا

---

١ ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ١٣٩٣ه - ١٩٧٣م، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح: محمد حامد الفقي، ط٢- بيروت، دار الكتاب العربي (ج٢/٤٧٨ص)

٢ ينظر المشني، الإعجاز البياني في وصايا لقمان، (ص ١٦ -٢٤)

٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص١٤٤).

المعنى..أنه لم يأتِ معطوفاً نحوَ "وكأنَّ في أذنيه وقراً"؛ لأنَّ المقصودَ من التشبيه بمَنْ في أذنيه وقْرٌ هُوَ بعينه المقصودُ مِنَ التشبيه بمَنْ لم يسمع، إلاَّ أنَّ الثاني أبلغُ وأكَدُ في الذي أُريدَ، وذلك أنَّ المعنى في التشبيهين جميعاً أنْ يَنْفِيَ أن يكونَ لتلاوةِ ما تُلِيَ عليه من الآياتِ فائدَةٌ معه ويكونَ لها تأثيرٌ فيه وأنْ يجعلَ حالَه إذا تُلِيتْ عليه كحالِه إذا لم تُتْلَ[١]."

ومن الأمثلة التي انفردت بها السورة تمثيل لقمان الحكيم لعظيم مقدرة الله، في قوله تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان(١٦)، وفي المثال غرض بيان عظم مقدرة الله، فجاء في المثل لواحدة من أصغر الحبوب؛ حبة خردل صغيرة حقيرة لا قيمة لها، ولا يأبه بها أحد، فأخفيت في أضيق الأماكن في جوف صخرة صماء، أو في أعلى مكان في السماء، ومع كل ذلك الخفاء يأتي بها الله تعالى، فينطلق الخيال ليلاحق تلك الحبة في الأعماق ليرسم خارطة إليها بذهنه، يتعجب في رسمها من عجيب قدرة الله، ولطفه بخفايا الكون، فتستقر وراء تلك الصورة حقيقة استدلال القلب وتعرفه على الخالق العظيم.

٤- امتازت السورة بذكر عدد من الأبنية الصرفية أكثر من غيرها في سور القرآن الكريم." يا بنيَّ-ذكرت ثلاث مرات من اصل سبع، وفي لفظ البُنوة إظهار لعلاقة الأبوة، وكمال الصدق في النصح، فلا شك بخلوصها من المخادعة والكذب والهوى، وهي مبرأة من الجهل، فغايتها تنجية الابن من عذاب عظيم، وأسلوبها بالنداء البعيد يحمل بعد المكانة في النفس، والحرص على بلوغ الوصية، فيبدل الجهد في النداء، ويتضمن بلاغه الشفقة والحرص التام على الإقناع؛ ليحصل الامتثال والإتباع، وهذا من الحكمة التي أوتيها لقمان ظهرت في دعوته لابنه[٢]. وذكر التركيب "ما تدري"، مرتين من أصل أربع، "تشرك " مرتين من أصل أربعة.[٣]"، امتازت السور بانفرادها بعدد من الأبنية الصرفية وهي:"مقتصد- أقلام- يمده- مشيك- انهَ- يعظكم- ولده- ولوالديك- باطنة- بعثكم- خدك- صاحبهما- تصعر[٤]".

٥- كثرة ذكر الصيغ الصرفية فيها، حيث استخدمت أوزان صيغ المبالغة ثلاثين مرة، على الأوزان التالية " فعيل فعول فعّال" وغالبيتها ذكرت لتصف الله عزوجلّ بصفات الكمال، ووردت صيغ اسم الفاعل في النص أربع عشرة مرة، مرة عن المفرد والمثنى و الجمع، وجاء

---

١ الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص: ١٧٨)
٢ ينظر لحام، حنان، ١٩٨٣م، أضواء من سورة لقمان، ط١، بيروت دار الثقافة للجميع، ص٤٧.
٣ ينظر آيات سورة لقمان، (١٣-١٦-١٧)-(٣٤-٣٤)-(١٣-١٥).
٤ ينظر آيات سورة لقمان، (٣٢- ٢٧-٢٧-١٩-١٧-١٣-٣٣-١٤-٢٠-٢٨-١٨-١٥-١٨).

في الغالب قي سياق الحديث عن الموحدين لله، وعن غير المؤمنين، والبعض الآخر في سياقات مختلفة. ولم ترد صيغة اسم المفعول في السورة إلا مرتين، "مسمّى- مولود" والمبني للمجهول، جاء مرتين "تُتلى- قيل" وأفعال التفضيل وردت مرتين" أنكر- الوثقى"، وحققت هذه الأساليب التنوع والترابط في المعاني القرآنية بما يناسب مقاصد السورة ووحدتها الموضوعية. وامتازت السورة بتكرر أساليب الطلب فيها المتنوعة بين "الأمر والنهي و النداء وغيرها" وتكررت هذه الأنماط ستا وعشرين مرة، الأمر ست عشرة مرة، النهي، سبع مرات، النداء ثلاث مرات، وكانت وصايا لقمان لها النصيب الأكبر من هذه الأساليب، حيث فيها "اشكر- صاحبهما- اتبع- اقم – أمر- انه- اصبر- اقصد – اغضض- "وتوزعت الأوامر الأخرى في بقية السورة، وفي آيات وصية لقمان أربعة أساليب نهي هي" لا تشرك- لا تطعهما- لا تصعر- لا تمش- " والثلاثة الأخرى في بقية السورة" فلا يحزنك- فلا تغرنكم-ولا يغرنكم" وأساليب النداء جاءت في آيات وصايا لقمان" وهي "يا بنيَّ" ذكرت ثلاث مرات. وتنوع الأساليب في مقطع الوصايا يدل على تنوع الخطاب المقنع الذي استخدمه لقمان مع ابنه، بين طلب وأمر ونهي، ويظهر فيه بذل الجهد في الوعظ والإرشاد، وهذه حال كل الآباء. وذكر أسلوب النفي في السورة سبع عشرة مرة، وأكثر النفي كان بحرف "لا" ثم "ما" ثم "لم " وليس مرة واحدة. وذكر أسلوب الشرط اثنتا عشرة مرة مع تنويع بين حروف الشرط" واسمائه [١]

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في سورة لقمان وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

انفردت السورة بثلاث انفرادات لم تذكر مادتها وصيغتها إلا في سورة لقمان، وهي" لقمان- تصعر- ختار[٢]"، جاءت في سياقات متنوعة، وعمل الباحثة في هذه الدارسة يكمن في بيان العلاقة بين دلالات هذه الانفرادات والوحدة الموضوعية للسورة.

الانفراداة الأولى" لقمان" في قوله تعالى" ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: ١٢، ١٣).

---

١ ينظر حميد، ليلة يوسف، التماسك النصي في سورة لقمان، (دراسة نصية)، بحث مقدم لقسم اللغة العربية في كلية الآداب في قنا، ص(٩٥-٩٦)، ص٩٦-٩٧.

٢ ينظر الآيات(١٢-١٣)- (١٨)- (٣٢)

جاءت الانفرادة في سياق التمثيل لأثر الحكمة في المؤمنين، و تجلى ذلك في المواعظ التي وصى لقمان ابنه بها.

أولا: دلالة مادة"لقم" في اللغة.

درس اللغويون اسم "لقمان" تحت مادة لقم، واللقم تناول الطعام، قال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-:" لَقَمُ الطَّريق: مُسْتَقِيمُهُ ومُنْفَرجُه، تقول: عليكَ بلَقَم الطريق فالْزَمْهُ، ولَقِمَ يَلْقَمُ لَقْماً واللُّقْمةُ الاسْمُ واللَّقْمَةُ: أكْلُها بمَرَّةٍ، وتقول: أكلتُ لقمةً بلُقْمَتَيْنِ وأكلْتُ لُقْمَتَيْن بلُقْمةٍ[١]."

وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه)-:" اللام والقاف والميم أصلٌ صحيح، يدلُّ على تناوُلِ طعامٍ باليد للفَم، ثم يقاس عليه. ولَقِمْتُ الطَّعامَ ألْقَمُه، وتلقّمته والتقّمته. ورجلٌ تِلْقَامةٌ: كثير اللَّقْم(١). ومن الباب اللَّقَم: مَنْهَج الطَّريق، على التشبيه، كأنَّه لَقِم من مرَّ فيه[٢]."

وقال الأصفهاني-(ت٤٠٣ه)-:" لقمان: اسم الحكيم المعروف، واشتقاقه يجوز أن يكون من: لقمت الطعام ألقمه وتلقمته، ورجل تلقام: كثير اللقم، واللقم أصله الملتقم، ويقال لطرف الطريق: اللقم[٣]." وتصغيره لقيم[٤].

ويظهر من دلالة المادة جواز القياس عليها، كما قال ابن فارس[٥]، فإن كانت فيها دلالة اللقم وهي ما

وصف لما هيئ ليدخل الجوف، من طعام لمعدته، أو فكرٍ لعقله، أو صورٍ لمخيلته جاز فيه معنى اللقم.

ثانيا: دلالة الصيغة "لقمان" في السياق.

لقمان اسم على وزن فعلان، وفعلان بناء يدل على الامتلاء والخلو وحرارة الباطن، كريّان وعطشان[٦]، وجاء في موضعين في السورة، الموضع الأول مفعول لفعل أتى، والثاني فاعل لقال.

وثار جدل حول شخص لقمان، واختلف المجادلون في تعيين سمته الأبرز، أكان نبيا أم صالحا- وذهب جمهور السلف إلى أنه كان حكيما مصلحا ولم يكن نبيا[٧]- وكل نبي مصلح، فسمت الإصلاح لا خلاف فيه، ووصفه بالحكمة أيضا لا خلاف فيه، ولم يصح في خبره شيء،

---

١ الفراهيدي، كتاب العين، (ج٥/ص١٧٣).
٢ ابن فارس، مقاييس اللغة، ص٩٥٩.
٣ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، (ص٣٤٤)
٤ ينظر ابن منظور، لسان العرب، (ج١٣/ص٢٢٤).
٥ ينظر ابن فارس، مقاييس اللغة، ص٩٥٩.
٦ ينظر سيبويه، كتابه، (ج٤/ص٢٣).
٧ البغوي، معالم التنزيل، (ج٤/ص٢٣٨)

ولم يعرف عنه غير ما ذكر في السورة، ودلالة البناء تفيد أنّ لقمان كان يتناول الحكمة ويحرص على ملء جوفه منها.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة "لقمان" والوحدة الموضوعية للسورة.

سميت السورة باسم " لقمان" و انفردت أيضا بهذا الاسم؛ ولقمان في السورة هو الوالد الحكيم الذي يعظ، ويظهر أنّه كان مشهورا عند العرب بحكمته[١]، والحكمة[٢] تقوم على معرفة الصواب والمنع والفعل، قال النَّووي: "الحِكْمَة، عبارة عن العلم المتَّصف بالأحكام، المشتمل على المعرفة بالله تبارك وتعالى، المصحوب بنفاذ البصيرة، وتهذيب النَّفس، وتحقيق الحقِّ، والعمل به، والصدِّ عن اتِّباع الهوى والباطل، والحَكِيم من له ذلك[٣]."

فإنّ الحكمة التي رزقها الله لقمان كان خلاصتها في هذه الآيات، أنه علمه أنّ الشرك ظلم للنفس، وأن الشكر لكل محسن سبيلا لشكر الله- وأنّ أعظم الإحسان هو الإحسان للوالدين- ومن َعلِمَ عظيم قدرة الله، وواسع علمه لزمه تقواه وخشيته والخضوع له والتوكل عليه، فمن علم لزمه أن يعمل بما عَلِم؛ فتواضع واستكان وخضع.وعبد الله وحده ودعا إليه.

وقد مثلت الحكم التي نطق بها لقمان منظومة من الثوابت والقيم الهادفة لإصلاح الفرد والمجتمع، المؤدية للسعادة في الدارين، فبينت العقيدة الصحيحة أولا، والرابط الأسري المتين ثانيا، وسمت العبد المتيقن بلقاء الله ثالثا؛ فكان سمته الصبر والشكر مع الاستسلام التام لله، وهذا أعلى درجات الإحسان في العبادة[٤].

وكما أنعم الله على لقمان بالحكمة بعث للمسلمين رسولا يعلمهم تلك الحكمة، ويتلو عليهم آيات من الكتاب الحكيم، ويسن لهم من السنن ما يزكيهم ويطّهرهم ويهذبهم، فيعبدونه استحقاقا وامتثالا، ودلالة الانتفاع بحكمة القرآن تجدها في النفوس التي سكنت وخشعت أصواتهم وحركاتها.

---

١ ينظر الخالدي، صلاح، قصص السابقين في القرآن، ٦٢٠ص.

٢ وفرق الأصفهاني بين الحكم -الذي آتاه الله أنبيائه- وبين الحكمة، والحكم أعم من الحكمة، فكل حكمة حكم، وليس كل حكم حكمة، فإن الحكم أن يقضي بشيء على شيء، فيقول: هو كذا أو ليس بكذا.." ينظر مفردات ألفاظ القرآن ــ ص٩٧.

٣ النووي، يحيى بن شرف بن مري، أبو زكريا، ١٣٩٢ه المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢،بيروت، دار إحياء التراث العربي، (ج٢/ص٣٣).

٤ ينظر المشني، مصطفى، الإعجاز البياني في وصايا لقمان الحكيم، ص٤

الانفرادة الثانية" **تُصَعِّر**" في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾لقمان(١٨)، وهي في سياق المواعظ القيمة التي نسجها لقمان الحكيم لابنه ثوبا يقيه فتن الدنيا وتقلباتها.

أولا: دلالة مادة" صعر" في اللغة.

أصل صعر في اللغة " هو ميل في الوجه"، قال الفراهيدي–(ت١٧٥ه)–: مَيَل في العنق وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين والتَّصعير إمالة الخدّ عن النظر إلى النَّاس تهاوناً من كِبْر وعظمة كأنَّه مُعْرِض[١]."

قال الفرّاء–(ت٢١٥ه)–: هو الإعراض من الكِبْر[٢]. وقال الزجاج–(ت٣١١ه)–::و يقرأ تُصَاعِرُ[٣]، ومعناه لا تُعْرِضْ عن الناس تَكَبُّراً، يقال، أصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَد إذا أصَابه دَاء فلوى منه عنُقَهُ، فيقال للمتكبر فيه صَعَر، وفيه صَيَدٌ، فأما (تُصَعِّرْ) فعلى وجه المُبَالَغَة، ويصاعر جاء على معنى يُفَاعِل، كأنك تُعَارِضُهُمْ بوَجْهِك، ومعنى (تُصْعِرْ) تلزم خَدَّك الصَّعَرَ، لأنه لا داء بالإنسان أدْوَأ من الكِبْر[٤]. "

وفي المقاييس:" أصل مطرد يدلُّ على مَيل في الشيء، من ذلك الصَّعَر، وهو المَيَل في العُنُق. والتصعير: إمالة الخدِّ عن النّظَر عُجْبا. وربَّما كان الإنسان والظَّليمُ أَصْعَرَ خِلقة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان ١٨)، وهو من الصَّيعِرِيّة، وهو اعتراضُ البَعِير في سيره. والصَّيْعِرِيّةُ: سِمَةٌ من سِمات النوق في أعناقها[٥]."

وفي لسان العرب:" صَعِرَ صَعَراً وهو أصْعَر، الصَّعَرُ داءٌ يأخذ البعير فيَلْوِي منه عُنُقَه ويُميلُه[٦]."

وتُظهر دلالة المادة أنّ الصعر" هيئة أخذت من داء يصيب البعير يلوي رقابها، فاستعير لمن أعرض بوجه متكبرا على الناس، فمال بعنقه للجنب معطيا صفحة وجه لمن يخاطبه.

---

١ الفراهيدي، العين (ج١/ ص٢٩٨)
٢ الأزهري، تهديب اللغة، (ج٢/ص١٨)
٣ من القراءات المتواترة للانفرادة " تصاعر" على صيغة نفاعل، وتفيد المشاركة، بمعنى أنّ الفعل حصل منه عند مقابلته الناس، فهو يعارضهم بوجهه، وفي الكشف هي لغة أهل الحجاز"، ينظر مكي،بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع، وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، (ج٢/ص١٨٨).
٤ الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص١٩٨).
٥ ابن فارس، مقاييس اللغة (٥٦٧ص)
٦ ابن منظور، لسان العرب، (ج٨/ص٢٤٠)

ثانيا: دلالة الصيغة "تصعر" في السياق.

جاء اللفظ في صيغة المضارع المجزوم على وزن"تُفعّل"، ودلالة الفعل تجدد الهيئة منهم كلما دعت دواعيها، والتعبير بتصعير الخد كناية عن صفة التكبر، ودلالة التصعير أبلغ للسياق من دلالة الميل أو الإعراض، وذلك لأنّ التصعير حالة مرضية وهذا دليل نقص لا يليق بالتكبر والتعالي على الناس، ثانيا لأنّ هذه الحالة تصيب الدواب، وكان هذا أبلغ في ذمهم- تشبيههم بالحيوان-، وفي التشديد مبالغة في اكتساب الفعل والتكلف فيه، فدلالة التكلف التصنع والكذب، ويعكس شعور الزيف الذي يلتف حول كل متكبر.

وجاء اللفظ في تركيب النهي مجزوما بلا الناهية، وعطف على النهي عن المشي مرحا متبخترا، ووصف من يفعل ذلك ب"المختال والفخور" قال الرازي:"قدم نفي التكبر ثم نفي التبختر لأنّه لو قدم نفي التبختر للزم منه نفي التكبر، فلا يحتاج إلى النهي عنه، ومثاله أنه لا يجوز أن يقال: لا تفطر ولا تأكل؛ لأن من لا يفطر لا يأكل، ويجوز أن يقال لا تأكل ولا تفطر؛ لأن من لا يأكل قد يفطر بغير الأكل."[١].

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة" تصعر" والوحدة الموضوعية للسورة.

دلالة الانفرادة المعجمية تعطي معنى الميل في رقبة المتعالي حتى تظهر صفحة وجه "خده"، ودلالة الصيغة فيها بلاغة اختيار الانفرادة ومناسبتها للسياق، حيث عبرت عن هيئتهم بحالة مرضية تصيب الدواب، وتدل أيضا على حقيقة اعوجاج في الهيئة الطبيعية التي فطر عليها الناس، ليكون التكبر والتعالي هو اعوجاج عن أصل الفطرة، وذلك داء يدل على الضعف، ويستدعي التواضع لا التعالي على الغير.

وناسبت الانفرادة وحدة السورة وموضوعاتها التي بينت أثر الحكمة في التأثير الوجداني للنفس المؤمنة، فالحكمة تقتضي التبصر في حقيقة الأمور، والتعرف على الخالق بآثاره في الأرض، وكل ذلك يورث تواضعا في النفس واستقامة في السلوك، ودوام شكر للمنعم، ونقيضه يكون الميل والإعراض، والتكبر وجحد النعم.

وقد جاءت الانفرادة في سياق نصح لقمان فسبقه الأمر بالكمال؛ بإقامة الصلاة ودعوة الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم كان الصبر الذي يعقبه فلاح الدعوة، فجاء التحذير من الخيلاء والتعالي على الناس بعد التمكين، فتظهر حكمة المؤمن بعد تمكينه أيشكر ويتواضع، أم يكفر ويتعالى[٢]؟

---

١ الرازي، مفاتيح الغيب، (ج٢٥/ص١٣٥).
٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٤٨٧)

الانفرادة الثالثة: "**ختّار**" في قوله تعالى" ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾ لقمان(٣٢).

جاء اللفظ في سياق الإخبار عن حال المعرضين عن آيات الله، تكشف زيفهم ومخادعتهم لله، وهم حقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم بكفرهم.

أولا: دلالة مادة " ختر" في اللغة.

ختّار أصلها من "ختر" والختر في اللغة هو الفتور والكسل، وقال عنه الفراهيدي-(ت١٧٥ه)-: شبيه الغدر،ورجل ختّار: غدار، والخَتَرُ كالخدر وهو ضعفٌ يأخُذُك من شرب دواءٍ أو سُم أو سكر تقول: انخَتَرَتْ يدي[١]."

وقال الزجاج-(ت٣١١ه)-: هو أقبح الغدر[٢]."، وفي المقاييس:" أصلٌ يدلُّ على تَوانٍ وفُتُورٍ. يقال تَخَتَّرَ الرجلُ في مِشيته، وذلك أن يَمشي مِشْيَة الكَسْلان. ومن الباب الخَتْر، وهو الغَدْر، وذلك أنّه إذا خَتَر فقد قعَد عن الوفاء. والختّار: الغَدَّار[٣]."

والفرق بين دلالة غدر وختر وخان؛ أنّ الغدر هو ترك الوفاء، والخيانة هي النقصان منه[٤]، أما الختر فدلالته أنسب للسياق لأنه بمعنى التكاسل والفتورعن الوفاء، فهو أقبح الغدر[٥]، ودلالته ألصق بمعنى الكفران وهو تغطية النعمة، فكان فعلهم أنهم ستروا وغطوا نعمة الله عليهم تكاسلا وفتورا عن شكرها.

ثانيا:دلالة الصيغة "ختّار" في السياق

جاءت الانفرادة على وزن"فعّال" وهي من صيغ المبالغة التي تفيد معنى تكرر حدوث الفعل مرة بعد مرة، وعدم الانقطاع عنه، وكأنه صار حرفة [٦]، وجاء اللفظ في سياق إثبات صفة الجحود بآيات الله لكل (ختّار- كفور)، تقابلها في الآيات السابقة إثبات صفتين للموقنين بآيات الله على نفس الوزن(صبار- شكور)فقابل الختّار صفة الصبار، وذلك لأن الختر هو التكاسل وفتور الوفاء بالعهد، ولا يكون إلا لقلة الصبر وانعدام العزيمة، بينما الصبّار يتعهد الصبر على ما لا يطيق حتى يحترفه، وقابل الكفور في الآية السابقة لفظ كفور(شكور) على صيغة فعول؛ وهي صيغة مبالغة لمن كان قويّا بالفعل، وكأنه استنفد كل ما أوتي من قوة في فعله، فكل من غطّى

---

١ الفراهيدي، العين (ج٤/ص ٢٣٦)
٢ ينظر الزجاج، معاني القرآن، (ج٤/ص٢٠٢)
٣ ابن فارس،مقاييس اللغة، (٣٤٠ص)
٤ ينظر ابن فارس، المقاييس، غدر(ص٨١١)، وخون(ص٣٣٦).
٥ ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز،(ج٥/ص٥٧٣).
٦ ينظر السامرائي، معاني الأبنية،٩٤ص.

أثر النعمة "كفور"شديد البأس والقوة في فعل "الكفر"، قابله الشكور"شديد البأس والقوة في فعل "الشكر" [١].

وجاء اللفظ في سياق يصور تلاطم أمواج البحر عليهم، وإحاطته بهم، فاستعير للإحاطة الكاملة بلفظ التغشية؛ لما فيه من دلالة الشمول والمفاجأة، وشبه تلاطم وتكاثف الموج عليهم بالظلل، وهو تكاثف السحاب في السماء حتى يخفي أثر ضوئها[٢]، وأفاد المشهد تصوير شدة الرعب والفزع الذي أيقظ فطرتهم من غفلتها.

ثالثا: علاقة الانفرادة" ختّار" بالوحدة الموضوعية للسورة

جاءت الانفرادة في سياق مشهود ألفته النفس وهو سير الفلك بسلاسة في البحر، وفق قوانين الكون التي فطرعليها، وغفلة الناس عن الكون المفطورعلى التقلب والتبدل في الأحوال. فجاءت فاصلة الآية تثني على المتفكر بعظم مقدرة الله؛ المدبر لشؤون هذا الكون، مما يورث ثباتا ويقينا في النفس يلزمه الصبر مع الشكر.

ثم تنقل الآيات المشهد إلى التقلبات التي فطرت عليها نعم الدنيا، فذلك الموج يثور فيتخبط ويتلاطم ليظهر للناس ضآلتهم أمامه، فتخضع أبصارهم وأصواتهم؛ لآية تثري القلب رهبة وفزعة، فتوقظ الفطرة النائمة الغافلة المتكاسلة عن شكر الله فتدعوه مخلصة صادقة، وهنا يظهر مناسبة اللفظ للسورة والسياق، فحمل اللفظ معنى التكاسل والفتور عن الوفاء المتكرر مرة بعد مرة، وهذا حال المقتصد "فهو ختّار" يتكاسل ويتغافل عن شكر الله كلما سكنت تقلبات الدنيا وهدأت أمواجها المتلاطمة وغمرته النعم من جديد[٣].

وهذا يتنافى مع الحكمة التي دعا لها كتاب الله؛ ولازمُها وتفسيرها هو الشكر الدائم لله، فانفردت السورة بوصفٍ لصنف من الناس بدأ بأول مدارك الانحطاط في التغافل عن الشكر فذاك هو المقتصد من الناس، الذي لا يذكر ربه إلا في المصائب فيجأر إليه ويتوسل طالبا النجاة فإن نجا عاد يقتصد على نفسه بالشكر، أو يتقوى بالختر والجحود فيكون كفورا[٤].

---

١ ينظر الرازي، التفسير الكبير، (ج٢٥/ص١٤٢).
٢ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢١/ص١٩١)، والآلوسي، روح المعاني، (ج١١/ص١٠٤)
٣ ينظر ابن عطية، البحر المديد، (ج٥/ص٥٧٤)
٤ ينظر قطب، في ظلال القرآن،(ج٦/ص٤٩٧)، والغزالي نحو تفسير موضوعي، (ص٣٥٣)

المبحث الرابع

الانفرادات اللفظية في سورة السجدة، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

توطئة: تقديم السورة.

سورة السجدة من السور المكية[١]، عدد آياتها ثلاثون آية، تقع في الجزء الحادي والعشرين من القرآن الكريم، اشتهرت في المصاحف باسم السجدة[٢]، واشتهرت أيضا باسم " ألم تنزيل" وقد ثبتت هذه التسمية في أحاديث شريفة[٣]، ولعله من باب تسمية السلف للسور بمطالعها، واشتهرت باسم "تنزيل السجدة" وقد عنون البخاري في صحيحه بابا بعنوان"باب سجدة تنزيل السجدة[٤].

فضل السورة.

جاء في فضل السورة عدة أحاديث ثبت منها ما أخرجه البخاري من حديث جابر" قال: كان النبي –صلى الله عليه وسلم– لا ينام حتى يقرأ تبارك وألم تنزيل السجدة[٥]."

المطلب الأول: الوحدة الموضوعية في سورة السجدة، علاقتها بمقاطع السورة وأهم مقاصدها.

سورة السجدة من السور المكية التي مكنت عقيدة البعث والجزاء فيها، وبينت تمايز الخاضعين لله عن المنكرين بلقائه.

قال الفيروزآبادي–(ت٨١٧ه)– عن مقاصدها:" تنزيل القرآن، وإنذار سيِّد الرُّسُل، وتخليق السماءِ والأرض، وخَلْق الخلائق،.. ومَلْءُ جهنَّم من أهل الإنكار، والضَّلالة، وإسقاط خواصّ العِبَاد فى أجواف اللَّيالى للعبادة، وإخبارهم بما ادُّخِر لهم فى العُقْبى: من أنواع الكرامة، والتفريق بين الفاسقين والصادقين فى الجزاءِ، والثواب، فى يوم المآب..}[٦].

---

١ قال ابن عطية، المحرر الوجيز ــ (ج٤/ ص٤١٢): هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ": السجدة: ١٨ إلى تمام ثلاث آيات."

٢ ينظر ابن عاشور، التحرير، (ج٢١/ص٢٠١)

٣ أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ من يوم الجمعة، حديث رقم (٨٥١)، من حديث أبي هريرة" كان النبي صلى الله عليه و سلم يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر { آلم تنزيل }. السجدة و { هل أتى على الإنسان }.

٤ ينظر البخاري صحيحه، كتاب، أبواب سجود القرآن، باب "سجدة تنزيل السجدة"، رقم الحديث(١٠١٨) وصحح عن ابن عباس في الحديث الذي أخرجه أبي داوود في سننه، في كتاب الصلاة"أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– كَانَ يَقْرَأُ فِى صَلاَةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَنْزِيلَ السَّجْدَةِ وَ (هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ)..

٥ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٤١٤).وقال عنه الشيخ الألباني:صحيح.

٦ الفيروز آبادي، البصائر، ص٢٦٢.

وقال البقاعي-(ت٨٨٥هـ)- عن مقصود السورة " إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة والنجاة من النار.."[١].

وقال عنها صاحب الظلال" ترسم السورة صوراً للنفوس المؤمنة في خشوعها وتطلعها إلى ربها، وللنفوس الجاحدة في عنادها ولجاجها؛ وتعرض صوراً للجزاء الذي يتلقاه هؤلاء وهؤلاء، وكأنها واقع مشهود حاضر للعيان، يشهده كل قارئ لهذا القرآن، وفي كل هذه المعارض والمشاهد تواجه القلب البشري بما يوقظه ويحركه ويقوده إلى التأمل والتدبر مرة، وإلى الخوف والخشية مرة، وإلى التطلع والرجاء مرة، وتطالعه تارة بالتحذير والتهديد، وتارة بالإطماع، وتارة بالإقناع، ثم تدعه في النهاية تحت هذه المؤثرات وأمام تلك البراهين.."[٢]

وقد بين صاحب الظلال في كلماته المحور الذي تدوره حوله مقاصد السورة، **فوحدة السورة هي اليقين بالقرآن، وأثر هذا اليقين في استكانة النفوس وخضوعها لله، ودوره في إيقاظ الفطرة نحو الإيمان الخالص، والسجود لله دون سواه، وفي السورة أثر الانصراف عن القرآن والجحد بآياته في طمر الفطرة وشذوذ العقيدة وفسق النفوس وخسرانها.**

وانتظمت مقاصد السورة حول محورها، وبرز هذه النظم في مقاطعها وعلاقاتها الداخلية والخارجية، التي بينت وحدة السورة الموضوعية.

أولا: الوحدة الموضوعية للسورة في ضوء تناسق البناء الموضوعي الداخلي والخارجي للسورة.

العلاقة الأولى:بين الوحدة الموضوعية للسورة ومقاطعها.

جاءت السورة مألفة من مقدمة ومقطعين، **فالمقدمة** -الآيات(١-٣)- دلت بأوجز العبارات وأبلغها على مصدرية القرآن وكماله، وأنّ غاية إنزاله هداية الناس أجمعين وإنذارهم، والمقدمة غنية عن الربط بوحدة السورة لوضوح الرابط، **والمقطع الأول**- الآيات(٤-١٧)- تضمنت الإخبار عن أهم مضامين القرآن الهدائية والإنذارية، فذكرت صفة الخلق، والتدبير، والإحسان والإنعام، والعلم، والرحمة كلها في سياق الخلق والتكوين، وتؤكد قضية البعث وتعرض مشاهد المنكسين من المجرمين المكذبين لآيات الله، ثم تصور نفوس المؤمنين بأروع صورة لهم فهم إذا ذكروا بآيات الله خروا سجدا يقينا بآيات الله[٣].

---

١ البقاعي، نظم الدرر، (ج٦/ص٤٢)
٢ قطب، في ظلال القرآن، (ج٦/ص٥٠٤).
٣ ينظر قطب، في ظلال القرآن(٦ج/ص٥٠٤-٥٠٥)

والمقطع الثاني ضم الآيات(١٨-٣٠) وفيه مظاهر العدل القرآني، وجزاء المؤمنين والمعارضين لآيات الله في الاخرة، وعاقبة صبر الدعاة وتمسك المؤمنين بآيات الله في الدنيا، والاعتبار بهلاك القرى الظالمة، وختم المقطع بتأكيد الإنذار الذي بدأت به مقدمة السورة بتأكيد يوم القضاء.

العلاقة الثانية: بين دلالة اسم السورة ووحدتها الموضوعية.

اشتهرت السورة باسم "السجدة"، والسجود في اللغة يدل على التطامن والذل[١]، وكل ما انحنى وطأطأ رأسه فهو ساجد، وجاء السجود في السورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ السجدة(١٥)، واختصت السورة بهذا الاسم دون غيرها من السور التي ذكر فيها السجود، لتتضمن كل آية منها خشية في القلب أو رهبة يستحق معها طأطأة الرأس وانحناء الجسد تواضعا لله عزّ وجلّ، فلما ثبت اليقين بالقرآن وتصديق ما جاء به، ذعنت النفس المؤمنة وخضعت منكسرة بين يدي الله[٢]، فكان الأثر العملي لذلك اليقين والمثبت له هو السجود لله.

العلاقة الثالثة: علاقة سورة السجدة بالسور المجاورة لها[٣].

سورة الأحزاب[٤] -اللاحقة لسورة السجدة- ترتبط معها في علاقة تكامل نسيج عقائدي عملي، فالسجدة هي القاعدة المبنية على اليقين التام بمصدر القرآن الرباني، لتبنى عليها الجماعة المسلمة المنظمة في سورة الأحزاب[٥].

وفي كلتا السورتين ظهر وجوب اتباع القرآن الكريم، وما جاء به من تشريعات وإيمانيات، وإثبات مصدره وتصديق النبي- صلى الله عليه وسلم- بما أخبر به عن ربه.

وانفردت سورة الأحزاب بأحكام وتشريعات تعلقت بالنساء[٦]، وأصل العمل بالحكم هو الامتثال للقانون المشرع، فلابد من اليقين بصدق القرآن ومصدره وحكمته، ليتحقق الامتثال الأكمل.

---

١ ينظر ابن فارس، المقاييس، ص٥٠٥.

٢ ينظر نصر، عبد الرحمن، ٢٠١٣م، التناسق الموضوعي في سورة السجدة، رسالة ماجستر مقدمة في جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، إشراف عثمان بلال، ص٩٨.

٣ درست الباحثة في المبحث السابق علاقة سورة السجدة بالسورة السابقة لها" سورة لقمان "

٤ من السور المكية على الراجح، قال ابن عطية في تفسيره (ج٤/ ص٤١٢):" هذه السورة مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون " إلى تمام ثلاث آيات."

٥ ينظر النصيرات، الانفرادات اللفظية في سورة الأحزاب، ص١٢

٦ من الأحكام التي انفردت بها سورة الأحزاب، (الظهار- إبطال التبني- بطلان التوارث بالمؤاخاة والهجرة-)

وبعد أن ختمت السجدة بأمر الله لنبيه أن ينتظر موعد هلاك المعرضين عن آيات الله، افتتحت الأحزاب بتحريض النبي–صلى الله عليه وسلم– أن يعرض عنهم، وكان في هذا دلالة أنّ المذبذبين والجاحدين بنعم الله لا تقوم لهم جماعة أو تنبثق عنهم راية.

خصائص السورة مضمونا وأسلوبا وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة

القسم الأول: خصائص السورة مضمونا:

١– من المضامين التي تميزت بها السورة، التعريف بالله بوصفٍ يوجب تمام اليقين بآيات الله، في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ السجدة (٦)، فهذا الموضع الوحيد في القرآن الذي قرن وصف عالم الغيب والشهادة مع العزيز الرحيم، فلما دلت الآية على شمول قدرة الله وواسع علمه وعلو سلطانه على الخلق كلهم، ورحمته تحصل اليقين بالقلب وخضعت النفوس[١].

٢– تضمنت السورة وصفا لليوم الآخر "يوم الفتح" يوم يظهر فيه الموقنون بآيات الله على المستهزئين بهم المعرضين عن الكتاب، فهو يوم الفصل بين الناس، وسمي بالفتح لظهور فريق على الآخر[٢]، وغاية سجود الناس لله هو خوفٌ من ذلك اليوم وطمعٌ بالفوز فيه.

٣– تضمنت السورة آية دلت على خبر عظيم عجز علماء اليوم على نقضه بقوله تعالى:" ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ – ٩]، ففيها تأكيد أنّه تعالى خلق الإنسان في أحسن صور الكمال، وحتى ما كان في ظاهره عيب هو حقيقة إحسان من جهة أخرى، وتبع بعد بيان هذه الدقة والإحكام في الصنع –الدال على عظمة الصانع– ثمّ تبعه بيان أصل خلق الإنسان–(آدم عليه السلام)، وجاء بلفظ الطين الجامع لمركبين، (الماء– التراب)،" في الآية إيماء علمي لم يدركه الناس إلا في هذا العصر، وهو أنّ النطفة يعتمد تكوّن الجنين عليها؛ لأنها تتكون من ذرات فيها تختلط مع سلالة من المرأة، وما زاد على ذلك يذهب فضلة، فالسلالة التي تنفرز من الماء المهين هي النسل لا جميع الماء المهين"[٣].

---

١ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٦/ص٥٢)
٢ من السور المدنية، ينظر ابن عطية، المحرر الوجيز، (ج٤/ص٤٤٢).
٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٢١٦)

القسم الثاني: الخصائص الأسلوبية للسورة.

١- تشابهت سور ة الملك [١]مع سورة السجدة في الفضل، فكان هذا داعيا للبحث والتمحيص، لبيان سبب حرص النبي- صلى الله عليه وسلم – في تلاوة السورتين قبل نومه، فسورة الملك من السور التي تدعو آياتها للتعرف على حقيقة الخلق، وهي الحقيقة المتعلقة بحياة الناس وفتنتهم، وموتهم وبعثهم وحسابهم، والتي تستحق تنزيه الله وحمده، وهنا يظهر الرابط بينها وبين السجدة، فالحمد والثناء كان من اليقين الذي وقر في قلب المؤمن وتمسكه بكتاب الله، وعبادته لله خوفا وطمعا، وهو اليقين الذي يعلم به أن الرحمة بيد الله والكون كله يأتمر بأمره، وأنّ خير ما تزود به الناس في فتنة الدنيا هو اليقين المانع المنجي من العذاب٢.

٢- ومن خصائصها الأسلوبية مجيء آيات بأساليب بلاغية تناسب معنى اليقين بآيات الله وثباته، كما جاءت جملة " ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ السجدة(٢)، فبدأت بجملة اسمية تدل على الثبات،وجملة (تنزيل الكتاب) (من رب العالمين) مبتدأ وخبر، لكن جاءت بينهما جملة قبل ذكر الخبر معترضة بين المبتدأ والخبر(لا ريب فيه)، لأن هذه الجملة عبرت عن وحدة السورة وأهم مقاصدها، ، وهو اليقين الذي يولُّد الخضوع والإيمان الراسخ، فناسبه أن تأتي جملة (لا ريب فيه)[٣]. وفيه قوله "رب العالمين" دلالة لفقر كل الخلق إليه وحاجتهم له مدبراً ومنعما ورازقا ووكيلا، ودلالة مجيء العالمين بصيغة جمع القلة؛ لتبين أنهم وإن كثروا فهم قليلون في جنب عظمة الله ورحمته[٤].

٣- هذا وانفردت السورة بعدد من الأبنية وهي:" {أَنْعَامُهُمْ}، {نَفَخَ} {نَاكِسُو}، {فَارْجِعْنَا}"[٥].

٤- وانفردت السورة بلفظ واحد لم يذكر في سور القرآن الأخرى تتجافى "وهو موضوع البحث في المطلب القادم.

---

١ ابن عطية،المحرر الوجيز ــ (ج٥/ص ٣١٠)
٢ ينظر قطب، في ظلال القرآن، (ص٥٠٤-٥٠٥)
٣ ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، (ج٢١/ص٢٠٥-٢٠٦).
٤ ينظر القاسمي، محاسن التأويل، (ج١/ص٧٠)
٥ ينظر سورة السجدة الآيات، (٢٧-٩-١٢-١٢)

المطلب الثاني: الانفرادات اللفظية في السورة وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

اختصت السورة بانفرادة لفظية واحدة" تتجافى" جاءت في سياق وصف المؤمنين بآيات الله، في قوله تعالى:" ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ السجدة(١٦).

أولا: دلالة مادة "جفا" في اللغة

تتجافى أصلها من "جفا" وهو نبوء الشيء وبروزه عن غيره، فال الفراهيدي-(ت١٧٥ه)- الشّيءُ يَجْفُوُ جَفاءً ممدود كالسَّرْج يجفو عن الظَّهْر إذا لم يَلْزَم الظَّهْر، وكالجنب يجفو عن الفِراش وتَجافَى مثله[١]."

وقال ابن فارس-(ت٣٩٥ه): نبوّ الشيء عن الشيء. من ذلك جفَوْتُ الرّجُلَ أجْفُوه، وهو ظاهر الجِفْوة أي الجَفَاء. وجَفَا السَّرْجُ عن ظهر الفَرَس وأجفيته أنا، وكذلك كلُّ شيءٍ إذا لم يَلْزَم (شيئاً) يقال جَفَا عنه يَجفُو.[٢]"وقال ابن منظور-(ت٧١١ه):" شيءُ يَجْفُو جَفَاءً وتَجافَى لَمْ يلزم مكانَه كالسَّرْج يَجْفُو عن الظَّهْر وكالجَنْب يَجْفُو عن الفِراش..[٣]"، ويظهر من دلالة المادة أنّ الجفا هو نشوز الشيء عن شيء، وعدم قدرته أن يمتد عليه، ويلازمه.

ثانيا: دلالة الصيغة "تتجافى" في السياق

جاءت الانفرادة في صيغة المضارعة، وهي من تفاعل من الجفا، والجفا: وهو النبوّء والتباعد، تقول العرب: جاف ظهرك عن الجدار، وجفت عين فلان عن الغمض إذا لم تنم[٤]." وفاعلها "جنوبهم"، وهو جمع جنب، ويقصد بها ناحية من البدن، ومجيء المضارعة في الانفرادة فيه من معنى التجدد والاستمرار للفعل، وذلك دلالة تجدد مشاعر الرهبة والخشوع المحفزة لهم على النهوض كلما وضعوها، فخالفت الأبدان الفطرة على طلب الراحة كما تطلب الحركة، ولكن الانفرادة تدل على قفز الجنوب عن مضجعها كلما استقرت عليه، مما يدل على كثرة القيام وقلة المبيت، ودل لفظ المضجع على الفرش المريح، فنفى كون الفراش سبب جفائهم[٥].

---

١ الفراهيدي، العين (ج٦/ص ١٨٩)
٢ ابن فارس، المقاييس، (ص٢١٩).
٣ ابن منظور، لسان العرب، (ج٣/ص١٦٣).
٤ الثعلبي، الكشف والبيان، (ج٧/ص ٣٣٠).
٥ ينظر البقاعي، نظم الدرر، (ج٦/ص٥٧).

فكان المشهد الذي تصوره الانفرادة للمؤمن الذي يهجر ألذ ما فطرت عليه النفس فكثرته من علامات الرخاء والسكينة، يهجرونه لما هو أعظم ارضاء الله، ويدل على تكرر الفعل منهم، واستمرار حالهم عليه.

ثالثا: العلاقة بين الانفرادة"تتجافى " والوحدة الموضوعية للسورة.

من دلالات الانفرادة "النبوء والتباعد والنشوز عن الشيء، لعدم القدرة على ملازمته، وصيغتها دلت على استمرار الفعل باستمرار دواعيه، وجاءت الانفرادة في سياق وصف أثر اليقين بآيات الله عزّ وجلّ- -وهو محور السورة أوهم مقاصدها – في قوله تعالى:" ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ السجدة (١٥ – ١٧)، فجاء اللفظ بعد وصف سرعة استجابة المؤمنين لآيات الله، فما إن يسمعوها حتى يسجدوا لله استحقاقا له سبحانه، ولما تولد لديهم من هدايات بعثت من آيات الله حركة الفطرة السليمة للخضوع لله، وذكروه بألسنتهم حامدين، ثم جاءت الانفرادة في سياق بيان تحقق أصل اليقين في قلوب الساجدين، فبينت علاقة العبد المؤمن الموقن بما أنزل عليه لا يرتاب فيه، فكانت تتجافى أبدانهم عن الراحة في الدنيا ليمنعوا عن أنفسهم العذاب خوفا، ويكسبوا الأجر من الله طمعا، ويتبعوا الفعل والذكر بالإنفاق.

وعند التمعن في لفظ تتجافى ترى أنه أعظم دليل على اليقين، ويؤكد ذلك ما قاله رسول الله–صلى الله عليه وسلم–أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –كَانَ يَقُولُ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا..[١]" فكلما زاد يقين المؤمن بآيات الله علم أن ما ينتظره في الآخرة يستحق بذل الوسع كله في تحصيله.

---

١ أخرجه البخاري، في صحيحه، باب قول النبي– صلى الله عليه وسلم– لو علمتم ما أعلم– رقم الحديث(٦٤٨٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين..... أما بعد....تضمنت هذه الأطروحة دراسة الانفردات اللفظية في سور القرآن الكريم- بدءًا من سورة الأنبياء إلى نهاية سورة السجدة، وأظهرت الوحدة الموضوعية للسور المدروسة، وتسجل هذه الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها الباحثة في هذه الأطروحة وهي:

١- انفردت سورالقرآن من سورة الأنبياء إلى سورة السجدة بتسع وخمسين انفرادة، منها ثمانية وثلاثين اسما وهي" حدب، رتقا، نفحة، بئر، تفثهم، صوامع، ضامر، عطفه، عميق، مقامع، هامدة، سيناء، المجوس، عتيق، كالحون، الأيامى، مذعنين، لواذا، تفسيرا، فلانا، ريع، شرذمة، ضير، الطود، فارهين، جامدة، الخبء، عفريت، البقعة، جذوة، ردءا، المقبوحين، العنكبوت، أفصح، هيهات، لقمان، ختّار، الروم" وواحد وعشرين فعلا " يدمغه، يكلأكم،تذهل، يسطون، يسلبهم، تلفح، يحيف، يعبأ، تذودان، تخطّه، تمسون، لتنوء، تصعّر، تتجافى، قصمنا، ففهمناها، لهدّمت، وجبت، تبسم، أتقن، فوكزه." حيث جاءت كل انفرادة متناسبة بمادتها وبنائها في تركيبها مع وحدة السورة الموضوعية وأهم مقاصدها.

٢- أبرزت الدراسة وجها من وجوه الإعجاز البياني في بلاغة ودقة اختيار الانفرادة القرآنية ومناسبتها للوحدة الموضوعية للسورة، بل كانت دلالة هذه الانفرادات من طرق الاستدلال والتدليل على الوحدة الموضوعية للسورة.فأظهرت هذه الدراسة نوع العلاقة بين الانفرادة والسورة تتجلى في:

أ- الاختصاص؛ ذلك أن الانفرادة القرآنية تساهم في البناء الداخلي للسورة كسائر مفردات القرآن وتزيد عليهم بخاصية الانفراد، بمعنى أنّ هذه الانفرادة خصت لسورة بما تحمله من دلالات ومعان ناسبت مقاصد السورة وأعانت على بيان وحدتها الموضوعية، ونمثل بذلك بكلمة "تتجافى" الانفرادة الوحيدة في سورة السجدة، فدلالات اللفظ كما بينت الباحثة ساهمت في بيان وحدة السورة وأهم مقاصدها القائمة على الخشوع والخضوع لله تعالى استحقاقا ووجوبا بحيث تعجز النفس عن النوم خوفا من التقصير بحقه تعالى.

ب- التكاملية، ونقصد بذلك أنّ هذه الانفرادات دلت على وجه من وجوه الإعجاز القرآني، فالتناسب والتناغم الذي ظهر في مناسبة الانفرادة دون غيرها للسورة، ويظهر شذوذ أي لفظ آخر في حال إحلاله مكانها، وسيطرت الانفرادة بدلالالتها على إبراز مقصد السورة والربط بين موضوعاتها. ونمثل لذلك ب"انفرادات سورة النور "الأيامى، يحيف، مذعنين، لواذا" حيث عبرت كل انفرادة بسياقها على مقاصد عدة، ولكنها بمجموعها حملت معاني الانحراف والشذوذ، وساهم هذا في بيان وحدة السورة القائمة على حاجة الناس لكتاب الله وتشريعاته في ضبط النفس البشرية وتحقيق العدل المطلق الذي تستقيم به النفوس.

ج- الجمالية؛ ذلك أنّ انفراد السورة بكلمات جذرا واشتقاقا يبرز جمال التعبير القرآني، ويظهر علاقة هذا البناء مقاصد السورة ووحدتها. ومثال ذلك انفرادة "ثمسون" في سورة الروم، حيث جاءت دلالة مادتها وصيغتها تضيف جمالا متناغما مع مقاصد السورة لما تحمله من معان التغيير في الوقت، فلفظ جاء يحمل في مادته معنى التغيير اللطيف الخال من العنف، مناسب سياق الآية ووحدة السورة.

٣- أكدت دراسة دلالة ألفاظ القرآن أنّ دلالة التركيب والصيغة تبنى على دلالة اللفظ أولا متمثلة بالدلالة المعجمية والصرفية والصوتية له، ثم دلالة التركيب والسياق القرآني، وأنّ الدلالة المعجمية وحدها لا تكفي في بيان مقاصد الكلمة مفردة أو مركبة، وأن الإخلال في ربط هذه الدلالات ببعضها ضمن القواعد والضوابط التي ظهرت من دلالات المفردة والصيغ والتركيب ينتج عنه سوء الفهم عن مراد الله، وينتج عنه توجيه خاطئ للقيمة العقائدية أو السلوكية المرادة. ومثال ذلك كلمة "نفحة " التي انفردت بها سورة الأنبياء، فدلالة المعجم وحدها لا تكفي في تصوير المشهد القرآني كما ينبغي له.

٤- أنّ العمل في الوحدة الموضوعية للسورة يقوم على خطوات منهجية محددة، تتوالى لتبين شخصية السورة وأهم ملامحها في ضوء تناسق العلاقات الداخلية لموضوعاتها وعنوانها مع أهم مقاصدها ومحورها، وفي ضوء تناسق السورة مع غيرها من السورة في البناء الخارجي لها، المتمثل بعلاقة السورة بالسور المجاورة لها، وبالسور المتشابهة معها. وتساهم دراسة خصائص السورة في مضامينها وأساليبها في التدليل

على وحدة السورة وتكامل موضوعاتها. واستخلاص الوحدة الموضوعية للسورة يتم بالنظر للسورة كقطعة واحدة متماسكة متناسبة مترابطة حيث تبدأ السورة بمقدمة تتبعها حلقات منتظمة في سلسلة من الموضوعات القرآنية المتناسقة والمترابطة فيما بينها، لتنتهي بخاتمة مؤكدة للمقدمة.

٥- تميزت الانفرادات القرآنية غير المكررة في السور المدروسة بسهولة النطق، ومناسبتها للمقام، واتساع المعنى الدلالي لها، وترابطها مع بعضها في إبرازوحدة موضوعات السورة وتناسقها.

٦- أكدت الدراسة -ما وصل له جُلُّ الباحثين - أنّ ظاهرة الترادف بمعنى التماثل التام والتطابق الكامل معدوم في القرآن الكريم ألبتّة، حيث أنّ كل لفظ في القرآن الكريم له استعماله الخاص، ودلالته الخاصة التي تميزه عن غيره من الألفاظ، كما أكدت أنّ التراكيب القرآنية التي جاءت فيها الانفرادات قد ساهمت في الكشف عن الوحدة الموضوعية للسورة وأهم مقاصدها.

٧- أثبتت الدراسة أنّ أكثر الانفرادات المدروسة استعملت في معناها الحقيقي، بما يعني غنى الدلالة المعجمية بالمعاني المعبرة عن المراد من اللفظ، وبلاغة القرآن في اختيار المفردات المنتظمة مع المقام بدلالتها المستخدمة في كلام العرب.

٨- أظهر البحث أن أكثر الانفرادات المدروسة تمحورت حول عذاب الكافرين، وناسب هذا وحدة السور القرآنية فأكثرها من السور المكية التي تحذر الآخرة وتؤكد البعث والحساب، وتنذر المكذبين.

٩- أظهرت الدراسة أنّ هناك أخطاء وعيوبا وقع فيها الجامعون للانفرادات اللفظية في القرآن الكريم، ذلك أنّهم لم يعتبروا الانفرادة المكررة في السورة ذاتها من ضمن الانفرادات القرآنية، مثل ذلك لفظ "عتيق" الذي ذكر مرتين في سورة الحج، كما أنهم اعتمدوا على قراءة حفص عن عاصم فقط في إيراد الانفرادات، لذلك وجدت صعوبة في استنتاج العلاقة بين الانفرادة ووحدة السورة الموضوعية، مثال ذلك لفظ "ضير" في سورة الشعراء.

أهم التوصيات والاقتراحات:

١- دراسة انفرادات الأبنية الصرفية التي جاءت في سور القرآن الكريم، وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، وتخصيص ما يلزم للباحثين المؤهلين للحصول على أفضل النتائج وأدقها.

٢- الاهتمام بدراسة التراكيب التي انفردت بها سور القرآن الكريم، وعلاقتها بوحدة السورة وموضوعاتها.

٣- العناية بعلم الدلالة وتأصيله كأحد أهم علوم القرآن الذي يربط علم التفسير بعلم اللغة العربية، ويُعد حلقة الوصل بين العربية والتفسير التحليلي والموضوعي للقرآن.

٤- الاستقصاء الدقيق للانفرادات في االقرآن الكريم، لوجود عيوب ونقائص في المعاجم التي اختصت بذكر الانفرادات القرآنية.

وأخيرا لست أزعم أنني وفيت هذه الدراسة حقها، لكنني اجتهدت فيها وسعيت وبذلت قصارى جهدي، فما كان فيها من خير فمن فضل الله وواسع كرمه علي، وما كان فيه من نقص فمني ومن الشيطان، وعسى أن يكون هذا العمل بابا لتدبر معاني القرآن واستشعارعظمة المعجزة القرآنية، وحجة لنا يوم نلقاه.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- الألوسي، شهاب الدين محمد بن عبد الله، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٢- ابن الأثير، بو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين، **في الكامل في التاريخ**، ط١، (تح :عمر عبد السلام)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٣- الأزهري، محمد بن أحمد أبو منصور، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤- الإسكافي، محمد بن عبد الله الأصبهاني، أبو عبد الله، **درة التنزيل وغرة التأويل**، ط١، (تح: محمد مصطفى)، نشر جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ٢٠٠١م.

٥- الأنصاري، جمال الدين عبد الله، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، دراسة (تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي)، دار الفكر، بيروت.

٦- باشا، أمين محمد عطية، **التكرار في قصص القرآن**، دراسة تطبيقية على قصة موسى عليه السلام.

٧- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، **إعجاز القرآن**، (تح: السيد أحمد صقر)، دار المعارف، القاهرة.

٨- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفري أبو عبد الله،**الأدب المفرد**،ط٣، (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

٩- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفري أبو عبد الله،(ت٢٥٦هـ)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، ط١، (تح: محمد زهير بن ناصر الناصر)، دار طوق النجاة، جدة، ١٤٢٢هـ

١٠- بدري، كمال إبراهيم، **الزمن في النحو**، دار أمية للنشر، الرياض.

١١- بسومي، باسم، **معجم الفرائد القرآنية**، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية.

بطرس، **قاموس الكتاب المقدس**، تأليف عدد من اللاهوتين، هيئة التحرير بطرس

عبد الملك، جون ألكسندر طمسن، إبراهيم مطر، ط٩، القاهرة: دار الجيل.

١٢- البغدادي، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم.**

١٣- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمرو، (ت ٨٨٥ هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، ط٣،(خرج أحاديثه ووضع الحاشية: عبد الرازق غالب المهدي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٦م

١٤- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، (تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٤١٨ هـ).

١٥- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَ وْجِردي الخراساني، أبو بكر، **السنن الكبرى**، ط٣، (تح: محمد عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م.

١٦- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم الحراني، **الرد على المنطقيين**، دار المعرفة، بيروت.

١٧- الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري أبو إسحاق، **الكشف والبيان**، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢م.

١٨- الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر، **كتاب الحيوان**، (تح: عبد السلام محمد هارون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

١٩- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **كتاب دلائل الإعجاز**، ط٣، (قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر)، مطبعة المدني، مصر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

٢٠- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، (١٤٠٥هـ)، **التعريفات**، ط١، (تح: إبراهيم الأبياري)، بيروت: دار الكتاب العربي.

٢١- الجزري ابن، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف أبو الخير، **النشر في القراءات العشر**، (تح: علي محمد الضباع)، المطبعة التجارية الكبرى، دار الكتاب العلمية.ابن الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، (تح:طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي)، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.

٢٢- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي، **أحكام القرآن**، (تح: محمد

صادق القمحاوي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٣- جلغوم، عبد الله، (٢٠١٥م)، **المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن الكريم**، ط١، الرياض: مركز تفسير الدراسات القرآنية.

٢٤- ابن جني، أبي عبد الفتاح، عثمان، **سر صناعة الإعراب**، ط١، (تح: حسن هنداوي)، دار القلم، دمشق، ١٩٨٥م،

٢٥- ابن جني، أبي الفتح عثمان، -**الخصائص**، (تح: الشربيني شريدة)، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٢٦- الجواليقي، موهوب بن أحمد أبو منصور، **شرح أدب الكاتب**، باب تسمية المتضادين، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٠هـ.

٢٧- الجواليقي، موهوب بن أحمد، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، ط٢، (تح: أحمد شاكر)، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.

٢٨- ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ط١، (تح: محمد عبد الكريم كاظم الراضي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٩- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **تاج اللغة وصحاح العربية**، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠م.

٣٠- ابن الحاجب، عثمان، أبي عمرو، **شرح الوافية في نظم الكافية**، ط١، (تح: موسى العليلي)، مطبعة دار الآداب، النجف، ١٩٨٠م.

٣١- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبدالله أبو عبدالله، **المستدرك على الصحيحين**، ط١، (تح: مصطفى عبد القادر عطا)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م،

٣٢- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، **الإصابة في تمييز الصحابة**، ط١، (تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ،

٣٣- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ط١، دار السلام، الرياض، ١٩٩٧م.

٣٤- حسب النبي، منصور، **الكون والإعجاز العلمي في القرآن**، دار الفكر العربي.

٣٥- حسن، عباس، **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة**،

ط٣، مصر: دار المعارف.

٣٦- حموي، ياقوت، (١٩٩٣)، **معجم إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب**، ط١، (تح: إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي.

٣٧- ابن حنبل، محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبو عبد الله، **المسند**، ط١، (تح :أحمد محمد شاكر)، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣٨- حوى، سعيد، (١٩٨٥م)، **الأساس في التفسير**، ط١، القاهرة: دار السلام.

٣٩- أبو حيان، أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، **تفسير البحر المحيط**، (تح: صدقي محمد جميل)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤٠- الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٤١- الخالدي، صلاح عبد الفتاح، **مع قصص السابقين في القرآن**، دروس في الإيمان والدعوة والجهاد، ط٥، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٧م.

٤٢- ابن خالويه، الحسين بن أحمد،أبو عبد الله **الحجة في القراءات السبع**، ط٤، (تح: عبد العال سالم مكرم)، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ

٤٣- الخطيب، عبد الكريم، (١٩٧٥م)، **القصص القرآني، في منطوقه ومفهومه**، ط٢، بيروت، دار المعرفة.

٤٤- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، أبو العباس، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تح: إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٢م.

٤٥- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، دار الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م.

٤٦- دراز، محمد عبد الله، النبأ العظيم، **نظرات جديدة في القرآن**، دار الثقافة، الدوحة.

٤٧- ابن دريد، محمد بن الحسن، أبو بكر، **جمهرة اللغة**، ط١، (تح: رمزي منير بعلبكي)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

٤٨- ـــــــــــــــــــــــــــ، **كتاب الاشتقاق**، ط٣، (تح: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

٤٩- الذهَبي، أحمد شمس الدين أبو عبد الله محمد، **سير أعلام النبلاء**، ط١١، (تح: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦م.

٥٠- الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، **مفاتيح الغيب**، ط١، الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٥١- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي،الملقب بفخر الدين، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، (تح: علي سامي النشار)، دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٢- الرجال، راشد، (١٩٩١م)، **صحيفة علي بن أبي طلحة في تفسير القرآن عن ابن عباس**، ط ١، مكتبة السنة.

٥٣- الرصافي، محمود بن عبد الرحيم، **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، ط٤، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨هـ.

٥٤- رضي الدين، محمد بن الحسن الاستراباذي، **شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب**، (تح: يوسف حسن عمر). جامعة قار يونس، ليبيا، ١٩٧٥م.

٥٥- ابن الحاجب، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني ركن الدين الأستراباذي، **شرح شافية ابن الحاجب**، ط١، (تح: عبد المقصود محمد)، مكتبة الثقافة الدينية، ٢٠٠٤م.

٥٦- زايد، فهد خليل، (٢٠١٠م)، **المستوى الصوتي الحروف ودلالاتها في اللغة العربية**، ط١، عمان: دار الصفوة.

٥٧- ابن الزبير، الثقفي، **البرهان في تناسب سور القرآن**، (تح: محمد شعباني)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٩٩٠ م.

٥٨- الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، ط١، (تح: عبد الجليل عبده شلبي)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٨م.

٥٩- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهاج**، ط٢، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، ١٤١٨هـ

٦٠- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، **الأعلام**، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

٦١- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله، أبو القاسم، **أساس البلاغة**، ط١، (تح: محمد باسل)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٩٨م.

٦٢- ـــــــــــــــــــــــــــ، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٣- السامرائي، فاضل صالح، (٢٠٠٧م)، **معاني الأبنية**، ط٢، عمان: دار عمار.

٦٤- ـــــــــــــــــ، (٢٠٠٩)، **معاني النحو**، ط٤، عمان: دار الفكر.

٦٥- السايس، محمد علي، (٢٠٠١م)، **تفسير آيات الأحكام**، (تح: طه عبد الرؤوف)، المكتبة الأزهرية للتراث.

٦٦- ابن سراج، أبي بكر محمد بن سهل البغدادي، **الأصول في النحو**، ط٣، (تح:عبد الحسين الفتلي)، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٨٨م.

٦٧- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تفسير السعدي**، (خرج أحاديثه: السيد بن أحمد أبو يوسف)، مصر: مكتبة الإيمان.

٦٨- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦٩- سعيد عبد الفتاح، عاشور، **تاريخ أوروبا في العصور الوسطى**، ط١، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة.

٧٠- السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، ط٢، (تح: نعيم زرور) دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٧١- ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، **كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني)**، ط١، (تح : فخر الدين قباوة)، مكتبة لبنان، ١٩٩٨م،

٧٢- السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي، أبو الليث، **بحر العلوم**، (تح: محمود مطرجي)، دار الفكر، بيروت.

٧٣- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، **كتاب سيبويه**، ط٣، (تح: عبد السلام محمد هارون)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨ م.

٧٤- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي، **المحكم والمحيط الأعظم**، ط١، (تح: عبد الحميد هنداوي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠ م.

٧٥- ابن سيده، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي أبو الحسن، **المخصص**، ط١، (تح: خليل إبراهم جفال)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

٧٦- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، **الإتقان في علوم القرآن**، (تح: محمد أبو إبراهيم)، الهيئة المصرية العامة، ١٩٧٤م.

٧٧- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، أبو الفضل، **أسرار ترتيب القرآن**، (تح:عبد القادر أحمد عطا)، دار الاعتصام، القاهرة.

٧٨- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكربن محمد جلال الدين، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧٩- الشاطبى، **الاعتصام**، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٨٠- الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، **الموافقات**، ط١، (تح: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان)، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.

٨١- شرف الدين، جعفر، (١٩٩٩م)، **الموسوعة القرآنية، خصائص السور**، بيروت: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٨٢- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، أبي الفتح، **الملل والنحل**، (تح: محمد كيلاني)، دار المعرفة، بيروت.

٨٣- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، **إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول**، ط١، (تح: الشيخ أحمد عزو عناية)، دار الكتاب العربي دمشق، ١٩٩٩م.

٨٤- ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، **المصنف في الأحاديث والآثار**، ط١، (تح: كمال يوسف الحوت)، مكتبة الرشد، الرياض ، ١٤٠٩هـ.

٨٥- الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان**، ترتيب مصطفى حسين أحمد، دار الفكر.

٨٦- الصنعاني،عبد الرزاق بن همام، **تفسير عبد الرازق**، ط١، (تح: مصطفى مسلم)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٨٩م.

٨٧- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، ط١، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (تح: أحمد محمد شاكر)، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

٨٨- ـــــــــــــــــــــ، **تاريخ الأمم والملوك**، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٧هـ.

٨٩- طنطاوي، محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ط١، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٩٠- ابن عادل، سراج الدين عمر بن علي بن الحنبلي الدمشقي النعماني، أبو حفص، **اللباب في علوم الكتاب**، ط١، (تح : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٨م.

٩١- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التونسي، (٢٠٠٠م)، **التحرير والتنوير**، ط١، تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع.

٩٢- عباس، فضل حسن، (٢٠٠٩ م) **أساليب البيان**، ط٢، دار النفائس.

٩٣- ـــــــــــــــــــــــــــ، (٢٠١٠م) **إتقان البرهان في علوم القرآن**، ط٢، عمان: دار النفائس.

٩٤- ـــــــــــــــــــــــــــ، (٢٠٠٧م)، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، ط١١، عمان: دار الفرقان.

٩٥- ـــــــــــــــــــــــــــ، (٢٠٠٩م)، **قصص القرآن الكريم**، ط٣، عمان: دار النفائس.

٩٦- أبو عبيدة ، معمر بن المثنى التيمى البصري، **مجاز القرآن**، (تح: محمد فواد)، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨١ هـ،

٩٧- ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي الحسني الإدريسي، **البحر المديد**، دار الكتب العلمية ، بيروت.

٩٨- ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المعافري الاشبيلي المالكي **أحكام القرآن**، ط٣، (راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه :محمد عبد القادر عط)، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠٠٣م

٩٩- أبي العز، علي بن علي بن محمد الحنفي، (٢٠٠٢م)، **شرح العقيدة الطحاوية**، ط١، (تح: أبو عبد الله مصطفى العدوي)، دار الرجب.

١٠٠- العسكري، أبي هلال، **الفروق اللغوية**، (تح: عماد البارودي)، المكتبة التوقيفية، مصر.

١٠١- ابن عطية، عبد الحق بن غالب الأندلسي، أبو محمد، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط ١ (تح: عبد السلام عبد الشافي محمد)، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م.

١٠٢- الغزالي، محمد، **نحو تفسير موضوعي لسور القرآن**، ط٤، دار الشروق، القاهرة، ١٣٣٥م.

١٠٣- ابن فارس بن أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، محمد علي بيضون، ١٩٩٧م.

١٠٤- ـــــــــــــــــــــ، **معجم مقاييس اللغة**، (تح: عبد السلام محمد هارون)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م

١٠٥- الفارسي، أبي علي الحسن بن عبد الغفار، ١٩٩٩م، **الحجة للقراء السبعة**، ط١، (تح: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاني، ودققه عبد العزيز رباح)، دار المأمون للتراث، دمشق.

١٠٦- الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكريا، **معاني القرآن**، ط١، (تح: أحمد يوسف النجاتي و محمد علي النجار و عبد الفتاح إسماعيل)، دار المصرية للتأليف والنشر، مصر.

١٠٧- الفراهيدي، بو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، **كتاب العين**، ط١، دار ومكتبة الهلال.

١٠٨- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، الكتاب: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، (تح: محمد علي النجار)، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

١٠٩- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، **محاسن التأويل**، ط١، (تح: محمد السود)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٨هـ.

١١٠- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (تح:عماد زكي و خيري سعيد)، المكتبة الوقفية، مصر.

١١١- القزويني، جلال الدين، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ط٤، دار إحياء العلوم، بيروت.

١١٢- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، تح إبراهيم البسيوني، **التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.

١١٣- قطب، سيد، (١٩٧١م)، **في ظلال القرآن**، ط٧، بيروت: درا إحياء التراث.

١١٤- ـــــــــــــــــــــ، (١٩٩٧م)، **خصائص التصوير الفني في القرآن**، ط٤، بيروت، القاهرة: دار الشروق.

١١٥- القفطي جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف، (١٩٨٢م)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**.

١١٦- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب، أبو عبد الله، **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، (تح: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني

الحلبي)، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨م.

١١٧- ـــــــــــــــــــــــــــــــ، **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، (تح: طه عبد الرؤوف سعد)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

١١٨- ـــــــــــــــــــــــــــــــ، **جلاء الأفهام**، دار ابن كثير.

١١٩- ـــــــــــــــــــــــــــــــ، **كتاب الفوائد**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٠- ـــــــــــــــــــــــــــــــ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ط٢، (تح: محمد حامد الفقي)، دار الكتاب العربي، بيروت.

١٢١- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل أبي الفداء القرشي الدمشقي، **تفسير القرآن العظيم**، ط٤، (قدم له: عبد القادر الأرناؤوط)، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ١٩٩٨م.

١٢٢- الكفومى، أبى البقاء أيوب بن موسى الحسيني، **كتاب الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، (تح: عدنان درويش و محمد المصري)،مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٨م.

١٢٣- لحام، حنان، (١٩٨٣م)، **أضواء من سورة لقمان**، ط١، بيروت: دار الثقافة للجميع.

١٢٤- الماوردي، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي أبو الحسن، **النكت والعيون**، (تح :السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم)، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٢٥- المبارك، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد الحريملي النجدي،(٢٠٠٢ م)، **تطريز رياض الصالحين**، ط١، (تح: عبد العزيز بن عبد الله)، الرياض: دار العاصمة.

١٢٦- محيسن، محمد سالم، (٢٠١٣م)، **المغني في توجيه القراءات العشر**، ط١، مصر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

١٢٧- المراغي، أحمد بن مصطفى (١٩٤٦ م)، **تفسير المراغي**، ط١، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

١٢٨- مرصفي، حسين، (١٩٩١م)، **الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية**، (تح: عبد العزيز الدسوقي)، الهيئة المصرية العامة للكتب.

١٢٩- مسلم، ابن الحجاج القشيري، أبو الحسين النيسابوري، **صحيح مسلم**، (تح: محمد فؤاد عبد الباقي)، دار إحياء التراث العربي، بيروت

١٣٠- مسلم. ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، أبي الحسين، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، دار الجيل، بيروت، دار الأفاق الجديدة، بيروت.

١٣١- مسلم، مصطفى، **النظم القرآني، جزالته وتناسقه**، في كتاب الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم، ط١، (جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود)، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر.

١٣٢- ـــــــــــــــــــــــــــــــ، ونخبة من العلماء، (٢٠١٠م)، **موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**، ط١، الشارقة: كلية الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة الشارقة.

١٣٣- المقرئ، إسماعيل بن عمرو، **اللغات في القرآن**، ط١، (تح: صلاح الدين المنجد)، مطبعة الرسالة، القاهرة.

١٣٤- مكي، بن أبي طالب، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجها**، (تح: محي الدين رمضان)، مؤسسة الرسالة

١٣٥- النحاس، أحمد بن محمد أبو جعفر، **معاني القرآن الكريم**، (تح: محمد علي الصابوني)، جامعة أم القرى، مكة المرمة ، ١٤٠٩هـ.

١٣٦- النورسي، بديع الزمان، (٢٠٠٢م) **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ط٣، (تح: إحسان الصالحي)، (تقديم: محسن عبد الحميد)، القاهرة: شركة سوزلر للنشر.

١٣٧- النووي، يحيى بن شرف بن مري، أبو زكريا، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١٣٨- ابن هشام، عبد الله جمال الدين الأنصاري، **شرح قطر الندى**، ط١، (تح: محمد محي الدين عبد الحميد)، المكتبة العصرية، ١٣٨٣هـ.

١٣٩- ابن هشام،عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، **السيرة النبوية**، ط٢، (تح: مصطفى السقا)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥م

١٤٠- الهلالي، سليم بن عيد (و) آل نصر، محمد بن موسى، **الاستيعاب في بيان الأسباب**، ط١، دار ابن الجوزي،المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

١٤١- الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، أبو الحسن، **أسباب النزول**، ط٢، (تح: عصام الحميدان)، دار الإصلاح، الدمام، ١٩٩٢م.

١٤٢- ابن يعيش، موفق الدين علي بن محمد بن علي الأسدي الموصلي، أبو البقاء، **شرح المفصل للزمخشري**، ط١، (قدم له: إميل بديع يعقوب)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

قائمة الرسائل العلمية والبحوث المحكمة

١٤٣- أبو جزر، حسين موسى، (٢٠١٥م)، أسلوب النداء في الحوار القرآني، سورة النمل، سورة النمل أنموذجا، دراسة نحوية ودلالية، **مجلة جامعة الأقصى**،المجلد التاسع عشر، العدد الأول.

١٤٤- حسناوي، خالد توفيق مزعل، (٢٠١٢م)، "**الأنساق الأسلوبية المهيمنة على السور المكية**، أطروحة دكتوراة غير منشورة، جامعة الكوفة، الكوفة، العراق.

١٤٥- حميد، ليلة يوسف، **التماسك النصي في سورة لقمان، (دراسة نصية)**، بحث مقدم لقسم اللغة العربية، جامعة جنوب الوادي، قنا، مصر.

١٤٦- خلة، محمود عبد الخالق، **سورة القصص دراسة تحليلية وموضوعية**، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٤٧- خلف، نوال، (٢٠٠٧م). "**الانسجام في القرآن الكريم، سورة النور أنموذجا**" رسالة ماجستير غير منشورة ،جامعة الجزائر، الجزائر، الجزائر.

١٤٨- أبو زيد، نايل، (٢٠٠٦م)، آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان، دراسة بلاغية، بحث محكم، **مجلة الدراسات**، علوم الشريعة والقانون، المجلد ٣٣، العدد٢.

١٤٩- الشرافي، ريم، (٢٠١٠م) **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، (دراسة تطبيقية للسور، القصص والعنكبوت، والروم)**، رسالة ماجستر غير منشورة، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.

١٥٠- الصمادي، محمد محمد صالح، (٢٠٠٣م)، **سورة "المؤمنون"(دراسة أسلوبية)** رسالة ماجستر غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

١٥١- علي، رائد عوض، (٢٠٠٣م)، **الدعوة إلى الله في سورة لقمان**، رسالة ماجستر غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

١٥٢- عوض، إبراهيم، (١٩٩٢م)، مصدر القرآن، دراسة لشبهات المستشرقين

والمبشرين، بحث منشور ، **مجلة مجمع الفقه الإسلامي**، العدد السابع، الجزء الرابع.

١٥٣- القيسي، ماجد أيوب، (٢٠١٣م)، أسس التربية وأساليب الرتبية الوجدانية في سورة لقمان، بحث محكم، **مجلة الفتح**، العدد (٥٤)، كلية التربية،جامعة ديالي.

١٥٤- المشني، مصطفى، (٢٠١٠م)، الإعجاز البياني في وصايا لقمان الحكيم وما ينطوي عليه من قيم، بحث محكم، **مجلة الشارقة للعلوم الشرعية و القانونية**، الأمارات، المجلد (٧) العدد(٢).

١٥٥- الملاح، عائشة أبراهيم حسن، (٢٠٠٤م)، **النظم القرآني في سورة النور**، رسالة ماجستر غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الاردن

١٥٦- نصر، عبد الرحمن، (٢٠١٣م)، **التناسق الموضوعي في سورة السجدة**، رسالة ماجستر غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

١٥٧- النصيرات، جهاد، (٢٠٠٩ م)، أسماء الله الحسنى في فواصل سورة الحج – بحث محكّم- **مجلة دراسات**، الجامعة الأردنية، عدد (٢) مجلد (٥).

١٥٨- النصيرات، جهاد، (٢٠١٥م)، الألفاظ التي انفردت بها سورة الأحزاب دراسة دلالية موضوعية، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات**، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد(٤)، مجلد(٣٠).

١٥٩- النصيرات، جهاد، واحمد حسين، (٢٠١٥م)، دلالة الألفاظ التي انفردت بها سورة يوسف وعلاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة، **مجلة المنارة**، آل البيت، مخطوط، مقبول للنشر.

مقالات منشورة في مواقع إلكترونية

١٦٠- الشعرواي، محمد متولي، الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى، **www.islammi.٨m.com**، اعتنى به" أحمد الزغبي".

١٦١- الكحيل، عبد الدائم، كنوز الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، **www.kahee٧l .com**

THE PARTICULARITY OF WORD USE AND IT'S CONNECTION TO THE MAIN THEME OF QURANIC SURA APPLIED STUDY FROM THE BEGINNING OF AL-ANBIYA SURA TO THE END OF AS-SAJDAH SURA

By

Sheren Fthi Ahmad Al abed

Supervisor

Dr. Jihd Mohammad Alnusairat

ABSTRACT

This study aims at studying the indication of Quran Inferadat and their relation with the thematic unity of the Sura. This study is a part of a project in the University of Jordan to study all Inferadatd of the Quran.

This study deals with the Inferadat and their indication and relation with the thematic unity of the Sura ، an applied study from Surat Al-Anbiya' to Surat Al-Sajdah، it is based on the method of induction، deduction and analysis to clarify the eloquence of statement in Quran when choosing a single Mufradah and it's relation the unity of the Surh where it occurs and it's role in the constructine formation of the Sura.

This study shows how the thematic unity of the Sura is formed in a harmonious individual piece and one connected goal in linked interfered circles of themes.

In addition to how they are related with this unity، they help manifest and specify the Sura and how the distinction of these Inferadat in their stems and derivations participate in showing eloquence of the Mufradah and the proficiency in choice. This study assures what formers had rejected about synonymity of words، it shows the connectedness of their indications.

This study includes twelve chapters، each one is divided onto two requirements، The first requirement is about the thematic unity of Sura، The second one is about the indications of Inferadat and their relation with the thematic unity of Sura.